كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد السادس

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد السادس

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٠٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٠٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٢- باب فضل بر أصدقاء الأب

الحديث رقم (٣٤٢)

٣٤٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: **((إنّ أبرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ))**[1].

- وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلًا مِنَ الأعْرَابِ لَقِيَهُ بطَرِيق مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله (بْنُ عُمَرَ)، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أصْلَحَكَ الله إنَّهُمُ الأعرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسير، فَقَالَ عبد الله (بن عمر): إن أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وإنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: **((إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبيهِ))**[2].

وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر: أنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأسَهُ، فَبيْنَا هُوَ يَومًا عَلَى ذلِكَ الحِمَارِ إذْ مَرَّ بِهِ أعْرابيٌّ، فَقَالَ: ألَسْتَ فُلاَنَ بْنَ فُلاَن؟ قَالَ: بَلَى. فَأعْطَاهُ الحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَأعْطَاهُ[3] العِمَامَةَ، وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأسَكَ، فَقَالَ لَهُ بعضُ أصْحَابِهِ: غَفَرَ الله لَكَ أعْطَيْتَ هَذَا الأعْرَابيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيهِ، وعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأسَكَ؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يَقُولُ: **((إنَّ مِنْ أبَرِّ البِرِّ أنْ يَصِلَ[4] الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيهِ بَعْدَ أنْ يُولِّيَ))** وَإنَّ أبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لعُمَرَ رضي الله عنه[5].

رَوَى هذِهِ الرواياتِ كُلَّهَا مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٥).

(٣) لفظ مسلم: (والعمامة) بدون قوله: (أعطاه).

(٤) لفظ مسلم: (صلة) بدل: (أن يصل).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١٣).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

ودّ أبيه: صديقه[1].

يتروح عليه: معناه: كان يستصحب حمارًا ليستريح عليه إذا ضجر من ركوب البعير[2].

الراحلة: الراحلة من الإبل: الصالح للأسفار والأحمال[3].

يولى: تولى الرجل: إذا أدبر ورحل، والمراد: أنه مات[4].

الشرح الأدبي

البر جماع الخير ومن عظمة الإسلام دعوته إلى كل أشكال البر مع جميع المسلمين حتى أنه جعل من البر بل من أبره أن يصل الرجل أصحاب أبيه ومن كان يحبهم، وهذا الحديث يعرض هذه الغاية النبيلة التي تشير إلى سمو المشاعر، ونبل الغايات وقد جاء الحديث في ثوب إيجاز القِصر، وهو تضمُّن الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة كما هو الحال في هذا الحديث، وقد جاء الأسلوب مؤكداً بـ (إن) مع اسمية الجملة، ثم استخدام أفعل التفضيل الذي ارتقت درج البر، واستقرت فوقها مع ما في قوله (أبر البر) من جناس يؤكد المعنى، ويوضح المقصود، حتى لا يستبعد المخاطب العلاقة بين أعلى درجات البر، وبين أصدقاء الأب، وأحبابه، خاصة الذين لا تربطه بهم قرابة من أي نوع، والتعبير بالمصدر المنسبك من (أن) والفعل (أن يصل) دون المصدر الصريح (وصل) لأن التعبير بالمصدر المنسبك من أن والفعل المضارع مع دلالته على ما يدل عليه المصدر يدل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٣.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ح ل).

(٤) المرجع السابق في (و ل ى).

على التجدد، والاستمرار الذي يوحي بتجدد الوصل كلما وجد الواصل إلى ذلك سبيلاً، وإضافة الود للأب، ثم إضافة الأب للضمير العائد إلى الابن يوجد صلة بينهم تقوي العلاقة بين الابن وأحباء والده تدعوه إلى وصلهم رغبة في تحقيق أعلى درجات البر، وأعظم أمثلة الوفاء للوالدين بعد موتهما، وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلاً مِنَ الأعْرَابِ لَقِيَهُ بطَريق مَكَّةَ، فَسلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أصْلَحَكَ اللهُ، إنَّهُمُ الأعرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسير، فَقَالَ عبد الله بن عمر: إن أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وإنِّي سَمِعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ)).

هذه الرواية في نفس مضمون الرواية السابقة غير أن هذه الرواية تحكي حرص الصحابة رضي الله عنهم على تنفيذ توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم ولاسيما الأعمال التي تضمنت أجراً عظيماً وهذه الرواية تحكي موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع ابن أحد أحباء أبيه حيث نزل له عن حماره، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، وجملة (يركبه) وجملة (كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ) تشيران إلى أنها كانت لاستعماله الشخصي ولم تكن زائدة عن حاجته، وأنه آثره بها على نفسه لمجرد أن كان أبوه وداً لأبيه، ثم ذكر الحديث ترغيباً لأصحابه، وبياناً لسر إكرامه لهذا الأعرابي.

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: سؤاله عما لا يفهمه.

ثانيًا: من آداب المدعو: احترام الداعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البر بأصدقاء الوالدين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والسؤال والجواب.

أولاً- من حقوق المدعو: سؤاله عما لا يفهمه:

إن المدعو قد يعرض له ما يحتاج أن يسأل عنه الداعية، ليزيل ما في نفسه مما

لا يفهمه أو يبين له حقيقته، وهذا ما فعله عبدالله بن دينار، فقد سأل ابن عمر رضي الله عنهما حينما رآه يكرم الأعرابي وقال له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فأجابه ابن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه".

ومن هذا القبيل سؤال الصحابة عن معنى الشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[1] فقالوا للنبي ﷺ: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟، فقال رسول الله ﷺ: ((إنه ليس بذلك، ألا تسمعونَ إلى قول لقمانَ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]))[3].

ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: ليس أحد يحاسب إلا هلك. قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4] قال: ((ذاكَ العَرْض يُعْرَضون، ومن نوقش الحسابَ هَلَك))[5].

ثانيًا- من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل:

إن الداعية هو الذي يرشد المدعو إلى ما ينفعه ويحذره مما يضره لذا كان عليه أن يتأدب مع الداعية. وهذا جلي وواضح في قول أصحاب ابن عمر له: "أصلحك الله" "غفر الله لك" وقد قال الله تعالى للمؤمنين وهم المدعوون: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩١٨، ومسلم ١٢٤.

(٤) سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) أخرجه البخاري ٤٩٣٩، ومسلم ٢٨٧٦.

وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[(١)].

وكان ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه رفيع الصوت فقال: ((أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في أهله حزينًا، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي، وأجهر بالقول، حبط عملي وأنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال، فقال: لا بل هو من أهل الجنة)) قال أنس: ((وكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعوِّدون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل))[(٢)].

قال ابن العربي: (حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته من الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[(٣)]، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه)[(٤)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا واضح من إكرام عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لصديق أبيه وعلّل ذلك بقوله: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن أبرَّ البرِّ صلة الرجل أهل ودِّ أبيه".

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٦/٣ رقم ١٢٣٩٩ وهذا لفظه، والبخاري ٣٦١٣، ٤٨٤٦، ومسلم ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ١٧١٤/٤ - ١٧١٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

وقد حدث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ((أنَّ رسولَ الله ﷺ اصطَنَعَ خاتمًا من ذَهبٍ وكان يَلبَسُهُ، فيَجعلَ فصَّهُ في باطن كفِّه، فصَنَع الناس خواتيم. ثم إنه جَلَسَ على المنبرِ فنزَعه فقال: إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبَذَ الناسُ خَواتيمهم))[٢].

قال النووي: (فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله)[٣].

ومن هذا القبيل ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قبّل الحجر الأسود: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك[٤].

قال النووي: (أما قول عمر رضي الله عنه فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله ونبّه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله)[٥].

وقال ابن حجر: (وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه)[٦].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البر بأصدقاء الوالدين:

أن من إكرام الوالدين والبر بهما إكرام أصدقائهما والإحسان إليهما، وقد حثّ الإسلام على ذلك. فقد وصفه النبي ﷺ بأنه "أبرُّ البرِّ" أو "من أبرّ البرّ".

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٦١٠، ومسلم ١٢٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٠٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٢.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث إحسان الرجل إلى من بينه وبين أبيه معرفة ومودة، وإن بَعُد ذلك، فإن ابن عمر أكرم هذا الأعرابي، لأن أباه كان صديقًا لعمر)[١].

قال النووي: (في هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة)[٢].

وقال الطيبي: (المعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل مع أحباء أبيه، فإن مودة الآباء قرابة الأبناء، أي إذا غاب أو مات يحفظ أهل ودّه ويحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إلى الأب، وإنما كان أبرّ، لأنه إذا حفظ غيبته فهو يحفظ حضوره أولى وأحرى)[٣].

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: ((قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قالَ: قُلْتُ: لا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ، يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ». وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ، وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ))[٤]. وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن برّ المرء بإخوان أبيه وصلته إياهم بعد موته من وصْله رحمه في قبره.

خامسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والسؤال والجواب:

أما التوكيد فتصدير النبي ﷺ حديثه بـ"إنّ"، وذلك ليؤكد ما يقوله ويثبته في نفوس المدعوين. وأما السؤال والجواب فكان بين أصحاب ابن عمر وبينه، وقد بيّن لهم ابن عمر بجوابه على أسئلتهم سبب فعله، ومن ثم يرسّخ في أذهانهم ما وضحّه ونقله عن النبي ﷺ.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٧٥/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٣.

(٣) شرح الطيبي ١٥١/٩.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٣٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

الحديث رقم (٣٤٣)

٣٤٣- وعن أَبي أُسَيد - بضم الهمزة وفتح السين- مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إذ جَاءهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيءٌ أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهِمَا؟ فَقَالَ: ((**نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلاَّ بِهِمَا، وَإكْرامُ صَدِيقهِمَا**)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

مالك بن ربيعة الساعدي: هو مالك بن ربيعة بن البَدَن بن عامر الأنصاري الساعدي أبو أُسيد مشهور بكنيته وهي بصيغة التصغير.

من كبراء الأنصار، ومن كبار الصحابة المجاهدين، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. وهو الذي حمل راية قومه بني ساعدة يوم فتح مكة. قال: غزوت مع رسول ﷺ عشرين غزوة، غزوة بعد غزوة[2].

كان قصيرًا أبيض الرأس واللحية كثير الشعر. وقد ذهب بصره آخر حياته قبل مقتل عثمان فقال: الحمد لله الذي لما أراد الفتنة في عباده كفّ بصري.

وكان يحتفظ بذكريات طيبة ومواقف حميدة عن غزوة بدر الكبرى يوم الفرقان فقال مذكرًا الناس: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى.

مسنده يبلغ ٢٨ حديثًا. وقيل: إنه هو آخر البدريين موتًا[3].

---

(١) برقم (٥١٤٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٨)، وقال الحاكم (١٥٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٠٨٢): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٤).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٣٦٣/٩).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٥٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢١/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٥٥، والسير (٥٣٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١١/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٦١/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٦٩٠/٣).

الشرح الأدبي

الحديث في بر الوالدين يشير إلى أن بر الوالدين لا يقتصر عليهما بل يتعداهما إلى أصدقائهما، وأحبابهما، ولا يتوقف على حياتهما بل إنه يستمر حتى بعد موتهما، وسؤال الأعرابي (هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيء أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهِمَا ؟) يدل على أنه كان باراً بوالديه، كما يدل على استعداده، وحبه للخير، وإجابة الرسول ﷺ جاءت ملبية لرغبته تفتح له أبواب البر بعدد من خصال الخير منها: (الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا) أي الدعاء لهما، والتعبير بالصلاة عن الدعاء فيه إشارة للصلة بينهما، وهي طاعة لله في صلة لله أيضاً والمعنى الذي بينها وبين الصلاة في الشرع ليس ببعيدة، وقوله: (وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلاَّ بِهِمَا) فيه جناس بين (صلة)و(توصل) يؤكد وصل ما انقطع من الصلات بموت والديه، وأسلوب القصر الذي بنيت عليه العبارة يشير إلى تقصِّيه لهذه الصلات، وإعادة وصل ما انقطع منها، وفي الحديث تناسب بين الألفاظ، والمعاني، وسجع استدعاه المعنى وحَسُن به اللفظ، مع حسن تقسيم استوعب كل أنواع البر التي يمكن أن يُبَرَّ بها الوالدين بعد موتهما.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم بر الوالدين بعد موتهما، وقد ذكر الفقهاء[1] أن بر الوالدين واجب في حياتهما بالإحسان والطاعة، وبعد الموت يكون البر بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، والإحسان إلى صديقهما بعد وفاتهما فذاك برهما حينئذ.

---

(١) بريقة محمودية ١٤٨/٤، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٢٥/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٤/١ وما بعدها، والفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر ٢٤/٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١٢٢/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٩٢/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٠/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭫ على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل.

ثالثًا: من آداب المدعو: السؤال عما يفيده.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بر الوالدين بعد موتهما.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭫ على مجالسة النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص ما يكونون على مجالسة النبي ﷺ فبه يقتدون ومنه يتعلمون وعلى سنته يسيرون. لذا أخبر الصحابي عن ذلك فقال: "بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ".

وقد ورد كثير في هذا المعنى عن الصحابة رضوان الله عليهم قال عمر بن الخطاب ﭬ: ((بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب...))[1].

وقال حنظلة الأسيدي ﭬ: ((نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ. يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ))[2]، وهذا أنس بن مالك يقول: ((بَيْنَما نحنُ جُلوسٌ معَ النبيِّ ﷺ في المسجدِ، دَخَلَ رَجُل على جَمَل فأناخَهُ ...))[3] وأبو هريرة يقول: ((كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّه))[4].

ولا يخفى الأثر المحمود لجلوس الصحابة ﭫ مع النبي ﷺ حيث الإفادة من علمه ﷺ والتأدب بآدابه ومعرفة أمور الدين والاستزادة من الخيرات وغير ذلك من الرحمة والبركة والفضل العظيم الذي كان يحصل بالجلوس مع النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣، ومسلم ١٢.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(إن مصاحبة الأخيار وأصحاب الهمم العالية من أعظم ما يبعث الهمة، ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس؛ فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه.

والصداقة الشريفة -لا صداقة المنفعة- تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخُها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين؛ فهي تُوجِد من الجبان شجاعة، ومن البخيل سخاء؛ فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله؛ لإنقاذ صديقه من شدة.

فالصداقة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع الصداقة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فيصير بعد ذلك متواضعًا حليمًا.

بل إن كثيرًا من النابغين يعزون نبوغهم إلى أنهم وفقوا لاختيار صاحب أو أصحاب أثَّروا فيهم أثرًا صالحًا، ونبَّهوا فيهم قوى كانت خاملة.

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة -فإن ذلك من علامات توفيقه، ومن مهيئات نبوغه.

فإذا كان الأمر كذلك فما أجدر المرء أن يبحث عن إخوان ثقات؛ حتى يعينوه على كل خير، ويُقْصِرُوه عن كل شر.

قال ابن حزم (من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة.

ومن طلب الجاه، والمال، واللذات - لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة، والثعالب الخلبة، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد، خبيث الطبيعة)[1].

---

(١) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ٢٠٧-٢٠٨.

فإذا كان هذا يحدث بمصاحبة أصحاب الأخلاق الرفيعة، فكيف يكون الأثر بمصاحبة أفضل الخلق محمد ﷺ وأكملهم خلقًا؟ لذلك فلا عجب أن يكون الصحابة ﷺ أفضل جيل شهدته البشرية على مرّ العصور وكرّ الدهور.

ثانيًا- من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل:

من الآداب الواجب أن يتحلى بها المدعو أن يتأدب مع الداعية، فيخاطبه بما يليق به من الاحترام والتقدير كما فعل الرجل هنا، فقال: "يا رسول الله".

قد كان الصحابة كثيرًا ما يقولون للنبي ﷺ "بأبي أنت وأمي يا رسول الله"[(١)] عندما كان يسألونه ﷺ عن شيء ومعناه: (أنت مفدًّى أو أفديك بأبي وأمي)[(٢)].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يجيب النبي ﷺ فيقول له: "لبيك يا رسول الله وسعديك"[(٣)].

قال النووي: (الأظهر في معناها [أي: لبيك] إجابةً لك بعد إجابة للتأكيد، وقيل معناه: قربًا منك وطاعة لك. وقيل: أنا مقيم على طاعتك. وقيل: محبتي لك. ومعنى سعديك: أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة)[(٤)].

قال بكر أبو زيد عن أدب الطالب مع شيخه "فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وتَرْك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أومداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك. أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال لاسيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل. ولا تناديه باسمه مجردًا أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان. بل قل: يا شيخي أو يا شيخنا.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٧٤٤، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٨٩٧، ومسلم ٣١، ٢٢٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١١.

فلا تسمّه. فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بُعْد من غير اضطرار)[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: السؤال عما يفيده:

إن من حكمة السؤال العلم الذي يتبعه العمل، ولذلك كان من آداب المدعو أن يسأل عما يفيده في حياته كما سأل الرجل النبي ﷺ: "يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما"، فقد سأل الرجل عن بر أبويه بعد موتهما، وهذا لاشك أمر شديد الفائدة والنفع.

وهذا أبوبكر رضي الله عنه يسمع النبي ﷺ يقول: ((مَن أنْفقَ زَوجَينِ[٢] في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنّةِ: يا عَبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاَةِ، ومَن كان مِن أهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، ومَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ من أهلِ الصدّقةِ دُعي من بابِ الصدَقة». فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ، ما على من دُعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم))[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((جاءتْ أُمُّ سُلَيمٍ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحقّ، فهلْ عَلَى المرأةِ مِن غُسْلٍ إذا احتَلَمَتْ؟ قال النبيُّ ﷺ: إذا رأَتِ الماءَ))[٤].

قال النووي: (فيه أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها ولا يمتنع من السؤال حياءً من ذكرها. فإن ذلك ليس بحياء حقيقي، لأن الحياء خير كله، والحياء لا يأتي إلا بخير. والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير. بل هو شر، فكيف يكون

---

(١) حلية طالب العلم، بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٣٥-٣٦.

(٢) المراد بالزوجين إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/١٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٨٩٧، ومسلم ١٠٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٠، ومسلم ٣١٣.

حياءً)[١]. وجاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه. أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية على طريق التكلف والتعنت لغرض التعجيز وتغليط العلماء فهو غير جائز ومنهي عنه)[٢].

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل بم أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وبدن غير ملول[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بر الوالدين بعد موتهما:

الوالدان لهما فضل عظيم على الابن، لذلك كان برهما لا يقتصر على حياتهما فحسب وإنما يمتد أيضًا إلى ما بعد موتهما كما بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما".

قال شرف الحق العظيم آبادي: (الصلاة عليهما أي الدعاء ومنه صلاة الجنازة قاله القاري. وفي "فتح الودود": والمراد بها الترحم "والاستغفار لهما" أي طلب المغفرة لهما وهو تخصيص بعد تعميم "وإنفاذ عهدهما": أي إمضاء وصيتهما "وصلة الرحم" أي: إحسان الأقارب ... ولفظ البيهقي[٤]: وصلة رحمهما التي رحم لك إلا من قبلهما)[٥].

قال د. خليل إبراهيم مُلا خاطر: (إن من واجبات البر بالوالدين ومن حقهما على ولدهما أن يدعو لهما بعد وفاتهما بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات وتخفيف الحساب والإكرام بالجنان وإحلال رضوان الله تعالى عليهما... وكل ذلك جزاء ما فعلا وإلا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٠٠، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٦/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

(٣) كتاب العلم: محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان ص ٦٠. وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٤٥/٣، والمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم ٥٣٩/٣، ٥٤٠.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي ٢٨/٤ وكذلك هو عند ابن حبان ٤١٨.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٩٣.

فإنهما قد أكثرا من الدعاء له من قبل وجوده وبعد وجوده.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[١]. فقد عطف الله تعالى الأمر بالدعاء لهما على ما سبق، وكلها واجبة على الأولاد، حق للوالدين ويلاحظ طلب الرحمة لهما، والربط بين طلب الرحمة وتربية الولد وهو صغير، لأن أكثر تعب الوالدين على الولد كان في حال صغره، فهذا أقلُّ ما يكون مكافأة وجزاءً لهما.

أما الاستغفار لهما فقد قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[٢]، حيث سأل عليه السلام المغفرة له ولوالديه ولمن دخل بيته من المؤمنين، ثم عمّم سؤال المغفرة لكل مؤمن من ذكر أو أنثى... وسؤال الله تعالى المغفرة للوالدين لا يقيد بقيد ولا يشترط بوجود الذنب، لأن من الذنوب ما لا يعرف، كما أن الذنوب درجات تتفاوت، فإذا كانا من أهل الصغائر فإنها تغفر، وإذا كانا من أهل الكبائر فتخفف، وإما إذا كانا من أهل اللمم فإنها تغفر، وإذا لم يكن عندهما ذنوب فترفع درجاتهما.

وأما تنفيذ الوصية بعد وفاتهما فإن الولد-الوارث-مطالب بتنفيذ وصية والده أو والدته - إذا كانت في معروفٍ، وليست في معصية - لأن ذلك واجب في حقه، سواء كانت الوصية مالية أو غيرها[٣].

ومن جميل الأمثلة لإنفاذ الابن وصية أبيه ما فعله عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، فقد قال له الزبير رضي الله عنه قبل موته: ((يا بُنيَّ، بعْ ما لَنا، فاقضِ دَيني فلما فرَغَ ابنُ الزُّبيرِ من قضاءِ

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة نوح، آية: ٢٨.

(٣) بر الوالدين، د. خليل ملا خاطر ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠-١٧١، ١٨٥-١٨٦ بتصرف يسير.

دينه قال بنو الزُّبير: اقسِمْ بيننا ميراثنا. قال: لا واللهِ لا أقسِمُ بينَكم حتى أُناديَ بالموسم أربعَ سنين: ألا من كان لهُ على الزُّبيرِ دَينٌ فليَأتِنا فلنَقْضِه))[1].

وكذلك من الواجب على الولد صلة الرحم التي لا توصل إلا بالوالدين (كالجد والجدة -وإن علوا- والعم والعمة والأخ والأخت والخال والخالة وأبنائهم... إلخ، حتى لو كانوا من الرضاع، والنصوص في صلة الرحم كثيرة جدًا... ومن بر الوالدين -بعد وفاتهما- أن يكرم الولد أصدقاء والده، والبنت أصدقاء أمها، وكذا الولد أيضًا، لأن في ذلك وصلاً بالوالدين، واحترامًا لهما، ولأنهما السبب في هذه الصلة)[2].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

أجاب النبي ﷺ على سؤال الرجل وبيّن له ما يقوم به تجاه والديه بعد وفاتهما، وذلك لكي يمتثل هو ومن يسمع ومن يقرأ ومن يعلم، وقد كان استخدام الجواب هنا مناسبًا وموفقًا؛ لأنه كان على سؤال من المدعو يحتاج إلى إجابة مباشرة تحمل المضمون في سهولة ووضوح.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٢٩.

(٢) بر الوالدين، د. خليل ملا خاطر ١٩٠، ٢٠٥.

الحديث رقم (٣٤٤)

٣٤٤- وعن عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها ، وَمَا رَأيْتُهَا قَطُّ[١] ، وَلَكِنْ كَانَ[٢] يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يقَطِّعُهَا أعضَاء ، ثُمَّ يَبْعثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأنْ لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيَا[٣] إلاَّ خَدِيجَةَ! فَيَقُولُ: ((**إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٤].

وفي رواية[٥]: وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة ، فَيُهْدي في خَلائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ.

وفي رواية[٦]: كَانَ إذَا ذبح الشاة ، يقولُ: ((**أرْسِلُوا بِهَا إلَى أصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**)).

وفي رواية[٧]: قَالَت: اسْتَأذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُول الله ﷺ ، فَعرَفَ اسْتِئذَانَ خَدِيجَةَ ، فَارتَاحَ لِذَلِكَ ، فَقَالَ: ((**اللَّهُمَّ هَالةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)).

قولُهَا: ((**فَارتَاحَ**)) هُوَ بالحاء ، وفي الجمعِ بَيْنَ الصحيحين للحُميدي[٨]: ((**فارتاع**)) بالعينِ ومعناه: اهتم بهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

---

(١) (قط) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية ، وهي من الجمع للحميدي.

(٢) عند البخاري زيادة: (النبي ﷺ) وهي ليست عند الحميدي في جمعه.

(٣) عند البخاري زيادة: (امرأة).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨١٨) واللفظ له ، ومسلم (٢٤٣٥/٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٨١٦) من حديث سعيد بن عفير ، عن الليث.

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٣٥/٧٥).

(٧) أخرجه البخاري (٣٨٢١) تعليقًا من حديث علي بن مسهر ، ومسلم (٢٤٣٧/٧٨) مسندًا من حديث علي بن مسهر.

(٨) (١١١/٤ ، رقم ٣٢٢٣).

غريب الألفاظ:

خلائلها: الخلائل: المفرد الخليلة: وهي الصديقة المخلصة[(١)].

يَسَعُهُنَّ: يكفيهن[(٢)].

الشرح الأدبي

النبي ﷺ أكثر الناس وفاءً وأكثرها إخلاصاً، وهذا الحديث يشير إلى ذلك، كما يشير إلى أن الغيرة من طباع النساء، وضرورة صبر الرجال عليهن، وترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن تجربة شخصية وقد بدأت بأسلوب النفي الذي قررت عن طريقه أن غيرتها من خديجة فاقت غيرتها من الجميع لمكانتها عند رسول الله ﷺ حتى بعد موتها، وقولها: (وما رأيتها قط) أسلوب نفي مؤكد بلفظ قط فيه دليل على أن سبب غيرتها راجع إلى بقاء مكانتها في قلب رسول الله ﷺ، وقولها: (ولكن كان يكثر ذكرها) من موجبات مكانتها عنده كثرة ذكر محاسنها وجميل أخلاقها، وقولها: (وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يقَطِّعُهَا أعْضَاء، ثُمَّ يَبْعثُهَا فِي صَدَائِقِ خَديجَةَ) حكاية هذه التفاصيل لذبح الشاة، وتقطيها وإرسالها تأكيد على صدق ما تقول من وفاء الرسول ﷺ لأم المؤمنين خديجة، وبيان لسبب غيرتها منها، وقوله ﷺ: (إنَّهَا كانَتْ وَكَانَتْ) كناية عن مواقفها العظيمة مع الرسول ﷺ وقوله: (وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ) لأن جميع أولاده منها إلا إبراهيم فإنه من مارية، وفي الحديث مثال واقعي لأعلى صور الوفاء البشري.

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

(٢) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ع).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وفاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها بعد موتها.

ثانيًا: من آداب الداعية: الثناء على أهل الفضل.

ثالثًا: من آداب الداعية: سعة صدره وصبره على المدعو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بر أصدقاء الزوجة وأقاربها.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر والنداء.

سادسًا: من وسائل الدعوة: الهدية أو الصدقة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: وفاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها:

إن النبي ﷺ هو المثل الأعلى في الوفاء، فقد ضرب أحسن المثل في الوفاء لأهله ولأصحابه ولزوجاته، من ذلك وفاؤه لزوجته خديجة رضي الله عنها. وهذا واضحٌ في جميع روايات الحديث، من ذلك: "كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة رضي الله عنها، قال النووي: (قوله "فارتاح لذلك" أي هشَّ لمجيئها وسرَّ بها لتذكره بها خديجة وأيامها، وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب)[1].

ووقع في صحيح مسلم قول عائشة رضي الله عنها: ((فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا))[2].

قال ابن حجر: (هي أول من تزوجها ﷺ، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور ... وقد تقدم في أبواب الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة، ومن ثباتها في الأمر[3] ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح)[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٥-٢٤٣٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣، ومسلم ١٦٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٦٧. وانظر: ٧/١٧٠-١٧١ منه.

قال د. خليل إبراهيم ملا: (والنبي المصطفى الكريم ﷺ قد ضرب المثل الأعلى بالوفاء بالعهد وحسن الوفاء والإحسان لصاحبات خديجة رضي الله عنها، وتفقده لهن وإكرامهن ... حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها، مع أنها لم ترها)[١].

إن الداعية قد يرى نماذج مشرفة في الاستجابة لدعوته والامتثال لها، فتستحق منه الثناء عليها تشجيعًا له وترغيبًا لغيره في الاقتداء به. ذلك واضح من قول عائشة إخبارًا عن النبي ﷺ: "كان يكثر ذكرها" وفي رواية للبخاري: ((لكثْرَةِ ذِكْرِ رسولِ الله ﷺ إياها وثنائِهِ عليها))[٢] وفي رواية لأحمد (فأطنب في الثناء عليها فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من عجائز قريش حمراء الشدقين[٣] قالت: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ تغيرًا لم أره تغيرّ عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المَخِيلة[٤] حتى يعلم: رحمة أو عذاب[٥].

وقد فصّل ﷺ أوجه الثناء على خديجة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيّ ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغِرْتُ يومًا فقلت: ما أكثر ما تَذْكُرُها حمراءُ الشِّدْقِ، قد أبْدَلَكَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بها خيرًا منها، قال: «ما أَبدَلَني الله - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرًا منها قَدْ آمَنَتْ بي إذ كَفَرَ بي النّاس، وصَدَّقَتني إذ كذّبني النّاسُ، وَواسَتْني بمالِها إذ حَرَمَني النّاسُ، وَرَزَقَني الله -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَدَها إذ حَرَمَني أولادَ النّساءِ))[٦].

---

(١) بر الوالدين ٢٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٢٩.

(٣) أي سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرةُ في شدقها وهذا كناية عن كونها عجوز، حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٨/٤١.

(٤) أي عند ظهور السحاب في الجو، حاشية السندي على مسند أحمد ٩٠/٤٢.

(٥) أخرجه أحمد ١٥٤/٦ رقم ٢٥٢١٠، وصحح إسناده محققو المسند ١١٧/٤٢-١١٨.

(٦) أخرجه أحمد ١١٨/٦ رقم ٢٤٨٦٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات ٣٥٦/٤١.

ونقل ابنُ مفلح القول: (أما من مَدَح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيبًا في أمثاله، وتحريضًا على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحًا بما تكلم به من جميل القول)[1].

والمدح الشرعي من أهدافه المهمة التشجيع (والتشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب، ولا يقتصر على المربين والمعلمين، بل هو عام للنوابغ وغيرهم، في العلم أو في أي مجال آخر.

وهو كذلك ليس مسؤولية المربين والمعلمين، بل هو يقع على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين، أو الوالدين، أو الرؤساء أو غيرهم.

بل هو مسؤولية عامة الناس؛ فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير، ويعينوا على البر.

فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة، أو المبادرة بالهدية، أو من خلال رسالة الشكر والتقدير، أو غير ذلك.

فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم، وتنمية المهارة، والشعور بالثقة؛ ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سير العلماء والمصلحين، والمجاهدين، ثم بحثنا عن سر نبوغهم وألمعيتهم - لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال ما نال بسبب كلمة سمعها فَغَيَّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته، وصبره، واستشعاره للمسؤولية، أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة، فيكون له وقعه وأثره.

عن حسين الكرابيسي قال: (سمعت الشافعي يقول: كنت امرءًا أكتب الشعر، وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش، ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون مُعَلِّمًا الشعر؟

الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا؛ تفَقَّه يُعلك الله.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٤٣٦.

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي، ورجعت إلى مكة، وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد بن عبدالله الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه)[١].

وهذا أحمد لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل هو لص طرار[٢].

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: "كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت: يا أبه، من أبو الهيثم؟

فقال: لما أخرجت للسياط، ومُدَّتْ يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا.

قال أنا أبو الهيثم العيَّار، اللص الطرَّار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان؛ لأجل الدنيا؛ فاصبر أنت في طاعة الرحمن؛ لأجل الدين)[٣].

ثالثًا- من آداب الداعية: سعة صدره وصبره على المدعو:

إن الداعية الناجح يتسع صدره لما يصدر من المدعو مما يضايق أو يدعو إلى الغضب فلا يقابل هذا الضيق أو الضجر بمثله، وإنما يصبر عليه ويحتويه ويعامله بالإحسان، وذلك واضحٌ في صبر النبي ﷺ على غيرة عائشة وسعة صدره معها عندما كانت تغضب من ذكره ﷺ خديجة.

قال النووي رحمه الله: (قال القاضي عياض[٤]: قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/١٦٥.

(٢) الطرَّار: النشال يشق ثوب الرجل ويَسُلُّ ما فيه. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ر ر).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٢٢٩-٣٣٠، هذا ... والعيَّار هو الرجل كثير التطواف والحركة يتبع هوى نفسه. مختار الصحاح في (ع ي ر)، والوجيز ٤٤٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/٤٤٣، ٤٤٤.

مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جُبلن عليه من ذلك ولهذا لم تُزجر عائشة عنها. قال القاضي[١]: وعندي أن ذلك جرَى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ)[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: (وهو محتمل مع ما فيه من نظر)[٣] ثم قال: (الغيرة يقع الصفح بها لأن من يحصل لها الغيرة لا تكون في كمال عقلها، فلهذا تصدر منها أمور لا تصدر منها في حال عدم الغيرة)[٤].

وقد كان ﷺ واسع الصدر مع نسائه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((تَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُول اللّهِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللّهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لاَ تُرَاجِعِي رَسُولَ اللّهِ وَلاَ تَسْأَلِيهِ شَيْئًا))[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: (فيه الصبرُ على الزوجات والإغضاء عن خطابهن[٦] والصفح عما يقع منهن من زلل في حق المرء دون ما يكون من حق الله تعالى)[٧].

وقد ذكر عدة أسباب لاعتزال النبي أزواجه ثم قال: (ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سببًا لاعتزالهن وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه)[٨].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٤/٧.

(٤) السابق ١٧٥/٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٩١، ومسلم ٣٤-١٤٧٩.

(٦) أي عن خطاب النساء لأزواجهن وما يكون فيه من شدة وحدة وخروج عن التأدب مع الزوج. والله أعلم.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٢/٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠١/٩.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بر أصدقاء الزوجة وأقاربها:

كان النبي ﷺ يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة "ويهدي في خلائلها منها ما يسعهن" ويقول: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة" ولما استأذنت أختها ارتاح لذلك واهتز لذلك سرورًا وقال "اللهم هالة" قال ابن حجر: (فيه حذف تقديره اجعلها هالة ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: هذه هالة... وفي الحديث أن من أحب شيئًا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به)[1] وقال النووي: (في هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب)[2].

ورُوي أن ابنًا لخديجة رضي الله عنها اسمه هالة بن أبي هالة دخل على رسول الله ﷺ وهو راقد فاستيقظ النبي ﷺ وضمّ هالة إلى صدره وقال: هالة هالة هالة. كأنه ﷺ سرّ به لقرابته من خديجة رضي الله عنها[3]. قال الحافظ ابن حجر: (فلعله كان لخديجة أيضًا ابنٌ اسمه هالة)[4].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر والنداء:

أما التوكيد فقول النبي ﷺ: "إنها كانت وكانت" وذلك ليؤكد على علو مكانة خديجة رضي الله عنها عنده. فهو ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت[5]. قال ابن حجر: (وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها)[6]، وأما الأمر

---

(١) المرجع السابق ١٧٤/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير كما في مجمع الزوائد ٢٧٧/٩ والحاكم ٦٤٠/٤، وقال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم: وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٣/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٤٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٣/٧.

(٥) أخرجه مسلم ٧٧-٢٤٣٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٠/٧.

فقوله ﷺ: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة "ليبيّن مكانتها عنده، أما النداء فقوله ﷺ "اللهم" وذلك ليبين سروره بمقدم أخت خديجة، لأنها ذكرته بخديجة وبأيامها.

سادسًا- من وسائل الدعوة: الهدية أو الصدقة:

قد أرسل النبي ﷺ أعضاء من الشاة إلى أصدقاء خديجة، وفي هذا دعوة لهن ولمن علم بذلك إلى حسن الوفاء للزوجة في حياتها ومماتها، ومن ثم نشر هذا في المجتمع وبين المسلمين.

جاء في الموسوعة الفقهية: (الهبة والهدية والصدقة أنواع من البر يجمعها تمليك العين بلا عوض، فإن ملّك محتاجًا لطلب ثواب الآخرة فهي صدقة، وإن نقلها إلى مكان الموهوب له إكرامًا له فهدية، وإن ملكه بدون طلب الثواب ولم ينقل إلى مكان الموهوب فهبة محضة)[1].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٢٥٣.

الحديث رقم (٣٤٥)

٣٤٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: خرجت مَعَ جرير بن عبد الله البَجَلِيّ رضي الله عنه في سفرٍ. فَكَانَ يَخْدُمُني، فقلْتُ لَهُ: لاَ تَفْعَل، فَقَالَ: إنِّي قَدْ رَأيْتُ الأنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا آلَيْتُ عَلَى نَفسِي[1] أنْ لا أصْحَبَ أحَدًا مِنْهُمْ إلاَّ خَدَمْتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

آليت: أقسمتُ وحلفتُ[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب قصصي خبري دون مؤكدات؛ لأن الخبر حدث شخصي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه في أثناء سفره يبين إجلال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجلالهم لإخوانهم وقوله(فَكَانَ يَخْدُمُني) دليل عن تواضع جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وقول أنس رضي الله عنه (لاَ تَفْعَل) نهي من باب التواضع، والأدب، وقوله (إنِّي قَدْ رَأيْتُ الأنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً) كناية عن خدمتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وإجلالهم لهم، وتنكير (شيئاً) للتعظيم، والمبالغة وقوله: (آلَيْتُ عَلَى نَفسِي أنْ لا أصْحَبَ أحَداً مِنْهُمْ إلاَّ خَدَمْتُهُ) أسلوب قصر يقصر صحبة جرير بن عبد الله لأحد من الأنصار على خدمته، وقوله (آليت) دليل على عزمه، والحديث يدلل على إجلال الصحابة. ووفائهم له صلى الله عليه وسلم.

---

(١) (على نفسي) لا توجد عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٨)، ومسلم (٢٥١٣/١٨١) واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ل ى).

فقه الحديث

استحباب رحمة المسافر الذي له نوع فضيلة، وخدمته، حتى وإن كان الخادم أكبر سنًا، فقد كان جرير أكبر من أنس[1] رضي الله عن الجميع.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: التواضع وحب أهل الفضل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار رضي الله عنهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي والتوكيد والقصر.

أولاً- من آداب المدعو: التواضع وحب أهل الفضل:

إن خلق التواضع من الأخلاق المهمة التي يجب أن تنتشر في المجتمع ويتحلى بها المدعوون لما في ذلك من أثر فعال في انتشار الود والألفة بين أبناء المجتمع ولذا كان خلق التواضع من أبرز ما تحلى به الصحابة رضي الله عنهم، ففي هذا الحديث كان جرير رضي الله عنه يخدم أنس بن مالك رضي الله عنه مع أنه كان أكبر منه. في رواية البخاري: صحبت جرير بن عبدالله فكان يخدمني وهو أكبر من أنس" وفي رواية لمسلم "وكان جرير أسنّ من أنس" قال النووي: (وفيه تواضع جرير وفضيلته)[2].

وقد كان التواضع سمة الصحابة رضي الله عنهم وشيمتهم فهذا ثابت البناني التابعي مرّ على صبيان فسلّم عليهم وحدّث: أنه كان يمشي مع أنس بن مالك رضي الله عنه فمرّ بصبيان فسلّم عليهم، وحدّث أنسٌ: أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمرّ بصبيان فسلّم عليهم[3].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر، وسلوكُ التواضع ولينُ الجانب)[4].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٣٣٩/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ١٥-٢١٦٨ واللفظ له.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥/١١.

وقال الحسن البصري: (التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلاً)[1].

(فالتواضع -في حقيقته- هو بذل الاحترام والعطف والتقدير لمن يستحقه والتواضعُ دليل على كبر النفس وعلو الهمة، وهو في الوقت نفسه سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات.

فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد. وينأى به عن الكبر والاستنكاف من قبول الحق والأخذ به. ومن هنا يكمل السؤدد ويعلو القدر ويتناهى الفضل ثم إن التواضع يغري باكتساب المعالي من جهة أن الناس يعجبون بالأكابر والعظماء إذا تواضعوا. فيقودهم ذلك إلى محبتهم والاقتداء بهم والسير على منوالهم.

قال ابن المبارك: (كان يقال: الغنى في النفس، والكرم في التقوى والشرف في التواضع، وكان يقال: ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة.

ثم إن المتواضع يرفع من أقدار الناس وينزلهم منازلهم. ويشعر النوابغ بقيمتهم واستعدادهم كي يكونوا من ذوي الشرف والمروءات. ثم إن من تواضع لله رفعه، فإذا رفع الله أحدًا فمن الذي سيخفضه ويضعه؟)[2].

إن الداعية يقدم كل ما يستطيع من أجل نفع المدعو، ولا يدخر وسعًا في ذلك، لذا فإن حب الداعية يملأ قلب المدعو ويتمكن منه، وقد كان هذا الأمر واضحًا جدًا في الصحابة رضي الله عنهم، كما في هذا الحديث.

فقد علّل جرير صنعه بأن قال: إني قد رأيت الأنصار رضي الله عنهم تصنع برسول الله ﷺ شيئًا آليت على نفسي ألا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته.

قال ابن حجر رحمه الله: (في هذا الحديث... فضل جرير وتواضعه ومحبته للنبي ﷺ)[3] وقال النووي: (وفيه إكرامه للنبي ﷺ)[4]. قال القاضي عياض: (وبالجملة

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٩٤٩/٤.

(٢) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ١٨٦-١٨٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦.

أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحبّ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه بعقله للمعاني الباطنة الجميلة والأخلاق الرفيعة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضائل والخصال العلية، وإن لم يَرَهم ولا قارب زمانهم؛ أو ميله لمن يحسن إليه وينعم عليه، ويدفع المضار والمكاره عنه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها. وهذا المعاني كلها موجودة في حقّ النبي ﷺ مسبِّبة حبه لما خلق عليه من كمال صورة الباطن والظاهر وكمال خلال الجلال وجماع الفضائل وإحسانه إلى المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعيم والإبعاد من الجحيم)[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((جاءت هند بنتُ عُتبةَ فقالت: يا رسولَ الله، ما كان على ظهرِ الأرض من أهلِ خِباءٍ أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهلِ خِبائك، ثمَّ ما أصبحَ اليومَ على ظهر الأرضِ أهلُ خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يَعِزّوا من أهلِ خِبائك. قال: وأيضًا والذي نفسي بيدِهِ))[٢].

قال النووي: (قال القاضي عياض[٣]: أرادت بقولها "أهل خباء" نفسه ﷺ فكنَّتْ عنه بأهل الخباء إجلالاً له. ويحتمل أن تريد بأهل الخباء أهل بيته. والخباء يعبر به عن مسكن الرجل وداره. وأما قوله ﷺ: "وأيضًا والذي نفسي بيده" فمعناه: وستزيدين من ذلك ويتمكن الإيمان من قلبك ويزيد حبك لله ورسوله ﷺ ويقوى رجوعك عن بغضه)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار:

قام الأنصار رضي الله عنهم بدور بالغ الأهمية في نصرة الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ وإيواء المهاجرين، وضربوا المثل العليا في الإيثار وأهلكوا أموالهم وبذلوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، لذا كان لهم الفضل العظيم والمكانة العالية، وهذا ما دفع جريرًا رضي الله عنه إلى أن يخدم أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول: "رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا"

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٧٨/١-٢٧٩. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٢٥، ومسلم ٧-١٧١٤.

(٣) إكمال المعلم، بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٦٦/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٢.

(أي من التعظيم، وأبهم ذلك مبالغة في تكثير ذلك)[١] قال ابن حجر: (في هذا الحديث فضل الأنصار)[٢] وقال النووي: (في حديث جرير بن عبدالله وخدمته لأنس إكرامًا للأنصار دليل لإكرام المحسن والمنتسب إليه، وإن كان أصغر سنًا، وفيه تواضع جرير وفضيلته وإكرامه للنبي ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ)[٣].

ومن الأحاديث التي تبيّن ما فعله الأنصار من نصرة النبي ﷺ ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه من حزن الأنصار بسبب أن النبي ﷺ أعطى الناس من غنائم غزوة حنين ولم يعطهم، ولما بلغه ﷺ حالهم أتاهم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: ((يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتني عنكم وَجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمنُّ وأفضل، قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم، أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلاً فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة[٤] من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلُوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قِسْمًا وحظًا))[٥]. وقد قال النبي ﷺ: ((آية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٩٩.

(٢) المرجع السابق ٦/٩٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦.

(٤) لُعاعة: بضم اللام: الجرعة من الشراب والمراد: الشيء اليسير والقدر القليل. حاشية السندي على مسند أحمد ١٨/٢٥٦.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٧٦ رقم ١١٧٣٠ وحسن إسناده محققو المسند ١٨/٢٥٣، والحديث أصله في الصحيحين من رواية عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٤٣٣٠، ومسلم ١٠٦١، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣١٤٧، ومسلم ١٠٥٩.

الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصار))[١].

قال ابن حجر: (الأنصار: أي أنصار رسول الله ﷺ والمراد الأوس والخزرج... فسماهم رسول الله ﷺ الأنصار، فصار ذلك علمًا عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم، وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجرّ البغض ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهًا بعظيم فضلهم وتنبيهًا على كريم فعلهم)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد والقسم والقصر:

أما النهي فقول أنس لجرير رضي الله عنهما: "لا تفعل" وذلك تحرجًا من أن يخدمه جرير وهو أكبر منه سنًا.

أما التوكيد فقول جرير رضي الله عنه ردًا على نهي أنس رضي الله عنه: "إني قد رأيت" ليؤكد عزمه على خدمة كل من كان من الأنصار، لأنهم نصروا النبي ﷺ نصرًا مؤزرًا، فكان توكيده لإظهار حبه للنبي ﷺ ومن هذا الحب حبُّ من نصره وأعانه ﷺ، ومن ثم كان القسم مناسبًا لبيان عزم جرير على ذلك فقال: (آليت: أي حلفت)[٣]، وزاد هذا الحرص على الخدمة وإكرام الأنصار بأن عبر بأسلوب القصر "أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته"، ليشمل ذلك كل الأنصار صغيرهم وكبيرهم، حبًا لمن أحسن إلى النبي ﷺ وانتسب إليه، فإن من حب الحبيب حبَّ من أحسن إليه وأعزه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧، ومسلم ٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الوفاء من خلق الإسلام، ولا يقف عند حد معين ولكنه يتأكد بحق الأقارب والأزواج والأصدقاء.. ومن الإشارات اللطيفة في هذا الباب ما ورد على لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغار من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ولم تكن الغيرة راجعة إلى رؤيتها وإنما مرد الغيرة إلى كثرة ثناء الرسول ﷺ عليها من ناحية، وإلى بشره بصواحباتها من ناحية ثانية، وفرحته بزيارة أختها من ناحية ثالثة، ومما ننتفع به في مقام التربية والتعليم بشأن هذا الباب ما يلي:

أولاً - تدعيم العلاقات الاجتماعية:

لم يأمرنا رسول الله بصلة الأرحام وحدها، بل أيضًا حرص على صلة الأصدقاء ومن تربطنا بهم علاقات وثيقة تقوم على التآخي في الله، وتزداد أهمية هذه الصلة، إذا كانت تتعلق بأصدقاء الآباء والأمهات، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»، وفي تعليل عبدالله بن عمر لاحترامه للأعرابي يقول: «إِنَّ أَبَا هذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ...».

وفي حديث آخر يقرن الرسول ﷺ إكرام أصدقاء الأبوين: «بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارِ لَهُمَا، ... وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا».

وفي هذه اللمحة الإنسانية بُعد تربوي واجتماعي حرص عليه الإسلام، وعمل على تربية المؤمن عليه، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك، نظرًا للآثار الاجتماعية المحمودة والمترتبة على هذا السلوك التربوي في صلة أصدقاء الأب والأم والأقارب، ومن ترتبط بهم صلات وثيقة.

"وقد مضت أجيال المسلمين المتتالية منذ جيل الصحابة حتى وقت قريب، وفق هذه التعاليم السامية والمثل العليا، فكانت تكثر في مجتمعهم أعمال المروءة والفتوة والسعي في الخير والرفق بالآخرين، وسائر صنائع المعروف، ولكنَّ هذه المظاهر خفت في الأجيال المعاصرة"[١].

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٤٩.

ولا شك أن تربية الأجيال على هذه القيم التربوية من الوفاء للوالدين -حتى ولو بعد رحيلهما- تعمق في النفوس أهمية التواصل الاجتماعي وأداء حقوق الأخوة التي من مقتضياتها: السؤال والتقدير وتقديم أي لون من ألوان الكرم.

ثانيًا- التربية على الوفاء والإخلاص وردّ الجميل:

وفي هذا الباب حثٌ على الإخلاص والوفاء لطرفين:

أولهما: الأبوان: فهما أولى الناس ببر الابن، ولكن هذا البرَّ لا يتوقف عند موتهما: إنما يبقى الوفاء لهما حتى بعد موتهما، بصلة أصدقائهما والصلاة عليهما، والاستغفار لهما.

ثانيهما: الزوجة: ويتبدَّى ذلك جليًا في وفائه ﷺ لزوجه خديجة رضي الله عنها، فكان وفيًّا لها بعد موتها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها، ... وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ...».

فلا اعتبار للمسلم إذا لم يتحلَّ بخلق الوفاء، "فما على القدوة إلا أن يتأمل نفسه مليًّا ليرى مكان الوفاء فيها ويحرص أن يكون وفيًّا رادًّا للجميل، لا تضيع عنده صنائع المعروف، وإلا فهو كمن يزرع البذور في بيت النار، ولقد كان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في الوفاء وردِّ الجميل، مما كان له أبلغ الأثر في نفوس المسلمين وغيرهم، وكان الوفاء عنده بمثابة الأمان الذي يستظلون بظله"(١).

وفي أحاديث هذا الباب موقف رائع من مواقف إكرام من هو أهل للإكرام، يتمثل في خدمة جرير بن عبدالله البجليِّ لأنس بن مالك رضي الله عنهما، عندما خرجا في سفر، وكان تعليل ذلك أن قال لأنس: «رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، آلَيْتُ أَنْ لاَ أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلاَّ خَدَمْتُهُ».

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

وهي من الطرق الفعّالة وغير المباشرة في التربية الخلقية، والذي يريد أن يربي غيره

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٦٢.

بمجرد الوعظ والكلام لا ينجح ولا يكون له نفس الأثر الناجم عن الذي يربي بالكلام، والعمل بما يتكلم به، وهذا هو المقصود بالقدوة[1].

وفي هذا الباب خمسة أحاديث، منها ثلاثة تصور الأساس الأخلاقي بالقدوة والمثل، وليس بمجرد الوعظ النظري.

وذلك يتبدّى في موقف عبدالله بن عمر من الأعرابي ابن صديق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب ...".

وكذلك موقف النبي ﷺ من صديقات خديجة رضي الله عنها... "ذبح شاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ...".

وآخر الأحاديث في هذا الباب يصور موقفًا عمليًا جليلاً لصحابي يكرم صحابيًّا من الأنصار، لأنهم كانوا قد أكرموا رسول الله ﷺ وبكل سبيل استطاعوه.

رابعًا- من أساليب التربية: المناقشة والحوار:

وهذا واضح من أحاديث الباب، ولا شك أن الحوار يفعّل دور المتعلم في العملية التعليمية لأنه ينقل العملية التعليمية من الاعتماد على المعلم إلى المشاركة الإيجابية من قبل المتعلم. وبالحوار يتم تبادل الأفكار والآراء بين المعلم والمتعلمين بحرية، بغية تعميق وإيضاح بعض المفاهيم والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٢٥٧.

٤٣- باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

الحديث رقم (٣٤٦)

٣٤٦- وعن يزيد بن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أنَا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وَعَمْرُو بن مُسْلِمٍ إِلَى زَيْد بْنِ أرقَمَ رضي الله عنهم، فَلَمَّا جَلسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً، رَأيْتَ رَسُول اللَّه ﷺ، وسمعتَ حديثَهُ، وغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ قَالَ: يَا ابْنَ أخِي، وَاللَّهِ لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهدِي، وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أعِي مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ، فما حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، ومَا لا فَلاَ تُكَلِّفُونيهِ. ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول اللَّه ﷺ يوماً فينا خَطِيباً بمَاء يُدْعَى خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّه، وَأثْنَى عَلَيهِ، وَوعظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **((أمَّا بَعدُ، ألاَ أيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِي رسولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تَارك فيكم ثَقَلَيْنِ: أوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكتَابِ اللَّه، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ))**، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّه، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **((وَأهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّه في أهلِ بَيْتِي. اذكرُكُمُ اللَّه في أهل بيتي))** فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أهْلُ بَيتهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أهلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بيتهِ، وَلكِنْ أهْلُ بَيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عقيلٍ وَآلُ جَعفَرَ وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ[٢]: **((ألاَ وَإنِّي تَاركٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّه وَهُوَ حَبْلُ اللَّه، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَة))**.

---

(١) برقم (٢٤٠٨/٣٦). وسيكرره المؤلف برقم (٧١٢).

(٢) مسلم (٢٤٠٨/٣٧). وسيكررها المؤلف برقم (٧١٢).

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: هو زيد بن أرقم بن النعمان الأنصاري.

كان من خواص الصحابة، وكان يتيماً في حجر عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبعَ عشرة غَزْوَةً، وقد استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكانت الخندق أول مشاهده، وقيل المُريسيع.

وهو الذي رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن أُبي بن سلول قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[1].

فكذبه عبدالله بن أبي، وحلف، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم، فتبادر أبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلى زيد ليبشِّراه، فسبق أبوبكر، فأقسم عمر لا يبادره بعدها إلى شيء وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيد فقال له ((إن الله قد صدقك يا زيد))[2].

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة بلغت ٧٠ حديثاً.

وقد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يعدُّ من الكوفيين، فقد نزل الكوفة وسكنها.

وتوفي أيام المختار بالكوفة سنة ٦٦هـ، وقيل ٦٨هـ[3].

غريب الألفاظ:

حبل الله: نور هداه، وقيل: عهده وأمانه الذي يُؤمن من العذاب. والحبل: العهد والميثاق[4].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) أصل الخبر في البخاري، رقم (٤٩٠٠) و(٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٨/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٤٨-٢٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٤٢/٢-٣٤٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٤٣-٤٤٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٧٣٦/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٦٤/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٥٨/١)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٥٦/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ل).

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام مؤذن بمهم يتلوه، وحرف الجر المتصل بضمير الجمع (فينا) يؤكد الاحتشاد لهذا المهم، ثم إن الحمد، والثناء، والموعظة من لوازم خطبته ﷺ ثم إنه بدأ بفصل الخطاب بقوله (أما بعد) فصلاً للمقدمة عن موضوع الخطبة تلاه أداة الاستفتاح (ألا) وهي أشبه بطرقة عنيفة على الأسماع أتبعه بنداء الجمع (أيها الناس) الذي يؤكد أهمية الأمر، ويجعل الجميع في دائرة الحوار معنيين بما يتلوه، ثم أعقبه أسلوب قصر بإنما لنفسه ﷺ على كونه بشراً ونفي ما عداه من كونه ملكاً لا يموت، وهو تمهيد لما يريد أن يقرر من قرب الأجل، والذي قرره قوله(يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) وقد طوت العبارة أسراراً متعددة منها أن إتيان رسول ربه وإجابته له كناية عن موته ﷺ ومنها: أن التعبير بـ(يوشك) يقرر اقتراب ذلك مما يكون له أعظم الأثر في تلقيهم لما يقول ومنها: أن إضافة ضمير المتكلم لكلمة (رب) فيها استشعار للحظة القرب ورغبة في لازم الربوبية من العناية، والتربية، والحفظ عند الخطوب، ومنها: الربط بالفاء التي ترتب الإجابة علي الإتيان وتوحي بالسرعة مما يدل على شوقه إلى لقاء ربه، وقوله: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) وهذه الجملة تمهيد لترية القلوب لتستقبل موعظة مودع بسمع مصغٍ وقلبٍ متفتح لا ينساها وتعبيره بالجملة الإسمية يفيد الثبات والدوام، وتصدير الكلام بالضمير (أنا) العائد عليه ﷺ ربط وجداني بحديث المودع السابق، ووصل له باللاحق؛ لأنها الفائدة التي يمهد لها وهي الوصية بالتمسك بكتاب الله وأهل بيته، وتنكير (الثقلين) للتعظيم وهو أسلوب توشيح يؤكد المعنى لأنه ذكر مثنى مجملاً ثم فصَّله بقوله (أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ) وإضافة الكتاب لله ارتقاء به لذروة الشرف التي ليس فوقها مرتقى لكتاب، وجملة (فيه الهدى والنور) تقديم الجار والمجرور (فيه) تفيد اختصاصه بهداية الناس وإرشادهم دون غيره من الكتب، وفيه إشارة خفية إلى تعرض الأمة لفتن ومحن لا تخرج منها إلا بكتاب الله يضيء لها الطريق كما أن فيه إشارة إلى أن الإنسان في الحياة كالساري بليل مظلم يحتاج إلى ما يضيء طريقه وهو كتاب الله مع كل مؤمن وفي قوله: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي

أَهْلِ بَيْتِي) إيجاز بالحذف تقديره: وثانيهما، والتكرار في الجملة يفيد التعظيم لشأنهم والتنبيه إلى فضلهم، ووجوب العناية بهم أينما كانوا ومهما تقلب بهم الزمان.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين أحدهما أصولي والآخر فقهي:

الأول: الحكم الأصولي، وهو أن المصدر الذي يؤخذ منه الأحكام هو كتاب الله تعالى ثم السنة، فإن وجد الحكم في كتاب الله عمل به، وإن لم يوجد ووجد في السنة عمل به، ولا يعدل عنهما إلى غيرهما مع وجود أحدهما فإن لم يوجد نص من كتاب أو سنة فحينئذ يؤخذ بالإجماع ثم القياس[1].

والثاني: فقهي وهو حكم دفع الصدقة لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٢٩٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: من آداب المدعو: الحرص على التعلم من الداعية.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التمسك بكتاب الله والاعتصام به.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ.

خامساً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه.

سادساً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

سابعاً: من أساليب الدعوة: التنبيه والنداء والقصر والأمر والتكرار والسؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم:

إن جيل الصحابة هم خير القرون والأجيال، فقد صحبوا النبي ﷺ وبذلوا الغالي

---

(١) كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبدالعزيز بن أحمد بن محمد البخاري ١٩/١، شرح التلويح على التوضيح لمسعود بن عمر التفتازاني ٤٦/١ وما بعدها، التقرير والتحبير شرح التحرير لابن أمير الحاج ٢١٢/٢، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي لحسن بن محمد العطار ٢٨٩/١ وما بعدها، المستصفى للغزالي ص ٨٠، شرح الكوكب المنير لأبي البقاء تقي الدين الفتوحي ص ١٦٢ وما بعدها.

والرخيص في الدفاع عن دين الله وعن نصره رسول الله ﷺ لذا استحقوا من الفضل ما عرفته الأجيال التي بعدهم وتمنوا أن يكون لهم هذا الفضل أو بعضه، وذلك واضح في قول التابعي للصحابي "لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليته خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً".

وقد قال الله عز وجل مخاطباً إياهم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[1].

قال ابن القيم: (أخبر سبحانه أنه اجتباهم، والاجتباء كالاصطفاء، وهو افتعال من "اجتبى الشيء يجتبيه" إذا ضمّه إليه وحازه إلى نفسه، فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه وجعلهم أهله وخاصته وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهذا أمرهم سبحانه أن يجاهدوا حق جهاده فيبذلوا له أنفسهم ويفردوه بالمحبة والعبودية ويختاروه وحده إلهاً معبوداً محبوباً على كل ما سواه كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم فيؤثرونه في كل حال على من سواه كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباءه وآثرهم بذلك على من سواهم)[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ((من كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم))[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١٣٣/٤-١٣٤.

(٣) أخرجه أبونعيم في الحلية ٣٠٥/١-٣٠٦، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١٠/٢، وقال محقق الجامع: الأثر لا بأس به.

وقال أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه: ((إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه))[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: (قال ابن الصلاح: ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة.

وجميع ما ذكرنا يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاجون مع تعديل الله ورسوله لهم إلى تعديل أحد من الناس، ونقل ابن حجر عن الخطيب في "الكفاية" أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء، والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدّلين الذين يجيئون من بعدهم، ثم قال: هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله، وروى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وماجاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الحرص على التعلم من الداعية:

حض الإسلام على التعلم وعلى سؤال أهل العلم، لذا كان على المدعو أن يسأل الداعية حتى يعرف ما يجهله ويحسن ما يفعله ويلازم ما كان صواباً ويجتنب ما كان غير ذلك. وهذا ما دفع التابعي أن يقول للصحابي: "حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقد حضروا إلى زيد رضي الله عنه من أجل أن يسمعوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٨٤/٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٤/٢٦ ومصادرها ومراجعها.

وقد كان هذا الأدب من آداب الصحابة رضي الله عنهم.

من ذلك ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: ((لم أزل حريصاً على أن أسأل عُمَرَ بن الخطاب عن المرأتَين من أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم اللتَين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1] حتى حجَّ وحَجَجْت معه، وعدَل وعدلت معه بإدواةٍ[2]، فتبرزَ ثم جاء فسكَبت على يديه منها فتوَضأ، فقال له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، قال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشةُ وحَفصة))[3].

وفي رواية: ((مكثتُ سنةً أريدُ أن أَسأَل عُمرَ بن الخطاب عن آيةٍ فما أستطيع أن أسْأَله هيبةً له))[4].

قال ابن حجر: (وفيه حسن تلطف ابن عباس وشدة حرصه على الاطلاع على فنون التفسير، وفيه طلب علو الإسناد لأن ابن عباس أقام مدة طويلة ينتظر خلوة عمر ليأخذ عنه، وكان يمكنه أخذ ذلك بواسطة عنه ممن لا يهاب سؤاله كما كان يهاب عمر، وفيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على طلب العلم والضبط بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم. وفيه البحث في العلم في الطرق والخلوات وفي حال القعود والمشي)[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التمسك بكتاب الله والاعتصام به:

الاعتصام بكتاب الله هو طريق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، فقد أنزله الله عز وجل هدىً للناس ومرشداً لهم، لذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التمسك بالاعتصام به فقال: "وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله

---

(١) سورة التحريم، آية: ٤.

(٢) الإدواة: إناء صغير يحمل فيه الماء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٩١، ومسلم ٣٤-١٤٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩١٣، ومسلم ٣١-١٤٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٢٠٢.

واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغّب فيه وفي رواية: "أحدهما كتاب الله وهوحبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"، وفي رواية عند مسلم كذلك ((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ))[1]، قال الطيبي: (واستمسك بالشيء إذا تحرى الإمساك به، ومعنى التمسك بالقرآن: العمل بما فيه وهو الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه)[2].

وقد قال ﷺ في خطبة حجة الوداع: ((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابُ اللَّهِ))[3].

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾[4] قال: ((حبلَ اللَّهِ القرآنُ))[5].

وقال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ: "كتاب الله هو حبل الله"، قيل: المراد بحبل الله عهده وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به)[6].

(فالله تعالى أوجب على المسلمين كافة التمسك بكتابه العظيم والرجوع إليه عند الاختلاف وكذلك السنة، وأمرهم بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب لاتفاق كلمتهم وانتظام شتاتهم الذي تتم به مصالح الدين والدنيا، والسلامة من الاختلاف وأمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حَصَلَ لأهل الكتابين قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[7]. فالاعتصام يوجب على

---

(١) صحيح مسلم بعد الحديث ٣٦-٢٤٠٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/١١.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور (٥١٩-التفسير) وابن أبي شيبة ٤٨٢/١٠، ٤٨٣، وابن جرير ٦٤٦/٥، والطبراني في الكبير ٩٠٣٢ وقال السيوطي: سنده صحيح. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٠٩/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

المسلمين أن يجعلوا اجتماعهم ووحدتهم على كتاب الله تعالى عليه يجتمعون وبه يتحدون لا بجنسيات يتبعونها ولا بمذاهب يبتدعونها، ولا بسياسات يخترعونها)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ:

إن من لوازم المحبة محبة من له صلة بالمحبوب، لذا كان المسلمون يحبون أهل بيت النبي ﷺ، لأنهم أقرب الناس إليه، لذا حض النبي ﷺ على إكرام أهل بيته فقال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" (أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم: اتقوا الله ولاتؤذوهم فاحفظوهم، فالتذكير بمعنى الوعظ)[٢].

وقد أكرم الصحابة رضي الله عنهم أهل بيت النبي ﷺ: فقال أبوبكر رضي الله عنه ((ارقبُوا محمداً ﷺ في أهلِ بيته))[٣].

قال ابن حجر (يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم)[٤].

وقال القاضي عياض: (ومن توقيره ﷺ وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حضّ عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم)[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (تشرف المحبة بشرف المحبوب، فمحبة رسول الله ﷺ أشرف من محبة سائر العباد، وهي وسيلة إلى أن يطاع طاعة المحبوب، وكلما قوى التعلق بالحبيب قوى حب المتعلقين به والمنتسبين إليه، وكلما قويت النسبة قويت المحبة، ولذلك نحب المهاجرين والأنصار والصالحين والأبرار وعلياً والحسن وغيرهما من أهل الولاية، وترتب محبتهم ترتب منازلهم من الله في حبه وقربه)[٦].

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد الدوسري، ص ٥٢٧-٥٢٨.

(٢) شرح الطيبي ٢٩١/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧١٣، ٣٧٥١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٨/٧.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٤٠٦/٢.

(٦) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ٦٠-٦١.

(فأهل السنة يحبُّون [أهل البيت] ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملّة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليّ وبنيه. أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت. فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول ﷺ لا ينفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله)[1].

خامساً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه:

إن الداعية شديد الصلة بالمدعوين وذلك عن طريق أقواله وأفعاله، وفي أثناء ذلك قد يعرض للمدعو ما يشكل عليه أو ما يريد أن يعرفه معرفة دقيقة، فيحتاج إلى أن يسأل الداعية، فقد سأل التابعيّ الصحابي عما أشكل عليه فقال: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ فلما أجابه زيد سأله كذلك: ومن هم؟ فأجابه زيد.

قال النووي: (المراد أنهن [أي نساءه ﷺ] من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً، ووعظ في حقوقهم وذكّر، فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حُرِمَ الصدقة)[2].

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ رجلاً استأذنَ على النبيِّ ﷺ، فلما رآه قال: بئسَ أخو العَشيرةِ وبئسَ ابن العشيرة. فلما جلسَ تَطلَّقَ النبيُّ ﷺ في وَجهِهِ وانبسَطَ إليه. فلما انطلقَ الرجُلُ قالت له عائشة: يا رسولَ الله حينَ رأيتَ الرجُل قلتُ له كذا وكذا، ثم تطلقتَ في وجهِهِ وانبسَطتَ إليه. فقال رسولُ الله ﷺ: يا عائشة متى عهِدْتَني فاحشاً؟ إنَّ شرَّ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامة مَن تَركهُ الناسُ اتقاءَ شرِّه))[3].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٨٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧١-١٤٧٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٢ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩١.

سادساً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الخطبة من الوسائل الدعوية ذات التأثير الكبير في المدعوين، لذا فإن النبي ﷺ وهو إمام الدعاة قد أكثر من استخدامها في دعوته، كما هنا في هذا الحديث يقول الصحابي: قام رسول الله ﷺ **فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة.** وقد كانت الخطبة هنا من الوسائل الفعالة في الدعوة، نظراً لأهمية الوصية، وكثرة عدد الصحابة، كما أن النبي ﷺ شعر بدنو أجله، فأرادها وصية عامة يسمعها أكبر عدد من الصحابة ليتمثلوها هم ومن ينقلونها إليهم، كما هو الحال في خطبة الوداع[1].

(إن الخطبة وسيلة ممتازة للدعوة لتبليغ الرسالة، أو إيضاح فكرة معينة. ومن مرامي الخطبة حملُ المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها)[2].

سابعاً- من أساليب الدعوة: التنبيه والنداء والقصر والأمر والتكرار والسؤال والجواب:

أما التنبيه فقول النبي ﷺ: **"ألا" ثم أتبعه النداء "أيها الناس"** وفي هذا زيادة لتنبيه السامعين ومن ثم يزدادون إقبالاً على إقبالهم وحرصاً على حرصهم على سماع ما يقول النبي ﷺ.

وجاء أسلوب القصر **"إنما أنا بشر"** ليبين ﷺ **أنه بشر يجري عليه ما يجري على البشر من الموت:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، **فليس هو بمخلد**، فكان هذا مدخلاً وتمهيداً لوصيته ﷺ لأصحابه، هذه الوصية **تحمل ما يجب على الأمة أن تتمسك به** حتى لا تضل وهو كتاب الله، وما يجب على الأمة نحو أهل بيت النبي ﷺ من التوقير والإكرام[4]، فكان يناسب هذا الموقف استخدام فعل الأمر "استمسكوا" وأكد ذلك

---

(١) ذكر ابن كثير أنّ ذلك كان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة بعد رجوعه من حجة الوداع. البداية والنهاية ٦٦٦/٧.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ٢٧١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١١/٢٩٨-٢٩٩.

بقول الصحابي "فحث على كتاب الله ورغب فيه". فلما أراد ﷺ أن يوصي بأهل بيته استخدم التكرار، فكان ﷺ يوصي كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده فيقول الرجل "الله الله في أولادي"[١].

وجاء السؤال والجواب ليستفهم التابعيُّ عما لا يعرف أو يتأكد مما يعلم ويأتي الجواب بالمقصود والمطلوب.

(١) انظر السابق: الموضع ذاته.

الحديث رقم (٣٤٧)

٣٤٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه -مَوقُوفاً عَلَيهِ- أنَّهُ قَالَ: ارْقَبُوا مُحَمداً ﷺ فِي أهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

ارقبوا : راعوه واحترموه وأكرموه[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة؛ لأن المعنى لا يتوقع له معارضة؛ لأنه نقل قول أبي بكر رضي الله عنه، وهو إنشائي لا يحتمل صدقاً، ولا كذباً، وهو أسلوب أمر (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) وغرضه الإرشاد، والتوجيه، والتعبير بالاسم الصريح للرسول ﷺ دون اللقب اعتماداً على مكانته في قلوبهم، وحبهم له وتلذذاً بذكره، ومعنى (ارقبوا محمداً) أي التمسوا رضاه وصلته، وما ترجون منه في إكرام آل بيته، وتوقيرهم، ومحبتهم، والحديث دعوة تفتح باب بر الرسول ﷺ - وهو أحق الناس به - بير أهل بيته ومحبتهم، وإكرامهم أينما كانوا في كل زمان.

---

(١) برقم (٣٧١٣، و٣٧٥١).

(٢) رياض الصالحين ١٨١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إكرام أهل بيت النبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر وهذا في قول أبي بكر "ارقبوا..." وهذا يدل على أهمية وعظم هذا الأمر. وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة حيث يجعل المدعوين يشعرون بأهمية الدعوة، وأن الداعية يأمرهم ليقوموا بها ولا يتهاونون فيها.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ، وهذا يظهر في قول أبي بكر رضي الله عنه "ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته" أي: راعوه واحترموه وأكرموه بإكرام أهل بيته ﷺ ومن توقيره وبره ﷺ بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أحدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ وعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي ولَنْ يَتَفَرَّقَا حتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفونِي فِيهِمَا))[2]؛ فينبغي على الداعية تعريف المدعوين بحق أهل بيت رسول الله ﷺ وما يجب لهم من احترام وتقدير.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إكرام أهل بيت النبي ﷺ:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من عموم الحديث الحث على إكرام أهل بيت

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٨٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨٠).

النبي ﷺ وهذا ما ورد في قول أبي بكر رضي الله عنه "ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته".

يفهم من ذلك حث أبي بكر رضي الله عنه المسلمين على إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ لوصية النبي ﷺ بهم فقد قال: ((وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))(١). أي آمركم بطاعة الله وبالقيام "في أهل بيتي" ثم كرر ذلك ثانياً للتوكيد فقال: "أذكركم الله في أهل بيتي" وفيه تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم، فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث عليه(٢)؛ فيجب على الدعاة الحث على إكرام أهل البيت وتوقيرهم وإنزالهم منازلهم فهم أهل بيته ﷺ الذين يحبهم ويحب من يحبهم والذين وصّى بهم.

إن إجلال أهل بيت النبي ﷺ وآله إجلالاً يليق بهم، وإكرام الصالحين منهم وموالاتهم، ومعرفة أقدارهم، مطلب شرعي قبل أن يكون مقرباً لحب النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾(٣)(٤).

وروى مسلم في صحيحه قوله ﷺ: ((أَمَّا بَعْدُ. أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)) فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: ((وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))(٥).

كما ينبغي مراعاة ما يلي:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٠٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٥٦.

(٣) الشورى، الآية: ٢٣.

(٤) وهذا الاستثناء منقطع حتى لا يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، ومعنى الآية: ولكني أذكركم المودة في القربى، وأذكركم قرابتي منكم، قاله البغوي في تفسيره: ١٩٢/٧. و ابن كثير. ١٩٩/٧. وابن عاشور في التحرير والتنوير ٨٣/٢٥/١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٠٨، ولا تعني الوصية بهم تقديهم على سنة رسول الله ﷺ، بل أوصى بالسنة مع القرآن في أحاديث أخرى كثيرة، ليس هذا مقام ذكرها، وهي المقدَّمة، يتجلى ذلك في قصة أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها في شأن ميراث النبي ﷺ.

- بقاء شرف النسب لهم وتميزهم عن غيرهم لأجل ذلك.

- أنهم كغيرهم فيهم الصالح وفيهم غير ذلك، وأنهم داخلون في قوله ﷺ: ((وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))(١).

الدعاء لهم في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بقوله: وآله.

- تولي الصالحين منهم ومجالستهم والأخذ منهم والبرِّ بهم وتطييب خواطرهم؛ فإنهم من آثار النبي ﷺ، ومحاولة القرب منهم، ومصاهرتهم تزوجاً أو تزويجاً.

- مناصرتهم والبذل لهم، والذبُّ عنهم، وذكر مناقبهم ومحاسنهم، وهم من حُرموا الصدقة.

- تأكيد مناصحة غير الصالح منهم والشفقة عليه والرحمة به، ودعوته إلى نهج آل البيت الطيبين الطاهرين واستقامتهم على الشريعة، وسلامة صدورهم وألسنتهم على الصحابة ومن بعدهم(٢).

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أشد تعظيماً ومحبة لآل البيت لاستشعارهم مكانة أولئك من النبي ﷺ وامتثالاً لوصايا النبي ﷺ. وقد أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عام الرمادة أن يستسقي بالناس فسقوا. وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا، قال: فيُسقون(٣).

قال ابن حجر: ويستفاد من قصة العباس: استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة(٤)، ومنه فضل العباس وفضل عمر بتواضعه للعباس ومعرفته بحقه(٥).

ولما دخل عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في حاجة له

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) دمعة على حب النبي ﷺ نظرات متأملة للواقع في حب النبي ﷺ، الشيخ: عبدالله بن صالح الخضيري، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ص ٥٠-٥١.

(٣) أخرجه البخاري ١٠١٠.

(٤) وغير خاف أن المقصود الاستشفاع بدعائهم لا بذواتهم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٧/٢، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٢٥/١، ٣١٥.

على عمر بن عبدالعزيز قال له عمر: إذا كانت لك حاجةٌ فأرسل إلي أو أكتب فإني استحيي من الله أن يراك على بابي.

وعن الشعبي: (صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه، فقال زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيدٌ يد ابن عباس؛ وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ)[1][2].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢/٤٠٩.

(٢) انظر: دمعة على حب النبي ﷺ، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال. ص ٥١ - ٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حب آل البيت لا يكون بالغلو فيهم ولا بشد الرحال إليهم ولا يجعلهم سبيلاً للخلاف بين المسلمين، بل سبيلاً للإيلاف.

وكل صالح من هذه الأمة هو من آل محمد وقيل من آل البيت قياساً على حديث الرسول ﷺ "سلمان منا آل البيت" فإن لم يكونوا من آل البيت فهم من أولياء الله، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولذا يجب على المسلم أن يحرص على اتباع منهج النبي ﷺ وهديه في سائر الأمور، واحترام آل بيت النبي ﷺ، واتباع هديه ﷺ في ذلك وعدم الغلو في ذلك أو إتيان فعل لا يرضي الله ورسوله. ومن المضامين التربوية نذكر:

أولاً- التربية على إكرام أهل بيت النبي ﷺ:

على المربي أن يربي أتباعه على إكرام أهل بيت النبي ﷺ ومحبتهم، فهذه وصية النبي ﷺ "وآل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" فينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم على محبة أهل البيت وموالاتهم، فقد انعقد إجماع الأمة وتواترت الأخبار بشرع الصلاة عليهم، فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة والتطهير وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير[١].

لذا فإن أهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه. وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملّة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليٍّ وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت[٢].

---

(١) التربية على منهج السنة والجماعة ١٠٢.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٢٨٠.

ثانياً- التربية بالوعظ:

ويبدو ذلك في كون النبي ﷺ استخدم الخطابة في توصيل المعلومات إلى المتلقين، يقول زيد بن أرقم رضي الله عنه: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا... فَحَمِدَ اللَّهَ ...، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ..."، والأسلوب الخطابي من الأساليب التربوية الهامة التي يتعين على المربين المسلمين العناية بها، واستخدامها في توجيه المتربين وإرشادهم؛ لما للموعظة من أثر كبير في نفوسهم، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يتميز بالخطاب الجماعي، أي: مخاطبة أكبر عدد من الناس، وهذا أقرب إلى التبليغ وإيصال المطلوب إلى المراد تربيتهم وتعليمهم، وذلك يكفي المربي مؤونة إيصال المعلومات إلى الأفراد، ويضمن وصولها صحيحة، لم تشبها أخطاء الرواية التي قد تنجم عن الدعوة الفردية إذا كان أول المتلقين غير ضابط للحديث.

وترتبط الموعظة ارتباطاً تاماً بالحكمة؛ لأن الواعظ إذا فقد الحكمة ربما وضع الأمر في غير موضعه، وأساء في ذلك باختيار الوقت غير المناسب، والألفاظ غير الملائمة لحال المدعو، والمكان الذي لا يناسب الحال، فمن هنا تلازمت الموعظة والحكمة[1]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[2].

ثالثاً- من أساليب التربية: الحوار:

وهذا واضحٌ من سؤال التابعين للصحابي الجليل زيد بن أرقم رضي الله عنه وجوابه على ذلك، ولا شك أن الحوار يجعل مساحة مشتركة بين المعلّم والمتعلم فيعبر المتعلم عما يدور بداخله، ويجيب المعلم على ذلك، ويوضح المعلم المعاني والموضوعات المرادة خير توضيح ويبينها له خير بيان، كما هو ظاهر في الحديث فضلاً عن أن الحوار يجعل المتعلم إيجابيًا في العملية التعليمية ولا يكتفي بدور المتلقي الذي يكتفي باستقبال ما يقال دون أن تكون له مشاركة فعالة في ذلك. كما أن الحوار يخفف من عبء العملية

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

التعليمية الملقاة على عاتق المعلم، وذلك بجعل المتعلم يفكر ويناقش ويحاور ونحو ذلك.

رابعًا- التربية على مراعاة المعلم:

وذلك واضح من قول زيد بن أرقم رضي الله عنه: "يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه، فهذا زيد بن أرقم يبين للتابعين كيف يتعلمون منه، وكيف يراعون حاله وكبر سنّه فلا يكلفونه من أمره عسرًا، وكذلك المتعلم الذي الذي يعرف أحوال معلمه فيقبل عليه وقت نشاطه وحيويته، ويدعه وقت كسله وانشغاله وفتوره، فيأخذ عنه أحسن ما عنده ويتجنب ما قد يقع فيه من نسيان أو سهو أو غلط إذا تعلم منه في غير وقت نشاطه وهمته.



٤٤- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩].

الحديث رقم (٣٤٨)

٣٤٨- وعن أَبي مسعودٍ عقبةَ بن عمرو البدري الأنصاري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإنْ كَانُوا فِي القِراءةِ سَوَاءً، فأَعْلَمُهُمْ بالسُّنَّةِ، فَإنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلاَ يُؤمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إلاَّ بإذْنِهِ**)) رواه مسلم[(١)].

وفي رواية لَهُ[(٢)]: ((**فَأقْدَمُهُمْ سِلْمًا**)) بَدَلَ ((**سِنًّا**)): أيْ إسْلامًا.

وفي رواية[(٣)]: ((**يَؤُمُّ القَومَ أقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأقْدَمُهُمْ قِراءةً**[(٤)]، **فَإنْ كَانَتْ قِرَاءتُهُمْ سَوَاءً فَيَؤُمُّهُمْ أقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاء، فَلْيَؤُمُّهُمْ أكْبَرُهُمْ سِنًّا**)).

والمراد ((**بِسلطانِهِ**)): محل ولايتهِ، أَو الموضعِ الَّذِي يختص بِهِ ((**وتَكرِمتُهُ**)) بفتح التاء وكسر الراءِ: وهي مَا ينفرد بِهِ من فِراشٍ وسَريرٍ ونحوهِما.

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

سلطانه: محل ولايته أو الموضع الذي يختص به[(٥)].

تكرمته: ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما[(٦)].

---

(١) برقم (٢٩٠/٦٧٣).

(٢) في رواية ابن أبي شيبة، قال مسلم: حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، وأبو سعيد الأشج، وقال في آخر الحديث: قال الأشجُّ في روايته (مكان: سِلمًا) سنًّا. قلتُ: ورواية ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٩/٢، رقم ٣٤٧٠).

(٣) برقم (٢٩١/٦٧٣).

(٤) لفظ مسلم: (هجرة)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٤٩٧/١، رقم ٨٠١).

(٥) رياض الصالحين ١٨٢.

(٦) رياض الصالحين ١٨٢.

الشرح الأدبي

الحديث في بيان فضل العلم، والعلماء، لأن تقديمهم في الصلاة، وهي دخول على الله وهو أشرف المواطن فتقديمهم فيها دليل على علو منزلتهم، وقول الرسول ﷺ (يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ،) خبر قُصد به الإنشاء ومعناه: ليؤم القوم، وأقرؤهم أفعل تفضيل بمعنى أكثرهم قراءة أي حفظاً، وأنداهم صوتاً لأنه أعون على الخشوع، وقوله: (فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ) أسلوب شرط يضع حلولا لما يتوقع من مسائل، واستخدام (إن) يشير إلى استبعاد تساوي الجميع في مقدار الحفظ، ودرجة الإتقان، ونداوة الصوت، وقوله أعلمهم بالسنة فيه إيجاز بحذف الفعل من جواب الشرط. وتقديره: فقدموا أعلمهم، لأنه يستطيع أن يتصرف يقتضي العلم الشرعي في ما قد يطرأ في أثناء الصلاة من مواقف، وكذلك تقدير المحذوف في (فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ... فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا) وقوله: (وَلا يُؤَمَّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ) أسلوب نهي، والخطاب للعموم عن طريق بناء الفعل (يُؤَمَّ) لما لم يسم فاعله مما يعطي أسلوب النهي سرياناً عبر الزمان، والمكان، وكذلك قوله: (وَلا يُجْلَسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ) لأن فيه تعدياً على الحرية الشخصية، والملكية الخاصة، وإضافة السلطان، والتكرمة إلى الضمير بيان لهذه الخصوصية. والحديث يشير من قريب إلى فضل العلم، والعلماء.

فقه الحديث

يتعرض الحديث لشروط الإمامة في الصلاة وأنه يشترط في الإمام أن يكون قارئًا لكتاب الله تعالى عالمًا عاملاً بأحكامه.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يشترط فيمن يتقدم إمامًا للناس في الصلاة أن يكون

---

(١) انظر في شرط الإمامة والأحق بها: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٦٧/١ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٧/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٩٧/٢ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٣٥٩/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج ١٦٢/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج ٤٧٨/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٦٩/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٧١/١ وما بعدها.

قارئًا لكتاب الله تعالى فإذا وجد أكثر من شخص يقرؤون قدم أقرؤهم لكتاب الله، فإن استووا فأعلمهم بالسنة، ثم أقدمهم إسلامًا، ثم أسنهم إن استووا في كل شيء، وقد ذكر الصنعاني[1] المقصود بالأقرأ منهم هنا فقال: الظاهر أن المراد أكثرهم له حفظًا، وقيل أعلمهم بأحكامه والحديث الأول يناسب القول الأول.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الإمامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقديم العلماء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن.

خامسًا: من مهام الداعية: إنزال الناس منازلهم.

سادسًا: من آداب الداعية: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الإمامة:

من وسائل الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث وسيلة الإمامة وذلك في قوله ﷺ: "يؤم القوم.."، قال القاضي عياض: (وقد روي عن الزهري في هذا الحديث: (فإن استووا في القراءة فأفقههم في دين الله، فإن كانوا في الفقه سواء فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء فأصبحهم وجهًا، فإن كانوا في الصباحة والحسن سواء فأكبر حسبًا).

قال بعض المتكلمين: رتب النبي ﷺ الأئمة هذا الترتيب؛ لأنها خلافة النبي ﷺ، إذ هو إمام الناس في الدنيا والآخرة، فهي بعده للأقرب منزلة، والأشبه به مرتبة، ثم بسط الكلام في أن هذه الصفات والأخلاق من العلم بالقرآن والسنة وقدم الإسلام وحصافة العقل وهيبة القدر -الذي هو معنى السن وجلالة النسب وحسن الصورة وحسن الأخلاق- هي صفات النبي ﷺ وهو المتصف بها حقيقة على الكمال، فمن اتصف بها كان أشبه بالنبي ﷺ وأولى بخلافته، ومن اتصف ببعضها كان من

---

(١) سبل السلام ١/ ٢٧١.

اتصف بجميعها أولى منه، وكان ﷺ خلقه القرآن[١]، وقال: (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه)[٢]، وكان علمه وعلم السنن إليه ومنه اقتبس، وكان من جمال الصورة وحسن الخلق على ما عُرف، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

قيل: قد تكون العبارة بصباحة الوجه وحسنه هنا عن بشره وطلاقته فيه، والقلوب إلى الصفات الحسنة أحب والنفوس إلى الأخلاق الحسنة والوجوه البسيطة أميل، وبالتقديم لها في أمورها وحوائجها أرضى، وقد قال ﷺ: ((أَقْرَبُكُمْ مِني مَجْلِسًا أحْسَانُكُمْ أخْلاقًا))[٤]، وكذلك الحسيب يقرب إليه بمشاركة شرف حسبه وكرم فخاره، مع أن أهل الحسب أنزه بهممهم عما يشين، وكذلك الكبير السن أتم عقلاً، وأقدم إيمانًا، وقد قال ﷺ: ((لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهى))[٥]. فمن جمع هذه الخصال صلح لخلافته الكبرى فكيف الصغرى؟"[٦].

فالإمام في صلاته بالمسلمين يستطيع أن يكون وسيلة مهمة من وسائل الدعوة وذلك إذا اقتدى بما كان يفعله رسول الله ﷺ في إمامته للمسلمين؛ فقد جعل الله تعالى قُرة عينه ﷺ ونعيمه وسروره وروحه في الصلاة، ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك من مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال إقباله وقربه من الله تعالى.

وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي، فيخففها مخافة

---

(١) أخرجه مسلم ٩٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٢/١ رقم ٢٠٧٢، وقال: هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود ٦٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٦٢٦).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٥٣/٢ - ٦٥٤.

أن يشق على أمه[١][٢]، وهذا مما يرغّب في الدعوة، ويجعل الناس يقبلون على الدعوة من خلال مراعاة الإمام لأحوال المدعوين، وهذا مظهر من مظاهر كون الإمامة وسيلة دعوية مؤثرة في المدعوين، بالإضافة إلى خشوع الإمام وإقباله على الله تعالى في صلاته.

فإذا التزم الإمام في إمامته بهدي رسول الله ﷺ في صلاته من خشوع وإقبال على الله وفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ من تسبيح ودعاء وغيرهم، لكان وسيلة من وسائل الدعوة التي توصل هدي النبي ﷺ إلى المدعوين، فإن المأموم يقتدي بالإمام ويتأسى به، فيعمل مثل عمله، ويطلق على المقتدى به أنه قدوة وأسوة.

وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال، ومما يدل على فضل الإمامة وأهميتها أن النبي ﷺ لما مرض اختار أفضل الصحابة رضي الله عنهم للإمامة حيث قال: ((مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالناس))[٣]. ففهم الصحابة رضي الله عنهم من تقديمه في الإمامة الصغرى استحقاقه الإمامة الكبرى[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقديم العلماء:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من عموم الحديث تقديم العلماء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥]، يخبر الله تعالى عباده أنه لا يستوي أهل العلم الذين قاموا به وقام بهم العلم المطلوب تعلمه والموافقة في الدين كتابًا وسنة منزلة مع الذين لم يقم بهم ذلك، إما تقصيرًا، أو إعراضًا، أو استخفافًا، وهذا التفريق أبلغ في تقرير فضل العلم وأزين في رفع درجات أهله[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ١/٢٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٣.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/٢٠١ - ٢٠٢.

(٥) سورة الزمر، آية: ٩.

(٦) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عبيد الهلالي ١/٤١٩.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١]، أي: يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان[٢].

فتقديم العلماء أمر مطلوب للأمة لأنهم هم الذين يهدونها إلى طريق التقدم والنجاح.

قال الشاعر:

ما الفضل إلى لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء[٣]

وقد اتفق الفقهاء على أن بناء أمر الإمامة على الفضيلة والكمال، فمن استجمع خصال العلم وقراءة القرآن والورع وكبر السن وغيرها من الفضائل كان أولى بالإمامة، ولا خلاف في تقديم الأعلم والأقرأ على سائر الناس، ولو كان في القوم من هو أفضل منه في الورع والسن وسائر الأوصاف[٤].

فينبغي على الداعية أن يبين فضل العلم والعلماء وضرورة تقديم أهل العلم في كل مناحي الحياة حتى يكونوا أدلاء للهدى والخير.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث فضل العلم بالقرآن والسنة النبوية المطهرة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة..)؛ فتقديم الإمام يكون بحفظه لكتاب الله أو علمه بسنة رسول الله ﷺ وهذا يدل على فضلهما على حاملهما.

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الله يَرْفَعُ بهذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ))[٥]،

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٥.

(٣) انظر: فضل العلم ووجوب احترام العلماء، د. طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر ص ٢٦.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/٢٠٧.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٧.

وقال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ))[١]، قال الطيبي: (قال المظهر: يعني إذا كان خير الكلام كلام الله، فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعلمه، وأقول: لا بد من تقييد التعلم والتعليم بالإخلاص، ومن أخلصهما وتخلق بهما دخل في زمرة النبيين والصديقين، وكان مفضلاً على غيره ممن لم يتخلق به)[٢].

فإن موضوع الدعوة الإسلامية هو الإسلام الذي أوحي به إلى محمد رسول الله ﷺ متمثلاً في القرآن والسنة، فهو المنهج الكامل الذي اختاره الله للعالمين وجمع فيه أصول الشرائع ووصايا الأنبياء.. وبعث عليه خاتم الأنبياء والمرسلين بخصائصه ومبادئه وأهدافه وغاياته ونظامه الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعًا. فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة وهو جيش وفكرة، كما هو عقيدة وعبادة مخلصة.

إذًا فموضوع الدعوة هو: الإسلام الشامل الذي ينظم الحياة بأوضاعها المختلفة، ويحيي الفرد بهديه ليشعر بإنسانيته وكرامته تمامًا كما خلقه الله كريمًا عزيزًا وصدق الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٣][٤].

والسنة هي من وحي الله لرسوله أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٥]، فمن كان قارئًا للقرآن حافظًا للسنة ينبغي تقديمه للإمامة لفضل القرآن والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٥/٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ٨١.

(٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا)، وفي الرواية الأخرى: (فأقدمهم سلما) أي: إسلامًا، يتضح من ذلك فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1].

قال السعدي: (هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدورها للإيمان والهجرة والجهاد وإقامة دين الله)[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ: فقال: ((دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ، أَوْ مِثْلَ الجِبالِ ذَهَبًا ما بَلَغْتُمْ أَعْمالَهُمْ))[3]، وفي ذلك تفضيل للسبق في الإسلام، وأما تفضيل كبر السن فقد ورد ما يؤيد ذلك فقد قال ﷺ: ((إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))[4]، وفي صحيح مسلم ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))[5]، فينبغي مراعاة تفضيل الأسبقية في الخيرات وينبغي على الداعية الإرشاد إلى ذلك.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٠٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٦/٣ رقم ١٣٨١٢، وقال محققو المسند: صحيح الإسناد ٣١٩/٢١.

(٤) [illegible] مسلم ٦٧٢.

(٥) [illegible] مسلم ٢٥٤٠.

خامسًا- من مهام الداعية: إنزال الناس منازلهم:

من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث إنزال الناس منازلهم، وهذا يتضح من عموم الحديث حيث قدم رسول الله ﷺ للإمامة العلماء، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، يدل على إنزاله ﷺ الناس منازلهم، وإنزال الناس منازلهم من الأمور الهامة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وينتبه إليها ويؤيد ذلك توجيهات النبي ﷺ في إنزال الناس منازلهم.

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))[2].

فينبغي على الداعية أن ينزل الناس منازلهم، وأن يعاملهم على حسب أقدارهم وفي ذلك تأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم، وشدهم إلى الدعوة[3].

سادسًا- من آداب الداعية: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة:

إن من واجبات الداعية التي تظهر من هذا الحديث: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة ويدل على ذلك قوله ﷺ: (ولا يُؤمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه)، فبيّن رسول الله ﷺ أن الذي يؤم المصلى في سلطانه أي: محل ولايته هو السلطان ومن واجب الضيف ألا يعتدي على حقه إلا بإذنه، وكذلك لا يجلس الضيف على تكرمته إلا بإذنه أي لا يجلس على ما ينفرد به عن أهل منزله كرامة له من فراش وسرير ونحوهما [4]؛ لأن ذلك قد يضايق صاحب الولاية أو الدار لأجل ذلك أرشد رسول الله ﷺ لتركه لذلك قال بعض العلماء: "لو أن أحدًا تقدم وصلى بجماعة المسجد دون إذن الإمام فصلاتهم باطلة، وعليهم أن يعيدوا، لنهي النبي ﷺ"[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان، ص ١٥٥.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٠.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين ٧١٨/١.

فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة وأن يلتزم المسلم بالآداب التي بيّنها رسول الله ﷺ في زيارة الأخ لإخوانه، وأن يراعي مشاعرهم، ولا يُثقل عليهم ولا يصدر منه ما يسيء إليهم، أو يؤذي مشاعرهم، لأن ذلك أدعى إلى المحبة والمودة ودوام الألفة.

الحديث رقم (٣٤٩)

٣٤٩- وعنه، قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، ويَقُولُ: ((اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) رواه مسلم[1].

وقوله ﷺ: ((لِيَلِنِي)) هُوَ بتخفيف النون وليس قبلها ياءٌ، وَرُوِيَ بتشديد النُّون مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا والمعنى ليدْنُ مني في الصلاة. ((وَالنُّهَى)): العُقُولُ. ((وَأُولُوا الأحْلام)): هُم البَالِغُونَ، وقَيلَ: أهْلُ الحِلْمِ وَالفَضْلِ. ومفرد النهى "نُهْيَة".

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مناكبنا: المَنْكِب: المكان الذي يجتمع فيه الكتف مع رأس العضد[2].

الشرح الأدبي

قوله: (يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ) كناية عن تسويته للصفوف مع ما يعكسه هذا التصرف من محبة، وتواضع، وألفة، وضمير الجمع المضاف إلى المناكب دليل على أنه كان يتعهد أصحابه بالمسح على مناكبهم حتى يطمئن إلى استقامة الصفوف، وقول الرسول لأصحابه (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) أسلوب أمر للتوجيه، والإرشاد، عضضه بالنهي عن ضدده ثم تبعه بجملة تعليلية حملت تهديداً ووعيداً بجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما خالفوا بين الصفوف ظاهراً عوقبوا بالمخالفة بين قلوبهم باطناً، والمخافة بين القلوب كناية تولد الكراهية، والتفرق بينهم، وقوله: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى) أمر توجيه، وإرشاد ٬ وتعليم لكل أمته بترتيب الصفوف

(١) برقم (١٢٢/٤٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

بين يدي الله على هيئة ترضيه تعالى، وأولو الأحلام والنهى، هم أصحاب الحكمة، والعلم، والعقل، وقوله (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) استخدام حرف العطف ثم للتأخير الرتبي بحيث يقدم العقل فالأعقل، والأعلم فالأعلم، وتكرار العبارة يشير إلى ضرورة رعاية هذا الترتيب، والحرص عليه.

فقه الحديث

يتعرض هذان الحديثان لحكمين فقهيين:

الأول: تسوية الصفوف خلف الإمام، وقد ذكر الفقهاء[1] أن من أحكام صلاة الجماعة أن ينبه الإمام على تسوية الصفوف قبل أداء الصلاة وبعد الإقامة، وأن يؤخر المتقدم من المصلين، وينبه الغافل عن التسوية.

الثاني: من يلي الإمام في الصف، وقد ذكر الفقهاء أنه يسن أن يلي الإمام في الصفوف أكثر الناس قراءة وأكملهم عقلاً وأكثرهم علمًا ثم الذين يلونهم وهكذا. وذلك حتى ينبهوا الإمام إن سها أو توقف عن القراءة، وقد شدد النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك ليعلم من يلونه فعله على وجهه ثم يبلغونه به غيرهم[2].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٨/١ وما بعدها، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم [illegible] وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٦/٢، وشرح منح الجليل ٣٧١/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج ١٨٦/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج ٤٩٠/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٥/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٧٨/١ وما بعدها.

(٢) شرح معاني الآثار ٢٢٦/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٦٣٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي. تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

المضامين الدعوية[(١)]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقديم أهل الفضل.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

خامسًا: من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذين الحديثين أسلوب الأمر والنهي ويظهر الأمر في قوله ﷺ "استووا ... وليلني..." والنهي في قوله ﷺ "ولا تختلفوا...".

فقد أمر ﷺ بالاستواء في الصلاة وبيّن في أمره من يليه في الصلاة ونهى عن الاختلاف.

وأسلوب الأمر والنهي من الأساليب الدعوية المهمة التي تجعل الداعية يستطيع أن يوجه المدعوين إلى ما هو خير لهم في ذلك بأمرهم به وينهاهم عما هو شر. ويشعر المدعوين بأهمية الامتثال للأمر واجتناب النهي.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف في الصلاة:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث الحث على تسوية الصفوف في الصلاة ويظهر ذلك فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يمسح مناكب المصلين في الصلاة، أي يُسوي الصفوف بنفسه وهذا يدل على أهمية تسوية الصفوف في الصلاة ويؤيد ذلك قوله ﷺ ((سَوُّوا صفوفَكم فإنَّ تَسوِيةَ الصفوفِ مِن إقامةِ الصلاة))[(٢)] وقال أيضًا ((أقيموا الصفوفَ فإني أراكم خَلفَ ظهري))[(٣)]، وحذر من عدم تسوية

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٤٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٣، ومسلم ٤٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٨.

الصفوف فقال ﷺ ((لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم))[1].

قال النووي رحمه الله: (معناه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تغير وجه فلان علي أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه علي لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف البواطن)[2].

يتضح من ذلك أن رسول الله ﷺ يدعو إلى كل ما يجمع المسلمين ويحقق بينهم المحبة وينهى عما يدعو إلى البغضاء والكراهية وفي دعوته لتسوية الصفوف تحقيق ذلك.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقديم أهل الفضل:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذين الحديثين تقديم أهل الفضل يدل على ذلك قوله ﷺ "ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم".

قال النووي: (فيه تقديم الأفضل فالأفضل إلى الأمام لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام عن السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها، وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الأمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس، والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة)[3].

فعلى الدعاة إلى الله الحث على تقديم أهل الفضل في كل مناحي الحياة من أجل صالح الأمة وخيرها.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديثين إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم ويفهم ذلك من دعوته ﷺ لتسوية الصفوف من أجل عدم الاختلاف وحذر من

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٧، ومسلم ٤٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٦، ٣٦٧.

الخصومة والاختلاط والخصومات وارتفاع الأصوات التي تحدث في الأسواق بقوله: ((وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ))[١] فحذر من هذه الفتن أن تحدث في المساجد.

فمن مهام الداعية أن يرشد المدعوين إلى ما فيه نفعهم لأن ذلك من باب التعاون على البر، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٣] وقال ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٤].

فينبغي على الداعية إرشاد الناس إلى ما ينفعهم وينفعه أيضًا بحصول الثواب.

خامسًا- من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم:

إن من واجبات الداعية التي تبرز من هذين الحديثين إنزال الناس منازلهم وهذا يظهر في قوله ﷺ "ليلني أولو الأحلام والنهى" حيث قدّم ﷺ أولي العقول النيرة البالغين من المصلين على غيرهم مراعاة لفضلهم ومنزلتهم.

إن النظام محبب في الإسلام، وإنزال الناس منازلهم أمر في غاية الأهمية وذلك لأن تقدم الصغار على الكبار والوضعاء على ذوي الهيئات فيه إهدار للقيم الإسلامية في احترام الكبار ومن هم أهل للتقدير والاحترام، ومن هنا كان تنظيم النبي ﷺ للصفوف أثناء الصلاة وأمره بتقدم الأكمل سنًا وعقلاً فمن بعده، وهكذا ليستخلف منهم في الإمامة من أراد ولينبهوه إذا سها ويحفظوا فعله ويعرفوا قوله ليبلغوه الناس على وجهه الصحيح، ومثل الصلاة وغيرها كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والإفتاء، تشجيعًا على التقدم ودفعًا للتنافس الشريف على بلوغ الهيئات الكريمة والمناصب الحميدة[٥].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٢.

(٢) سورة المائدة، من آية: ٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ٢٥٥.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يدل على أهمية إنزال الناس منازلهم، منها ما رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد بن معاذ فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار ((قوموا إلى سيِّدِكُمْ -أو خَيركم-))[١].

قال النووي: فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا[٢]. فعلى المسلمين بشكل عام، والدعاة إلى الله بشكل خاص أن يعرفوا للناس فضلهم ويؤدوا إليهم حقهم، وينزلوهم منازلهم، عسى أن يملكوا في الدعوة قلوبهم، ويجذبوا إليها نفوسهم، فيتقبلوا طائعين هدى الله عز وجل[٣].

(١) أخرجه البخاري ٣٠٤٣، ومسلم ١٧٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١١٣٧.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ١٥٦.

الحديث رقم (٣٥٠)

٣٥٠- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) ثَلاثًا ((وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاق)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

هيشات الأسواق: اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها[2].

الشرح الأدبي

أسلوب أمر يقرر ضرورة التصاف على هيئة مخصوصة يقدم فيها أهل الفضل من أولي التقوى والعلم، والحلم، ومَعْنَاهُ الَّذِينَ يَقْرُبُونَ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْوَصْف. قَالَ النَّوَوِيّ: فِي هَذَا الْحَدِيث تَقْدِيم الأَفْضَل فَالأَفْضَل إِلَى الإِمَام لأَنَّهُ أَوْلَى بِالإِكْرَامِ، وَلأَنَّهُ رُبَّمَا اِحْتَاجَ الإِمَام إِلَى اِسْتِخْلاف فَيَكُون هُوَ أَوْلَى، وَلأَنَّهُ يَتَفَطَّن لِتَنْبِيهِ الإِمَام عَلَى السَّهْو لِمَا لا يَتَفَطَّن لَهُ غَيْره، وَلِيَضْبِطُوا صِفَة الصَّلاة وَيَحْفَظُوهَا وَيَنْقُلُوهَا وَيُعَلِّمُوهَا النَّاس وَلِيَقْتَدِيَ بِأَفْعَالِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وتكرار الأمر ثلاثاً تأكيد على أهمية الأمر، وتنبيهاً لمن لم يسمع في الأولى، وقوله (وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاق) أسلوب تحذير من الاختلاف والنزاع، لأن المسجد مكان سكينة، والصلاة متنزلها، والاختلاف والتنازع مضيع لها، وهيشات الأسواق أَيْ اِخْتِلاطهَا وَالْمُنَازَعَة وَالْخُصُومَات وَارْتِفَاع الأَصْوَات وَاللَّغَط وَالْفِتَن الَّتِي فِيهَا.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١٢٣/٤٣٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٧. وانظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٥١)

٣٥١- وعن أَبي يَحيَى، وقيل: أَبي محمد سهلِ بن أَبي حَثْمة -بفتح الحاءِ المهملة وإسكان الثاءِ المثلثةِ- الأنصاري ﵁، قَالَ: انطَلَقَ عَبدُ اللهِ بنُ سهْلٍ وَمُحَيِّصَة بن مَسْعُود[1] إِلَى خَيْبَرَ - وَهِيَ يومَئذٍ صُلْحٌ- فَتَفَرَّقَا، فَأتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عبدِ اللهِ بنِ سهل وَهُوَ يَتشَحَّطُ في دَمِهِ قَتِيلاً، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبدُ الرحمان بنُ سهل وَمُحَيِّصَةُ وحوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبدُ الرحمان يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: ((كَبِّرْ كَبِّرْ)) وَهُوَ أحْدَثُ القَوم، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: **((أتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟ ...))** وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

سهل بن أبي حَثْمَة: هو سهل بن أبي حَثْمة -واسم أبيه عبدالله، وقيل عامر- وقيل: هو سهل بن عبدالله بن أبي حثمة بن ساعدة بن عامر بن عديّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأَوْس الأنصاريُّ الأُوسيُّ، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو يحيى، ويقال: أبو محمد المدني، له صحبة ورواية وكان ﵁ من صغار الصحابة، ولد سنة ثلاث من الهجرة، ومات النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين أو ثمان سنين -كما قال بعض العلماء- ولكنه حفظ عنه، وقال الذهبي: أظن سهلاً مات زمن معاوية في أول أيامه[3].

---

(١) زاد البخاري: (ابن زيد)، ولم يذكرها الحميدي في جمعه (٤٧٥/١، رقم ٧٦٣) فتبعه عليه المؤلف.

(٢) اخرجه البخاري (٣١٧٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٩/٢).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٠٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٧٠/٢، ٥٧١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٤٦، ٥٤٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٢/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٢٢/٢)، والسندي (٤٨١/٢٤).

غريب الألفاظ:

خيبر: مجموعة من الحصون تقع شمال المدينة المنورة بـ ١٧٠كم على الطريق منها إلى الشام. فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة في أول المحرم ٧هـ[١].

يتشحّطُ في دمه: أي يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ[٢].

كبّر كبّر: يتكلم الأكبر[٣].

وتستحقون قاتلكم: معناه يثبت حقكم على من حلفتم عليه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى بعض السلوكيات الاجتماعية التي يجب أن تراعى بين المسلمين حتى يعرف الصغير حق الكبير، ويراعي الكبير مشاعر الصغير، وأسلوب الحديث يقوم على الحوار الذي يصور الأحداث، وقوله (وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلاً) كناية عن قتله، ومنازعته خروج الروح، وقيمة التعبير بالكناية هنا أنه صوَّر المعنى بهيئته الدالة على تحققه مع ما تثيره صورة المتشحط في دمه من رعب، وخوف، وقول الرسول ﷺ لأولياء المقتول لما همَّ الصغير منهم بالكلام (كَبِّرْ كَبِّرْ) أسلوب أمر بمعنى قدِّموا الكبير أو، ابدأوا بالكبير، وهو من باب الأدب، وتقديم ما هو أولى وقول الراوي(فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ) استخدام فاء العطف دليل على سرعة امتثال القوم لأمر الرسول ﷺ، وسرعة إجابته لهم، وقوله: ((أَتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ ؟ ...) استفهام تقرير يرتب عليه استحقاقهم لدية المقتول.

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي ١٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ح ط).

(٣) رياض الصالحين ١٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٦.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القسامة في الدماء، وهي حلف خمسين يمينًا أو جزءها على إثبات الدم[١].

وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى مشروعية القسامة، ولم يخالف فيها إلا الحكم ابن عيينة وسليمان بن يسار وإبراهيم بن علية وأبو قلابة وعمر بن عبدالعزيز في رواية عنه.

واتفق الفقهاء القائلون بها على أن القسامة تكون خمسين يمينًا يحلفها أولياء الدم، وأنها لا تكون إلا في القتل فقط، ولا تصح في الجراح والأطراف، واختلفوا في الواجب بها على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[٣] والشافعي في الجديد[٤] وهو ما عليه المذهب أن موجب القسامة الدية فقط سواء أكانت في عمد أم خطأ.

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٦/٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٤٦/٨، وشرح حدود ابن عرفة ص ٤٨٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٨ وما بعدها، وتحفة المحتاج ٥٨/٩ وما بعدها، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٢٩/٣.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٦/٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٤٦/٨.

(٤) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها.

القول الثاني: ذهب المالكية[١]، والشافعي في القديم[٢]، والحنابلة[٣] إلى أن الواجب في القسامة القود إن كان القتل عمدًا، والدية إن كان القتل خطأ.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: صلح خيبر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من واجبات المدعو: مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل.

أولاً- من تاريخ الدعوة: صلح خيبر:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث صلح خيبر وهذا يدل عليه قول الراوي: فانطلق عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح أي: بعد صلح خيبر.

وصلح خيبر كان في شهر محرم عام ٧ هجرية، وكان سبب غزوة خيبر: العداوة المستمرة التي أعلنها اليهود في خيبر واتصالهم بغطفان يحرضونهم على المسلمين، والحلف المعقود برئاسة خيبر والذي أراد مداهمة المدينة المنورة.

فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث مدة من الأيام ثم خرج غازيًا إلى خيبر وكان الله عز وجل وعده إياها وهو بالحديبية. وسماها فتحًا قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾[٤]. وقال السعدي: ("وأثابهم فتحًا

(١) شرح حدود ابن عرفة ٤٨٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٨ وما بعدها.

(٢) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها.

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٦، وشرح منتهى الإرادات ٣٢٩/٣.

(٤) سورة الفتح، الآيتان: ١٨، ١٩.

قريبًا" هو فتح خيبر ولم يحضره سوى أهل الحديبية)[١].

وكان هدف غزوة خيبر: القضاء على تآمر اليهود وحلفهم المبرم ضد المسلمين وإنهاء تأليبهم ضد المسلمين.

وفتح المسلمون حصون خيبر: النَّطاة "ناعم والصعب وقله" والشِّقّ "أُبي والبرئ" والكتيبة "القموص والوطيح والسلالم" وترك ﷺ الأرض لأهل خيبر بشطر ما يخرج منها وقال "نقركم ما شئنا" وقسم الغنائم بين من حضر الغزو من المسلمين[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ وذلك عندما أراد عبدالرحمن بن سهل رضي الله عنه أن يتكلم فقال له رسول الله ﷺ "كبر كبر" فسكت.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٣].

وقد أمر الله المؤمنين بالامتثال لأمر رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٤] قال السعدي: (ما جاء به الرسول، يتعين على العباد الأخذ به وإتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٨.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٤٢/٣ وما بعدها.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

وصحابة رسول الله ﷺ كانوا يحبون رسول الله ﷺ ويقدرونه ويحرصون على رضائه ويمتثلون لأوامره. فعلى الدعاة بيان امتثال الصحابة لأوامر رسول الله ﷺ والاقتداء بهم في ذلك.

ثالثًا- من واجبات المدعو: مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل:

من واجبات المدعو التي تظهر من هذا الحديث مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل ومما يدل على ذلك أنه عندما تكلم عبدالرحمن بن سهل في حضرة من هو أكبر منه أمره رسول الله ﷺ بترك الكلام لمن هو أكبر منه وقال: "كبر كبر"، وقال القاضي عياض: (ففي هذا الحديث مراعاة السن والتقديم للأشياخ والكبراء في الكلام وفي الجماعة في محافل الناس وأمورهم، إذا كانت القضية تخص جميعهم لكونهم أولياءه، وكذلك يجب التقديم في الأمور والولايات وغيرها مع استواء الأحوال)[1].

وقال ابن علان: (قال العاقولي: قوله ﷺ لعبد الرحمن "كبر كبر" إرشاد وتأديب لأنهما أبناء عم أبيه وقد حضرا معه لنصره، وإذا لم يوقرهما بأن يجعل الكلام إليهما فقد أضاع حقهما، إذ لا نصيب لهما في الإرث، ولا ترك لهما مجالاً في القول، والإنسان إنما يتسلى بأحد هذين: مال يأخذه، أو كلام ينصت إليه فيه ويذعن له.

ويؤخذ من الحديث استحباب تقديم الأكبر سنًا، لأن حويصة أسن من عبدالرحمن ورتبة؛ فإنه في عداد والده)[2]. (فأرشده النبي ﷺ إلى أن من الأدب أن يتكلم الأكبر، فإذا نسي شيئًا أو احتاج إلى مساعدة تكلم الأصغر، وهكذا يعرف كل إنسان مكانه، ولا يتعدى شيخ على حق شاب ولا شاب على حق شيخ، ويسير المجتمع إلى طريقه المنشود في هدوء وحب واطمئنان بلا حزازات أو خور في الفكر أو تصدع في الأخلاق)[3]. وهذا من الآداب الإسلامية في التعامل وهي تقديم الأكبر احترامًا وتقديرًا لسنه ومكانته.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٥٨/٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٢٥٦.

وتقديم الأكبر سنًا مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم وذلك لأن الإسلام يهدف إلى إقامة المجتمع الإسلامي على أساس من الاحترام والتقدير.

قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ))[١]. ويؤيد أهمية تقديم الأكبر في الكلام فعل ابن عمر رضي الله عنهما، حيث لم يتقدم بين يدي من هو أكبر منه قال: قال رسول الله ﷺ ((أخبِرُوني بشجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المسلم تُؤتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها، ولا تَحتُّ ورقَها، فلما لم يتكلما قال النبيُّ ﷺ: هي النخلة. فلما خَرَجتُ معَ أبي قلتُ: يا أبتَاه وقعَ في نفسي النخلةُ. قال: ما منعكَ أن تقولها؟ لو كنتَ قلتَها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا. قال: ما منَعَني إلاَّ أني لم أرَك ولا أبا بكرٍ تكلَّمْتَا، فكرِهتُ وفي رواية أحمد والدارمي: فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ))[٢]. فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى هذه الآداب ويجب على المدعو مراعاة هذه الآداب في الكلام وغيره من الأفعال.

وقال القاضي عياض: (ففي هذا الحديث مراعاة السن والتقديم للأشياخ والكبراء في الكلام أو في الجماعة في محافل الناس وأمورهم، إذا كانت القضية تخص جميعهم لكونهم أولياءه، وكذلك يجب التقديم في الأمور والولايات وغيرها مع استواء الأحوال)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري ٦١٤٤، ومسلم ٢٨١١، وأحمد ٤٥٨٥، والدارمي ٢٨٢.

(٣) إكمال المعلم ٤٥٨/٥.

الحديث رقم (٣٥٢)

٣٥٢- وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أن النَّبيّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُد (يَعْنِي فِي القَبْرِ) [1]، ثُمَّ يَقُولُ: ((أيُّهُما[2] أكْثَرُ أخذًا للقُرآنِ؟)) فَإذَا أُشيرَ لَهُ إِلَى أحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ. رواه البخاري[3].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل القرآن الكريم، وأثره على صاحبه في الحياة، وفي الممات، وقد جاء المعنى في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد إشعاراً بأهمية الخبر، واستشعاراً لمكانة من يُخبر عنه، وقول الرسول ﷺ (أيُّهما أكْثَرُ أخذاً للقرآنِ ؟) استفهام، وإن كان على حقيقته إلا أنه يفيد الترغيب في حفظ القرآن، ودعوة لتكريم حافظه، وتقديمه على غيره في مواطن التكريم يدل على ذلك تقديمه الأحفظ للإمامة، وتقديمه على غيره عند اللحد كما ورد في هذا الحديث، وأفعل التفضيل تدل على ذلك: (أكثر) وتشير إلى أن الفضل يرتبط بمقدار الأخذ من القرآن الكريم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى حكم وفيه أكثر من ميت في قبر واحد وهو يوضح جواز ذلك نصًا عنه ﷺ وأنه يقدم إليه أكثرهم حفظًا للقرآن.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أيّهم) والمثبت عنده برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (١٣٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٥).

وقد ذكر الفقهاء[١] أنه يسن أن يكون لكل ميت قبر واحد ولا يجمع في القبر بين اثنين فأكثر إلا لضرورة، فإن كانت هناك ضرورة جاز الجمع بين اثنين فأكثر على أن يقدم في الدفن أفضلهما وأكثرهما حفظًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى لشهداء أحد.

رابعًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

١- الإخبار: حيث أخبر جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، وأسلوب الإخبار له أهمية بالغة في عرض الحقائق، خاصة إذا كان يعرضها بأسلوب هادئ، وذلك مناسب في عرض الحقائق خاصة عندما تكون النفس مهيأة لقبولها[٢].

٢- السؤال: ورد السؤال في قوله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة، لذا ينبغي على الداعية أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني للقيام ببعض واجبات

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣١٩/١، والمبسوط ٦٥/٢، وشرح السير الكبير ٢٣٤/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٦/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٨/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٣٦/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٢٤٧/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٤٠٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٢١/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٧٧/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٦٢/٥.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ٢٤٢، ٤٢٩.

وظيفته التي يضطلع بأعبائها[١]، والسؤال من أكبر روافد العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد:

إن تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد يدل على فضلهم، وهذا ما ورد في قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يجمع الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد" وذلك فضل القرآن والعلم اللذين هما سببا رفع الدرجات قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣].

قال الطاهر بن عاشور: (والدرجات مستعارة للكرامة[٤] وفي الحديث إشارة إلى إكرام أهل العلم وأهل الفضل[٥] وفي تقديم المكثر من حفظه للقرآن تعظيم لشأنه وتشريف لما خص به من أكثرية الأخذ للقرآن، وظاهر منه بالأولى تقديم الآخذ لشيء من القرآن على من لم يأخذ بالمرة[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى لشهداء أحد:

هذا التكريم من الله تبارك وتعالى لهم له صور متعددة منها أن الله عز وجل أكرمهم بدفن رسول الله ﷺ لهم بنفسه.

ويتضح ذلك بصورة مباشرة في الحديث "فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد" وقد كان بعض أهالي الشهداء نقلوهم إلى المدينة ليدفنوا فيها ولكن نادى منادي رسول الله

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٥٨/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٤٢/٢٨/١١.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٢١/١.

(٦) انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٤.

أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم فأعادوهم[١] فحسبهم فضلاً أن الذي تولى دفنهم رسول الله ﷺ، ناهيك عما أعده الله لهم من نعيم مقيم وحياة طيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وفي ذلك إخبار من الله عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار[٣].

روي عن مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ هَٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٤] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا رسول الله ﷺ عَنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذٰلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ. فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا))[٥].

رابعًا- من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

لقد أعطانا الحديث صورة من صور الهدي النبوي التي ينبغي أن يقتدى بها وهي تكريم الرسول ﷺ للشهداء بأن باشر دفنهم بنفسه، وتكريمه لأهل القرآن بتقديمهم على غيرهم ويتضح ذلك من قوله "ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٤٣٥/٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦١/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد" لذا ينبغي إنزال الناس منازلهم خاصة أهل القرآن، وقد صرح النبي ﷺ بخيريتهم فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[1].

وهذا لون وصورة من صور إنزال الناس منازلهم التي ينبغي للداعية مراعاتها، حيث يعامل الناس على حسب أقدارهم، وذلك لا يقتصر على فترة الحياة وإنما يمتد ليشمل الإنسان حتى بعد مماته[2]. وهذا مبدأ ونظام حث عليه الإسلام وظهر من خلال هذا الحديث الذي معنا إذ يصل الأمر بالإسلام على رعاية مبدأ النظام في ترتيب الناس حسب مستواهم العلمي والثقافي بعد الموت، فيقدم الأحفظ للقرآن والأعلم به على من ونه جهة القبلة تشريفًا له وتعظيمًا، وفي ذلك ما فيه من الحث على العلم وتقييم الناس على أساسه، فصغير عالم يقدم على كبير جاهل، كل ذلك ليحرص الناس على الارتفاع بمستواهم العلمي والثقافي، عملاً على سمو المجتمع وتقدمه وإيصاله إلى أسمى الأماكن بين الشعوب[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٢٥٦.

الحديث رقم (٣٥٣)

٣٥٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((أرَانِي فِي المَنَامِ أتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءنِي[1] رَجُلانِ، أحَدُهُما أكبر مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إلَى الأكْبَرِ مِنْهُمَا[2])) رواه مسلم مسندًا والبخاري تعليقًا[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفاً طريفاً في رؤيا رآها النبي ﷺ، ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، وقول الرسول ﷺ (أرَانِي فِي المَنَامِ أتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ) فيه جناس بين أتسوك، بسواك) يوضح المعنى ببيان الصلة بين الفعل، وبين الاسم الذي وقع مفعولاً له، وبين قوله: (الأصغر، الأكبر) تضاد يفصح عن جوهر القضية حيث بدأ النبي ﷺ بالأصغر فناوله السواك، فقالا له (كبر كبر) أي ابدأ بالكبير أو قدم الكبير، وقوله (فَدَفَعْتُهُ إلَى الأكْبَرِ مِنْهُمَا) يشير إلى أن البداية بالكبير صارت سنة؛ لأن فعله - ﷺ - في المنام كفعله في اليقظة، وهي ترغيب في تقديم ذي السن في السواك، وكذلك ينبغي تقديم ذي السن في الطعام، والشراب، والكلام، والمشي، والكتاب، وكل منزلة قياسًا على السواك ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا، فالسنة تقديم الأيمن فالأيمن كما تقدم في السنة في الشراب.

---

(١) لفظ مسلم في الموضعين: (فجذبني)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢/٢٥٤، رقم ١٣٨٣)، وكذا عند البخاري بهذا اللفظ.

(٢) (منها) لا توجد عند مسلم، والمثبت لفظ البخاري، وكذا هو عند الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه مسلم (٧٠/٣٠٠٣) واللفظ له، والبخاري (٢٤٦) تعليقًا.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى سنة من السنن المروية عن النبي ﷺ وهي السواك، وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في كل وقت وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ويكره السواك للصائم في آخر النهار عند الشافعية، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالوا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رؤيا الأنبياء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة السواك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: توقير الكبير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والأمر:

١- الإخبار: لقد وظّف النبي ﷺ الإخبار في إعلامه ﷺ بالرؤيا التي رآها فقال: "أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر".

ب- الأمر في قوله "كبّر"، وقد أفاد الأمر في هذا الحديث فائدة عظيمة وهي أهمية تقدير الكبار وتقديمهم على مَنْ هم دونهم في السن.

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٤/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٣٠/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، وأحكام القرآن، ابن العربي. تحقيق: علي محمد البجاوي ٧٩/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٣٢٤/١، وإحكام الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٢/٥. والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٦٩/١، والفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

والإخبار والأمر أسلوبان من أساليب الدعوة المفيدة، ففي الإخبار نقل الصورة وبيان الحكم للمدعو، والأمر فيه حث للمدعو على تنفيذ ما دعي إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: رؤيا الأنبياء:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: الرؤيا التي رآها النبي ﷺ "أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان" ورؤيا الأنبياء وحي من الله إليهم، قال محمد بن كعب كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظًا ورقودًا فإن الأنبياء عليهم السلام لا تنام قلوبهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رؤيا الأنبياء وحي[1] وقد ذكر القرآن بعضًا من الرؤى التي رآها الأنبياء عليهم السلام منها رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[2] قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئًا فعلوه[3].

ومن ذلك أيضًا ما أريه النبي ﷺ في منامه من دخوله والمسلمين المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة السواك:

وردت الإشارة إلى فضله في الحديث في رؤيا رسول الله ﷺ أنه يستاك قال: "أراني في المنام أتسوك بسواك" وقد حث النبي ﷺ في أحاديث كثيرة على الاستياك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْلاَ أنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لأَمَرْتُهُم بالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوْءٍ))[5] وفي رواية عند كل صلاة[6].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٢/١٥/٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٢٧/٧، محاسن التأويل، القاسمي ١١٧/١٤/٨.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٥) أخرجه أحمد ٤٦٠/٢ رقم ٩٩٢٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٢/١٦.

(٦) أخرجه أحمد ٢٤٥/٢ رقم ٧٣٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩٣/١٢.

وقال الصنعاني في البدر المنير: (قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث)[١].

وقال ابن قيم الجوزية: (وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: توقير الكبير:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: أهمية توقير الكبير حيث ورد في قوله "فناولت السواك الأصغر، فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما" قال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام، وقال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن[٣].

إن مما تهدف إليه الدعوة الإسلامية: إشاعة الاحترام والتقدير بين الناس، وإنزالهم منازلهم والحرص على ذلك بين أفراد المجتمع الإسلامي، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ: ((ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شرف كَبِيرِنَا))[٤] وفي الحديث الذي معنا أمر النبي ﷺ في الرؤيا أن يقدم الكبير في قوله فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما، وبين الرسول ﷺ أن إكرام الكبير لون من ألوان إجلال الله تبارك وتعالى وإعظام أمره، فعن أبي موسى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[٥][٦].

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ١/٢٢٣.

(٢) الطب النبوي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ص ٢٤٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٤٢٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٤).

(٥) أخرجه أبي داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٢١٩٥).

(٦) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ٢٨/١.

أي: أن من تبجيل الله وتعظيمه: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله[1].

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٥.

الحديث رقم (٣٥٤)

٣٥٤- وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ، وإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ**)) حديث حسنٌ، رواه أبو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

غير الغالي فيه: الغلو: التشديد ومجاوزة الحد. يعني غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه[2].

غير الجافي عنه: غير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه[3].

المقسط: العادل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً لما يتلوه، وتمهيداً لتربة القلوب، وتهيئة للنفوس بغرس الهيبة فيها من جلال ما يتلوها، وقوله (إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى) خبر تضمَّن ثلاث كلمات موحية بطبيعتها، فالأولى لفظ الإجلال، ولا يطلق إلا على مُعظَّم، تلاه لفظ الجلالة (الله) الذي يوحي بصفات الكمال، والجلال، والجمال، ثم الفعل (تعالى) العائد على الله، وهي جملة تنزيهية تربِّي المهابة في نفس السامع، وهذه

---

(١) برقم (٤٨٤٣). قال العراقي في تخريج الإحياء (١٨٧٦): إسناده حسن، وكذا قال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١١٨/٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق س ط).

الألفاظ الثلاثة تمثّل شبه جملة خبر (إن)، وقد قدمت على اسمها للاهتمام من ناحية، ومن أخرى لتحقيق التشويق، وتربية المهابة حتى إذا جاء اسم (إن) صادف نفساً مهيئة، وعقلاً يقظاً. وقوله (إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ) أَيْ تَعْظِيم الشَّيْخ الْكَبِير فِي الإِسْلام بتَوْقِيرِهِ فِي الْمَجَالِس، وَالرِّفْق بِهِ، وَالشَّفَقَة عَلَيْهِ، وَنَحْو ذَلِكَ، كُلّ هَذَا مِنْ كَمَالِ تَعْظِيم اللَّه لِحُرْمَتِهِ عِنْد اللَّه (وَحَامِلِ القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ) فيه إيجاز بالحذف أي: وَإِكْرَام حامل القرآن وهو: حَافِظه، وَسَمَّاهُ حَامِلاً لَهُ لِمَا يَحْمِل من المَشَاقّ الكثيرة التي تَزِيد عَلَى الأَحْمَال الثَّقِيلَة وقوله: (غَيْر الْغَالِي) أَيْ فِي الْقُرآن، وَالْغُلُوّ التشْدِيد وَمُجَاوَزَة الْحَدّ، يَعْنِي غَيْر الْمُتَجَاوِز الْحَدّ فِي الْعَمَل بِهِ، وَتَتَبُّع مَا خَفِيَ مِنْهُ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَانِيه وَفِي حُدُود قِرَاءَته، وَمَخَارِج حُرُوفه، وقوله (وَالْجَافِي عَنْهُ) أَيْ وغَيْر الْمُتَبَاعِد عَنْهُ الْمُعْرِض عَنْ تِلاوَته، وَإِحْكَام قِرَاءَته، وَإِتْقَان مَعَانِيه، وَالْعَمَل بِمَا فيه، وقوله: (وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِط) أي العادل من باب تنزيل الناس منازلهم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى نوع من أنواع حسن الخلق وهو احترام الكبير وذوي الفضل من الناس كالعلماء والسلطان العادل وحملة القرآن.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه ينبغي للمرء إكرام العلماء وأصحاب الهيئة من الناس وأن يقوم تكريمًا لهم، كما يجوز تقبيل يد العالم الورع والسلطان العادل وتقبيل يد الوالدين والأستاذ وكل من يستحق التعظيم والإكرام، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام أو الشفقة لقاء والوداع وتدينًا واحترامًا مع أمن الشهوة.

---

[1] ...يقة محمودية للخادمي ٤/١٦٨، والمدخل لابن الحاج ١/١٨٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤/٤٧٧، ...ب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ...٨٠، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١/١٥٩، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٤٠٨، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ١/٣٢١، ...عة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٣١، ٣٤/٢١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد.

ثانيًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إنزال الناس منازلهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوسط وعدم الغلو.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تكريم ذوي السلطان العدول.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد:

في الحديث يخبرنا النبي ﷺ ويبيّن لنا ضروبًا من ضروب تعظيم الله وتوقيره، ويؤكد هذا الكلام بما يلقى في قلب المدعو الطمأنينة والقبول فقال "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط". فجاء في الحديث الإخبار عن بعض خصائص المؤمنين العامة وسماتهم الأساسية وما جبلوا عليه وتخلقوا به من خلق حسن واحترام لأهل السبق والفضل[1].

ثانيًا- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

يرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى ثلاثة أبواب من أبواب الخير وهي في جملتها من مستلزمات تعظيم الله تبارك وتعالى فقال: (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)، إذ أنه مما ينبغي للداعية أن يرشد المدعوين إلى الخير وكما أمر الله بذلك في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

(١) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ٣٨٧.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٤.

أي: "ولتكن منه أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إنزال الناس منازلهم:

يتضح ذلك من في هذا الحديث من خلال دعوة الرسول ﷺ إلى احترام الكبير وصاحب القرآن، المتسم بالاعتدال والفقه، والسلطان العادل فقال ﷺ "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم" أي الذي شاب شعره أي ابيّض ونفذ عمره في الإسلام والإيمان فتعظيمه وتقديمه في الصلاة بشرطه على غيره وفي المجامع والمجالس وفي القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته، وحامل القرآن تقديرًا لما تحمّل في حفظ القرآن من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره وكذلك "السلطان المقسط" أي العادل في حكمه بين رعيته[٢]، فوجب احترامهم وإنزالهم المنازل اللائقة بهم، وإنزال الناس منازلهم اللائقة بهم من الأمور المهمة التي ينبغي تطبيقها، ومعاملتهم ذلك على حسب أقدارهم[٣]، ولقد أعطانا النبي ﷺ المثل الحي والأنموذج التطبيقي لذلك، ومن ذلك إرشاده إلى الاهتمام بسيد القوم، فروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لما دنا من المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: ((قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ - أَوْ خَيْرِكُمْ))[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوسط وعدم الغلو:

إن مما يستنبط من هذا الحديث: فضل التوسط وعدم الغلو، حيث بيّن رسول الله ﷺ أنه مما ينبغي على المسلم فعله: إكرام حامل القرآن بشرط عدم الغلو والابتعاد عن الجفاء فقال: "وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه" قال المُناوِي: ("وحامل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١١٣

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٠٤، ومسلم ١٧٦٨.

القرآن" أي: قارئه "غير الغالي فيه" أي: غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه "والجافي عنه" أي: التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه)[١] وما وجب علينا إكرامه إلا لفضله وفضل منهجه مع القرآن الكريم من عدم الجفاء والغلو، تبيينًا إلى فضل الوسطية التي اختارها الله شعارًا مميزًا للأمة الإسلامية التي هي آخر الأمم، ووسطية الأمة إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها فهو منهج وسط لأمة وسط، منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط أو من الغلو والتقصير، وإلى هذه الخصيصة البارزة يشير قوله تعالى مخاطبًا أمة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢][٣].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تكريم ذوي السلطان العدول:

إن من الشيم الكريمة تكريم ذوي السلطان العدول، وقد جاء الحث على ذلك في هذا الحديث فبيّن ﷺ أن من ألوان إجلال الله "إكرام ذي السلطان المقسط" قال المناوي: ("وإكرام ذي السلطان" أي: سلطان لأنه ذي قهر وغلبة من السلطة وهي التمكن من القهر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٤] ومنه سمي السلطان وقيل ذي الحجة لأنه يقام به الحجج)[٥]. "المقسط" أي: العادل في حكمه بين رعيته[٦]. وقال طاووس: من السنة أن توقر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد[٧]؛ فالإمام العادل جعله الله قوامًا لكل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٥٢٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٠.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٥٢٩/٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٦.

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨١/٩.

ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل قائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد إلى الله ويقودهم[1] فلا جرم أن وجدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث يحث ﷺ على إكرام ذي السلطان المقسط وجعل ذلك إجلالاً لله تبارك وتعالى.

(1) مقتطفات من وصية الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز، انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف ... ص ٧٣٩-٧٤١.

الحديث رقم (٣٥٥)

٣٥٥- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهم، قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرِنَا**)) حديث صحيح رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

وفي رواية أبي داود[2]: ((**حَقَّ كَبيرِنَا**)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

الشرح الأدبي

صدر المعنى في لافتة قصيرة مدوية يتصدرها تهديد بالخروج عن دائرة الإسلام يرتجف منها قلب كل مسلم لاسيما، وأن المتوعد صادق لم يكذب، ونبي يوحى إليه فقوله: (لَيْسَ مِنَّا) أي ليس من المسلمين الكاملين، و(من) اسم موصول وتعريف المسند إليه هنا بالموصولية للتنبيه على خطأ (لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا) بأن يعطى الصغير حقه من الرفق به، والرحمة، والشفقة عليه، وقوله (وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرِنَا) الواو هنا بمعنى أو، لأن التحذير متعلق بكل واحدة منهما على حدة، وهما من السلوكيات الراقية التي عززها الإسلام، ودعا إليها.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث إلى حكم من أحكام الآداب الشرعية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، ويكون ذلك برحمته وبره بالصغير، وتقديره واحترامه للكبير.

وقد رتب الفقهاء على هذا الحديث أحكامًا عدة منها:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠) واللفظ له. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٨٧٥): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (١٧١).

(٢) بالرقم الذي تقدم.

١- ما سبق القول عنه في الأحاديث رقم (٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧) أن الفقهاء اتفقوا[١] على أنه يسن للرجل تقبيل ولده الصغير وولد قريبه وصديقه ذكرًا كان أو أنثى على سبيل الشفقة والرحمة واللطف، فإن كانت هناك شهوة في التقبيل فهو حرام لخروجه عن معناه المشروع له.

٢- أن الحنفية قالوا[٢] إن التقاط اللقيط مستحب وهو خير من تركه لما فيه من الرحمة بالصغير، وقال جمهور الفقهاء[٣] من المالكية والشافعية والحنابلة إنه واجب على الكفاية لما فيه من إحياء النفس.

٣- وكذا أجمع العلماء[٤] على عدم جواز التفريق بين الأم وولدها حتى يبلغ سواء أكان ذلك بسبب البيع أم الهبة أم القسمة أم غيرها رحمة بالصغير.

٤- وكذا استحبوا القيام لذوي الفضل والعلم من الكبار وعدوا الاستخفاف بهم كبيرة من الكبائر كما ذكر ابن حجر في الزواجر عن اقتراف الكبائر[٥].

---

(١) بريقة محمودية للخادمي ٧٠/٣، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٧٧/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب. زكريا بن محمد الأنصاري ١١٤/٣، وحاشية الجمل على شرح المنهج للعجيلي ١٢٦/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٦٣/٢.

(٢) المبسوط ٢٠٩/١٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٩٧/٣.

(٣) التاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٨٠/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤٩٥/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٤٠٦/٣، والأحكام السلطانية ٣٠٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٥/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٨٧/٢.

(٤) المبسوط ١٣٩/١٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٨/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٦٨/٤، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ١٨٣/٣، وشرح منح الجليل ٤٨/٥، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٤٥/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٠/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣١٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢١٢/٩.

(٥) ١٥٩/١، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٠٨/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الرحمة بالصغار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبار واحترامهم.

رابعًا: من آداب الداعي: الحث على التراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي، والترهيب:

في هذا الحديث نفي النبي ﷺ اتباع السنة عمن لا يرحم الصغير ولا يعرف شرف الكبير، فقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" وهذا في حد ذاته ترهيب من مثل هذه الأخلاق الشائنة فقوله ليس منا (قيل ليس على طريقتنا)[١] وقال العظيم آبادي: (ليس من أهل سنتنا وقيل أي ليس من خواصنا، وهو كناية عن التبرئة)[٢].

والترهيب من أبرز الأساليب الدعوية التي لها تأثير كبير على نفوس المدعوين، وهو أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٣] والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[٤]. والترهيب يكون بالعقوبات في الدنيا وفي الآخرة، وقد وصف الله المؤمنين بتوجههم إلى ربهم رغبة إليه ورهبة منه، قال تعال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾[٥] وقال ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٦٢٤/٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٢٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم، ابن القيم، ص ٣٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٦.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الرحمة بالصغار:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث الحث على الرحمة بالصغار حيث نفى ﷺ كمال الاتباع عمن لا يرحم الصغار فقال "ليس منا من لم يرحم صغيرنا" أي من لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا[١] ونرى في حياته ﷺ المثل التطبيقي فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ((إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ))[٢]. ونهر النبي ﷺ قاسي القلب على صغاره فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: ((من لا يَرْحَم لا يُرحَم))[٣]. وفي ذلك دعوة وحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق[٤] وأخص ما يكون مع الصغار، ولذلك علمنا الرسول ﷺ بتوجيهاته القولية والعملية ما ينبغي لنا أن نمنحه أطفالنا وصغارنا من عطف وحنان وما ينبغي أن نشعر به نحوهم من رحمة[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبار واحترامهم:

وقد دعا النبي ﷺ بمضمون هذا الحديث إلى توقير الكبار واحترامهم ونفي الاتباع الكامل للسنة لمن لم يوقر الكبير فقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" لأن من صور الاحترام المحمودة إكرام الصغير لمن هو أكبر منه سنًا أو أكثر منه فضلاً، فإن ابن عمر لما عرف جواب سؤال رسول الله ﷺ عن الشجرة التي تشبه المسلم لم يُجب احترامًا لمن هو أكبر منه فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ منَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُها كمَثَلِ المُسْلم. فأردتُ أَنْ أَقولَ هيَ النَّخلةُ، فإذا أنا

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٦٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٧، ومسلم ٤٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٩٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٠١.

(٥) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢٢٨.

أصغرُ القومِ، فَسَكتُّ. قال النبيُّ ﷺ: هيَ النَخلةُ))[١] والكبير في قومه لا يليق أن يقابل بغير الإكرام فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ((إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ))[٢] وتوقير الكبير واحترامه، والتعامل مع الآخرين بالأخلاق الكريمة يؤدي إلى وحدة الصف وتأليف القلوب، وإزالة الدخن وإغاظة العدو[٣].

رابعًا- من آداب الداعي: الحث على التراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع:

إنَّ مما ينبغي على الداعي أن يحرص على فعله حث المدعوين على التحلي بمكارم الأخلاق والتي منها ما ورد في الحديث "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" والتراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع والتمسك بمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار، فالأخلاق الإسلامية تمثل معاقد الترابط في المجتمع الإسلامي[٤].

وما أمر الإسلام بمكارم الأخلاق والتمسك بها إلا لتحرير البشرية من الرق في جميع أشكاله وتحريك الإنسان من أجل السعي والدأب على الاحتفاظ بالخصائص الإنسانية وعدم الانحراف في توجيهها أو في ممارستها. وأن يبقى الأفراد على مستوى إنساني لا يستذل واحد آخر ولا يؤذي فردٌ فردًا في بشريته، وبهذا يكون المجتمع مجتمعًا إنسانيًا كل فرد فيه يشعر بالطمأنينة وبالارتياح في صلته بغيره[٥]. وبذلك تدب الروح الحقيقية في المجتمع التي لا تتحقق إلا بالرجوع واستلهام نصوص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧١٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٩١).

(٣) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٨١-٤٨٤.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢٣-٣٥.

(٥) الدين والحضارة الإنسانية، محمد البهي، ص ٨٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

الحديث رقم (٣٥٦)

٣٥٦- وعن ميمون بن أَبي شَبيب: أنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّ بها سَائِلٌ، فَأعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بها رَجُلٌ عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأقْعَدَتهُ، فَأكَلَ، فقيلَ لَهَا في ذلِكَ؟ فقَالتْ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**)) رواه أبو داود[1]. لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة.

وقد ذكره مسلم في أول صحيحه[2] تعليقًا فقال: وذكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ننزل الناس منازلهم، وَذَكَرَهُ الحَاكِمُ أَبُو عبد الله في كتابه ((مَعرِفَة عُلُومِ الحَديث))[3] وَقالَ: ((هُوَ حديث صحيح)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

كسرة: قطعة من الخبز[4].

الشرح الأدبي

الحديث يدل على مدى امتثال آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لتوجيهات رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسارعتهم إلى تنفيذ أوامره، ، وهذا الموقف من أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يقرر ذلك عملياً، وقد حكى الراوي الموقف في أسلوب خبري مؤكد ب(إن) وبتقديم المسند إليه (عائشة) على

---

(١) برقم (٤٨٤٢).

(٢) المقدمة (٦/١). وقال ابن الصلاح في صيانته (ص: ٨٤): وفيما قاله أبو داود توقف ونظرٌ، فإنه كوفي متقدمٌ قد أدرك المغيرة بن شعبة، ومات المغيرة قبل عائشة رضي الله عنها، وعند مسلم التعاصر مع إمكان التلاقي كافٍ في ثبوت الإدراك، فلو ورد عن ميمون هذا أنه قال: لم ألقَ عائشة أو نحو هذا لاستتام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه، وهيهات ذلك، والله أعلم. وجزم بصحته في مقدمته (ص: ٢٧٦)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٥٦٧.

(٣) (ص: ٢١٧، النوع السادس عشر) ونصه: فقد صحت الرواية عن عائشة.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك س ر).

الخبر الفعلي (مر بها) بعثاً للإحساس بأهمية الخبر في قلوب المخاطبين وتنكير كلمة(سائل) للإفراد أي للقصد إلى فرد مما يقع عليه اسم الجنس، وفي هذا إشارة إلى إكرام أي سائل، واستخدام الفاء في الربط (مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً) يدل على المسارعة في إجابة السائل مما يدل على تمكن حب العمل الصالح في قلبها وقوله (كسرة) تنكير الكلمة للتقليل أي كسرة صغيرة، وقوله: (وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ) تكرار الفعل يدل على كثرة من كان يقصدها من أهل الحاجة، وهو دليل على كرمها، وسخائها رضي الله عنها وقوله: (عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ) كناية عن كونه صاحب مكانة، قوله: (فَأَقْعَدَتهُ، فَأَكَلَ، فقِيلَ) فاء العطف تنبيء بالمسارعة بالإكرام، والفعل يدل على الزيادة في إكرام ذي الهيئة عن سابقه، وقوله: (فقِيلَ لَهَا فِي ذلِكَ) فيه دلالة عن سؤال سائل متعجب من تغاير الموقفين مع السائلين، فكانت إجابتها بحديث الرسول ﷺ (أنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) وهو كناية عن معاملة كُلّ أَحَد بِمَا يُلائِم مَنْصِبه فِي الدِّين وَالْعِلْم وَالشَّرَف أي احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عمر، ودين، وعلم، وشرف، فلا تسووا بين الخادم والمخدوم، والرئيس، والمرؤوس؛ فإنه يورث عداوة، وحقدا في النفوس، وقد عد أهل الأدب هذا الحديث من الأمثال، والحكم.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث لحكم من الأحكام الفقهية المتعلقة بالآداب الشرعية، حيث ينبغي احترام ذوي الهيئات من الناس وإنزالهم منازلهم التي تليق بهم وليس في ذلك تهوينًا من شأن غيرهم وهذا ما فعلته أم المؤمنين عائشة هنا.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يستحب إفساح المجلس لذوي الفضل والعلم من الكبار

---

(١) بريقة محمودية للخادمي ١٦٨/٤، والمدخل لابن الحاج ١٨٢/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر ، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١٥٩/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٨٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٠٨/١، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢١/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/١٣.

وأن ينزلوا منازلهم التي يستحقون من التوقير والاحترام، وأن الاستخفاف بهم لا يليق بمسلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد، والأمر.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين، وإنزال الناس منازلهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى البذل والعطاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: العطف وتوقير الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد والأمر:

يظهر أسلوب الإخبار في قول ميمون بن أبي شبيب راوي الحديث: أن عائشة مرّ بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل.

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة، لذا ينبغي على الدعاة الحرص على الافادة من أسلوب الإخبار، بذكر ما يثبت صدق كلامهم وصحته، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في تقرير عدد من القضايا والأحكام، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[1] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

وقد ورد الأمر في قوله ﷺ: "أنزلوا الناس منازلهم" لتأكيد أهمية احترام وتقدير ذوي الهيئات ومن لهم مكانة مرموقة في المجتمع، ولا شك أن هذه الأساليب لها تأثير إيجابي على المدعو. وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية البارزة والتي لها أثر كبير وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3]

---

(١) سورة التغابن، آية: ٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[(١)].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى إنزال الناس منازلهم:

الشاهد على ذلك من الحديث الذي نحن بصدد بيان المضامين الدعوية فيه: قوله ﷺ "أنزلوا الناس منازلهم" حيث أرشد النبي ﷺ المدعوين المسلمين خاصة إلى احترام وتقدير ذوي الهيئات من خلال أمره بإكرامهم والتعامل معهم بما يليق بهم حتى وإن بدت عليهم الفاقة والحاجة، لأن الإسلام يحرص على ترسيخ القيم والمبادئ ومنها: قيمة الاحترام وقيمة التقدير، وعدم التنكر للآخرين لمجرد وتغير أحوالهم، وتبدّل أوضاعهم وهذا مما استشرى في هذا العصر الذي غابت فيه كثير من القيم النبيلة التي أمر بها الإسلام.

إن الأمور المهمة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها، وينتبه إليها، ويحرص على تطبيقها: إنزال الناس منازلهم، ومعاملتهم على حسب أقدارهم، وما ذاك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم وشدهم إلى الإسلام لا سيما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام أو كان ذا منزلة مرموقة في الناس، أو كان ذا نعمة معروفًا بها، أو كان ذا كفر يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه، أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيا.

ويتضع لنا أهمية مراعاة الداعية لهذا الأمر من فعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وامتثالها لأمر النبي ﷺ "انزلوا الناس منازلهم" إذ مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل، لذا ينبغي أن يُعنى الدعاة بإرشاد المدعوين إلى إنزال الناس منازلهم وإحياء قيم الاحترام والتقدير في حياتهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى البذل والعطاء:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: الدعوة إلى البذل والعطاء من خلال ما ورد في الحديث: أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل فأعطته، فإن حب البذل والعطاء والدعوة إليه والتخلق به له من الآثار الاجتماعية العظيمة، وهو دليل على علو

(١) سورة الطلاق، آية: ٧.

الفطرة وسمو الطبع وارتقاء الإنسانية وراحة العقل[١]، وقد حث القرآن على البذل والإنفاق وسخاوة النفس بإعطاء الإنسان من أحب ما يملك، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، فمن صفات المتقين في هذه الآية أنهم ينفقون في عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قل[٤]، وعن عدي بن حاتم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ))[٥].

رابعًا- من صفات الداعية: العطف وتوقير الناس:

من الأخلاق الحسنة التي دعا إليها الشرع: العطف وتوقير الناس وكما هو ظاهر في الحديث: (مرّ بها - عائشة رضي الله عنها- سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها) أي المذكور من صنيعها بالمارين بها وتفريقها بينهما حيث أعطت واحدًا وأقعدت الآخر فذكرت قول رسول الله ﷺ: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))، أي: عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف[٦]، فاحفظوا على كل أحد منزلته وأكرموا كلا على حسب فضله وشرفه[٧].

---

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٤١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٠١٦.

(٦) انظر: عون المعبود، المباركفوري ص ٢٠٩٥.

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٩/٩.

وهذا الحديث مما أدب به النبي ﷺ أمته في إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء وإكرام ذي الشيبة وإجلال الكبير، وما أشبهه[١]. وذلك كله يندرج تحت حسن الخلق والأدب الذي هو مقام الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] فالداعية الناجح من يقتدي برسول الله ﷺ فيكون للمدعوين بمنزلة الأب يعطف عليهم ويهتم بأحوالهم وقضاياهم، ويوقر كبيرهم وذا الشأن فيهم، فإذا فعل ذلك، فحري إذا قال يسمع لقوله وإذا أمر يمتثل لأمره.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٨، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٧٢١/١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (٣٥٧)

٣٥٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ[١]، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ[٢]، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَاب مَجْلِس عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي[٣]، لَكَ وجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأميرِ، فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأذَن له[٤]، فَأذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه[٥]، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي[٦] يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ، فغضبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَإنَّ هَذَا مِنَ الجاهِلِينَ. واللهِ مَا جَاوَزَهاَ عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عليه، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. رواه البخاري[٧].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

القُراء: العلماء العُبّاد[٨].

هـي: ويقال: هيه وتبدل الهاء الاولى ألفًا فيقال إيه. وهي كلمة تقال لغرضين:

---

(١) عند البخاري زيادة: (ابن حذيفة بن بدر).

(٢) عند البخاري زيادة: (ابن حصن).

(٣) عند البخاري زيادة: (ها).

(٤) لفظ البخاري في هذه الرواية: (قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل، قال). وأما عنده برقم (٤٦٤٢): (قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فستأذن الحر لعيينة).

(٥) قوله: (فأذن له عمر) عند البخاري برقم (٤٦٤٢).

(٦) (هي) عند البخاري برقم (٤٦٤٢).

(٧) برقم (٧٢٨٦) وقد تقدم كذلك برقم (٥٠).

(٨) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٣.

الاستزادة من عمل أو حديث. والآخر: الزجر والتهديد والكف. والذي يقتضيه السياق أنه أراد بهذه الكلمة الزجر وطلب الكف لا الازدياد[١].

الجزل: الكثير العظيم من كل شيء[٢].

هم أن يوقع به: يضربه[٣].

كان وقافًا عند كتاب الله تعالى: أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث فيه إشارة إلى حنكة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في سياسته، واختيار مستشاريه، وفيه إشارة إلى حلمه، وسيطرته على غضبه، ووقوفه عند كتاب الله، والعمل به، وقوله (وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ) يقرر أنه كان من أهل الفضل إيمانا، وعملاً، وقراءة لكتاب الله، وقوله (وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَاب مَجْلِس عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ) يشير إلى أن أهل الثقة الأحق بها هم حفظة كتاب الله العاملون به، الذين يصدرون عن أوامره، وينتهون بنواهيه، لأن من هذه حاله لا يشهد إلا بحق، ولا ينطق إلا بصدق، لا ينافق، ولا يسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية على حساب مصالح الناس، وقوله (كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً) طباق حسن يقرر بالجمع بين الضدين أن مقياس الاختيار في هذا المجلس هو العلم، والعمل بكتاب الله؛ لأنه الذي يحقق العدل المطلق، ويراعي مصالح الجميع في توازن دقيق بين الدنيا، والآخرة، وقول عيينة (يَا ابْنَ أخِي) نداؤه بهذه الصلة التي بينه وبين ابن أخيه فيها تودد يمهد للطلب، وقوله (لَكَ وَجْهٌ) كناية عن المكانة تفسر سر طلبه، وقوله: (عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ) يدل على جفائه؛ لأنه لم يناديه بأمير المؤمنين، وقوله (فاستَأذَن له، فَإذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه) تتابع العطف بالفاء بين

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ز ل).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

الجمل دليل على سرعة استجابة ابن أخيه، وسرعة استجابة أمير المؤمنين وقوله (هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ) قوله (هي) كلمة استزادة، وَالَّذِي يَقْتَضِيه السِّيَاق أَنَّهُ أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَة الزَّجْر وَطَلَب الْكَفّ لا الازْدِيَاد ونداؤه ينبيء بغضبه، وقوله: (مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْل) ظاهره اتهام بالبخل، والظلم، ولا ننسى أنه يخاطب ذا السلطان في محل سلطانه، وهو أعدل الناس، وقوله (فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه) الغضب رد فعل طبعي، وقوله(حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ) يشير إلى شدة الغضب، وقول الحرِّ (: يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ) نداؤه نداء تلطف يهدأ من غضبه، وتأكيده للخبر تربية للمهابة وتعظيماً للخبر، وذكر لفظ الجلالة (الله) وتقديسه بالجملة المعترضة (تعالى) تذكير بهيبة ذي الجلال يخرجه من حالة الرغبة في العقاب ثم تذكيره بالنبي ﷺ ومنزلته، وما له من مكانة عنده، ومعنى الآية - كما ذكر الطيبي - أَمَرَ من اللّه لنَبِيّه بمَكَارِمِ الأَخْلاق فَأَمَرَ أُمَّته بنَحْوِ مَا أَمَرَهُ اللّه بِهِ، وَمُحَصَّلهمَا الأَمْر بحُسْنِ الْمُعَاشَرَة مَعَ النَّاس وَبَذْل الْجَهْد فِي الإِحْسَان إلَيْهِمْ وَالْمُدَارَاة مَعَهُمْ وَالإِغْضَاء عَنْهُمْ، وقوله، (واللّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عليه) أي ما ترك ما أمرت الآية به، ولا تخطى ما نهت عنه، أي أنه التزم بأمر الله، وقد أكده بقوله: (وكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى)، واستخدامه صيغة المبالغة يؤكد ذلك.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم الحديث برقم (٥٠).

الحديث رقم (٣٥٨)

٣٥٨- وعن أَبي سعيد سَمُرة بنِ جُندب ﵁، قَالَ: لقد كنت عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ غُلامًا، فَكُنْتُ أحفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلاَّ أنَّ هاهُنَا رِجَالاً هُمْ أسَنُّ مِنِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: هو سَمُرة بن جندب بن هلال بن حُدَيج بن مُرَّة الفَزَاريُّ، يكنى بأبي سعيد، ويقال أبو عبدالله، أو أبو عبدالرحمن، أو أبو محمد، أو أبو سليمان كان من حلفاء الأنصار، فعن عبدالرحمن بن جعفر عن أبيه أن أمَّ سمرة بن جندب مات عنها زوجها، وترك ابنه سمرة، وكانت امرأة جميلة، فقدمت المدينة، فخطبت فجعلت تقول: لا أتزوج رجلاً إلا رجلاً يكفل لها بنفقة ابنها سمرة حتى يبلغ، فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك، وكانت معه في الأنصار[٢].

وكان سمرة ﵁ شغوفًا بطلب العلم والاستماع من رسول الله ﷺ منذ صغره مما جعله معدودًا من الحفاظ والمكثرين عن رسول الله ﷺ، قال سمرة بن جندب لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني.

كما كان حريصًا كل الحِرص على الانتظام في صفوف المجاهدين في سبيل الله منذ صغره، ففي الطبراني من قول سمرة ((وكان النبي ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فمن بَلَغَ منهم بعثه، فعرضهم ذات عام، فمر به غلام، فبعثه في البعث، وعرض عليه سمرة من بعده فرده، فقال سمرة: يا رسول الله أجزت غلامًا ورددتني، ولو

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٤/٨٨) وليس عند البخاري بهذا اللفظ. وتبع المؤلف فيه الحميدي في جمعه (٣٧٧/١، رقم ٦٠٨) حيث أورد هذا الحديث بتمامه، وعزاه إلى الصحيحين، وليس كذلك، فإن هذا الشطر منه لا يوجد عند البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٧/٧)، حديث رقم ٦٧٤٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٩/٥)، رواه الطبراني مرسلًا ورجاله ثقات.

صارعني لصرعته، قال فدونك فصَارِعْه، قال فصرعته، فأجازني في البعث))[1].

وظهرت ثمار علمه وجهاده وصحبته لرسول الله ﷺ على أخلاقه وسلوكه، وأُثْني عليه ومن بين الذين شهدوا له ابن سيرين قال: كان عظيم الأمانة، صدوق الحديث، يحب الإسلام وأهله.

نزل البصرة، وكان زياد بن أبيه يستخلفه عليها ستة أشهر، وعلى الكوفة ستة أشهر، فمات زياد، وسمرة على البصرة، فأقره معاوية عامًا أو نحوه، ثم عزله.

كان رضي الله عنه شديدًا على الخوارج خاصة الحرورية، فكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين وفضلاء البصرة يثنون عليه ويحملون عنه.

مات رضي الله عنه سنة ٥٩، وقيل في أول سنة ٦٠ في آخر خلافة معاوية بالبصرة على الأرجح وقيل بالكوفة.

وفي سبب موته قيل: إنه سقط في قدر مملوءٍ ماءً حارًا كان يتعالج بالقعود عليها من قَزازٍ شديد أصابه فيستدفئ بالبخار الصاعد من القدر، فسقط في القدر الحارة فمات. وقيل مات بغير هذا[2].

الشرح الأدبي

ينقل الراوي رضي الله عنه قصة شخصية، حدثت له عندما كان غلاماً يتجاذبه فضول الحديث فيهمُّ بالكلام فيمنعه الحياء عنه، ولذلك لم يستلزم المقام أن يؤكد الكلام لأنه لا يحمل ما يمكن أن ينكر عليه، وقوله (كنت) دخول إلى ذكرياته عبر بوابة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٧٧/٧، ١٧٨) رقم ٦٧٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٩/٧، ٥٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٠٠، ٣٠١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٥٤/٢، ٥٥٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٣٨، ٥٣٩)، والكمال (٣١٢/٣، ٣١٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١١٦/٢)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٨٣/٣- ١٨٦)، والسندي (٢٦٦/٣٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٩٥٨/٢-٩٦٠).

الماضي يسترجع شعوره حال الحدث، وقوله (على عهد رسول الله) يفيض بالحنين إلى زمن الأحبة محمد، وصحبه، كما أنه العصر المعلم لكل العصور، وكلمة العهد تشير إلى تلك الرابطة المميزة لأهله، وذلك الميثاق الذي عاشوا عليه، وماتوا عليه مع رسول الله ﷺ، وقوله: (فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ) فيه دليل على فطنته، وذكائه، وقوله (فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلاَّ أنَّ هاهُنَا رِجَالاً هُمْ أسَنُّ مِنِّي) فيه دليل على عظيم أدبه، وأسلوب القصر الذي ساق المعنى في ثوبه يؤكد ذلك؛ لأنه لم يمنعه الجهل أو نحوه، ولكن منعه الحياء؛ لأن في المجلس من هم أكبر منه، وقوله (رجالاً) بالجمع يفيد الكثرة وقوله (أسن) يشير إلى احترامه لمن هو أكبر منه مطلقاً، قلَّ الفارق العمري بينهم، أو كثر. وهو خلق ربى النبي ﷺ عليه تلك السلة الطاهرة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العلم في الصغر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: توقير الكبار وإكرامهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

خامسًا: من أهداف الدعوة: إنزال الناس منازلهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

قد ورد أسلوب القصر في الحديثين من قول الراوي: "فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني"، وورد أيضًا في قوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا..." إلخ، وقد جاء هذا الأسلوب الدعوي في هذين الحديثين ليؤكد على أدب توقير الكبار وإجلالهم وهذا من الآداب الإسلامية العظيمة التي يجب التخلق بها ومراعاتها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل العلم في الصغر:

يستنبط ذلك في الحديث من قول الراوي: "لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه"، وفي طلب العلم وحفظه في الصغر يكون ثباته في الكبر

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٥٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٥٩).

وهذا ما بينه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن علقمة أنه قال: (ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة)[١]، فضلاً عن حدوث التأدب بذلك، وكما قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع عند الكبرة الأدب

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ... ولن يلين إذا قوّمته الخشب

قال الخطيب البغدادي: (التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العمر، والتمكن منه بقلة الأشغال، وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب، ويثبت، ويتمكن، ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة، إذا صحبه من الله حسن التوفيق)[٢].

وفي بيان فضل العلم في الصغر قال الحسن البصري: (التعلم في الصغر كالنقش على الحجر)[٣].

وقال بعض الشعراء:

ما الحلم إلا بالتحلم في الكبر ... وما العلم إلا بالتعلم في الصغر

ولو ثقب القلب المُعَلّمُ في الصبا ... لألفيت فيه العلم كالنقش في الحجر[٤]

والعلم في الصغر أمر فطن إلى أهميته وفضله صحابة النبي ﷺ فجدوا في طلب العلم في صغرهم، ولينظر لصورة مشرقة لأحد صحابة النبي ﷺ الذين فطنوا لهذا المعنى فجدوا في طلب العلم في صغرهم، فلما كبر كان عالمًا يرجع الناس إلى رأيه ويحتاج القوم إلى فتواه، ألا وهو الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له النبي ﷺ بقوله: "اللهم فقهه في الدين"[٥].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٤٨٣، وقال محققو الجامع: صحيح الإسناد.

(٢) الفقه والمتفقه ٢/١٧٩.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفق رقم ٨٢٢، وقال محققه إسناده حسن.

(٤) الفقيه والمتفقه ٢/١٨٢.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٣، ومسلم ٢٤٧٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: توقير الكبار وإكرامهم:

إن من موضوعات الدعوة الظاهرة من هذين الحديثين: توقير الكبار وإكرامهم حيث وردت الإشارة إلى ذلك في قول الراوي: "فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني"، وهذا أدب جميل من هذا الصحابي الجليل، حيث امتنع من التحديث بحضرة من هو أسن منه، فيندب أن يمتنع من التحديث بحضرة من هو أولى منه بزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن أو نحو ذلك. وهذا من روائع الأدب ودقائق الأمور[(١)]، وقوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه"، وهذا حض على إكرام الكبير وتوقيره، ولرسولنا الكريم ﷺ اليد الطولى في الحث على توقير الكبير واحترامه، وقد أمر بذلك فقال: ((إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))[(٢)]، قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (إن من إجلال الله، أي: تبجيله وتعظيمه إكرام ذي الشيبة المسلم، أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله)[(٣)]، وقال ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا))[(٤)].

قال المباركفوري: (وقوله ﷺ: "ليس منا" قيل أي: ليس على طريقتنا، وهو كناية عن التبرئة...، وقوله ﷺ: "ولم يوقر" من التوقير أي: لم يوقر "كبيرنا" وهو شامل للشاب والشيخ)[(٥)]. وفي ذلك بيان على أهمية توقير الكبار وإجلالهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: بيان أن الجزاء من جنس العمل، حيث وردت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني في الصحيح الجامع رقم ٢١٥٩.

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ٢٠٩٥.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٢٠، وصححه الألباني ٤٣٩.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٦٢٤.

الا قيض الله له من يكرمه عند سنه". قال د. الحسيني هاشم: (كماتدين تدان، والحياة تسير بالإنسان قهرًا عنه، فإذا احترم الكبار ووقرهم في حال شبابه قيض الله له من يرد له جميله في حال كبره، والعكس بالعكس)[1].

قال المباركفوري: (قوله ﷺ: "ما أكرم" أي: ما أعظم ووقر "لسنه" أي: لأجل سنه، لا لأمر آخر، قال المناوي: وقال القاري: أي كبر عمره لأن الغالب عليه زيادة علم وعمل مع سبق إيمانه. انتهى. "إلا قيض الله" بتشديد التحتية ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2]، أي سلط ووكل "له" أي للشاب "من يكرمه" أي: قرينًا يعظمه ويخدمه لأن من خدم خدم "عند سنه" أي حال كبره مجازاة له على فعله بأن يقدر له عمرًا يبلغ به الشيخوخة ويقدر له من يكرمه)[3]. وفي ذلك بيان على أن الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[4]، أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم، والعيش السليم[5]. فعلى المرء أن يحسن العمل لينال حسن الجزاء من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

خامسًا- من أهداف الدعوة: إنزال الناس منازلهم:

إن من أهداف الدعوة التي اشتمل عليها هذان الحديثان: إنزال الناس منازلهم بإكرام ذي الشيبة المسلم وتوقير الكبار وأهل الفضل، ولا شك أن ذلك حث على إحياء القيم الإسلامية التي جاء بها الإسلام ورغّب فيها لأجل تعميق عرى المحبة والمودة بين

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢٥٩.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٧٢/٢.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧١.

أفراد المجتمع الإسلامي، وهذا ما يستنبط من عموم الحديثين، حيث قال سمرة بن جندب: "لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا ها هنا رجالاً هم أسن مني" فيكره أن يحدث إذا كان في البلد من هو أولى به لزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن وذلك يدل على معرفته بأقدار الناس وأفضال العلماء وكبار السن وإنزالهم منزلتهم التي تليق بهم. وكذلك الحديث الثاني حيث قال رسول الله ﷺ "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنة" وفي ذلك دعوة إلى إنزال الكبير المنزلة التي تليق بسنه وهذا هدف إسلامي عام حيث يهدف الإسلام إلى إنزال الناس منازلهم التي تليق بهم.

وفي بيان ذلك قال ميمون بن أبي شيب: إنَّ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَرَّ بِهَا سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ فَأَقْعَدَتْهُ فأَكَلَ، فَقِيلَ لَها في ذَلِكَ، فقالَتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))[1].

قال صاحب عون المعبود: ("فأعطته كسرة": بكسر أوله أي قطعة من خبز ونحوه "فقيل لها": أي لعائشة رضي الله عنها "في ذلك": أي المذكور من صنيعها بالمارين بها. والمعنى قيل لعائشة رضي الله عنها: لم فرقت بينهما حيث أعطيت الأول كسرة وأقعدت الثاني وأطعمته "أنزلوا الناس منازلهم" أي عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف.

قال العزيزي: (والمراد بالحديث الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق)[2].

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٠، وأخرجه أبو داود ٤٨٤٢، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ١٠٣٢).

(٢) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٢٠٩٥.

الحديث رقم (٣٥٩)

٣٥٩- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**مَا أكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلاَّ قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه**)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: ((حديث غريب)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

قيض الله له: قدّره له وهيأه[2].

الشرح الأدبي

احترام الصغير للكبير، وتوقيره معنى تضافرت على توكيده، والترغيب فيه العديد من الأحاديث النبوية، وربَّى عليه الرسول ﷺ أصحابه حتى صار في قلوبهم، وعقولهم، وهذا الحديث من هذه النوعية التي ترغب في هذا الخلق عن طريق أسلوب القصر الذي يعطي المخاطب شعوراً بأن إكرام هذا الشيخ إكرام لنفسه، وأن هذا الإكرام سبب في أن يوكل به يكرمه عند تقدمه في السن، وفعل الشرط الماضي (أكرم)، وجواب الشرط الماضي يدلان على أن تحقق الثاني مترتب على تحقق الأول مما يوحي للمخاطب بأنه بهذا الإكرام يكرم نفسه، والمطابقة بين الشاب، والشيخ توضح المعنى، وتشير إلى حقيقة ملموسة، وهي أن الحال تتبدل فغداً يتحول الشاب إلى شيخ، والتعبير بقيض يوحي بالملازمة التي تشعر بالطمأنينة، وإسناد الفعل لله دليل على تحققه على الوجه الأكمل؛ لأن الفعل يرتبط بالفاعل في إيجاد الفعل، وتأثيره، وقوله: عند سنه، فيه إيجاز بحذف المضاف أي عند كبر سنه، وحذف المضاف يجعل هناك تماثلاً بين العبارتين في جانب المسن، وفي جانب الشاب (لسنه، وسنه) وفيه بشرى له

---

(١) برقم (٢٠٢٣). قال ابن عدي في الكامل (٢٧٣٣/٧، ترجمة: يزيد بن بيان): هذا حديث منكر.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في قيض.

بطول العمر، وبلوغ عمر هذا الشيخ، مع وجود الإكرام، والإعانة عند كل حاجة مكفولة من الله بقول رسوله ﷺ (قيض).

المضامين الدعوية[١]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الدرجات العلمية معترف بها في الإسلام، والتفاوت في هذه الدرجات والإشارة إلى التخصصات الدقيقة وارد في سنة الرسول ﷺ، والإسلام دعا المسلمين إلى تكريم العلماء من سبيلين:

السبيل الأول: أدبي، والسبيل الثاني: مادي.

والسبيل الأول له مظاهر شتى في الإسلام منها: شهادات التقدير التي تعطى لهؤلاء، وأول من سنها في الإسلام هو الرسول ﷺ حتى أعطى للمميزين في بعض العلوم شهادات تقدير مثل تزكيته ﷺ لبعض أصحابه رضي الله عنهم مثل قوله: "أقرؤكم أبى"، "أفرضكم زيد"، "أعلمكم بالحلال والحرام على"، "من أراد أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل ليسمعه من ابن أم عبد".

السبيل الثاني: التكريم المادي، فقد اهتم الرسول ﷺ بالتكريم المادي في مجال التعليم، وجعل تعليم عشر من الصحابة عتقاً لرقبة المعلم إن كان من الأسرى، كما أذن بتقاضي الأجر على العملية التعليمية "إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله"، كما جعل التعليم مقابل المهر، كما ورد "زوجتكها بما معك من القرآن". وفيما يلي المضامين الآتية:

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

استخدم النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر في عدة أحاديث من هذا الباب، يقول ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ ...»، ويقول ﷺ: «اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ ...» ويقول: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»، فهذه كلها توجيهات نبوية إلى المتربين المسلمين لينفذوها في حياتهم وعباداتهم، فأول الأحاديث وثانيها توجيه إلى تنظيم فريضة الصلاة في الجماعة، وكيفية أدائها، وكيفية المفاضلة بين الناس في التقدم للإمامة، ثم في تسوية الصفوف، أما الثالث فإنه يتطرق إلى المعاملات بين الناس؛ فينبغي على المسلم أن يحترم الآخرين وينزلهم منازلهم؛ لأن ذلك من مظاهر تحضر المجتمع الإسلامي ورقيه، فضلاً عن مرضاة الله عز وجل، بالامتثال لأوامر نبيه ﷺ.

ويعتمد هذا الأسلوب على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، وذلك من خلال البيان والإرشاد؛ حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا[(١)].

ثانيًا- التربية على تقديم أهل العلم والفضل:

تقوم التربية الإسلامية على احترام أهل العلم والفضل، وتقديمهم على غيرهم لجداراتهم بذلك، ولذا أراد النبي ﷺ أن يعمق هذا الفهم في نفوس أصحابه عن طريق وضع أسس للمفاضلة في تقديم الإمام في الصلاة، فلا يكون الأمر فوضى يتقدم للإمامة من يتقدم، ولكن ثمة معايير للمفاضلة وضعها النبي ﷺ لهذه المهمة، حتى يتجنب الصخب واللغط عند إقامة الصلاة، يقول: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ: فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ...».

وفي هذا دعوة إلى عدم اتباع الأهواء الشخصية في مسألة الإمامة؛ لأن ذلك ربما يقدم إلى الصلاة من ليس أهلاً لها، فيسيء القراءة، أو لا يؤدي أركانها على الوجه الصحيح فتفسد بذلك الصلاة، التي هي أهم أركان الإسلام؛ ويتحول الأمر إلى ما حذر منه ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»، وما فيها من فوضى لا تليق بعامة المسلمين بلة المتقين العابدين.

وهذا السلوك التربوي في الصلاة لا شك سينسحب على سائر حياة المسلم، فتراه يحترم أهل القرآن وحفظة السنة النبوية، لأن العلماء ورثة الأنبياء، كما أخبر الرسول ﷺ، فاحترامهم وتوقيرهم وعدم رفع الصوت في مجلسهم، واللطف في معاشرتهم، ولين الجانب لهم، والمسارعة في خدمتهم، كل ذلك يحتاج المسلم إلى أن يتعوّده[(٢)].

ثالثًا- إنزال الناس منازلهم:

فلحافظ القرآن منزلته، وللعالم بالسنة منزلته، وللكبير منزلته، وقد جمع الرسول ﷺ كل ذلك بقوله: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»، حتى يسود المجتمع روح الاحترام والتوقير لأهل الفضل وللكبار سنًا.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٤ بتصرف يسير.

(٢) شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٨٧.

وعندما انطلق عبدالرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ وأراد عبدالرحمن الكلام، فقال ﷺ: «كبِّرْ كبِّرْ» لأنه كان أحدثهم سنًا، فتكلم أكبرهم سنًا.

وحق الكبير يكون بإنزاله منزلته اللائقة به، البدء به في الكلام والطعام والشراب، وعدم الاستخفاف به، والحياء منه والقيام له وإجلاسه وتقبيل يده إذا كان عالمًا أو أبًا أو جدًا[١].

رابعاً- من المبادئ التربوية: احترام وليّ الأمر وتوقيره:

وقد أمرنا الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢]، لأن طاعة أولي الأمر واحترامهم من شأنه توحيد الصف، وسيادة الوحدة في المجتمع، ولهذا فقط غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أساء أحد الناس مخاطبته وقال له: «فوَاللَّهِ مَا تُعْطِينا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ فينَا بالْعَدْلِ»، وهمّ أن يعاقبه لولا أن ذكره الآخر بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

يقول الماردي في حق ولي الأمر على رعاياه: وإذا قام الإمام بما ذكرنا -يعني رعاية الأمة والقيام بالواجبات-فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة، ما لم يتغير حاله[٤].

خامساً- من المبادئ التربوية، الجزاء من جنس العمل:

إن من مظاهر ترغيبه في احترام الكبير وتوقيره أنه وعد بأن من احترم الكبير ووقره نال جزاء ذلك التوقير في الدنيا، بأن يقيد له الله في شيبه من يكرمه، يقول ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلاَّ قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ»، وذلك حتى

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٦٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٧.

يعلم المسلمون قيمة هذه الفضيلة ويقوموا بها؛ مقتنعين بأن الله سيقيض لهم في كبرهم من يخدمهم ويكرمهم؛ مثلما كانوا يكرمون الشيخ في صغرهم.

إن هذا الجزاء الذي يلقاه المرء في الدنيا هو الجزاء الإلهي، الذي يعجله الله للإنسان في الدنيا، قبل جزاء الآخرة، ويعني أن من يقوم بفعل الأوامر ويلتزم بقواعد السلوك الخلقي يحصل على نصيب من ثوابها في الدنيا، وكذا من يتجنب فعل الفضيلة ويأتي مضادها فإن الله يصيب سخطه عليه في غضبه على هذا السلوك المنحرف[1].

سادساً- التربية بالمواقف:

وهذا واضح من عدة أحاديث بالباب، مثل حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر. ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد. وكذلك ظهرت التربية بالمواقف في تصرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عيينة بن حصن عندما أساء إليه بالقول، فوقف عمر بن الخطاب عند كتاب الله الآمر بالعفو والإعراض عن الجاهلين.

وفي ذلك وغيره تربية بالمواقف، ولا شك أن هذا الأسلوب من التربية يبقي أثرًا طويلاً عند المتعلمين.

سابعاً- التربية على حل المشكلات:

وهذا واضح من تصرف الحُرّ بن قيس عندما رأى غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عيينة بن حصن وهمّ عمر أن يوقع به العقوبة، فقال عندئذ ليهدئ من سورة عمر وغضبه وبالتالي يمنعه عن إيقاع العقوبة والاستجابة للغضب، قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] وإن هذا من الجاهلين فكان هذا من الحرّ حلاً لمشلكة غضب عمر، وكان حلاً موفقًا فقد توقف عمر عما همّ به، لأنه رضي الله عنه كان وقافًا عند كتاب الله تعالى.

---

(١) نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين ١١٧/١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يغرسوا فيمن يربونهم مهارة حل المشكلات التي تقابلهم في حياتهم، والحياة مليئة بها، كما أن كثيرًا من المشاكل يمكن أن تحل في بدايتها بجهد بسيط وعمل قليل بدلاً من تركها تكبر وتتعقد مع مرور الأيام حتى تستعصي على الحل.



٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إِلَى قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾[الكهف: ٦٠-٦٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (٣٦٠)

٣٦٠- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أيمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهيَا[1] إلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ (أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ) [2] مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ، ولَكِنْ أبكي أنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

هيجتهما على البكاء: أثارتهما وحركتهما وبعثتهما على البكاء[4].

---

(١) لفظ مسلم: (انتهينا).

(٢) الزيادة من الجمع للحميدي (١/٩٧، رقم ١٨).

(٣) برقم (٢٤٥٤/١٠٣).

(٤) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٤٤٢ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٠٢.

الشرح الأدبي

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على متابعة الرسول ﷺ في كل صغيرة، وكبيرة حتى أنهم كانوا يتتبعون ممشاه في حياته، ومجلسه، وموطئه، وكل فعل علموا أنه فعله، وهذا الحديث يؤكد ذلك كما يؤكد حرصهم على صلة من كان رسول الله ﷺ يصلهم عملاً بقوله ﷺ (إنّ أبَرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ)[1]، ورسول الله ﷺ خير عندهم من أمهاتهم، وآبائهم، وأبنائهم، والناس أجمعين، وهم أوفى الناس بحق الصلة، وقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه (انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا) التعبير بلفظ انطلق فيه حث، ومسارعة، والأمر بمعنى الترغيب بدليل قوله (كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا) والتشبيه بزيارة الرسول ﷺ للحض والترغيب؛ لأنه دليل على أنها سنة لفعله ﷺ، وقولهم لها (ما يبكيك؟) استفهام إيناس، وتلطف لتهدئتها مع ما يلوح من التعجب، والاستفهام الثاني (أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ) استفهام تقرير للتذكير، والإخبار تطييباً لقلبها، وقولها: (مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم) أسلوب نفي؛ لأن يكون بكائها لعدم علمها بهذا الأمر، وقولها: (ولَكِنْ أبكي أنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ) استدراك لبيان حقيقة سبب بكائها، وهو حزنها على انقطاع الوحي، وهو دليل على فقهها، ورجاحة عقلها لإدراكها قيمة الصلة بين السماء، والأرض المتمثلة في الوحي -رضي الله عنها، وأرضاها-.

فقه الحديث

١- زيارة الصالحين، وفضلها، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه.

٢- زيارة جماعة الرجال للمرأة الصالحة، وسماع كلامها[2]، قال صاحب الفروع: (والأولى حمل ذلك على من لا يخاف منها فتنة كالعجوز)[3].

---

(١) سنن الترمذي حديث (١٩٠٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠/١٦، الفروع، المرداوي ١٤٥/٢.

(٣) الفروع، المرجع السابق الموضع نفسه.

٣ - استصحاب العالم والكبير في الزيارة والعيادة ونحوهما.

٤- البكاء حزنًا على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه[١].

٥- أدب الزيارة: ينبغي أن تكون الزيارة على الوجه الذي يرتضيه المزور، وفي الوقت الذي لا يكرهه ولا يشق عليه، وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والحوار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل أم أيمن رضي الله عنها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنهم على فراقه.

سادسًا: من صفات الصحابة: البر برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار، والحوار:

أفاد الإخبار في هذا الحديث الإعلام بزيارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لأم أيمن رضي الله عنها، وهذا ما ورد في قول أنس رضي الله عنه: (قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما.. إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وتوضيح أمور دينهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣]. وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث حرص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على زياد أم أيمن لفضلها ومكانتها مما يعد برًا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/ ١٠.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠/ ٢٧٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

أما الحوار فهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[١]، فهو من أساليب الحديث المشوقة للنفس الذي يكون من خلاله تحقيق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول بما في ذلك من سبيل لتبليغ الدعوة للمدعوين"[٢]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من الحوار الذي كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وبين أم أيمن رضي الله عنها، وذلك في قول الراوي: فقالا لها ما يبكيك... فقالت:....إلخ).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل أم أيمن رضي الله عنها:

ورد ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها)، وهي: بركة بنت ثعلبة رضي الله عنها، مولاة النبي ﷺ وحاضنته، وقد هاجرت الهجرتين، وتزوجت زيد بن حارثة رضي الله عنه فأنجبت أسامة بن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله ﷺ، وقد حضرت أحدًا، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وقد شهدت خيبر[٣]، كان رسول الله ﷺ يكرمها ويبرها بر الأم ويكثر زيارتها، وكان ﷺ عندها كالولد، ولذلك كانت تخب عليه، أي: ترفع صوتها عليه، وتذمر؛ أي: تغضب وتضجر فعل الوالدة بولدها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، وانطلقت معه، فناولته إناء فيه شراب، قال: فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يُرده، فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه[٤]، وزيارة النبي ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لها دليل على فضلها ومعرفتهم بحقها[٥].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أصول الحوار ص ١١، الرياض: الندوة العالمية: ١٤١٥هـ، نقلاً عن الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي ص ٢١.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل - الأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ١١٣.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٨٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٧٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٥٣.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو

٣٦٠.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، قال النووي: (فيه زيارة الصالحين وفضلها وزيارة لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها، واستصحاب العالم والكبير صاحبًا له في الزيارة والعيادة ونحوهما)[1].

وفي الحرص على زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم لعظيم الأجر؛ حيث يكون حب الله لمن زار أخاه لغير أمر دنيوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[2].

قال النووي: (... وفي الحديث فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب)[3].

وهذا فضلاً عن الدعاء له بطيب العيش في الدنيا والآخرة، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّه نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[4]، وفي ذلك بيان على عظم وأهمية وأجر زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب:

ظهر ذلك في الحديث في قول الراوي: (فقالا لها: ما يبكيك.. إلخ)، قال النووي: (فيه البكاء على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا انتقلوا إلى أفضل ما كانوا عليه)[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٩٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٩٢.

وفي بيان جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - بعد وفاة النبي ﷺ - (أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه أقبل على فَرَسٍ من مَسكنه بالسُّنْح، حتى نزلَ فدخل المسجد فلم يكلم الناسَ حتى دخلَ عَلىَ عائشةَ، فتيمَّمَ رسولَ الله ﷺ وهو مُغشّىً بثوبِ حِبَرَةٍ، فكشفَ عن وَجهِهِ، ثمَّ أكبَّ عليه فقبَّلَهُ وبكى... إلخ)[1]، وفي ذلك بيان على جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وحزنهم على فراقه:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: (فلما انتهينا إليها بكت... ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها)، قال القرطبي: (وقول أم أيمن: "أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء"، أي: أبكي من أجل أن الوحي لما انقطع بعد رسول الله ﷺ عمل الناس بآرائهم فاختلفت مذاهبهم، فوقع التنازع والفتن، وعظمت المصائب والمحن، وفشا الشقاق، ولولا أن الله تعالى تدارك الدِّين بثاني اثنين لما بقي منه أثر ولا عين)[2].

وفي بيان ذلك قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (توفي رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه رضي الله عنهم حتى كاد بعضهم يوسوس - أي يختلط كلامهم -، فكنت ممن حزن عليه، فبينا أنا جالس في أُطم من آطام المدينة -وقد بويع أبو بكر- إذ مرّ بي عمر فلم أشعر به لِمَا بي من الحزن...)[3]، وفي ذلك بيان على حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وحزنهم على فراقه.

سادسًا- من صفات الصحابة رضي الله عنهم: البر برسول الله ﷺ بعد وفاته:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٥٢، ٤٤٥٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٦٢/٦.

(٣) حياة الصحابة، للكاندهلوي ٤٦٥.

نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها)، وقد كان بر الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ بعد وفاته صفة لهم، فعن أنس ﷺ قال: (صَحِبْتُ جَرِيرَ بن عبدِ اللهِ فكانَ يَخدُمني -وهو أكبَرُ من أنسٍ- قال جَرِيرٌ: إني رأيتُ الأنصارَ يَصنَعونَ شيئًا، لا أجدُ أحدًا منهم إلاّ أكرَمتهُ)، وفي رواية: (آليتُ أن لا أصحب أحدًا منه إلا خدمته)[١]، قال ابن حجر في قوله (يصنعون شيئًا) وفي رواية نصر: (يصنعون برسول الله ﷺ شيئًا: "أي من التعظيم وأبهم ذلك مبالغة في تكثير ذلك"[٢].

قال د. الحسيني هاشم: (وهذا مظهر من مظاهر صلة الرحم، ومن أرفعها وأروعها وأشملها: هو صلة من وصلوا الرسول ﷺ، وإكرامهم ومجازاتهم على ذلك خيرًا: فهذا جرير بن عبدالله البجلي يخدم خادم النبي ﷺ ويقسم فيما بينه وبين نفسه على خدمة الأنصار ما أمكن لخدمتهم رسول الله ﷺ) [٣].

وقيام جرير بن عبدالله رضي الله عنه بخدمة الأنصار دليل على حسن بره برسول الله ﷺ بعد وفاته، ومن أعظم البر برسول الله ﷺ بعد وفاته الحفاظ على سنته ﷺ ونشرها والقيام بحقها قولاً وعملاً.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٨٨، ومسلم ٢٥١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٩٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٥٢.

الحديث رقم (٣٦١)

٣٦١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : ((أنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَريَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ الله تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أتَى عَلَيهِ، قَالَ: أيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: أُريدُ أخًا لي في هذه القَريَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في الله تعالَى. قَالَ: فإنِّي رَسُول الله إلَيْكَ بأنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فأرصد الله تعالى ملكًا: وكله بحفظه[2].

مدْرَجته: طريقه[3].

تَرُبُّها: تقوم بها وتسعى في صلاحها[4].

الشرح الأدبي

استخدم النبي ﷺ قصص الأمم السابقة لتصحيح بعض المفاهيم، ولغرس بعض القيم وللإشارة إلى فضائل بعض الأعمال عن طريق الحوار الطريف بين الملائكة مع المؤمنين، أو تكريمهم لأهل هذه الأعمال، وهذا الحديث من هذه النوعية التي ترغب في زيارة الإخوان الصالحين وإذا نظرنا إلى مفردات الحديث وجدناها تفيض بتلك العاطفة، وتعلي من رابطة الأخوة في الله؛ لأن لها خصوصية من جهتين، الأولى: أنها تجمع المؤمنين جميعاً تحت مظلة الأخوة، وهو ما لا تفعله أخوة الرحم، والثانية: أنها في الله وليس لها سبب آخر فهي خالصة لله تعالى و قوله (رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرِيَة أُخْرَى)

---

(١) مسلم (٢٥٦٧،٣٠١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٨٨).

(٢) رياض الصالحين ١٨٦.

(٣) رياض الصالحين ١٨٦.

(٤) رياض الصالحين ١٨٦.

عبَّر فيه بالأخوة، وبالجار والمجرور(له) الذي يوحي بالخصوصية، ثم ذكر لفظ أرصد الذي يوحي باللطف، والخفاء في تبليغ البشرى، ونسبة الفعل لله فيها تشريف لهذا العبد، ثم إنه كلف بها ملك، وسؤال الملك للرجل (أين تريد؟) استفهام أريد به التمهيد، والاستدراج لما بعده والتنبيه إلى فضل ما هو فيه، والاستفهام الثاني (هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟) استفهام تقرير بتمام الإخلاص وتنبيه إلى سر الأفضلية، ولذلك الجار، والمجرور(لك) واستقصى أفراد المستفهم عنه بقوله (من نعمة) وكثرة حروف الجر في عبارة الاستفهام تنقب عن خصوصية العمل الدالة على الإخلاص، وقوله في إجابة السؤال (لا) بني على الإيجاز، الذي يحفظ للأسلوب طبقته في الكلام العالي وتقديره: لا ليس لي نعمة أربَّها عليه، وقوله (غَيْرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ فِي اللَّه تَعَالَى) توكيد الجملة لما شعر به عنده من كثرة الأسئلة التي توحي بالشك، ثم تعبيره بالماضي الدال على التحقق، والضمير المتصل به العائد على الأخ المقصود، وقوله: (في الله) تدلل على الإخلاص، والجملة التنزيهية (تعالى) تربي المهابة، وتوحي بالصدق، وقول الملك (فإنِّي رَسُول اللَّه إلَيْكَ) توكيد الخبر للتعظيم، وإضافة الرسول لله إضافة تعظيم، والجار والمجرور(إليك) تخصيص يدل على التشريف، وتوكيد الجملة التي تضمنت البشارة عدة مؤكدات منها (إن) وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، وقد التي دخلت على الفعل الماضي، وكثافة المؤكدات لعظمة الخبر وعظمة البشارة، التي حملته العبارة، وتكرار لفظ الخ مرتين، ومادة المحبة ثلاث مرات مع قصر الحديث لأن تلك المادة هي الذي يدور عليها معنى الحديث.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حقوق الأخوة في الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والتوكيد، والبشارة، والترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٢).

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

"القصة من الوسائل الدعوية الهامة التي تميل إليها النفس، وبها تتعلق مسامع المدعوين وأذهانهم فضلاً عن أنها تلازم الداعية وتملأه انفعالاً بدعوته، وفي ذلك عظيم الفائدة في وصول الدعوة إلى المدعوين"[١]، وقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (أن رجلاً زار أخًا له ... إلخ). ولا شك أن القصة في هذا الحديث ساعدت في بيان المعاني العظيمة التي تشتمل عليها زيارة المسلم لأخيه المسلم أو لإخوانه، وكذلك الثواب العظيم المترتب على الزيارة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حقوق الأخوة في الله:

يظهر ذلك في الحديثين في قوله ﷺ: (أن رجلاً زار أخًا له)، وأيضًا في قوله: ﷺ: (من عاد مريضًا أو زار أخًا له.. إلخ)، فمن حقوق الأخوة في الله التزاور وعيادة المريض والسؤال عمن غاب، ومواساة المتضرر والمحتاج ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢].

قال السعدي: "هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهوا لأنفسهم...، ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض ومما يحصل به التآلف والتوادد، التواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض"[٣].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[٤]، وقال:

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش، ص ٢٩٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))، ثم بيّن ﷺ عظم فضل هذه الأخوة إن كانت في الله فقال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ)) - وذكر منهم: ((وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه))[1]، قال النووي: "معناه: اجتمعا على حب الله، أي: كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما"[2]، وفي ذلك بيان على عظم وأهمية حقوق الأخوة في الله والتزاور فيه.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والتوكيد، والبشارة، والترغيب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث من قوله ﷺ: (قال: هل لك من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا..) وهو من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، وقد جاء السؤال هنا لبيان حقيقة الأخوة الخالصة التي لا ترتبط بمصالح مادية أو غيرها، أما أسلوب التوكيد فهو من الأساليب الدعوية التي يستعملها الداعية لإثبات وتأكيد ما يدعو إليه في أذهان المدعوين، وقد ورد ذلك في الحديث من تأكيد الملك على حب الله تعالى لمن زار أخاه لأجل محبته في الله، وذلك في قوله ﷺ: (قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه.. إلخ)، وقد أفاد التوكيد هنا تحقق محبة الله تعالى للمتزاورين فيه والمتحابين فيه.

أما أسلوبي البشارة والترغيب، فهما من الأساليب الدعوية الناجحة في تشويق نفس المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، وقد ورد أسلوب البشارة في الحديث في قوله ﷺ: (قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث الثاني من قوله ﷺ: (ناداه منادٍ بأن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً). حيث أفاد عظيم أجر وثواب عيادة المريض. وفي ذلك ترغيب لكل مسلم في عيادة المريض، وهو أسلوب دعوي مؤثر حيث إن النفس تحب الخير وتهفو إليه، وخاصة إذا كانت الدعوة الطيبة من قبل ملك مسخر من قبل المولى عز وجل، والدعاء بدخول الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٠٦، ومسلم ١٠٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٢.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: (من دعاء مريضًا... ناداه منادٍ بأن طبت، وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً)، قال الطيبي: "قوله: (طبت) دعاء له بأن تطيب عيشه في الدنيا، و(طاب ممشاك) كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق، والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها، و(تبوأت) دعاء بطيب العيش في الآخرة"[1]، وقال النبي ﷺ في تأكيد ذلك: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ((جَنَاهَا))[2]، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلاَّ صَلَى عليهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمسِيِ، وإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتى يُصبحَ وكانَ لَهُ خَرِيفٌ في الجنَّة))[3]، وفي ذلك بيان عظم فضل زيارة المريض.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٩٦٩، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٧٧٥.

الحديث رقم (٢٦٢)

٣٦٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أخًا لَهُ في الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً**)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: ((حديث حسن))، وفي بعض النسخ: ((غريب)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

شيوع أسلوب الشرط في الحديث النبوي ينبيء عن قيمة هذا الأسلوب الذي يجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار يستطيع القبول، أو الرفض بعد أن يعرض عليه الفعل مرتبطاً بعاقبته، وقول الرسول ﷺ (من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله) أسلوب شرط فيه مزيد تشويق إلى الجواب، والتعبير بالعيادة يوحى بالتكرار لأن المريض يكون في حالة يحتاج إلى أن يشعر بمحبة إخوانه مما يساعد في سرعة شفائه، وقوله (أو زار أخاً)حرف العطف (أو) للتنويع، والتعبير بلفظ الأخوة يشير إلى تلك الرابطة التي تجمع بين الأشقاء بكل ما تستلزمه من رعاية، وعناية، ونصرة، وتنكير (مريضاً - أخاً)يعطي معنى العموم حتى تشيع تلك المعاني في الأمة كلها في محبة، ورعاية، وقوله (في الله)يشير إلى خصوصية الرابطة، وتجردها من الأغراض الدنيوية؛ لأن هذه الخصوصية تضمن للأخوة الدوام؛ لأن ما كان لله دام، واتصل، وما كان لغيره انقطع، وانفصل كما تضمن لها الشيوع؛ لأنها رابطة تجمع جميع المؤمنين، وتنكير (مناد) ليذهب العقل في تخيله كل مذهب، والجناس بين طبت، وطاب يبعث في العبارة جرساً حسناً، ويشير إلى إحاطة الصفة به وقوله: (وطاب ممشاك) مَصْدَرٌ أَوْ مَكَانٌ أَوْ

---

(١) برقم (٢٠٠٨) وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩٦١)، وقال الحافظ في الفتح (٥٠٠/١٠): وله شاهد عند البزار من حديث أنس بسند جيد، وأخرجه أحمد بسند صحيح من حديث عتبان بن مالك. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨٩).

زمانٌ مُبَالَغَةً. قَالَ الطِّيبِيُّ: كِنَايَةٌ عَنْ سَيْرِهِ وَسُلُوكِهِ طَرِيقَ الْآخِرَةِ بِالتَّعَرِّي عَنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّحَلِّي بِمَكَارِمِهَا وقوله (من الجنة) يشير إلى شرف الموضع وعظمة المكان، وقول الملك (طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً) خبر في اللفظ وإنشاء في المعنى لأنه دعاء وصياغته في صورة الخبر إظهار للحرص على تحقق الوقوع؛ لأنه عبَّر عنه في صورة الماضي المتحقق، وكأنه يخبر عنه، والحديث دعوة إلى تقوية الروابط الاجتماعية تحت مظلة المحبة الإلهية، التي تصل، ولا تمزق، وتجمع، ولا تفرق.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم زيارة المرضى وعود الإخوة من الأحباب والأصدقاء وأنه من أفعال الخير التي حث عليها النبي ﷺ حتى يناديه ملك أن طاب وطاب ممشاه ويبشره بمنزله من الجنة.

وقد سبق القول في الحديث رقم (٦) أنه قد اختلف الفقهاء في حكم عيادة المريض على أقوال كثيرة، فذهب الجمهور[١] إلى أنها سنة، وذهب ابن حزم[٢] إلى أنها فرض ولو لمرة واحدة على الجار الذي لا تشق عيادته، وقيل هي سنة كفاية[٣]، وقيل هي واجبة على الكفاية[٤]، ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢١/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٧/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ١٠٢/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٢٩٥/١، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٢٩٦/٢. والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٦٠/٢، والفروع، ابن مفلح ١٧٤/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٠٠/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٤٦١/٢.

(٢) المحلى. ابن حزم ٤٠٢/٣ وما بعدها.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٧/٣١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٥/٥.

(٥) المجموع شرح المهذب، النووي ١٠٢/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٢/٤.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٦٣)

٣٦٣- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً[1])) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الكير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها[3].

يحذيك: يعطيك[4].

تبتاع منه: تشتري[5].

الشرح الأدبي

يتصدر الحديث أسلوب القصر الذي يحصر معنى في معنى حيث حصر الجليس الصالح على كونه كحامل المسك، وحصر الجليس السوء في كونه كنافخ الكير، وحاصل معنى القصر أن كلاً منهما لا يتجاوز الصفة التي وصف بها، وقد صور المعنى في عبقرية عن طريق المثل فالأمثال، نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عياناً.. فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (خبيثة).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٤) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٨/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٩٦).

(٣) الوسيط في (ك ي ر).

(٤) رياض الصالحين ١٨٧.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ي ع).

الظاهرة[١]. وفي الحديث أسلوب نشر، ولف حيث ذكر الجليس الصالح، لجليس السوء ثم أعاد على كلاً إلى ما هو له، وقيمة هذا اللون أنه يجمع بين المتناظرين، وهما الجليسان في جهة واحدة يحقق التشويق، ويمهد للإخبار عنهما فإذا جاء صادف نفساً مهيئة، وعقلاً يقظاً، وفي الحديث مقابلة بين الجليس الصالح، والجليس السوء، وبين حامل المسك ونافخ الكير، وهي تجلى أبعاد المعنى، وتصور المفارقة بين الجلسة في ريح طيبة. والجلسة في الحر والريح الكريهة، وتشبيه الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير يشير إلى عدة دلالات منها: أن أثر المجلس خيراً، أو شراً ينسحب على بقية الجالسين، كما يشير إلى شدة تأثر الجليس بنوعية جلسائه، كما يشير التشبيه بالريح إلى سرعة الانتشار التي تؤكد سرعة بلوغ الأثر، كما يشير التعبير بحرق الثوب، ونتن الرائحة يشير إلى قوة التأثير، والحديث يشير من قريب إلى ضرورة أن يتأنى الإنسان في اختيار جليسه، وصاحبه، وأن ينظر الوالد في جلسائه أبنائه، وأهله حتى يمنع عنهم نافخ الكير.

فقه الحديث

وفي الحديث من لأحكام ما يأتي:

١- الترغيب في مجالسة الصالحين، وأهل الخير، والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب.

٢- النهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة[٢].

٣- وفيه: جواز ضر المثل، والعمل في الحكم بالأشباه والنظائر[٣].

٤- وفي الحديث طهارة المسك، واستحبابه، وجواز بيعه.

---

(١) ينظر الأمثال من الكتاب والسنة لأبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ص١٢: ١٤ تحقيق د/ السيد الجميلي الطبعة الأولي دار ابن زيدون بيروت ١٩٨٥م.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٨/٦، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/٤.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١]، إلى طهارة المسك، وجواز بيعه واستدلوا على ذلك بالسنة، والإجماع والمعقول:

أما السنة: فهذا الحديث، لأن قوله ﷺ: "وإما أن يبتاع منك" يدل على أن المسك يجوز بيعه، ولو كان نجسًا ما جاز بيعه[٢].

وأيضًا ما روي عن عائشة رضي الله عنها، وغيرها من الصحابة رضي الله عنهم أنهم رأوا وبيص المسك في مفارق رسول الله ﷺ[٣].

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على طهارته، وجواز بيعه، وقد حكى الإجماع غير واحد من العلماء منهم النووي[٤].

وأما المعقول: فلأن النبي ﷺ كان يستعمله في بدنه، ويخبر أنه أطيب الطيب[٥]. ولم يزل المسلمون على استعماله، وجواز بيعه[٦].

وهناك رأي ضعيف يرى أن المسك نجس، ولا يصح بيعه، وقد حكاه الماوردي في كتاب البيوع عن الشيعة[٧]، وقال به بعض الفقهاء[٨].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٠٩/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٥٢/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٩٧/١، والوسيط في المذهب، الغزالي ١٦٤/١، وإعانة الطالبين ٨٣/١، والمجموع، النووي ٥٢٨/٢، ٢٩٠/٩ - ٢٩١، والفروع، ابن مفلح ٢١٦/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٢٨/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة <، أخرجه البخاري ١٥٣٨، ومسلم ١١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٥٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦، المجموع شرح المهذب، النووي ٢٩٠/٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦.

(٧) وقد نقل هذه الحكاية النووي في المجموع شرح المهذب، النووي ٥٢٨/٢، بيد أنه بالرجوع إلى كتب الشيعة أنفسهم وجدتهم يتولون بطهارة المسك، وجواز بيعه، سواء في ذلك الشيعة الإمامية، أو الزيدية، فقد جاء في شرائع الإسلام ١٢/٢: "المسك طاهر، ويجوز بيعه في فأره" وايضًا: الروضة البهية ٢٨١/٢، وجاء في البحر الزخار ٣٢١/٤: "ويجوز بيع المسك..."، وينظر في طهارته عند الزيدية التاج المذهب لأحكام المذهب ٢٦/١.

(٨) وقد حكا صاحب الفروع، ابن مفلح احتمالًا، انظر: الفروع، ابن مفلح ٢١٦/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٢٨/١.

واستدلوا على ذلك بأنه دم، ولأنه منفصل من حيوان حي، وما أبين من حي فهو ميت [١].

وقد تولى النووي في المجموع مناقشة هذا الدليل فقال: "وأما قوله: (إنه دم فلا يسلم، ولو سلم لم يلزم منه نجاسته فإنه دم غير مسفوح كالكبد والطحال.

وأما قوله: (منفصل من حيوان حي) فأجاب الأصحاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن الظبية تلقيه كما تلقي اللد، وكما يلقي الطائر بيه، فيكون طاهرًا كولد الحيوات المأكول وبيضه.

ولأنه لو كان من حيوان لا يؤكل لم يلزم من ذلك نجاستهن فإن العسل من حيوان لا يؤكل، وهو طاهر حلال بلا شك.

الثاني: إن هذا قياس منابذ للسنة، فلا يلتفت إليه [٢].

بعد عرض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشة دليل الشيعة، فقد بان بما لا يدع مجالاً للشك رجحان مذهب الجمهور من القول بطهارة المسك وجواز بيعه، أما ما ذهب إليه الشيعة، فهو غلط مخالف للسنة.

قال النووي: "وهذا المذهب خلط صريح، وجهالة فاحشة ولولا خوف لاغترار به لما تجاسرت على كايته" [٣].

وقال ابن عابدين الحنفي في حاشيته على الدر المختار: "وهذا القول لا يعول عليه، ولا يلتفت إليه " [٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٢٩٠/٩.

(٢) المرجع السابق ٢٩٠/٩ - ٢٩١.

(٣) المرجع السابق ٢٩٠/٩.

(٤) الدر المختار، ابن عابدين ٢٠٩/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، وضرب المثل، والترغيب والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد، وضرب المثل، والترغيب والترهيب:

ورد التوكيد في هذا الحديث في قوله ﷺ: (... إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء)، والتوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على قوله مما يُشعر المدعو بأهميته وصدقه، وقد أفاد التوكيد هنا بيان أهمية تأثير الجليس في جلسائه سلبًا أو إيجابًا.

وضرب المثل من الأساليب الدعوية التي يفيد منها الداعية في توضيح توجيهاته الدعوية بما يشهده الناس بأم أعينهم، وبما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقية [1]، وهذا ما ورد في الحديث في قوله: (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)، وقد أفاد ضرب المثل هنا بيان سرعة تأثير الجليس من خلال التمثيل بانتشار الرائحة الطيبة أو الرائحة المنتنة، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: (فحامل المسك إما أن يحذيك، وأما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة).

قال ابن حجر: "وفي الحديث الترغيب في مجلسة من ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا"[2].

"والترغيب من الأساليب الدعوية التي بها تشوق نفس المدعو وتحمله إلى فعل الأمر المدعو إليه، وذلك على عكس الترهيب الذي يقصد إلى إخافة المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة للأمر المدعو إليه"[3] وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: (ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة).

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٤٢.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٢١.

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا"[١] فينبغي على الداعية ترهيب المدعوين من جلساء السوء".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من تمثيل النبي ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، وقوله ﷺ في ذلك: (إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ريحًا طيبًا)، وتمثيله ﷺ الجليس السوء بنافخ الكير، وقوله ﷺ: (إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة).

قال القرطبي رحمه الله: "ومقصود هذا التمثيل: الحض على صحبة العلماء والفضلاء، وأهل الدين، وهو الذي يزيدك نطقه علمًا، وفعله أدبًا، ونظره خشية، والزجر عن مخالطة من هو على نقيض ذلك" [٢].

قال النووي رحمه الله: "وفي الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"[٣].

قال أبو حاتم: "العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، بطئ انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطئ اتصالها. وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم.

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب، لئلا يكون مريبًا. فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر.

وأنشدني محمد بن عبدالله بن زنجي البغدادي:

عَليك بإخوان الثِّقَات فإنهم ... قليلٌ فَصِلْهم دُون مَن كنت تَصْحَبُ

ونَفْسَكَ أكرمها وصُنها؛ فإنها ... متى ما تجالس سفلةَ الناس تعطَبُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٤٢/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٣٤/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦١.

... قال ابن عيينة: "من أحب رجلاً صالحًا فإنما يحب الله تبارك وتعالى"....،

وقال مالك بن دينار: "إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ من أن تأكل الخبيص[1] مع الفجار".

وقال أبو حاتم: "العاقل لا يُدنس عرضه، ولا يعوّد نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار، ولا يُغضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار".

فعن أبي عمرو بن العلاء، قال: رآني سعيد بن جبير وأنا جالس مع الشباب، قال: ما يجلسك مع الشباب؟ عليك بالشيوخ.

وعن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال: قال أبو الدرداء: لصاحبٌ صالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الساكت والساكت خير من مملي الشر.

قال أبو حاتم: "العاقل لا يصحب الأشرار؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار. تُعقب الضغائن، لا يستقيم وده، ولا يفي بعهده، وإن من سعادة المرء خصالاً أربعًا: أن تكون زوجته موافقة، وولده أبرارًا، وإخوانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده.

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرًا تكون مجالسة الكلب خيرًا من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم.

فالواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر. ومن كان أصدقاؤه أشرارًا كان هو شرّهم، وكما أن الخير لا يصحب إلا البَررَة، كذلك الرديّ لا يصحب إلا الفَجَرة: فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات، لأن محمد بن عثمان العقبي قال: حدثنا أحمد بن داود البصري، حدثنا ابن عائشة، قال: قال عبدالواحد بن زيد: (جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم)[2].

---

(١) الخبيص: نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطًا بالسمن، (القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ب ص).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان البستي، ص ٩٩ - ١٠٣.

فمجالسة الصلحاء لها أثر عظيم على سلوك الإنسان لما في ذلك من التخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم، ومن هنا كان الأجدر بالداعية أن يرشد المدعوين إلى مجالسة الصلحاء من الناس.

الحديث رقم (٣٦٤)

٣٦٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

"تنكح المرأة لأربع ... فاظفر بذات الدين": معناه: أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع، فاحرص أنت على ذات الدين، واظفر بها، واحرص على صحبتها[٢].

تربت يداك: يقال في الدعاء، أي: خسر أو افتقر[٣].

الشرح الأدبي

يشير معنى الحديث إلى عادة الناس في اختيار المرأة ويوجِّه إلى اختيار ذات الدين وبناء الفعل لما لم يسم فاعله (تنكح) يعطي الفعل صفة العموم، إشارة إلى شيوع ذلك في الناس و(ال) في المرأة للجنس، وقوله (لأربع) تنكير الكلمة يفيد التشويق، وهو إجمال يتلوه تفصيل يحقق اليقظة عن طريق الترقب الحاصل من الرغبة في معرفة ما تسفر عنه النكرة، وفيه حذف تقديره لإحدى خصال أربع، ثم فصَّلها بقوله (لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا) وفيه حسن تقسيم؛ لأنه عدد الصفات التي تنكح من أجلها المرأة، واستوعب الأسباب جميعاً، وأخر صاحبة الدين في الذكر إشارة إلى أنها وإن كانت تنكح لتلك الأغراض لكن اللائق الضرب عنها صفحا وجعلها تبعا وجعل الدين هو المقصود بالذات فمن ثم قال (فاظفر بذات الدين) أي اخترها وقربها من بين سائر النساء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦/٥٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧١).

(٢) رياض الصالحين ١٨٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ب).

ولا تنظر إلى غير ذلك، والتعبير بالظفر لأنه غاية المراد، والأمر بالظفر للترغيب، والعطف بالفاء يفيد الترغيب في المسارعة لاختيار ذات الدين وقوله (تربت يداك) أي لصقت بالتراب وهو كناية عن الفقر، وقيل: هو دعاء في الأصل إلا أن العرب تستعملها للإنكار والتعجب والتعظيم والحث على الشيء وهذا هو المراد به ههنا وفيه الترغيب في صحبة أهل الدين في كل شيء لأن من صاحبهم يستفيد من أخلاقهم ويأمن المفسدة من جهتهم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النكاح وأنه سنته ﷺ وسنة الأنبياء قبله، وأن المرأة حين تنكح فلمزايا فيها وأن أفضل هذه المزايا أن تكون ذات دين.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يندب لمن أراد النكاح أن يتحرى ذات الدين حتى يقيم أسرته على رضا الله سبحانه وحتى تحفظه زوجته وتحفظ أولاده وماله في حضوره وغيبته.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أسس اختيار الزوجة الصالحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الزوجة الصالحة ذات الدين.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على الزواج للمحافظة على سلامة ونقاء المجتمع.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٩٥/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٤٠٤/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢١٥/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ١٠٨/٣، وتحفة المحتاج ١٨٤/٧، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٢٤/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨/٥.

أولاً – من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب التفصيل بعد الإجمال وهذا في قوله ﷺ: "تنكح المرأة لأربع..." ثم فصّل النبي ﷺ هذه الأربع، وذلك لأجل البيان والإيضاح لهذه الأمور حتى يكون المدعو على بينة منها حال اختياره للزوجة التي يجب أن تكون ذات دين وصلاح.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: أسس اختيار الزوجة الصالحة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك...".

قال عبدالله البسام: "يخبر النبي ﷺ أن الذي يدعو الرجال إلى اختيار المرأة زوجةً هو أحد أربعة أمور:

أ/ فبعض الرجال يريد في المرأة الحسب والشرف الباقي لها ولآبائها، فالحسب هو الأفعال الجميلة للرجل ولآبائه.

ب/ وبعض الرجال يرغب في المال والثراء فنظرته نظرة مادية بحتة.

ج/ وبعض الرجال يطلب الجمال ويهيم في الحسن الظاهري ولا ينظر إلى ما سواه.

د/ وبعض الرجال يبحث عن الدين والتقى، فهو مقصده ومراده، وهذه الصفة الأخيرة هي التي حثّ عليها النبي ﷺ بقوله: (فاظفر بذات الدين ترتبت يداك)، كلمة يؤتى بها للحث على الشيء والأخذ به، وعدم التفريط فيه. واللائق بذوي المروءة وأرباب الصلاح أن يكون الدين هو مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذلك اختار النبي ﷺ بآكد وجه وأبلغه، فأمر بالظفر الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار"[1].

وقال ابن هبيرة: "أن مفهوم هذا الحديث أن المرأة إذا نكحت لمالها، كان ذلك قدحًا في معنى المروءة، من جهة أن الله تعالى جعل الرجل هو المنفق على المرأة؛ فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[2].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٤/٣٥٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

فمن تزوج المرأة لمالها؛ فكأنه قلب ما خلق له إلى المرأة؛ ورضي بالمقام الأدنى. فأما التي تنكح لجمالها؛ فإن الجمال بانفراده من غير دين يكون مجسرًا لها على الصلف؛ فلا يفيد إلا أن يضم إليه الدين، بل يكون بلية.

وكذلك الحسب، فإنها تفتخر عليه، وتتطاول، كما جرى ولا سيما بنت الجون الكندية في قولها للنبي ﷺ: (وهل تهب المرأة نفسها للسوقة؟! فشقيت بذلك)[١][٢].

قال ابن حجر: "قال ابن المنير: هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية، والسوقة عندهم من ليس بملك كائنًا من كان، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك، وكان ﷺ قد خير أن يكون ملكًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا نبيًا تواضعًا منه ﷺ لربه. ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها"[٣].

وقال ﷺ لأبي أسيد رضي الله عنه: ((أكسُها رازقيتين[٤]، وألْحقها بأهلِها))[٥].

قال ابن حجر: "فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية"[٦].

قال ابن هبيرة رضي الله عنه: "فلا يسعد الرجل بذلك إلا بصحبة ذات الدين"[٧].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الزوجة الصالحة ذات الدين:

إذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه باختيار المرأة الصالحة دينًا واستقامة، وأن تكون بارة بوالديها، ومن بيت معروف بالبر والإحسان، وذلك لأن ذات الدين حريصة على دينها وعلى دين أبنائها وتربيتهم التربية الصحيحة السليمة كما أنها حريصة على زوجها

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٥٥.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٧٦/٦ - ٢٧٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٩.

(٤) الرازقية: ثياب من كتان بيض طوال قاله أبو عبيدة. وقال غيره: يكون في داخل بياضها زرقة، والرازقي الصفيق. (فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/٩).

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٥٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/٩.

(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٧٧/٦.

وسعادته، ومن ذلك أن تجعل أبناءها في غاية البر والإحسان والتقدير والاحترام لأبيهم، لشعورها بأن ذلك من دينها"[١]. وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في نص الحديث في قوله: (فاظفر بذات الدين ترتبت يداك).

قال ابن حجر: "أي أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية"[٢].

قال ابن هبيرة: "وقوله: (إن المرأة تنكح لمالها، ولحسبها، وجمالها، ودينها)، فإنه لم يأمر أن تنكح المرأة لمالها فحسب، غير أن هذا اختار منه أنه قد يقصد، ولكن ليس بالجيد ولا بالأفضل، فلما وصل بذات الدين أمر ثم حض وسماه ظفرًا، والظفر لا يشتمل إلا عند كشف شدة أو إدراك مطلب سني.

وقوله: (بذات الدين): بالألف واللام؛ يعني به الدين المعروف، وأن تكون مشهورة به. وقوله: (تربت يداك)، لفظه لفظ الدعاء، وليس المراد به الدعاء، إلا أنه يستعمل للبعث والحض والإغراء"[٣].

قال البسام: "في الحديث أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون الناس هم قدوته، ولا أن تكون أعمالهم هي المرغوبة عنده، فالنبي ﷺ ذكر في هذا الحديث أن ثلاثة أصناف من الناس مخطئون في اختيارهم لصفات الزوجة، وأن صنفًا واحدًا هو المصيب.

وفيه أنه ينبغي للإنسان أن ينظر في أموره لمستقبلها، وألا تكون النظرة الحاصرة العاجلة هي هدفه، فإن الزوجة الصالحة في دينها هي التي تحفظه في نفسها، وتحفظه في بيته، وتحفظه في ماله، وهي القرين الصالح الأمين.

وفيه أن الرجل لا يحرم عليه إذا كان من رغبته في الزوجة الحسب والجمال والمال مع الدين، وإنما يعاب عليه إن أهمل أهم صفات الزوجة وهي الدين.

---

(١) بر الوالدين القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٢٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٢٧٦.

والنبي ﷺ أخبر بما يفعله الناس في العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع، ويؤخرون (ذات الدين) فأمر ﷺ أن يقدّم ما يؤخرون فقال: (فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين، وفُز بها)[١].

وقد عظم النبي ﷺ فضل الزوجة الصالحة فقال: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ. وَلَيْسَ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ))[٢]. وعن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ، قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ. فَأَوْضَعَ على بعيرِهِ. فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنَا فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ: ((لِيتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ))[٣]، وفي ذلك بيان فضل الزوجة الصالحة ذات الدين.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على الزواج للمحافظة على سلامة ونقاء المجتمع:

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، حيث قال ﷺ: (تنكح المرأة لأربع....)، فالزواج سنة من سنن الهدي حثّ عليه الرسول ﷺ ورغّب فيه بأنواعه. وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "وهذا أمر بالتزويج"[٥].

وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: "ثلاثة كلهم حق على الله عونه، ثم ذكر منهم. والناكح الذي يريد التعفف"[٦]، وقال ﷺ: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج... ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))[٧].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٣٥٦/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٥).

(٤) سورة النور، آية: ٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١/٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٥١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٩٢).

(٧) أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت إليه نفسه"[١].

"والنبي ﷺ في هذا الحديث يخاطب شباب أمته الذين هم غرسها النامي، وعتادها في مستقبل أيامهم أن يبادر الشباب منهم إلى التزوج متى كان قادرًا على أمور الزواج من النفقة وما يتبعها، وكان به توقان إلى النساء حتى لا تزل به القدم في مهواة المعاصي وحمأة الشرور فإن للشباب فتوة ونزوة تدفع الشباب إلى إطاعة شهوته وتتهره على إرضائها بدون أن يبالي سوء مغبة أو حسنها، وكم جر ذلك من ويلات وأعقب من أدواء استفحل فيما بعد شرها، وعم ضررها وأصبحت ملافاتها عسيرة وتدارك أخطارها في غير الوسع والطاقة، وكم شاب أغرته شهوته واستعبدته لذته فآتى نفسه من المعاصي حظها وأروى من الموبقات غلتها فكان عاقبة ذلك أن افتقر بعد يسر ومال عريض، وضعف بعد قوة وصحة شاملة، وانتابته الأمراض والعلل فصار حليف الهم والسهاد، ينام على مثل شوك (القتاد)[٢]، قد أقض مضجعه، وذبلت نضرته وتنكرت له الحياة بعد إقبالها، وكشرت له الأيام بعد ابتسامها، وكَلَبَهُ الزمان[٣] وقد كان له مواتيًا مطيعًا، ونفر منه الأصدقاء، وكان قرة أعينهم وموضع الغبطة والسرور منهم.

ولقد بين الرسول ﷺ حكمة المبادرة إلى الزواج بعد القدرة والاستطاعة بأنها تحصن الفرج عن الوقوع في المحرمات وملابسة ما يغضب الله ويزري بالشرف والكرامة، وتدعو إلى العفة وغض البصر عما لا يجعل من محارم الله. أضف إلى ذلك أن المبادرة إلى الزواج تمكن المرء إذا رزق أولادًا من تربيتهم والقيام بشؤونهم وإعدادهم لمستقبل حياتهم وجعلهم رجالاً صالحين ينفعون أنفسهم وأمتهم، ويجعل منهم عمادًا لها وقوة، يرهب بهم جانبها، وتقوى شوكتها وتحفظ هيبتها وكرامتها، ويدفع من يريد إذلالها واستعبادها. وأما إذا أبطأ في الزواج حتى تقدّم به العمر فقد لا يستطيع تربية

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦٨.

(٢) القتاد: شجر صلب له شوكة كالإبر، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ق ت د).

(٣) كلبه الزمان: وثب عليه، وضايقه. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ك ل ب).

أولاده لضعف قوته وعجزه عن تحصيل ما به حياتهم وتوفير أسباب السعادة لهم، وربما أدركه الأجل فيتركهم (كزغب القطا)[١] مهيضي الجناح[٢] ضعيفي المنة[٣]. لا يقدرون على دفع عوادي الأيام وكلب الزمان.

زد على ذلك أيضًا أن الإبطاء في الزواج يزيد في كثرة الفتيات العانسات ويفوت عليهن زمن نضرتهن، وجني ثمارهن في إبانة وليس لهن القوة على مدافعة الشهوة كالرجال فتطغى عليهن وتجبرهن على سلوك طريق الغواية والفساد وهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، من اختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الأعراض وتمزيق ثوب الحياء والاستهتار بما يزيل الكرامة ويذل الشرف والعزة ويقضي على الإباء والمروءة والنخوة.

وقد وصف الرسول ﷺ العلاج لغير القادر على الزواج وهو الصوم فإنه يكسر الشهوة ويقتل الميل والرغبة في النساء لأنه يضعف البدن وينقص من الدم الذي يبعث الحرارة والقوة فتقل دوافع الشهوة وتضمحل شدتها"[٤]. وبذلك يحدث نقاء المجتمع الإسلامي وسلامته.

---

(١) كزغب القطا: أي يتركهم صغارًا ضعافًا (نقلاً عن حاشية المعتنى بكتاب الأدب النبوي، عبدالمجيد ص ٢٤٣).

(٢) مُهيضي الجناح: مكسوري الجناح (القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي ص ٦٠٥).

(٣) المُنّة بالضم: القوة يقال هو ضعيف المُنَّة، مختار الصحاح في (م ن ن).

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

الحديث رقم (٣٦٥)

٣٦٥-وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ لِجبريل: ((**مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورنا أكثَر مِمَّا تَزُورَنَا؟**)) فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾[مريم: ٦٤] رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث حوار بين رسول السماء للأرض جبريل، وبين رسول الأرض للأرض محمد ﷺ يحكي شوق النبي ﷺ لأخيه جبريل لأنه يأتيه من حبيبه ذي الجلال والإكرام، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يدل على الحركة الحوارية، والتجاوب بين المتكلم، والمخاطب، وينبيء عن التواصل بينهما، وهو أسلوب الاستفهام، وهو استفهام خرج عن حقيقته إلى معنى التحضيض، والحث على الزيارة يدل عليه ذكر أفعل التفضيل (أكثر) رغبة في مزيد من الزيارات وتكرار فعل الزيارة، وصياغته في صورة المضارع الدالة على التجدد، والاستمرار، وهو ما يرغب فيه ﷺ، وإيقاع فعل الزيارة على المفعول الذي هو ضمير الجماعة؛ لأن زيارة جبريل للرسول ﷺ هي زيارة لأهل الأرض جميعاً، وقد جاءت الإجابة في الآية الكريمة، في قوله تعالى (وما نتنزل إلا بأمر ربك) وهو أسلوب قصر يقصر نزول الملائكة على أمر الله لا تتعداه، وما نافية، والضمير في الفعل لجبريل، والملائكة، و﴿نتنزل﴾ مرادف ننزّل، وأصل التنزّل: تكلّف النزول، فأطلق ذلك على نزول الملائكة من السماء إلى الأرض؛ لأنّه نزول نادر وخروج عن عالمهم فكأنه متكلّف، وقوله: (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) واللاّم في «له» للملك، وهو ملك التصرف، والمراد بـ﴿مَا بَينَ أَيْدِينَا﴾ ما هو أمامنا، وبـ﴿وَمَا

---

(١) برقم (٤٧٣١).

خلفنا﴾ ما هو وراءنا، وب ﴿ومَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما كان عن أيمانهم وعن شمائلهم، لأن ما كان عن اليمين وعن الشمال هو بين الأمام والخلف. والمقصود استيعاب الجهات، ولمّا كان ذلك مخبراً عنه بأنه ملك لله تعين أن يراد به الكائنات التي في تلك الجهات، فالكلام مجاز مرسل بعلاقة المحلية حيث أطلق المحل، وأراد الحال فيه، مثل ﴿واسأل القرية﴾[يوسف: ٨٢]، أي اسأل أهل القرية، فيعمّ جميع الكائنات، ويستتبع عمومَ أحوالها، وتصرفاتها مثل التنزل بالوحي، ويستتبع عموم الأزمان المستقبل، والماضي، والحال، وقد فسر بها قوله ﴿ما بين أيدينا وما خَلْفنا وما بينَ ذلِكَ﴾[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: طلب زيارة أهل الخير والعلم والاستزادة من الفضل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تنزل الملائكة بأمر الله.

أولاً – من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ وقد أفاد الاستفهام هنا رغبة النبي ﷺ في زيادة جبريل عليه السلام لعدد مرات الزيارة للفائدة العظيمة في ذلك، واسلوب الاستفهام اسلوب دعوي مفيد حيث أنه من الأساليب التي تعين كلا من الداعية والمدعو في الاستفهام عما يريد معرفته وما أشكل عليه.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: طلب زيارة أهل الخير والعلم والاستزادة من الفضل:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: طلب زيارة أهل الخير والعلم، وهذا ما يستفاد في قوله ﷺ لجبريل عليه السلام: (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟)، قال ابن عثيمين: "إن في الحديث طلب زيارة أهل الخير إلى بيتك، فتطلب منهم أن يزوروك من أن تنتفع بصحبتهم"[٢].

---

[١] ينظر تفسير الآية في التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور.

[٢] شرح رياض الصالحين ١/٧٢٦.

وليس أدل على ذلك من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه ((وهوَ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ممَّن شَهِدَ بَدرًا مِنَ الأنصارِ أنه أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ قد أنكرتُ بَصَرِي وأنا أُصلِّي لقَومي، فإذا كانتِ الأمطارُ سالَ الوادي الذي بَيني وبينَهم لم أستَطِعْ أن آتيَ مسجدَهُم فأصلِّي بهم. ووددْتُ يا رسولَ اللهَ أنَّكَ تأتيني فتُصلِّيَ في بَيتي فأتَّخذَهُ مُصلًّى. قال: فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: سأفعلُ إن شاءَ اللهُ. قال عِتبانُ: فغدا رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ حينَ ارتَفعَ النهار فاستأذَنَ رسولُ اللهِ ﷺ فأَذِنتُ له، فلم يجلسْ حتى دَخلَ البيتَ ثمَّ قال: أَينَ تُحِبُّ أن أُصلِّيَ من بَيتِكَ؟ قال: فأشرتُ له إلى ناحيةٍ من البيت، فقام رسولُ اللهِ ﷺ فكبَّرَ، فقمنا فصففْنا فصلَّى رَكعتَينِ، ثم سلَّمَ... إلخ))[١].

قال النووي: "وفيه زيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعهم، وتبريكهم إياهم، وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة تعرض"[٢]، وفي ذلك بيان على طلب زيارة أهل الخير والعلم للاستزادة من الفضل.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تنزل الملائكة بأمر الله:

يظهر ذلك في هذا الحديث في قول الراوي "فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٣].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث ما يدل على أن جبريل عليه السلام غير محكم في نفسه، وأنه لا يمكنه أن ينزل نزلة ولا يرقى رقيا إلا بإذن الله عز وجل"[٤].

وقال السعدي في تفسيره لقوله تعالى على لسان جبريل عليه السلام: "(وما تتنزل إلا بأمر بك): استبطأ النبي ﷺ جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: (لو تأتينا أكثر مما تأتينا) شوقًا إليه، وتوحشًا لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله. فأنزل الله تعالى على لسان

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥، ومسلم، ٣٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٦.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٦٩/٣.

جبريل عليه السلام: (وما نتنزل إلا بأمر ربك) أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أُمرنا ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمرًا، كما قال الله عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، فنحن عبيد مأمورون.

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي: له الأمور الماضية والمستقبلة والحاضرة، في الزمان، والمكان فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأننا عبيد مدبرون فيبقى الأمر دائرًا بين: هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخره؟ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2]، أي: لم يكن لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3]، بل لم يزل معتنيًا بأمورك، مجريًا لك على أحسن عوائده الجميلة، وتدبيره الجليلة.

أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك، ولا يهمك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه"[4].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٣) سورة الضحى، آية: ٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٤٧.

الحديث رقم (٣٦٦)

٣٦٦- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد لا بأس بهِ.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صدر الحديث في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، وهو طريق يأتي فيما ينكره المخاطب أو يجهله، ولما كان الناس في غفلة عن هذا التوجيه المهم خاطبهم خطاب الجاهل، وأسلوب القصر في الجملة الأولى يقصر المصاحبة على المؤمن، وينفيها عن من سواه، والجملة الثانية تقصر الإطعام على التقي، وتنفيه عن غيره، وقوله: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) أي متورع، والأكل وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيا؛ لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة بل هي أوثق عرى المداخلة ومخالطة غير التقي يخل بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ولا يكاد فلا تخطئه فتنة الغير به، ثم إن فاعل الجملة الأولى الضمير المستتر(أنت) يجعل النهي موجهاً لكل من بلغه الخطاب عبر الزمان، والمكان، بأن ينظر في دين من يصاحب، وحال من يأكل معه، ويدخل عليه بيته، ويطلع على بعض خصوصياته؛ فكم هدم البيوت تهاون عن مثل هذه التوجيهات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٥٤)، وقال الحاكم (١٢٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٦٠) وعزاه إلى ابن حبان فقط، واعترض عليه الناجي في العجالة.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- النهي عن مصاحبة الكفار، والمنافقين، لأن مصاحبتهم مضرة بالدين.

٢- يندب عدم إطعام الطعام إلا للأتقياء.

والمراد بالطعام في الحديث طعام الدعوة، وليس طعام الحاجة، لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1]، ومعلوم أن أسراءهم لم يكونوا مؤمنين، ولا أتقياء.

وإنما حذر رسول الله ﷺ من مصاحبة من ليس يتقى، وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته، لأن المخالطة والمؤاكلة توقع الألفة في القلوب[2]، فيخشى أن يتآلف قلبه مع غير التقى، فيعدى فيه.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مصاحبة الصالحين الأتقياء.

ثالثًا: من واجبات المدعو: عدم إكرام أهل السوء والفساد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الأصحاب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والإخبار:

النهي من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها إرشاد المدعو وتوجيهه إلى ما فيه الخير والفلاح له في الدنيا والآخرة، وقد ورد النهي في هذا الحديث في قوله ﷺ (لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي)، لبيان أهمية البعد والحذر عن مصاحبة العصاة ومن لا يعينون على طاعة الله، وللتأكيد على أهمية مصاحبة الأتقياء الصلحاء.

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢٣/١٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٦٤/٧، وتفسير ابن كثير ٢١/٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٧).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مصاحبة الصالحين الأتقياء:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنًا" قال العظيم آبادي: قوله: "لا تصاحب إلا مؤمنًا أي كاملاً أو المراد النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين، لأن مصاحبتهم مضرة في الدين فالمراد بالمؤمن جنس المؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي أي متورع. فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيًا. فينبغي على المسلم أن يحرص على مصاحبة الصالحين الأتقياء[1]. وفي ذلك حماية للخلق الحسن والعادات الكريمة، ومن أجل ذلك أمر النبي ﷺ بتخير الجليس، فقال: " مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ أَنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِب الكِيرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ"[2]. "فبمصاحبة الصالحين يكون النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، "فعلى المرء أن يتخير مصاحبة الصالحين الذين يعينونه على أداء الواجب وحفظ الحقوق ويحجزونه عن السوء واقتراف الحرام، فهم قرناء الخير، الذي يجب أن يستمسك بهم، ويحرص على مودتهم، وإلا فليحذر الانخداع بمن يزينون له طرق الغواية، أو يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو"[3].

ثالثًا- من واجبات المدعو: عدم إكرام أهل السوء والفساد:

أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ"، وفي ذلك قال الطيبي: "إن النبي ﷺ قد حذر وزجر عن مخالطة ومواكلة من ليس بتقى لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب"[4]، فعلى المدعو أن يتحرز من ذلك امتثالاً لأمره ﷺ وحماية لدينه.

ومما لا شك فيه أن إكرام أهل السوء والفساد والتودد إليهم بصحبتهم ومخالطتهم. لدليل على الرضا بحالهم والسير على نهجهم، وفي ذلك شدة العذاب وسوء العقاب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٢٩، وصححه الألباني، (صحيح سن أبي داود ٤٠٤٢).

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٨٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٤/٩.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

قال القاسمي: "الفتنة: إما بمعنى الذنب، كإقرار المنكر، وافتراق الكلمة والتكاسل في الجهاد وإما بمعنى العذاب. فإن أريد الذنب فإصابته بإصابة أثره. وإن أريد العذاب، فإصابته بنفسه. و(لاتصيبن) جواب للأمر، أي: إن إصابتكم لا تختص إصابتها. بمن يباشر الظلم منكم، بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم، وتعدي رذيلتهم إلى من يخالطهم"[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ))، ثم قال: ((﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ إلى قوله: فاسقون﴾[3] ثم قال: ((كَلاَّ واللهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظالمِ ولَتَأْطِرُنَّهُ على الحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا))[4]. وهذا يقتضي عدم إكرام أهل السوء والفساد والبعد عن مخالطتهم ومؤاكلتهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الأصحاب:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فلينظر أحدكم من يخالل"، وفي ذلك قال ابن عثيمين: (إن الإنسان يكون في الدين وكذلك في الخلق على قدر من يصاحب، فلينظر من يصاحب فإن صاحب أهل الخير صار منهم وإن صاحب سواهم صار

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٥.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٣٦/٨/٥.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٨١.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٣٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٩٣٢).

مثلهم)[1]، وقال محمد الغزالي: في أهمية اختيار الأصحاب:"إن الطبع يسرق من الطبع، وما أسرع، أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه، وللعدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام... وقد شوهد أن عدوى السيئات أشد سريانًا وأقوى فتكًا من عدوى الحسنات، ففي أحيان كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب بها إلى البريء منها، ويندر أن يقع العكس"[2]، وفي ذلك بيان على أهمية اختيار الأصحاب بما يتفق وأوامر الله ورسوله ﷺ لما في ذلك من حماية للأخلاق وصون للأعراض والفوز برضوان الله تعالى.

---

١) شرح رياض الصالحين ٧٢٦/١.

٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٨٩.

الحديث رقم (٣٦٧)

٣٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد صحيح، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الخليل: الصديق الخالص[2].

الشرح الأدبي

بدأ الراوي روايته بعدة مؤكدات تنبيهاً إلى عظمة الخبر، وعظمة من يخبر عنه، ونص الحديث يبدأ بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة دون توكيد؛ لأن المتكلم لا يتوقع اعتراضاً من المخاطبين، ولعلهم كانوا في يقظة لحديثه فلم يستلزم المقام وجود التوكيد، و(ال) في الرجل للجنس، و(على دين خليله) والخلة خالص المحبة، وبين خليله، و يخالل جناس يقرر المعنى ويوضح مدار المعنى وهو ضرورة التدقيق في الخليل، والتعبير بالخلة إشارة إلى شدة المحبة التي تحمل صاحبها على موافقته فيما هو عليه بموجب المحبة بينهما غالبا، والخلة الحقيقية لا تتصور إلا في الموافقة الدينية، أو الخلة الظاهرة قد تقضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية، ويؤيده قوله (فلينظر أحدكم من يخالل) والفاء للسببية والأمر توجيه، وإرشاد، وتحذير، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حديث حسنٌ غريبٌ.. وقال الحاكم (١٧١/٤): صحيح إن شاء الله تعالى ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في أجوبته على المشكاة (حديث ١١): صحّحه الحاكم، ورجاله موثقون، إلا ان الراوي عن موسى مختلف فيه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

على الإنسان أن يتدبر، ويتأمل من يصاحبه، فمن رضي دينه وخلقه صادقه، ومن لم يرضى فيه ذلك تجنبه، لأن الطباع سراقة[١].

وقد صدق الشاعر في قوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي[٢]

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام، أن ابن جزي المالكي ذكر للصديق شروطًا سبعة:

١- أن يكون سنيًا في اعتقاده.

٢- أن يكون تقيًا في دينه، فإنه إن كان بدعيًا أو فاسقًا ربما جرّ صاحبه إلى مذهبه، أو ظن الناس فيه ذلك، فإن المرء على دين خليله.

٣- أن يكون عاقلاً، فصحبة الأحمق بلاء.

٤- أن يكون حسن الخلق، فإن سيء الخلق لم تؤمن عداوته، وتختبره بأن تغضبه، فإن غضب فاترك صحبته.

٥- أن يكون سليم الصدر في الحضور والغيبة، لا حقودًا، ولا حسودًا، ولا مريدًا للشر، ولا ذا وجهين.

٦- أن يكون ثابتًا غير ملول.

٧- أن يقوم بحقوقك كما تقوم بحقوقه، فلا خير فيمن لا يرى لك من الحق مثل الذي ترى له[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٤٢/٧.

(٢) هذا البيت ذكره القرطبي في تفسيره دون أن ينسبه لقائله، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٨/٤.

(٣) القوانين الفقهية، ابن جزي، ص ٢٩١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٦٨)

٣٦٨- وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية[٢]: قيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ يُحبُّ القَومَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: ((**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه الحث على قوة محبة الرسل، واتباعهم بحسب مراتبهم، والتحذير من محبة ضدهم، فإن المحبة دليل على قوة اتصال المحب بمن يحبه، ومناسبته لأخلاقه، واقتدائه به، فهي دليل على وجود ذلك، وهي أيضا باعثة على ذلك، وأيضا من أحب الله تعالى، فإن نفس محبته من أعظم ما يقربه إلى الله، فإن الله تعالى شكور، يعطي المتقرب أعظم - بأضعاف مضاعفة - مما بذل، والحديث جاء في لافتة قصيرة في تمام الوضوح بألفاظ ميسورة يستوي في فهمها الجميع، وكأنه أرادها أن تكون على ألسنة جميع الناس، وفي عقولهم تدفعهم إلى محبة الله ورسوله وصحبه، والمؤمنين؛ ولذلك عمم في المعنى وبنى الحديث على ذلك فـ(من) تقتضي العموم، وضمير المفعول في أحب محذوف تقديره من أحبه وهو يرجع إلى كلمة (من) فيكتسب العموم منها، ولفظ المرء يشمل الجميع، ولفظ (مع) يشير على التلازم في العاقبة، ولفظ (أحب) يشير مع ما قبله إلى أن عمل القلب له كبير الأثر على أفعال العبد، ومصيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٠) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري بالرقم الذي تقدم.

فقه الحديث

فيه من الأحكام ما يأتي:

فضل حب الله تعالى ورسوله ﷺ والصالحين، وأهل الخير الأحياء والأموات، لأن من أحب قومًا كان في زمرتهم.

ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمل لكان منهم، وإنما ربما أدت هذه المحبة إلى موافقتهم(١).

المضامين الدعوية(٢)

أولاً: من أساليب الدعوة: البيان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحب في الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والسؤال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: السؤال عن الساعة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الالتفات إلى الأهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ.

سابعًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

أولاً- من أساليب الدعوة: البيان:

البيان من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إبلاغ أمور الدين، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالبلاغ والبيان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمد ﷺ باسم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨٦/١٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٥/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٥٣/٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٩، ٣٧٠).

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الرسالة، وآمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام. قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدَّثنا محمد بن يوسفَ حدَّثنا سفيانُ عن إسماعيلَ عن الشعبيِّ عن مَسروقٍ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: (مَن حدَّثكَ أنَّ محمدًا ﷺ كَتَمَ شيئًا مما أُنزِلَ عليه فقد كذَب، واللَّهُ يقول: ﴿يا أيُّها الرسول بلِّغْ ما أُنزِلَ إليك﴾[1])[2].

وقد بيّن النبي ذلك ﷺ في هذه الأحاديث التي نحن بصددها أن: "المرء مع من أحب"، ولا شك أن هذا البيان النبوي أفاد أهمية حب الصالحين وحب نبي الرحمة ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحب في الله تعالى:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "المرء مع من أحب"، وأيضًا في قوله ﷺ "أنت مع من أحببت".. قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن من أحب قومًا كان معهم، ومعنى ذلك أنه أحبهم على الإيمان لعملهم بالحق فصار ذلك من محبي الحق وحزبه، فكان له بمحبة الحق درجة الذين يؤثرون نصر الحق وظهوره، فألحق الله تعالى بفضله بأهل الحق)[3]، وهذا هو حقيقة الحب في الله تعالى، وقد عظّم النبي ﷺ فضل ذلك فقال: ((إِنَّ اللّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[4].

قال النووي في قوله تعالى: "المتحابون بجلالي" أي: بعظمتي وطاعتي لا للدنيا، وقوله تعالى: "يوم لا ظل إلا ظلي"، أي: أنه لا يكون من له ظل مجازًا كما في الدنيا، وجاء في غير مسلم ظل عرشي.

قال القاضي عياض: (ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦١٢، ومسلم ١٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٠/٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٠٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

الخلق، قال: وهذا قول الأكثرين. وقال عيسى بن دينار: معناه: كفه من المكاره وإكرامه وجعله في كنفه وستره ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض وقيل: يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم. يقال: هو في عيش ظليل أي: طيب)[(١)].

وقال ﷺ: ((إنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ))، قيل: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهم؟ قَالَ: ((هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٢)،(٣)]، وفي ذلك بيان أهمية وفضل الحب في الله تعالى.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام والسؤال:

الاستفهام والسؤال من الأساليب الدعوية التي تعين المدعو على استبيان ما خفي عنه، وفهم ما أشكل عليه، وقد ورد الاستفهام كأسلوب دعوي في الحديث من قول الراوي: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ أما السؤال فقد ورد في الحديث من قول الراوي: إن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟

رابعًا- من موضوعات الدعوة: السؤال عن الساعة:

يظهر ذلك في الحديث في قول الراوي "إن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: "متى الساعة؟" والسؤال عن الساعة من المواضيع التي كثر السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أخبر الله أن علمها عند الله ولا يعلمها غيره، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[(٤)]، قال ابن كثير: (أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل، فهو

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٩.

(٢) سورة يونس، آية: ٦٢.

(٣) أخرجه ابن حبان ٥٧٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٤٢-٤٤.

الذي يعلم وقتها على التعين)[١].

قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢].

قال السعدي: ("ثقلت في السماوات والأرض"، أي: خفي علمها عن أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضًا عليهم، فهم من الساعة مشفقون، "لا تأتيكم إلا بغتة"، أي: فجأة من حيث لا يشعرون... "يسألونك كأنك حفي عنها"، أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة، كأنك مستخف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك - لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه - غير مبال بالسؤال الخالي من المصلحة، المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وهي من الأمور التي أخفاها عن الخلق، لكمال حكمته، وسعة علمه)[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٤].

قال القرطبي: (قد -أخفى الله عز وجل- الساعة التي هي القيامة، والساعة التي يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل، والأمر عنه مبهم، فلا يؤخر التوبة)[٥].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الالتفات إلى الأهم:

قد ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ: "ما أعددت لها؟" وذلك بعد سؤاله ﷺ عن الساعة في قول الأعرابي: "متى الساعة؟" فبيّن رسول الله ﷺ أن المهم هو الاستعداد والتأهيب لقيامها، إذ هي يوم الجزاء الذي لا ينفع الإنسان فيها إلا عمله[٦]. فلفت

---

(١) تنسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٧٤.

(٤) سورة طه، آية: ١٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٢/١١/٦.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٦٣.

انتباهه إلى الأهم من السؤال عن الساعة وهو الاستعداد لها بالعمل الصالح والالتفات إلى الأهم من الأساليب الدعوية التي بها لفت انتباه السائل عن سؤاله إلى ما هو أهم منه،ولا شك أن الداعية حينما ينتهج هذا المسلك ويعنى بالإجابة على السؤال لكنه يركز على ما هو أهم منه أو ينبغي أن يؤكد عليه كان ذلك عين المصلحة)[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، وأجلّ قواعده، وهي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها[٢]، وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل محبة الله ورسوله لمن جاء يسأله عن الساعة؟ فقال ﷺ (ما أعددت لها؟) قال: حب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت)، وفي رواية: (ما أعددت لها من كثير صوم، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله! قال ﷺ: فأنت مع من أحببت)، وفي رواية لمسلم قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ: (فإنك مع من أحببت)، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بعملهم.

قال القرطبي: (وقوله: "ما أعددت لها كبير صلاة،ولا صيام، ولا صدقة" يعني بذلك: النوافل من الصلاة، والصدقة، والصوم؛ لأن الفرائض لا بد له ولغيره من فعلها، فيكون معناه: أنه لم يأت منها بالكثير الذي يُعتمد عليه، ويُرتجى دخول الجنة بسببه، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون أراد أن الذي فعله من تلك الأمور -وإن كان كثيرًا- فإنه محتقر بالنسبة إلى ما عنده من محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، فكأنه ظهر له: أن محبة الله ورسوله أفضل الأعمال، وأعظم القرب، فجعلها عُمدته، واتخذها عُدته، والله تعالى أعلم.

وقوله: "ما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ"، هكذا وقع هذا اللفظ في الأصول، وفيه حذفٌ وتوسع، تقديره: فما فرحنا فرحًا أشد من فرحنا بقول

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٩٩.

(٢) انظر: التحفة العراقية في أعمال القلوب، ابن تيمية، والداء والدواء، ابن القيم، ص ٣٣٧.

النبي ذلك القول، وسُكت عن ذلك المحذوف للعلم به. وإنما كان فرحهم بذلك أشد؛ لأنهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه، إلا حب الله ورسوله، فأعظمْ بأمر يُلحِقُ المقصر بالمشمر، والمتأخر بالمتقدم. ولما فهم أنس: أن هذا اللفظ محمول على عمومه علّق به رجاءه، وحقق فيه ظنه، فقال: أنا أحب الله، ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. والوجه الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين المحبين كل ذي نفس، فلذلك تعلقت أطماعنا بذلك؛ وإن كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن، وإن كنا غير مستأهلين"[١].

ومما يوجب تحقيق محبة الله ورسوله، إيثارهما على غيرهما. وهذا ما بينه ابن القيم في قوله: (فإذا استقرت المحبة فى القلب، استدعت من المحب إيثار محبوبه على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها، فإذا آثر غير المحبوب عليه لم يكن محبًا له، وإن زعم أنه محب فإنما هو محب لنفسه ولحظه ممن يحبه، فإذا رأى حظًا آخر هو أحب إليه من حظه الذى يريده من محبوبه، آثر ذلك الحظ المحبوبَ إليه ...، وفي مثل هذا قيل:

تعصي الإله وأنتَ تزعُم حبَّهُ ... هذا لعَمْركَ في القياسِ شنيعُ

لو كان حبُّك صادقًا لأطَعتهُ ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

فموافقة المحبوب من موجبات المحبة وثمراتها، وليست نفس المحبة، بل المحبة تستدعى الموافقة، وكلما كانت المحبة أقوى كانت الموافقة أتم، قال الله تعالى: ﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٢]، قال الحسن: قال قوم على عهد النبى ﷺ: إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٤٦ - ٦٤٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقال الجنيد: ادَّعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحبة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، يعنى: أن متابعة الرسول هى موافقة حبيبكم، فإنه المبلغ عنه ما يحبه وما يكرهه فمتابعته موافقة الله فى فعل ما يحب وترك ما يكره.

وقال مالك في هذه الآية: من أحب طاعة الله، أحبه الله وحببه إلى خلقه.

وإنما كانت موافقة المحبوب دليلاً على محبته؛ لأن من أحب حبيبًا فلا بد أن يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه، وإلا لم يكن محبًا له محبة صادقة، بل إن تخلف ذلك عنه، لم يكن محبًا له، بل يكون محبًا لمراده منه، أحبه محبوبه أم كرهه، ومحبوبه عنده وسيلة إلى ذلك المراد، فلو حصل له حظه من غيره ترَّحل عِوضه، فهذه المحبة المدخولة الفاسدة، وإذا كانت المحبة الصحيحة تستدعى حب ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه فلا بد أن يوافقه فيه)[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: (فاتباع سنة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا هي موجب محبة الله، كما أن الجهاد في سبيله وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، هو حقيقتها، كما في الحديث: ((أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ))[2]، وفي الحديث: ((مَنْ أَعْطَى لله وَمَنَعَ لله وَأَحَبَّ لله وأَبْغَضَ لله وَأَنْكَحَ لله، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ))[3].

وكثير ممن يدعي المحبة هو أبعد من غيره عن اتباع السنة، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ويدعي مع هذا إن ذلك أكمل لطريق المحبة من غيره لزعمه أن طريق المحبة لله ليس فيه غيرة، ولا غضب لله، وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة، ولهذا في الحديث المأثور: ((إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[4].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ٢٦٧ - ٢٦٧، ٢٧١.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٦/٤ رقم ١٨٥٢٤، وقال محققو المسند: حديث حسن بشواهده ٤٨٨/٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٢١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٦).

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

فقوله: "أين المتحابون بجلال الله" تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم، وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث: ((حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِبِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّت مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِي وحَقَّتْ مَحَبَّتِي للمُتَصَافِينَ فِيَّ المتواصلين))[١])[٢].

وقال: (فلا بد أن يقوم بالقلب من محبة الله ما يدعوه إلى طاعته، ومن إجلاله والحياء منه ما ينهاه عن معصيته)[٣]. وبذلك يتحقق صدق محبة الله ورسوله، ومن ثم عظيم الفضل وجزيل الثواب.

سابعًا- من اساليب الدعوة: البشارة:

هذا ما ورد في الحديث في قوله ﷺ -مبشرًا لمن أحب الله ورسوله-: "أنت مع من أحببت"، (والبشارة هي كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب)[٤]، (وقد وردت البشارة في القرآن على اثني عشر وجهًا لاثني عشر قومًا باثنتي عشرة كرامة)[٥]، ومن ذلك بشارة المطيعين بالجنة والسعادة والشفاعة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾[٦]، وكذلك بشارة المؤمنين بالعطاء والشفاعة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٧]، والبشارة من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها تشويق النفس وحملها على فعل الأمر المدعو إليه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٢٢٠٢، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٢) التحفة العراقية في أعمال القلوب، ابن تيمية ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) المرجع السابق ٦١.

(٤) التعريفات، الجرجاني ص ٧٠ - ٧١.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٧٨٠/٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٧) سورة يونس، آية: ٢.

الحديث رقم (٣٦٩)

٣٦٩- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًا قَالَ لرسول الله ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**مَا أعْدَدْتَ لَهَا؟**)) قَالَ: حُبَّ الله ورسولِهِ، قَالَ: ((**أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما[2]: مَا أعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر خلال أحداثه أن هناك أموراً لا يعلمها إلا الله، وهي مما اختص الله بها نفسه فأخفاها حتى عن صفوة خلقه (محمد ﷺ وجبريل عليه السلام) وقد قرر الرسول ﷺ هذه الحقيقة كما قررها القرآن أيضاً، وهذا الحديث من هذه النوعية التي تؤكدها، وقد قرر المعنى عن طريق الحوار الهادف المبني على فهم طبيعة المخاطب، وتقرير ما يصلح له، وقد بدأ الحوار على إثر سؤال الأعرابي (متى الساعة؟) ولو قال له ما أعلمها، لما شفى نفسه، ولكن عبقرية الرسول ﷺ حادت عن أصل السؤال إلى إجابته بما يجب عليه دون ما ليس له، وهو ما يسمى بأسلوب الحكيم (ما أعددت لها؟) وهو سؤال تنبيه، وتذكير بما يجب عليه التفكير فيه، والانشغال به، وإجابة الأعرابي (حُبَّ الله ورسولِهِ) فيها إيجاز بحذف الفعل أي أعددت حبَّ الله، ورسوله، وإجابة الأعرابي جاءت عفوية تفيض بالمودة، والإيمان، مع ما توحي به إجابته من عدم اتكاله على عمله، والرواية الثانية تؤكد ذلك (ما أعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ) فقد اتكل على فضل الله، وما في قلبه من محبة لله ورسوله؛ ولذلك جاءت إجابة الرسول ﷺ (أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ) بشارة له، وللمؤمنين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩/١٦١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩/١٦٤).

المحبين في كل زمان، ومكان وتعريف المسند إليه بضمير المخاطب توكيد للبشارة تقرر المعية المفهومة من (مع) ويحققها الماضي الذي صيغ فيه فعل المحبة، ولكن هذه العبارة تحمل ضمناً تحذيراً، وترهيباً لمن يحب الكافرين، والفجار، والعصاة من أهل الفساد في كل زمان، ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه أولئك المهرجون يسوقون الناس إلى النار زرافات، ووحداناً من محبيهم، ومعجبيهم بنفس حرف المعية سيكونون معهم. فانظر في قلبك..من تحب؟.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٧٠)

٣٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقَالَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يتناوله الحديث من أعظم المعاني التي تزف البشرة للمؤمنين عامة، ولمن ضعفت عزائمهم فلم ترق إلى مستوى من سبقهم من الأحبة، ونداء الرجل المقبل على الرسول ﷺ (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة، وتشريف؛ لأنه استخدم أداة النداء التي للبعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانة الرسول ﷺ، وناداه بكنيته، وأضافه لله، ثم إن سؤاله يشع بالمحبة لله، ولرسوله، وللمؤمنين (كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟)، والسؤال بكيف سؤال عن الحال، وتنكير كلمة رجل، وقوم يفيد عموماً يجعل الحكم ينسحب عل كل من كانت هذه حاله، والتعبير بـ(يلحق) يفيد المتابعة أي أنهم تابعوا أحبابهم في أعمالهم، ولكنهم لم يستطيعوا إدراكهم، وقوله (المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ) بشارة من جنس عمله فهو أحبهم، وتابعهم، ولم يلحق بهم فالتوفيق إلى الطاعة نعمة من عند الله يوفق من يشاء لإدراكها، ويحرمها من يشاء، ويعطيها بمحبة القلوب لمن يشاء.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٦٥/٢٦٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٥٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٧٠) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٨، ٣٦٩).

الحديث رقم (٣٧١)

٣٧١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**[١]، **خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**)) رواه مسلم[٢].

وروى البخاريُّ[٣] قوله: ((**الأَرْوَاحُ ...**)) إلخ مِنْ رواية عائشة رضي الله عنها.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

فقِهوا: علموا أحكام الشرع[٤].

مجندة: مجموعة[٥].

ائتلف: اجتمع وتوافق[٦].

تناكر: تنافر وأنكر بعضه بعضًا[٧].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ للناس بالمعادن في قوله:(النَّاسُ مَعَادِنٌ) يشير إلى عدة دلالات منها: اختلاف طباع الناس، وصفاتهم الخُلقية، والنفسية يفهم هذا من تفاوت المعادن، ومنها الإشارة إلى تفاوت الناس في تقبلهم للإصلاح، فمنهم السهل، ومنهم من يحتاج إلى صبر، ومنهم من لا يقبل كما هو حال معادن الأرض (المشبه به) فمنها ما يسهل

---

(١) لفظ مسلم: (الفضة والذهب).

(٢) برقم (١٦٠/٢٦٣٨).

(٣) برقم (٣٣٣٦) مُعلقًا، ولفظه: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف).

انظر: تغليق التعليق (٥/٤).

(٤) رياض الصالحين ٧٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن د).

(٦) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ل ف).

(٧) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ك ر).

استخراجه ومنها ما يصعب استخراجه، ومنها ما يسهل تشكيله، ومنها ما يصعب تشكيله، ومنها الإشارة إلى تفاوت الناس في كرم الأصل، وخسته يفهم ذلك من تفاوت المعادن في نفاستها فمنها الغالي كالذهب، والفضة، ومنها الرخيص كالحديد، والقصدير منها - أيضاً - الإشارة إلى تفاوت الناس في قوة التحمل، والصبر على الأذى يفهم ذلك من تفاوت المعادن في صلابتها فالحديد يخالف النحاس كما يخالف الرصاص، ومنها الإشارة إلى أن معرفة أصول الناس تحتاج إلى بحث في أحوالهم، وتدقيق في منابتهم حتى لا ينخدع الإنسان بالظاهر ويحكم خلاله على صفات الشخص، لأن كريم الخلال قد يعتريه في الظاهر ما يخفي كرم أصله من فقر، أو خمول ذكر في الناس، أو غيره كما يمكن لخسيس الأصل أن يعتريه في الظاهر ما يوهم بكرم الأصل، وهو على غير ذلك يفهم ذلك من حال المعادن في الأرض التي لا يعرف خصائصها إلا بعد استخراجها من باطنها والكشف عنها، قال بن حجر:وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفا في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين)[1]

وقوله: (، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) حافل بصور البديع التي تقرر المعاني، وتؤكدها منها: الجناس في قوله: (جنود مجندة) والطباق بين تعارف وتناكر، وبين ائتلف، واختلف، وهي إِشَارَة إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُل فِي الْخَيْر وَالشَّرّ وَالصَّلاح وَالْفَسَاد، وَأَنَّ الْخَيِّرَ مِنْ النَّاس يَحِنّ إِلَى شَكْله وَالشِّرِّير نَظِير ذَلِكَ يَمِيل إِلَى نَظِيره فَتَعَارُف الأَرْوَاح يَقَع بِحَسَبِ الطِّبَاع الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْر وَشَرّ، فَإِذَا اِتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ، وَإِذَا اِخْتَلَفَتْ تَنَاكَرَتْ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٢٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والتشبيه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقرار الإسلام للأمور الحسنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان ائتلاف الأرواح واختلافها.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتشبيه:

لا شك أن الإخبار من الأساليب الدعوة المهمة في بابها، حيث يعمل على تزويد المدعو بالحقائق التي يحتاج إلى معرفتها والإلمام بها، وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الناس معادن، وأن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام شريطة الفقه والفهم لأمور الدين، وانشراح الصدر واتساع الأفق والرغبة في العلم والمعرفة التي تعين المسلم على فهم أمور دينه.

أما بالنسبة للتشبيه فهو أسلوب دعوي، يعمل على تقريب المعاني المُرادة، وجعلها واضحة في الأذهان، لأنه قد يتعذر على فئات من الناس فهم المراد من الكلام، إلا أن التشبيه مفيد في تقريب المعاني وإيضاحها وبيانها، وقد شبّه النبي ﷺ في هذ الحديث الناس بالمعادن التي من أنفسها الذهب والفضة، ولا شك أن هذا التشبيه ينطوي على دلالات معنوية هامة تبين أصناف الناس، ومواقفهم وتعاملهم مع الأمور.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إقرار الإسلام للأمور الحسنة:

يستنبط ذلك من قول النبي ﷺ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيأرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" حيث بين النبي ﷺ أن الخيرية من القواسم المشتركة التي كانت لدى فئات من الناس في الجاهلية وتكون ممتدة في الإسلام، ذلك أن الإنسان إذا كان خيّرًا في الجاهلية وأسلم وحسن إسلامه وتفقه في دين الله، كن متميزًا، وترقّى في أمور دينه، وقد حدث ذلك بالفعل ومن الشواهد على ذلك تميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تمنى رسول الله ﷺ أن يعزّ الله الإسلام به، فتحقق ذلك وهناك نماذج أخرى رائعة، لأنه كما بيّن النبي ﷺ أن الناس معادن،

والمعادن تزداد نفاسة إذا تمت العناية بها، وكذلك الناس إذا تفقهوا في أمور دينهم، وتعلموا العلوم النافعة استفادوا وأفادوا، وإن الإسلام يقر الأمور الحسنة مثل: محاسن الأخلاق التي كانت في الجاهلية، إلا أنها أخذت أبعادًا إيمانية في الإسلام وكذلك حال الناس ونفوسهم، فإنها تزكوا بالإيمان.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "إذا فقهوا" حيث جعل شرط الشرف في الإسلام بعد الشرف في الجاهلية بالفقه في الدين يقول الإمام ابن حجر: (إن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام، وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعًا، ثم أرفعهم منزلة ومرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين)[١] وفي فضل الفقه في الدين قال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٢] قال الإمام النووي: (وفي الحديث فضل العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله عز وجل)[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[٤]، قال الإمام ابن كثير: «أي ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم»[٥].

قال ابن القيم: (وأما فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من

---

(١) المرجع السابق ٦/٤٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٣٦.

حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١]).

قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه ومجاهد في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبدالله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك: أولوا الأمر هم العلماء وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان ائتلاف الأرواح واختلافها:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)، قال النووي: "قال العلماء: معناه جموع مجتمعة أو أنواع مختلفة وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه وقيل: أنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها وقيل: لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق بشيمة ألفه ومن باعد نافرة وخالفه).

وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ وكانت الأرواح قسمين متقابلين فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه فيميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار والله أعلم"[٣].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٤.

الحديث رقم (٣٧٢)

٣٧٢- وعن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر وَهُوَ -بضم الهمزة وفتح السين المهملة- قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذَا أتَى عَلَيهِ أمْدَادُ أهْلِ اليَمَنِ سَألَهُمْ: أفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أتَى عَلَى أُوَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ[1]: أنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((**يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادِ أهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**)) فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: ألاَ أكْتُبُ لَكَ إلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إلَيَّ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِهِمْ، فَوافَقَ عُمَرَ، فَسَألَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَليلَ المَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقولُ: ((**يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادِ مِنْ[2] أهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإنِ اسْتَطَعتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ**)) فَأتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أنْتَ أحْدَثُ عَهْدًا بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. رواه مسلم[3].

وفي رواية لمسلم[4] أيضًا عن أُسَيْر بن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ أهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى[5]

---

(١) (له) لا توجد عند مسلم.

(٢) (من) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٢٢٥/٢٥٤٢).

(٤) برقم (٢٢٣/٢٥٤٢).

(٥) لفظ مسلم: (إلى).

عُمَرَ رضي الله عنه، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ قَالَ: **((إنَّ رَجُلاً يَأتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لاَ يَدَعُ باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا الله تَعَالَى، فأذْهَبَهُ إلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))**.

وفي روايةٍ لَهُ[1]: عن عمر رضي الله عنه، قَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ)).

قوله: (غَبْرَاءِ النَّاسِ) بفتح الغين المعجمة، وإسكان الباءِ وبالمد: وهم فُقَرَاؤُهُمْ وَصعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ (وَالأَمْدَادُ) جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمدُّونَ المُسْلِمِينَ في الجهَاد.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

البرص: بياض يقع في الجسد لعلَّة[2].

أبرّه: صَدَّقَه[3].

الكوفة: مدينة وسط العراق غرب نهر الفرات مُصِّرت أيام عمر بن الخطاب ١٧هـ وقيل ١٩هـ[4].

رث البيت: قليل المتاع، والرثاثة: حقارة المتاع وضيق العيش.

والمتاع: كل ما يُنتفع به ويرغب في اقتنائه؛ كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأداة والمال[5].

---

(١) مسلم (٢٥٤٢/٢٢٤).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ص).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ت ع).

أحدث: أقرب[١].

فطن له الناس: تنبهوا له[٢].

انطلق على وجهه: أي خرج من الكوفة[٣].

بياض: هو البرص كما جاء في الرواية السابقة[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقوم على الأسلوب القصصي الذي يعتمد القصص تارة، ويعتمد الحوار تارة أخرى، والحديث يحمل معاني عميقة فيها الحرص على تتبع توجيهات النبي ﷺ، والحرص على دعاء الصالحين، مع بيان فضل بر الوالدين، والحديث حافل بألوان البلاغة العالية التي يتميز به سمت الكلام الأول منها أساليب تدل على بحث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتحريه لأويس القرني عملاً بوصية رسول الله، ومنها الاستفهام الذي يدل على ذلك في قوله: (أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟)، والجملة التي تصدرتها حتى التي تدل على بلوغ الغاية، في قوله: (حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ)، واستفهام التقرير الذي تحقق به من شخصيته (أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟) ثم الاستفهامات المتتابعة منه لأويس حتى يتأكد من العلامات التي أخبره بها رسول الله ﷺ، وهي المكان، ونوع البلاء وسر الأفضلية في قوله (مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟)، ثم أسلوب الشرط بغرض الترغيب، والحض في قول الرسول ﷺ (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ) ثم أسلوب الأمر بغرض الالتماس، والرجاء (فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ) والفاء العاطفة تدل على تمكُّن صفة البر عند أويس لسرعته في إجابة طلب عمر رضي الله عنه وإعانته على تنفيذه لوصية رسول الله، والجار، والمجرور يدل على الخصوصية، ثم الأساليب التي تدل على زهد أويس في الدنيا برفضه لكل مظاهر الترف، والتي صوَّرها الحوار الذي دار بينه، وبين عمر رضي الله عنه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ط ن).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٦.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٦.

عن طريق الاستفهام الذي جاء تمهيداً للعرض (أيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ) ثم استفهام العرض (ألاَ أكْتُبُ لَكَ إلَى عَامِلِهَا؟) ثم إجابته بأسلوب الخبر الذي يعكس زهده، وتقواه (قَالَ: أكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) يدل على ذلك قيد الفعل في قوله (في غبراء الناس) أي ضعافهم، وفقرائهم، والتعبير بأفعل التفضيل، وفعل المحبة الذي يدل على أنه اختيار قلبي، وقول الرجل عن أويس (تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ) كناية عن شدة الفقر، وتدل على أنه صدق فيما أخبر به عمر ﵁، والحديث بجملته دليل إخلاص الصحابة، ودقة متابعتهم للرسول ﷺ ووفاء التابعين، وزهدهم، وفضل بر الوالدين.

فقه الحديث

١- استحباب طلب الدعاء من الصالحين، حتى وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه[١].

٢- فضل أويس بن عامر، وأنه أفضل التابعين[٢].

فإن قيل: إن أحمد وغيره قال: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. قلنا: إن مرادهم: سعيد أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث، والفقه ونحوها، لا في الخير عند الله[٣].

٣- وفيه: معجزة النبي ﷺ وإخباره بالمغيبات[٤].

٤- وفيه: فضل بر الوالدين -خصوصًا- الأم[٥].

٥- وفيه: فضل العزلة، وإخفاء الأحوال[٦].

---

(١) الفروع. ابن مفلح ٢/٤٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/٢٩٥، والفروع، ابن مفلح ٢/٤٥٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١/١٠٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/٩٥.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أويس بن عامر رضي الله عنه.

ثالثًا: من دلائل النبوة: إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأمر قبل وقوعه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البر بالأم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: طلب الدعاء من الصالحين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة وإخفاء الأحوال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار.. والسؤال والجواب:

الإخبار أسلوب دعوي يفيد منه الداعية في تبليغ دعوته وفي ذلك عظيم الفائدة وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث في قول الراوي: "كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم... إلخ" فأخبر عمر رضي الله عنه في أمداد أهل اليمن عن أويس بن عامر، وباقي الأحداث التي حدثت مع عمر رضي الله عنه وأويس، وأسلوب الإخبار من الأساليب كثيرة الاستعمال في الدعوة، فينبغي على الداعية الإفادة منه فيما يخدم الدعوة إلى الله. أما السؤال والجواب فقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قول الراوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه: "... سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟.. حتى أتى على أويس رضي الله عنه فقال له: أنت أويس بن عامر قال: نعم، قال: من مُراد من ثم قرن؟ قال: نعم.. إلخ". وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لأن طارحي الأسئلة يريدون اكتساب معرفة حول ما طرحوا من أسئلة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها. وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانًا في الذاكرة تم تطبيق إرشاداتها في السلوك. فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[1].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٥٨/٢، ٥٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أويس بن عامر رضي الله عنه:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"، قال النووي: (هذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه)[١]، وقد أخرج مسلم في رواية من الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم"، قال النووي: (هذا صريح في أنه خير التابعين وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب: أن مرادهم أن سعيدًا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى)[٢].

وقد قال فيه الذهبي: (هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه، وفد على عمر رضي الله عنه وروى قليلاً عنه، وعن علي رضي الله عنه، وقد كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين)[٣]. وقال فيه الحاكم: (أويس راهب هذه الأمة ولم يصحب رسول الله ﷺ إنما ذكره رسول الله ﷺ ودل على فضله فذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[٤].

ثالثًا- من دلائل النبوة: إخباره ﷺ عن الأمر قبل وقوعه:

إن من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب المستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده. وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٦]،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

(٢) المرجع السابق ١٥٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤/ ٢٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٠١ رقم ٥٧٦٩.

(٥) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه. قال الله تعالى مخبرًا عن غير واحد من رسله الكرام عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[(١)].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ زَعَمَ أَنَّ رسول الله ﷺ يُخْبِرُ بمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ))[(٢)].

وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اخْتُصَّ بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوَّتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[(٤)].

فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته"[(٥)].

وهذا ما أكده نص الحديث في "إخباره ﷺ بمجيئ الأمداد من اليمن، "والأمداد جمع مدد، وهم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيش الإسلام في الغزو"[(٦)]، وإخباره ﷺ بوجود رجل اسمه أويس بن عامر، وهو من بني عامر، ثم من قرن، ثم ذكر سائر

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ٥٤٢/١ - ٥٤٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

أوصافه، وإخباره ﷺ أن أويسًا كان به برص، فدعا الله تعالى فأشفاه منه إلا موضع درهم، وإخباره ﷺ أن لأويس أمًا، وهو بها برٌّ، وكان كذلك حيث تركها في اليمن حينما قدم زمن عمر رضي الله عنه"[1].

وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[2].

وقال عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[3].

ومما يؤكد ذلك إخباره ﷺ بما كان من ظهور الإسلام وعلوه وانتشار ملكه، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: ((شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ ـ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ ـ قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكمُ يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسِهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرَموتَ لا يخافُ إلاّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنَمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون))[4].

"وهكذا وقع فقد عم وظهر الدين وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وذلت لهم سائر

---

(١) بر الوالدين "القسم الأول"، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ص ٣٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣، ٢٨٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦١٢.

البلدان ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البر بالأم:

إن من موضوعات الدعوة في الحديث فضل البر بالأم، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله عن أويس: "... له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل".

وقد استفاضت النصوص النبوية في التأكيد على عظم فضل البر بالوالدين، وخاصة البر بالأم؛ لما لها من عظيم فضل وجميل فعل على ولدها، فقد جعل النبي ﷺ البر بالأم سببًا في دخول الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((نِمْتُ فَرَأَيْتَنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىءٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ مَنْ هذَا؟ فَقَالُوا: هذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فقال رسول الله ﷺ: ((كَذَلِكَ الْبِرُّ كَذَلِكَ الْبِرُّ)) وكان أبر الناس بأمه[٢].

وعن معاوية بن جهامة السلمي أن جهامة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ فَقَالَ: ((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: ((فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا))[٣].

وعن طيسلة بن مياس قال: ((كنت مع النجدات[٤] فأصبت ذنوبًا لا أراها الا من الكبائر فذكرت ذلك لابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليست هذه من الكبائر هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يستسخر[٥]،

---

(١) موسوع نضرة النعيم ٥٤٦/١.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٧/٦ رقم ٥٣٣٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٠٦/٤٢.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٠٤، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٩٠٨).

(٤) النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، وهم قوم من الحرورية، انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ن ج د).

(٥) يستسخر: الاستسخار من السخرية، القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (س خ ر).

وبكاء الوالدين من العقوق. قال لي ابن عمر: أتفرق من النار وتحب أن تدخل الجنة، قلت: أي، والله. قال: أحي والدك قلت عندي أمي. قال: فوالله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر))[١].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن البر بالوالدين وخاصة الأم يكفر الكبائر من الذنوب، فقد روي أنه رضي الله عنه: (أتاه رجل فقال: أنى خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل وتقرب إليه ما استطعت. قال عطاء بن يسار: فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إنى لا أعلم عملاً أقرب الى الله عز وجل من بر الوالدة)[٢]. فعلى المرء أن يجتهد جهده في بر والديه، وخاصة أمه، لعله أن يدرك ما أدركه أويس بن عامر.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: طلب الدعاء من الصالحين:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ لعمر: "فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"، وقال في رواية: "فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"، فطلب عمر رضي الله عنه عنه منه أن يستغفر له. وفي ذلك قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[٣]، وليس أدل على طلب الدعاء من الصالحين من قول أبي هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ . فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٨، وصححه الألباني، (صحيح الأدب المفرد ٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

اسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ اللّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذَا ــ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ــ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي، إِلاَّ أَحَبَّنِي))[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة وإخفاء الأحوال:

قد ورد في هذا الحديث بيان فضل العزلة، وعدم الشهرة، وإيثار الخمول، وكتم الحال، كما هو ظاهر من قول أويس بن عامر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طلب أن يكتب له إلى عامل الكوفة: (أكون في غبراء الناس أحب إلي).

قال النووي: (أي: ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثار الخمول وكتم الحال، وقال: وفي الحديث فضل العزلة وإخفاء الأحوال)[2].

وذلك ما أفاده الحديث من قول الراوي: "فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم..."، إلى قول: (فأتى أويسًا، فقال: استغفر لي قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه).

قال ابن مفلح: (وقد اختلف الناس في الأفضل من الخلطة والعزلة على مذهبين، وعن الإمام أحمد عنه في ذلك روايتان، قال في رواية أبي الصقر وقد سأله عنها: إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزلها الرجل حيث شاء، فأما ما لم يكن فتنة فالأمصار خير.

قال أحمد: حدثنا حجاج: حدثنا شعبة، عن الأعمش عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ - قال الأعمش: هو ابن عمر- عن النبي ﷺ قال: ((المؤمنُ الَّذِي يُخَالِطُ الناسَ ويَصْبِرُ على أذَاهُمْ، أَعْظَمُ أجرًا مِنَ المؤمنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ الناسَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ))[١].

... وقال الحسن بن محمد بن الحارث: قلت لأبي عبدالله: التخلي أعجب إليك؟ فقال: التخلي على علم، وقال: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: "الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم"، ثم قال أبو عبدالله: رواية شعبة، عن الأعمش ثم قال: من يصبر على أذاهم؟

وقال إسحاق بن إبراهيم في الأدب من مسائله عن أحمد قال: قال أبو سنان وجاءه رجلان فقال: تفرقا فإنكما إذا كنتما جميعًا تحدثتما، وإذا كنتما وحدانا ذكرتما الله تعالى. قال أبو عبدالله: رواه وكيع عن أبي سنان.

قال القاضي أبو الحسين: إنه نقل من الجزء الثالث من الأدب تأليف المروذي، قال: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: كفى بالعزلة علمًا، وإنما الفقيه الذي يخشى الله. وهي اختيار أبي عبدالله بن بطة.

وقد بيّن ابن الجوزي أن المفاضلة بين العزلة والمخالطة تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقال: وقد كان أكثر السلف يؤثرون العزلة على الخلطة.

وقال أيضًا: إن من قدر على نفع الناس بماله أو بدنه لقضاء حوائجهم مع القيام بحدود الشرع إنه أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلاة والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق عمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك الذي لا يعدل به البتة.

وقال أيضًا: ليس في الدنيا أطيب من تنزه العالم بالعلم فهو أنيسه وجليسه، وقد قنع بما يسلم به دينه من المباحات الحاصلة لا عن تكلف ولا عن تضييع دين، وارتدى بالعزلة عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف بالقناعة باليسير إذا لم يقدر على الكثير فيسلم دينه ودنياه. واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل ويفرجه في البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة، ولكن لا يصح هذا إلا للعالم؛ فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٠٧، بلفظ: إن المسلم الذي يخالط، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٥).

وقال أيضًا: فإذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقًا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مخالطته، وإلى الفائت بسبب مخالطته من الفوائد، ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق، فقد قال الشافعي رضي الله عنه: الانقباض عن الناس مكسبة العداوة، والانبساط لهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين القبض والبسط، ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار عن حاله فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال، انتهى كلامه"[1].

والمستفاد من ذلك أن هناك من تكون العزلة عن مخالطة الناس في حقه أولى وأصلح لحاله؛ لقلة صبره على إيذاء الناس وعدم تحمله لذلك، بل قد يترتب من المفاسد العظام والآثام الجسام عند مخالطته للناس ما هو أعظم من تركهم، كسوء أخلاقه باقتحامه للمنكرات وفعل المحرمات، كما هو مشاهد من مصاحبة أهل البطالة والتهتك، فيفسد بذلك حاله ويكون وبالاً على غيره.

ومن الناس من تكون المخالطة للناس في حقه أولى من العزلة؛ لدفاعه عن الدين وقضائه لحقوق المسلمين، فيعظُم نفعه لغيره، فضلاً عن رباطة جأشه في حماية خلقه، فلا يتأثر بسوء أخلاق من حوله، بل يقوّم تارة ويعلم وينصح تارة، كمنار يهتدى به في حالك الظلمات، فهذا تكون مخالطته الناس في حقه أولى من العزلة. والله أعلم.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٤٤٩ - ٤٥١.

الحديث رقم (٣٧٣)

٣٧٣- وعن عمر بن الخطاب ﵁، قَالَ: اسْتَأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ لِي، وَقالَ: ((**لاَ تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ**)) فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية[1]: وَقالَ: ((**أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ**)).

حديث صحيحٌ، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث مثال ماثل بين عيني الزمان يشهد بتواضع النبي ﷺ وحبه لأصحابه ولأمته، وهو يعلمهم أن يدعو كل واحد منهم لإخوانه فإنه أحرى أن يجاب لهم وقوله (اسْتَأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ لِي) استخدام الفاء ينبيء بسرعة استجابته له، وفيه إشارة إلى تعجيل الخير، وقوله ﷺ (لا تنسنا) نهي أريد به طلب الدعاء ترغيباً، وتعليماً لأمته، وشرحاً لصدر صاحبه لأنه يشعره بثقة النبي ﷺ في دينه، وطي هذا النهي مدح لعمر ﵁ وثناء على دينه، وقوله (يا أخي) نداء تودد، وتلطف يفيض بالمحبة، وقوله (من دعائك) فيه إرشاد إلى إشراك الصالحين في الدعاء عسى أن يجاب له بصلاحهم، والرواية الثانية (أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ) تصرح بذلك، وعبارة الرسول ﷺ تفيض بالرحمة، والمحبة لصاحبه خاصة، وللأمة التي يعلّمها سنّته عامة.

---

(١) قال أبو داود: (قال شعبةُ: ثمَّ لقيتُ عاصمًا بعدُ بالمدينة، فحدَّثنيه) ثم ذكره.

(٢) خرجه ابو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢). قال الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق (٣٢٦/١): قال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من هذا الوجه، وعاصم بن عبيد الله فيه ضعفٌ، روى أحاديث مسندة. وسيكرره المؤلف برقم (٧١٤).

فقه الحديث

١- استحباب طلب الدعاء من المسافر[١]، خصوصًا من الصالحين المعروفين بالهداية[٢]، ولا يشترط أن يكون من يطلب منه الدعاء أفضل من الطالب بل يشرع حتى ولو كان الطالب أفضل من المطلوب منه[٣]، كما في هذا الحديث، وذلك لأن أهل الفضل ينوو بطلب الدعاء، أن الذي يطلبون منه الدعاء إذا دعا لهم كان له من الأجر على دعائه لهم أعظم من أجره لو دعا لنفسه فقط[٤].

٢- مشروعية السرور والفرح بتقدير الفضلاء، والصالحين للشخص، فقد فرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتقدير الرسول ﷺ له، وطلب الدعاء له.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من أدب الصحابة رضي الله عنهم استئذان النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: طلب الفاضل الدعاء من المفضول.

رابعًا: من آداب الداعية: مخاطبة المدعو بما يدل على المحبة والمودة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من أدب الصحابة رضي الله عنهم استئذان النبي ﷺ:

يظهر ذلك في هذا الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي"، وفي ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥] قال ابن كثير: (إن في هذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه،

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٤/٣٢٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٤/٢٥٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/٦٩.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٢/٤٥٧.

(٥) سورة النور، آية: ٦٢.

فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف – لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك – أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين)[١]. وقال السعدي في تفسيره لهذه الآية: (هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعًا، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقًا، لا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: "إن الذين ستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله")[٢].

ثانيًا– من موضوعات الدعوة: فضل العمرة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول عمر رضي الله عنه: "استأذنت النبي ﷺ في العمرة". وقد حث النبي ﷺ على أدائها وبيّن فضلها فقال: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا...))[٣] قال النووي: (هذا ظاهر في فضيلة العمرة وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين)[٤]. وقال ﷺ: ((تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ فإنهما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ))[٥] وقال ﷺ: ((جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))[٦] وهذا يدل على فضل العمرة وثواب أجرها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٨/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٤٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٤٤.

(٥) أخرجه النسائي ٢٦٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٤٦٧، ٢٤٦٨).

(٦) أخرجه النسائي ٢٦٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٤٦٣).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: طلب الفاضل الدعاء من المفضول:

يتضح ذلك في الحديث في قوله ﷺ "لا تنسانا يا أخي من دعائك" وفي رواية "أشركنا يا أخيَّ في دُعائكَ" قال العظيم آبادي: (قوله: "من دعائك" فيه إظهار الخضوع والمسكنة في مقام العبودية بالتماس الدعاء ممن عرف له الهداية حث للأمة على الرغبة في دعاء الصالحين وأهل العبادة وتنبيه لهم على أن لا يخصوا أنفسهم بالدعاء ولا يشاركوا فيه أقاربهم وأحباءهم لا سيما في مظان الإجابة)[١]، فطلب الرسول ﷺ الدعاء من عمر رضي الله عنه ورسول أحب الخلق إلى الله وأفضل الخلق يدل طلب الفاضل الدعاء من المفضول إذا علم صلاحه وهدايته وفي مواطن الإجابة أمر ينبغي أن يحرص عليه المسلم اللبيب، وليس أدل على طلب الفاضل الدعاء من المفضول من قول عمر بن الخطاب إلى أويس بن عامر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ))[٢]، وفي ذلك قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[٣].

رابعًا- من آداب الداعية: مخاطبة المدعو بما يدل على المحبة والمودة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "يا أخي" قال المباركفوري: (قوله "أي أخي" بالتصغير وهو تصغير تعطف وتلطف لا تحقير وطلبه ﷺ الدعاء من عمر رضي الله عنه فيه تفخيم لشأن عمر وإرشاد إلى ما يحمي دعاءه من الرد)[٤] فينبغي على الداعية أن يخاطب المدعو بما يدل على محبته ومودته له؛ لأن المدعو إذا شعر بأن الداعية يحبه ويوده، لا شك سيتجاوب معه ويسمع منه. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/٢٥٠٨.

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2]، (وهذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)[3]، فحري بالداعية أن يخاطب المدعو بما يدل على المحبة والمودة، لما في ذلك من استجلاب قلبه، وترغيبه على قبول دعوته، وفي ذلك عظيم الفلاح.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة طه، الآيتان، ٤٢- ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٥.

الحديث رقم (٣٧٤)

٣٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يزور قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا[1]، فَيُصلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وفي رواية[3]: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَأتي مَسْجِد قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكبًا وَمَاشِيًا[4]، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

فعل الكينونة الماضي هو بوابة العودة في الزمن، وعندما تتعلق بالنبي ﷺ فإنما تستحضر حكماً شرعياً يُلتزم، أو سنة نبوية تتبع، وقوله (يزور) في صيغة المضارع تفيد التجدد، والاستمرار، والتعبير بالزيارة ينفي طول الإقامة لأنها تتضمن دلالة على الرجوع، (وقباء) فيه إيجاز بحذف المضاف أي: مسجد قباء يدل على ذلك، قوله: (فيصلي فيه) فقد أعاد الضمير مذكراً عليه وقد جاء مصرحاً به في الرواية الثانية (يأتي مسجد قباء) والفاء المتصلة بفعل الصلاة تدل على المسارعة بصلاة الركعتين فور دخول المسجد، وفي قوله (ماشياً، وراكباً) فيه طباق يستوعب أحوال انتقاله، وقرر معناها، والحديث من بدايته أسلوب خبري غرضه لازم الفائدة، وهو بيان حكم الجواز في الركوب، أو المشي، وتقديم، الركوب لرفع الحرج، والدلالة على اليسر.

---

(١) قال البخاري ومسلم: زاد ابن نُمير. تنبيه: زيادة ابن نُمير عند البخاري معلّقة.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩/٥١٦) ولفظهما سواء.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٣) من حديث عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار.

(٤) لفظ البخاري: (ما شيًا وراكبًا)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢٠٨/٢، رقم ١٣١٨).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل مسجد قباء ذلك المسجد الذي وصفه الله تعالى بأنه مسجد أسس على التقوى فيه رجال يحبون أن يتطهروا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب زيارة مسجد قباء والصلاة فيه، وتستحب تلك الزيارة يوم السبت اقتداء بفعله ﷺ حين كان يأتي قباء ماشيًا وراكبًا فيصلي فيه. وكذا اتفقوا على أن من نذر أن يعتكف في مسجد قباء وجب عليه الوفاء بنذره في مكانه ولا يجزئه غيره من المساجد لما لهذا المسجد من فضل بعد المساجد الثلاثة حتى صح عنه ﷺ أن جعل ركعتين فيه بعمرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه.

ثانيًا: من صفات المدعو: الحرص على التأسي برسول الله ﷺ.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما "كان النبي ﷺ يزور قباء" وفي رواية "كان النبي ﷺ يأتي مسجد قُباء كل سبت..."، فمن عظم مكانة هذا المسجد الشريف أن النبي ﷺ كان يتعهده بالمجيء دائمًا، كان يأتيه ﷺ راكبًا وماشيًا، ولا يمر أسبوع إلا ويأتيه فيه ﷺ، وهذا يدل على مدى مكانة هذا المسجد الشريف عنده ﷺ وعنايته به، كيف لا، وهو أول مسجد يقام لجماعة المسلمين

---

(١) انظر في ذلك: شرح فتح التدير، ابن الهمام الحنفي ١٨٣/٢، والفتاوى الهندية ٢٦٧/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣١/٤، والمجموع شرح المهذب، النووي ٢٥٨/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤٣٨/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤٤/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥٩٤/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٦٦/٣.

بشكل علني، بناه ﷺ قبل أن يصل إلى المدينة النبوية، ويبني فيها مسجده.

فلعظم هذا المسجد، كان النبي ﷺ يتفقده، ويكثر الاختلاف إليه، ماشيًا، وراكبًا، حسب ما تيسر[١].

ومن فضائل مسجد قباء - وهو معدود في فضاء المدينة النبوية أيضًا- أن من أتاه وصلى فيه ركعتين، كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة، وهذا فضل من الله تعالى ونعمة، أنعم بها على عباده، وتكرم بها على أهل المدينة، ومن نزل بها[٢]. كما بين ﷺ أن صلاته في قباء أحب إليه من الصلاة في بيت المقدس. وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فيه فقال: ((مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هذَا الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ كَانَ لَهُ عَدْلَ عُمْرَةٍ))[٣]، وعن عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد سمعا أباهما رضي الله عنه يقول: ((لأنْ أُصَلِّي في مَسْجِدِ قُبَاءٍ أَحَبُّ إلَيَّ من أَنْ أُصَلِّي في بيتِ المَقْدِسِ))[٤].

ثانيًا- من صفات المدعو: الحرص على التأسي برسول الله ﷺ:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قول الراوي: (وكان ابن عمر يفعله)، وقد جعل الله تعالى التأسي بالنبي ﷺ شأن المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٥].

(إن هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)[٦].

"وقد أثر ذلك في صحابته رضي الله عنهم حتى كانوا يراعون ما يفعل ﷺ وينظرون إليه كيف يفعل. ويتحينون الفرص لذلك لأجل أن يقتدوا به...، وكان أشدهم في هذه

---

(١) انظر: فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) المرجع السابق ٢/٣٧٨.

(٣) أخرجه النسائي ٦٩٩، وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي ٦٧٥.

(٤) صححه الحاكم ٣/١١ رقم ٤٣٣٧، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٩١.

الناحية، وأدومهم عليها، وأحرصهم على التحري عن أفعاله ﷺ حتى في أدق التفاصيل، عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وقد حفظت لنا الوثائق الحديثة نماذج كثيرة من ذلك تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثر، بل يكاد يكون هذا المعنى هو مفتاح فقه ابن عمر رضي الله عنهما، والسمة الرئيسية لما ينقل عنه من الآراء التشريعية، فمن ذلك أنه لما دخل النبي ﷺ الكعبة ثم خرج يقول ابن عمر رضي الله عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: (هل صلَّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم، بينَ العَمودَينِ اليَمَانِيين. قال ابن عمر: فذهب عني أن أسأله: كم صلى)[1].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يبيت بذي طوى بين الثنيتين ثم يدخل من الثنية التي بأعلى مكة. وكان إذا قدم حاجًا أو معتمرًا لم ينخ ناقته إلا عند باب المسجد، وكان يذكر أن النبي ﷺ (كان) يفعل ذلك[2].

وأحصى ابن عمر رضي الله عنهما الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ عند سفره لحجة الوداع من مكة إلى المدينة،وحدد مواقعها بأوصاف دقيقة. وقد أورد البخاري حديثه في ذلك بتمامه،وهو حديث طريف طويل فليرجع إليه[3].

ولقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة

ولم تزل تلك السيرة تبدع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، حتى كأنهم نسخ أخرى لتلك الشخصية الفذة، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٨، ومسلم ١٣٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٦٧، ١٧٦٩،ومسلم ١٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٤، ومسلم ١٢٥٧.

وقد كان لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام، واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيديهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة"[١].

ثالثًا- من ميادين الدعوة: المسجد:

قد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: "كان النبي ﷺ يزور قُباء"، وفي رواية "كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء، ..." إلخ.

(فالمسجد أحب البقاع إلى الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال ﷺ: ((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَىٰ الله مَسَاجِدُهَا . وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا))[٣]، فالمسجد قلعة الإيمان، وحصنُ الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج فيها المسلم فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات، ومحل تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها...، ولقد اختار رسول الله ﷺ المسجد ليكون مركزًا للتعليم والتوجيه...، وهو الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين)[٤].

ولا شك أن المسجد من أهم ميادين الدعوة الإسلامية منذ بدء انطلاق الدعوة من المدينة المنورة، ومن مسجد رسول الله ﷺ والذي أخرج للعالم قادة وعلماء وصلحاء لم يكن لهم نظير في أي عصر من العصور.

---

(١) افعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ١/٧٤ - ٧٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٤) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، عبدالله بن جار الله، ص ١٩ - ٢١.

وعلى النهج نفسه سار سلف هذه الأمة الصالح في إيلاء المسجد أهمية من حيث نشر الدعوة علمًا وعبادة وعملاً وأخلاقًا ومسلكًا.

إذًا فالمسجد هو قلب المسلمين النابض، ومحركهم إلى حمل الدعوة ونشر العقيدة وتوجيه الناس التوجيه الصحيح بالأسلوب الحسن والوسيلة[1].

---

(١) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ٢٢٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية التي وهنت بين الناس إن لم تكن انقطعت، وما ذاك إلا لأن كثيرين يجهلون الأجر المترتب على العلاقات الاجتماعية المشروعة.

إن الرسول ﷺ قد بيّن فضل زيارة الآخرين، إذا كانت خالصة لوجه الله، ولم يشر إلى أجر مترتب على الزيارة التي تهدف ابتداءً إلى متاع دنيوي أو كسب مادي.

لقد بين الإسلام أن الملائكة تفرح وتستبشر وتدعو بالخير لمن زار أخاً له في الله، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطمعًا في رضوانه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الوفاء:

إن من القيم التربوية الإسلامية: الوفاء بمعناه الواسع، وليس الوفاء بالمعنى الانتقالي، ولذا أعلى الإسلام قيمة الوفاء، وعملت التربية الإسلامية على تعميق ذلك وترسيخه في النفوس، لما له من فوائد وآثار إيجابية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على ذلك عمليًا، وعمّق في نفوسهم هذه القيمة التربوية من خلال مواقفه العملية ووفائه ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك وفاؤه لخديجة رضي الله عنها حتى بعد رحيلها، وقد تربى الصحابة على هذا الخلق الرفيع مما دفع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى الذهاب لزيارة أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ بعد وفاته ﷺ مباشرة، وفاءً بحقه، وإخلاصًا لذكراه، قال أبو بكر لعمر: "انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ...".

ثم يتحقق الوفاء من جانب أم أيمن رضي الله عنها، عندما تنهمر باكية، ويُهَيِّج بكاؤها بكاء أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، حُزْنًا على وفاة سيد الخلق وانقطاع الوحي بعده: ضاربين بذلك أروع مُثُل الوفاء، "فمهما أوتي الداعية أو المرَبِّي من علم ولم يكن له حظ من الوفاء فلا اعتبار له؛ لأن اللوم والغدر يفسدان خصال الخير، كما يُفسد الملحُ الطعام.

ولقد استمد أبو بكر وعمر هذه القيمة من المربِّي الأول ﷺ، الذي كان بارًا بصديقات خديجة بعد موتها؛ لأن الوفاء لصاحب الفضل بعد موته هو أبلغ في ردِّ جميله وشكره على حسن صنيعه"[١].

ثانيًا- التربية على الحب في الله تعالى:

لقد حرص الإسلام على أن تكون العلاقات الاجتماعية كلها لله تعالى، فالحب لله وكذلك البغض لله تعالى، يقول الرسول ﷺ: «وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ»[٢].

ولقد جعل الله تعالى للمتحابين فيه ثوابًا عظيمًا، وهو بُلوغ حب الله تعالى، وحكى رسول الله عن الرجل الذي زار صاحبه حبًّا في الله، فقال له الملك: «فَإِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»؛ لأن هذا الحب كان خالصًا من شوائب الدنيا وعوارض المنفعة الزائلة.

"إن الذي يستطيع أن يُحبَّ هذا الحبَّ الكبير صنفٌ واحد من بني الإنسان؛ إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان، الإيمان وحده هو ينبوع الحبِّ الصّافي الخالد"[٣].

ثالثًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية المؤثرة، التي توخّاها المربي الأول ﷺ أسلوب القصة؛ لما له من آثر بالغ في نفوس المتلقين، ولقد أخبر النبي ﷺ صحابته بقصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية أخرى "فأرصد الله على مَدْرَجَته ملكًا..."؛ ليفيد الصحابة بمعرفة القصة أولاً، ثم باستخلاص العبرة والدروس منها ثانيًا.

فقارئ القصة وسامعها لا يملك إلا أن يقف موقفًا سلبيًا من شخوصها وحوادثها، فهو يدس نفسه على مسرح الحوادث، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب[٤].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٠.

رابعًا- التربية بالترغيب:

لقد حفَّزَ النبي ﷺ أصحابه على الزيارة في الله، للمريض وغيره، حبًا خالصًا، يقول ﷺ: " من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناداه منادٍ ..."، ترغيبًا في هذه القيمة الرفيعة، فإن ملائكة الله سيدعون له: "طِبْتَ وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً".

وبذلك يكون ترغيبه ﷺ "وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير والسلوك الحسن، وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء؛ حرصًا منه على نَيْل المُرغّب فيه، وخشيةً من فواته، لا سيما وأنه لا مثيل له، ولا تعدله لذة مهما بلغت"[(١)]، ولأنه إنما رغّب في الجنة، التي هي غاية المُنى، ونهاية المآرب.

خامسًا- التربية بضرب المثل:

وذلك في تشبيهه ﷺ الجليس الصالح والجليس السوء بحامل المسك ونافخ الكير، وفي هذا المثل تقريب للأفهام، ووسيلة تربوية ناجحة في الإفهام والتوضيح.

فقد كان ﷺ يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل، مما يشهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم؛ ليكون وقع الموعظة في النفس أشدّ، وفي الذهن أرسخ..."[(٢)].

سادسًا- التربية بالتوجيه المباشر:

ويظهر ذلك في دعوته ﷺ المؤمنين، والذين يبتغون الزواج باختيار الزوجة، وقد أبان عن ﷺ المعايير الاجتماعية السائدة، التي عليها يختار الناس زوجاتهم وهي المال والحسب والجمال والدين، ثم يعظ أصحابه ويأمرهم بقوله: "فاظفر بذات الدين...".

وكذلك في اختيار الأصحاب والأصدقاء يكون نهيه ﷺ مباشرًا: "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ".

وكذلك كان أمره في الحديث التالي: "فلينظر أحدكم من يُخالل".

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية.. وهو طلب المربي المباشر

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، لزياد العاني، ص٢٢٣.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، محمد ناصح علوان، ص٧١٦.

والصريح من طلابه القيام بعمل معين"[١].

وكذلك فإن من الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه": تزكية النفس وتطهيرها، وهو هدف من أسمى الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها، وبه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، ويسلك الجميع وفق منهج الله وشرعته"[٢].

سابعًا- التربية على توقير الصالحين وطلب الدعاء منهم:

وإن لم يكونوا أهل سبق في الدين، وقد حثَّ النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على طلب الدعاء والاستغفار من أُوَيْس بنُ عَامِرٍ الْقَرَنِي رضي الله عنه، لأنه كان صالحًا بارًا بأمه.

وكذلك في طلبه الدعاء من عمر حينما ذهب إلى العمرة: «لاَ تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ».

وفي كلا الحديثين طلب من المفضول، والعبرة في ذلك بالصلاح والتقوى، وفي ذلك "حثٌّ على احترام أهل العلم والفضل ... ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم والتقوى: لا بالحسب والنسب"[٣].

ثامنًا- التربية على برِّ الوالدين والإحسان إليهما:

ولا سيَّما الأم، وقد كان بُر أويس القرني سببًا في قربه من الله تعالى، حتى صار مستجاب الدعاء، لو أقسم على الله لأبرِّه، ثم كان ذلك سببًا في أمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يطلب من أويس الدعاء والاستغفار، يقول ﷺ: «لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ». وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا عنوانه: "باب إجابة دعاء من برَّ والديه"، وإن من إكرام الله تعالى للبارِّ لوالديه: أن يجعل دعوته مستجابة في هذه الدنيا"[٤].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٨٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٤.

(٤) بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي، ص٢٧١.

تاسعًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليبه ﷺ التربوية أن يقوم بنفسه بالفعل، حتى يتأسى به صحابته، وهذا ما يعمق المعاني في النفوس ويجعلها مستقرة وواضحة، بل يحفز على التأسي والتطبيق، وذلك ظاهر في أنه ﷺ: "كان يزور قباء راكبًا ما شيًا، فيصلي ركعتين، متبركًا بهذا المكان، ومبينًا لفضله، لأن من عِظم مكانة هذا المسجد الشريف أن النبي ﷺ كان يتعهده بالمجيء دائمًا، ولا يمرُّ أسبوع إلا ويأتيه فيه"(١).

ويقول ﷺ: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ»(٢).

عاشرًا- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية يجدر الإشارة إليها، منها:

أ-توجيه الأسئلة: وذلك واضح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا..." الحديث. فقد وجه الملك عدة أسئلة إلى هذا الرجل ثم أخبره بعد ذلك بحب الله له.

ويمكن للمعلم أن يستخدم توجيه الأسئلة في تقديم مدى إدراك المتعلمين للمعلومات المتعلقة بالدرس وفي معالجة بعض أفكارهم.

ب-أسلوب الإلقاء: كحديث "المرء مع من أحب" وأسلوب الإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويجدر بالمعلم أن يستخدمه مع المراحل العليا من المتعلمين كالمرحلة الثانوية، ويمكن الإلقاء من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ج-أسلوب الحوار والمناقشة كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه في زيارة أبي بكر وعمر بن الخطاب لأم أيمن رضي الله عنهم، وهذا الأسلوب ينمي معلومات المتعلمين، ويحثهم على البحث والاطلاع ويعودهم التعبير عن آرائهم ويكسبهم مهارة المناقشة، كما أن استخدام الأسئلة والأجوبة في العملية التعليمية يشدّ انتباه المتعلمين نحو الدروس

(١) فضائل المدينة المنورة، د. خليل ملاّ خاطر العزامي، ٢/ ٢٧٤.

(٢) أخرجه ابن ماجة ١٤١٢، وصححه الألباني (في صحيح سنن ابن ماجة ١١٦٠).

ويشعرهم بأثر مساهمتهم في سيره كما تدفع عنهم الملل، فضلاً عن تميز هذا الأسلوب ببقاء أثر التعليم.

د-التربية بالوصية: كما في حديث النبي ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي" والتربية بالوصية من الأساليب التربوية شائعة الاستخدام في ميادين الحياة المختلفة، فهي تستخدم في البيت من قبل الأب مع أبنائه، وفي الشارع وفي المسجد وفي كل مكان في المجتمع المسلم.

حادي عشر- التربية على حبّ التزاور في الله:

وهذا واضح من الأحاديث الأولى في الباب، والتي تبين فضل التزاور في الله تعالى، كما أن هذا التزاور يحقق العديد من الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع، ومنها:

أ-تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

ب-تحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع المسلم.

ج-تأليف القلوب بين المسلمين والعمل على جمعهم وحثهم على التعاون بين المسلمين.

د-تربية المودة بين المسلمين.

هـ-فضلاً عن نيل محبة الله تعالى.



٤٦- باب فضل الحب في الله والحث عليه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩] إِلَى آخر السورة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩].

الحديث رقم (٣٧٥)

٣٧٥- وعن أنسٍ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمانِ: أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

تتعدد أساليب التشويق في الحديث النبوي لأن لها كبير الأثر في سيطرة الأسلوب على حواس المخاطبين، و صرفهم إليه حتى يقرر المعنى الذي يريد، ويدل على عظمة الخبر بعده، وبداية الحديث بالنكرة الموصوفة (ثلاث) لون من ألوان التشويق؛ لأن فيها إبهاماً يستشرف المستمع إلى إيضاحه مما يضمن متابعته للمتكلم حتى يعلم ما يسفر عنه لفظ ثلاث، وجملة الصفة (من كن فيه...) لم تزل إبهام النكرة بل صعَّدت التشويق، والجار والمجرور(فيه) يدل على تمكن هذه الصفات في نفسه، وقد زاد المخاطب ترقباً بقوله (وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ) وما أجمل التعبير بالحلاوة عمَّا يجده المؤمن من الأنس بالله، والوجد، وفيوضات القرب، وهو استعارة كأنه شبه الإيمان بالعسل، أو ما تشتهيه النفس، ورمز إليه بالحلاوة بجامع ميل النفس في كل، فَلِلإِيمَانِ لَذَّة فِي الْقَلْب تُشْبِه الْحَلَاوَة الْحِسِّيَّة بَلْ رُبَّمَا يَغْلِب عَلَيْهَا حَتَّى يَدْفَع بِهَا أَشَدّ الْمَرَارَات،

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٦)، ومسلم (٤٣/٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢٧).

وهذا مِمَّا يَعْلَم بهِ مَنْ شَرَحَ اللَّه صَدْره، ثم أسلوب القصر الذي يحصر محبة المؤمن لإخوانه في الله، وينفي أن تكون لأغراض أخرى، ثم التشبيه الذي جعل العود في الكفر كالقذف في النار، وجعل كرهه له ككرهه لقذفه في النار فالمشبه هو العود في الكفر، والمشبه به وهو القذف في النار، ووجه الشبه هو وجدان الألم، وكراهة القلب إياه، وإذا تأملنا مفردات الحديث، وجدنا لفظ المحبة تكرر ثلاث مرات، لأنه المعنى الذي يدور حوله صلب الحديث، وكرر ضده (الكره) مرتين تثبيتاً لدعائم هذه المحبة بنفي ضدها، وتكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات يشير إلى أن نبض قلب المؤمن، وإيقاع حياته منضبط وفق ما يرضى الله تعالى في كل حركة، وسكنة.

فقه الحديث

١- فيه: أن حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ سبب في الإحساس بحلاوة الإيمان[١].

وذلك لأن من استكمل الإيمان علم أن حق الله تعالى ورسوله ﷺ آكد عليه من حق أبيه وأمه والناس أجمعين، لأن الهدى من الضلال، والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ﷺ[٢].

هذا: ومحبة الله تعالى على قسمين: فرض، وندب:

- فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره، والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره.

- والندب: أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات.

ومحبة الرسول ﷺ على قسمين أيضًا، كما تقدم في محبة الله، ويزاد: ألا يتلقى شيئًا من المأمورات، والمنهيات إلا من مشكاته ولا يسلك إلا طريقته[٣].

٢- وجوب أن يكون حبنا للآخري خالصًا لله تعالى بحيث لا يكون لغرض أو عرض، أو عوض، وذلك حتى يكون الإنسان داخلاً في المتحابين في الله[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/١٠.

(٣) ملخصاً من فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١/١.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٣١٢/٧.

٣- وفيه: أن من أكره على كلمة الكفر فالأفضل ألا يأتي بها للحديث.

وذهب البعض إلى أنه إن كان ممن يرجو النكاية في العدو، أو القيام بأحكام الشرع، فالأفضل له أن يدفع القتل عن نفسه، ويتلفظ بكلمة الكفر، لما في بقائه من صلاح حال المسلمين وإن كان لا يرجو ذلك اختار القتل[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حلاوة الإيمان ولذته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الخصال المؤدية إلى حلاوة الإيمان.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: محبة الإنسان لله تعالى.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: كراهية الكفر.

أولاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

لقد فصّل النبي ﷺ بعد الإجمال في هذا الحديث في قوله ﷺ: (ثلاث من كن فيه...)، ثم عدّد النبي ﷺ هذه الأصناف الثلاثةوذلك للفت انتباه المدعوين لأهمية الأمر المدعو إليه وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حلاوة الإيمان ولذته:

إن طيب العيش ولذته وحياة القلب وبهجته لا تكون إلا لمن ذاق طعم الإيمان، وحلاوته، وحلاوة الإيمان كما أشار إليها نص الحديث في قوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان..." إلخ الحديث، هي عبارة عما يجده المؤمن المحقّقُ في إيمانه، المطمئن قلبه به، من انشراح صدره، وتنويره بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة منّة الله تعالى عليه في أن أنعمَ عليه بالإسلام، ونَظَمه في سلك أمة محمد خير الأنام، وحبّب إليه الإيمان والمؤمنين، وبغّض إليه الكفر والكافرين، وأنجاه من قبيح

(١) المهذب للشيرازي ٢/ ٢٢٢.

أفعالهم، وركاكة أحوالهم. وعند مطالعة هذه المنن والوقوف على تفاصيل تلك النِّعم تطيرُ القلوب فرحًا وسرورًا، وتمتلئ إشراقًا ونورًا، فيا لها من حلاوة ما ألذها! وحالة ما أشرفها! فنسأل الله تعالى أن يمنَّ بدوامها وكمالها، كما منّ بابتدائها وحصولها، فإن المؤمن عند تذكر تلك النعم والمنن لا يخلو عن إدراك تلك الحلاوة، غير أن المؤمنين في تمكنها ودوامها متفاوتون، وما منهم إلا وله منها شرب معلوم، وذلك بحسب ما قسم لهم من هذه المجاهدة الرياضية، والمنح الربانية"[١].

"وفي ذلك تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما نقص ذوقه بقدر ذلك...، قال أبو محمد بن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[٢]، فالكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها"[٣].

وهذا ما عبر عنه بعض السلف في قوله: (إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، فحلاوة الإيمان هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح ولا حياة إلا بحصولها)[٤].

(فإن تحصّل ذلك في قلب المؤمن وتحقق، تُستلذ الطاعات ويتحمل العبد المشقات في إرضاء رب العباد وإيثار حبه تعالى، وحب نبيه ﷺ على عرض الدنيا وما فيها)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٧ - ٧٨.

(٤) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ص ٢٨٨.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(فلا يستطيع أي إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذتها ويذق طعمها وما لم تحتل العبادة محل الدواء والنزاع والقوة، ويصل إلى درجة تصبح العبادة لعينه قرة ولروحة مسرة)[١]، وبذلك يشعر العبد بحلاوة الإيمان تسري في عروقه وتملأ وجدانه، وكأن لسان حاله يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

"وقد كان لابن تيمية القدح المعلى في هذه الثروة الغالية، فكان له ذوق خاص في العبادة، والمناجاة والخلوة، وكان شديد الشغف بهذه الناحية، عظيم الإنهماك فيها، ما ذلك إلا لتذوقه حلاوة الإيمان ولذته.

جاء في الكواكب الدرية: (وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عز وجل، ضارعًا إليه، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة، وقال عنه العلامة الذهبي: له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية)[٣].

(وبحلاوة الإيمان ولذته ينطلق القلب من القيود المادية، ويحصل للعارف بها السكينة والسرور، ويذوق بذلك لذة النعيم والجنة في الدنيا، يقول ابن القيم: إن شيخ الإسلام قال مرة: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال: وقلبه ينبض بحلاوة الإيمان ولذته "ما يصنع أعدائي به؟ إن جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني".

وظلت حلاوة الإيمان وسكينته لا تفارقه في حياته، وبعد مماته، يقول ابن القيم: (زرته ذات ليلة في الرؤيا، وذكرت له بعض الأعمال القلبية، فقال: أما أنا فطريقي الفرح والسرور به)[٤]، وهكذا فلتكن حياة العارفين المجاهدين في حب الله ورسوله.

---

(١) انظر: الحافظ أحمد بن تيمية، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ١٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) انظر: الحافظ ابن تيمية، أبو الحسن الندوين ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) المرجع السابق ١٦٥ - ١٦٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الخصال المؤدية إلى حلاوة الإيمان:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان..." إلخ.

وفي إيضاح هذه الخصال قال ابن هبيرة: (هذه الخصال الثلاث المذكورة في هذا الحديث مرتبة على الترتيب الصحيح المستقيم؛ لأنه بدأ أولاً بحب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ وأن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان مما سواهما، ولفظه يعم ما يعقل وما لا يعقل، فيشمل الآدميين بمن يدخل فيهم من الأهل والولد والحميم وغير ذلك.

ثم نزل من هذه الطبقة إلى الطبقة المماثلة وهو أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وذلك أنه لما كان الله ورسله أحب إليه مما سواهما، كان من شرط هذا أن لا يحب المؤمن أحدًا يرى أنه بغيض إلى الله وإلى رسوله، بل يكون من شرط حب العبد ربه سبحانه وحبه نبيه ﷺ أن لا يحب المرء إلا لله وهذا النطق في قوله المرء يشمل الذكور من الآدميين.

فإذا أردت أن يُسمى به أنثى قلت: المرأة، فأضفت إليه علامة التأنيث فيكون هذا النطق مشيرًا إلى أن لا يحب الرجل ولدًا ولا صاحبًا ولا صديقًا ولا منعمًا ولا محسنًا إلا لله سبحانه وتعالى، فإن جعلنا هذا النطق كافيًا بجنسه المذكر عن كشف المؤنث فهو كذلك، وإن أخرجنا ذكر التأنيث منه، فإن لطف الله تعالى غير مستبعد فيه أن يكون أنطق رسوله ﷺ بهذا الكلام وهو قوله: ((المرءُ معَ من أحبَّ))[1]، المرء مختص بالمذكر رفقًا لعباده لعلمه بما لا ينضبط فيه نفوس الآدميين لهم من حيث الميل إلى النساء كما روي عنه ﷺ من قوله: ((هذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْني فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ))[2].

فأما حب الرجل الرجل المنعم عليه؛ أو ذا الخلة الحسنة، أو المحسن إليه لله

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨١٧، ومسلم ٢٦٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢١٣٤، ضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ٤٦٧).

سبحانه، فلأن أصل النعم منه سبحانه، وهو خالق الخلة الحسنة جلّ جلاله، فهذا كاف في مقامه.

ثم أتبع ذلك بما هو من أوصاف الإنسان،وهو أن يود أن يلقى في النار ولا يرد إلى الكفر، فالمعنى فيه ظاهر، وذلك أن المؤمن إذا ألقي في النار، نار هذه الدنيا وهو مؤمن كان كالخائض بها إلى الجنة فلا يباليها، لأنه يعلم أن خوض النار إلى الجنة ربما استطابه خائضه من حيث أنه يتيقن أن كل ما قطع خطوة قرب إلى الجنة مرحلة، ولو قد كان عوده إلى الكفر لكان ذلك مؤديًا إلى نار لا خلاص منها أبدًا.

فهذه آيات المؤمن وعلاماته التي يعرف بها، وهي جامعة لحب الله وحب رسوله ﷺ، وحب المؤمنين وحب الإيمان على الكفر، فهذاالحديث جامع لأوصاف الحب"[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "... من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"، قال ابن حجر: (قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له، ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة)[2].

"فالمحبة موطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما يكره....، وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها ، وقد يستلذه بعقله

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٤٩/٥ - ١٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٨/١.

للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ، لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعيم، والإبعاد عن الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى"[1].

"ومحبة الله على قسمين فرض وندب، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه. والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع. وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم. وإلى الثاني يشير حديث: ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ))[2]، والندب: أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات، والمتصف عموما بذلك نادر. قال: وكذلك محبة الرسول على قسمين كما تقدم، ويزاد أن لا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه. ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك، وقال الشيخ محيي الدين: هذا حديث عظيم، أصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ"[3].

وفي تحقيق محبة الله تعالى ورسوله ﷺ يكون عظيم الفلاح في الآخرة، فعن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٧٥، ومسلم ٥٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٨/١.

أنس رضي الله عنه: ((أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: متى الساعة يارسولَ الله؟ قال: ما أعدَدتَ لها؟ قال: ما أعدَدتُ لها من كثير صلاة ولا صَوم ولا صدَقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله. قال: أنتَ معَ من أحبَبْتَ))[1].

قال القرطبي: (وقوله: "ما أعددت لها كبير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة" يعني بذلك: النوافل من الصلاة، والصدقة، والصوم؛ لأن الفرائض لا بد له ولغيره من فعلها، فيكون معناه: أنه لم يأت منها بالكثير الذي يُعتمد عليه، ويُرتجى دخول الجنة بسببه، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون أراد أن الذي فعله من تلك الأمور -وإن كان كثيرًا- فإنه محتقر بالنسبة إلى ما عنده من محبة الله تعالى ورسوله، فكأنه ظهر له: أن محبة الله ورسله أفضل الأعمال، وأعظم القرب، فجعلها عُمدته، واتخذها عُدته، والله تعالى أعلم)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: محبة الإنسان لله تعالى:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)، قال يحيى بن معاذ: "حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء"[3].

قال القرطبي: "ويعني بالمرء هنا: المسلم المؤمن؛ لأنه هو الذي يمكن أن يُخلِصَ لله تعالى في محبته، وأن يتقرب لله تعالى باحترامه وحرمته، فإنه هو الموصوف بالأخوة الإيمانية، والمحبة الدينية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4]، وكما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[5].

وقد أفاد هذا الحديث: "أن محبة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان لا بد أن تكون

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٧١، ومسلم ٢٦٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٤٦/٦ - ٦٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٩/١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية، ولا الحظوظ البشرية؛ فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض أو يئس من حصوله.

ومحبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام وجدت الأعراض أو عُدمت. ولما كانت المحبة للأعراض هي الغالبة قلّ وجدان تلك الحلاوة، بل قد انعدم -لا سيما في هذه الأزمان التي قد أمحى فيها أكثر رسوم الإيمان- وعلى الجملة فمحبة المؤمنين من العبادات التي لا بد فيها من الإخلاص في حسن النيات"[(١)].

وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل محبة المرء لله تعالى؛ بأن في ذلك حب الله تعالى،وهو غاية كل مؤمن يرجو الله واليوم الآخر، فقال ﷺ: ((إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[(٢)].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: كراهية الكفر:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "وأن يكره أن يعود في الكفر مما يكره أن يقذف في النار"، قال القرطبي: (يقذف: يرمى. والقذف: الرمي. وهذه الكراهة موجبة لما انكشف للمؤمن من محاسن الإسلام، ولما دخل قلبه من نور الإيمان، ولما خلّصه الله من رذائل الجهالات، وقُبح الكفران)[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار، يعني يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه. وهذه ظاهرة فيمن كان كافرًا ثم أسلم، لكن من ولد في الإسلام فيكره أن يكون

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٥.

في الكفر بعد أن منَّ الله عليه الإسلام كما يكره أن يقذف في النار، يعني أنه لو قذف في النار لكان أهون من أن يعود كافرًا بعد إسلامه، وهذا والحمد لله حال كثير من المؤمنين لو قيل له: تكفر أو نلقيك من على شاهق في البلد أو نحرقك لقال: احرقوني، ألقوني من أعلى شاهق ولا أرتد بعد إسلامي)[١].

ولله تعالى وحده في ذلك الحمد والمنة قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[٢]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى الكفار بأشد الوعيد فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى عن حُكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله، الظالمين لأنفسهم بذلك، وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه، بأنه لا يغفر لهم "ولا ليهديهم طريقًا" أي: سبيلاً إلى الخير "إلا طريق جهنم" وهذا استثناء منقطع (خالدين فيها أبدًا وكان ذلك على الله يسيرًا"))[٤]. وفي ذلك بيان على أهمية كراهية الكفر والبعد عنه.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٧٣٤.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٦٧ - ١٦٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٤٧٦.

الحديث رقم (٣٧٦)

٣٧٦- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ[1] وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال تحقق سيطرة المتكلم على سمع، وبصر المخاطب منشؤها البداية بنكرة موصوفة تشير إلى معنى الاجتماع تحت ظل الله، وأعظم به من ظل !؛ لأن هؤلاء السبعة اجتمعوا تحت مظلة الطاعة لله، وربط بينهم الإخلاص له، وجملة (يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ) تصعِّد التشويق، ووقوع الفعل على ضمير الجمع شمول لهم بهذه النعمة، وكون الله هو الفاعل يؤكد التحقق، وتقييد الفعل بالجار والمجرور تخصيص للظل يقرر عظمته، وإضافة الظل للضمير العائد على الله تشريف، وتعظيم، وقد صعَّد شوق المخاطب حتى صار لهفة بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ)، ثم بدأ بتفصيل هؤلاء السبعة بعد أن بلغ المخاطبون ذروة الاستشراف إلى معرفتهم، وقد ذكر كل واحد منهم بقيد خاص، فذكر الإمام بقيد العدل، وذكر الشاب بقيد النشوء في عبادة الله، وذكر الرجل بقيد تعلق قلبه بالمساجد، وهو كناية عن حبه للصلاة والمحافظة عليها، وكثرة

---

(١) عندهما: (ذات منصب).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (٩١/١٠٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٥٩).

النوافل، ولذلك جمع المساجد، وذكر الرجلان بقيد التحابب في الله، وقوله (اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ) تضاد يوضح المعنى، ويقرره، وهو كناية عن الإخلاص في التعامل بينهما، وملازمة هذه المحبة لهما، ودوامها، وذكر الخامس بقيد الصبر على المحرمات مهما قويت الدواعي لذلك وصف الداعية بأنها (ذات حسن، وجمال) وذكر السادس بقيد الإخلاص في الصدقة (، فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) كناية عن شدة الإخلاص، والطباق بين شماله، ويمينه، يؤكد شدة الإخلاص في الإنفاق حتى عن أقرب المقربين، وذكر السابع بقيد شدة الخشية لله، ونلاحظ في أعمال السبعة أنها يربطها جميعاً خيط واحد، وهو الإخلاص، ولها ارتباط بالقلب بشكل من الأشكال.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم اشتراط عدالة الولاة: اختلف الفقهاء في اشتراط العدالة فيمن يتولى الإمام الكبرى أو ما شابهها من الولايات العامة، كالوزارة، والإمارة، وقيادة الجيوش.

فذهب المالكية و الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى اشتراطها؛ لأن الفاسق متهم في دينه.

وذهب الحنفية إلى أنها ليست شرطًا للصحة وأن تقليد الفاسق الإمام الكبرى جائز مع الكراهة، ونقلت في هذا رواية عن أحمد وبعض الشافعية[1].

٢-فضل من يسلم من الذنوب، وشغل بطاعة ربه طول عمره: فإن الشباب شعبة من الجنون، وهو داع للنفس إلى استيفاء الغرض من شهوات الدنيا ولذاتها المحظورة، فمن سلم منه فقد سلم[2].

---

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٦، ٢٠، ورد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين". محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٨/١، ٢٩٩/٤، وجواهر الإكليل، صالح عبدالسميع الأزهري ٢٢١/٢، ٢٢٧، ومغني المحتاج، شمس الدين الخطيب ٧٥/٣، ١٣٠/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠/٥.

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة))[1].

٣-فضيلة الرباط في المساجد: لذا يستحب لزومها والجلوس فيها لما في ذلك من إحياء البقعة وانتظار الصلاة، وفعلها في أوقاتها على أكمل الأحوال.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((ما توطّن رجلٌ مسلمٌ المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم))[2].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((المساجد بيوت المتقين وقد ضمن الله عز وجل لمن كان المساجد بيوته الرَّوْح والرحمة والجواز على الصراط))[3].

٤-ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية.

يقول تعالى مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[4]، أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، ويقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[5].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٥١، والطبراني في الكبير ١٤٢٦٩، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ١٦٥٨. لكن محققي المسند قالوا: حسن لغيره ٢٨/٦٠٠ رقم ١٧٣٧١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٨٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٢٧.

(٣) قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، والترغيب والترهيب ٥٠٤، لكنه حسنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٠.

(٤) سورة الملك، آية: ١٢.

(٥) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

٥-حكم إخفاء الصدقة: ذهب أكثر الفقهاء إلى أن كتمان صدقة التطوع أفضل، وإخفاءها خير من إظهارها، لأنه أقربُ إلى الإخلاص، وأبعدُ من الرياء، وإن كانت تصح ويثاب عليها في العلن، فكلٌ مقبول إذا كانت النية صادقة[١]، قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢].

وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل، كحكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل، وإسرار نوافها أفضل[٣].

٦-فضيلة البكاء من خشية الله تعالى، وأثره في غفران الذنوب: يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: (وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعتهم لربهم، وكأنهم بين يديه. وهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب.

وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٥]، أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله.

---

(١) المهذب ١٨٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٦/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥/٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٣.

فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير.

فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه رضي الله عنهم في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله.

ولذلك قال العرباض بن سارية رضي الله عنه: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون)[1].

ولم يقل: زعقنا ولا رقصنا ولا زَفَنَّا ولا قمنا[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار مع براعة الاستهلال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ظل عرش الله تعالى يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإمام العادل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشاب التقي النقيّ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل مَنْ تعلق قلبه بالمساجد.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتحابين في الله تعالى.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتعفف عن الحرام.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتصدق في السر.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٦/٧، وزَفَن زَفْنًا أي رقص، الوجيز في (ز ف ن).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٧٧).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار مع براعة الاستهلال:

أخبر النبي ﷺ هذا الخبر "سبعة يظلهم الله في ظله" وهذا الإخبار وسيلة دعوية تصل بالمدعو إلى معرفة المراد وتهيئ نفسه لفهمه وبخاصة إذا ألقي بهذه الطريقة النبوية التي ساقت الخبر مع براعة الاستهلال وحسن البشارة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ظل عرش الله تعالى يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله".

قال القاضي عياض: (إضافة الظل هنا إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو لله ومن خلقه وملكه وسلطانه، وهو ظل العرش على ما في "الحديث الآخر"[1]، والمراد بذلك يوم القيامة، إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس ويشتد عليهم الحر ويأخذهم العرق، ولا ظلَّ هناك لشيء إلا ظلُّ العرش كما جاء في بعض الروايات: ((في ظل عرشي))[2]. وقديراد به هنا ظل الجنة أو ظل طوبى، وهو نعيمها، والكونُ في دارها، كما قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[3]، وذهب ابن دينار إلى أن معنى الظل هنا: الكرامة والكنف والكن من المكاره في ذلك الموقف، قال: ولم يرد الظل من الشمس، وما قال معلوم في اللسان، يقال: فلان في ظل فلان، أي في كنفه وحمايته، وهو أولى الأقوال، ويكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب والكرامة. وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإمام العادل:

لقد أكد نص الحديث على عظم فضل الإمام العادل؛ وذلك في الابتداء بذكره بعد قوله ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله".

---

(١) يقصد حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة" أخرجه أحمد ٥/٣٠٠ رقم ٢٢٥٥٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٥١/٣٧.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٨/٤ رقم ٧١٥٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ٢٩٠/٢٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٧.

(٤) إكمال المعلم ٥٦٢/٣، وانظر: المفهم، القرطبي، ٧٥/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(والإمام العادل: هو كل من وُلّي شيئًا من أمور المسلمين من الولاة والحكام، فعدل فيه، وبدأ به النبي ﷺ لكثرة مصالحه وعموم نفعه)[١].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن هذه الأوصاف السبعة لا يقدر أن يجمعها إلا إمام عادل؛ فإنه إذا كان قد نشأ في طاعة الله، وتعلق قلبه بالمساجد، وأحب رجلاً في الله، وأحبه ذلك الرجل في الله، جمع فيه الأوصاف كان له هذا الأجر.

والفقه في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ عين ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله لكل صنف من الناس، كانت في ذلك الصنف واحدة من هذه الصفات؛ فبدأ بالإمام؛ لأنه الأحق أن يبدأ به.

وأما قوله: "عادل"؛ فإن الإمامة لها شرائط، يجمع بين أشراطها تسميته إمامًا. ولم يقل رسول الله ﷺ: زاهد، ولا ورع، ولا خائف، ولا غير ذلك؛ لأن ذلك كله دخل في اشتراط الإمامة، ثم ذكر المهم بعد عقد الإمامة وهو اشتراط العدل، ومعنى العدل مأخوذ عنده الاعتدال، وهو القوي في أمر الله، لكن إلى الحد الذي لا ينتهي إليه العنف، الرفيق بخلق الله؛ لكن لا إلى الحد الذي ينزل إلى الضعف؛ فيكون من الاعتدال عند ألا يجبن عن استيفاء حد، وقتل باغ، وقطع سارق وغير ذلك مما ينبغي أن يكون حسمًا لدواعي الفساد.

كما ينبغي أن يكون رفيقًا بالأرملة، حدبًا على اليتيم، موقرًا للعلماء، مُدْنيًا للفقهاء، وقافًا عند كتاب الله عز وجل، مجالسًا للقراء؛ فيكون معتدلاً في طرقه، داخلاً في فضل الله من كِلا بابيه.

وإذا كان مقيمًا للصلاة، آمرًا بالشرع، صائنًا لدماء المسلمين وفروجهم، مناضلاً من وراء بيضتهم، كافًا لبوائض الشعث، باذلاً في ذلك وسعه بمقتضى وقته، ناويًا إبلاغ الحق مبالغَهُ عند تمكنه، فذلك واجب وقته، ومن عدله أن يجدَّ في أخذ الصدقات وصرفها إلى وجوهها، وكذلك في أخذ الجزية والخراج وسائر وجوه الفيء،

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٦٢/٣، والمفهم، القرطبي، ٧٥/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

وصرف كل شيء منه في منصرفه الذي عينه الشرع له، وألا يترك من ذلك شيئًا لأحد بغير موجب شرعي)[١].

فإن قام الإمام بذلك فقد وفَّى وكفَّى واستحق عظيم الأجر من الله تعالى في أن يظله يوم لا ظل إلا ظله، فضلاً عن الفوز بالجنة لقوله ﷺ: ((أهل الجنة ثلاثة. وذكر ﷺ منهم: ذو سلطان مقسط))[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشاب التقيّ النقيّ:

لقد شمل ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله "الشاب الطائع له"، وذلك في الحديث من قوله "وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل".

(وقوله ﷺ "نشأ" أي: نبت، وابتدأ، وقد خُص الشاب لكونه مَظِنَّة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى، فترتفع عنه "الصبوة"[٣]، فينعم بظل الله عز وجل يوم القيامة، فضلاً عن قوله ﷺ ((إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة))[٤])[٥].

وليعلم الشاب أن الله عز وجل يجزي العبد عن عمله بما هو من جنس عمله، فمن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه؛ فإذا ترك شهوته لله وغض بصره عن محارم الله واتقى الله جهده، عوضه الله تعالى في الدنيا بنور بصيرته، وصدق فراسته، وأذاقهُ حلاوة إيمانه، وفتح عليه من العلم والإيمان ما لا ينال إلا ببصيرة القلب، وفي الآخرة ظله تعالى وجنته وعفوه، فنعم الجزاء من رب العباد[٦].

وليعلم الشاب أنه لا فلاح له إلا بحبسين، بينهما ابن القيم في قوله: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيرُه وطلبُه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) والصبوة: أي ميل إلى الهوى. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ا).

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٥١ رقم ١٧٣٧٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٨/٦٠٠.

(٥) المفهم، القرطبي، ٣/٧٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٠.

(٦) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ٣٠٧.

وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا؛ فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس... وبالله التوفيق.

وَدَّعَ ابنُ عونٍ رجلاً فقال: عليك بتقوى الله؛ فإن المتقي ليست عليه وحشة.

وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقّى الله أحبَّه الناس وإنْ كَرِهوا.

وقال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يُغنوا عنك من الله شيئًا.

وقال سليمان بن داود: أُوتينا مما أُوتي الناس ومما لم يُؤتَوا، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا، فلم نجد شيئًا أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى)[1].

فعلى الشاب أن يضع ذلك نصب عينيه ويجعل شعاره ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل من تعلق قلبه بالمساجد:

قد عظَّم النبي ﷺ في الحديث فضل من أحب المساجد وتعلق بها ولازمها؛ بأن الله تعالى يظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، قال القرطبي: (وقوله ﷺ "ورجل قلبه معلق بالمساجد" أي: يحبُّ الكون فيها للصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، وهذا إنما يكون ممن استغرقه حبُّ الصلاة، والمحافظة عليها، وشُغِف بها)[3].

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٦.

(فإذا خرج من المسجد ظل في شوق إلى العبادة والطاعة حتى يعود إليه؛ وذلك لأنه لما آثر طاعة الله وغلب عليه حبه صار قلبه مشدودًا إلى المسجد، لا يحب البراح عنه فيه روح القربى وحلاوة الطاعة)[1]. قال ابن حجر: (قوله "معلق في المساجد" ظاهره أنه من التعليق كأنه يشبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجًا عنه)[2].

(وهذه من الوسائل الفعَّالة التي اختارها الله تعالى لتنقية قلب العبد وتطهير روحه ونفسه من شوائب الدنيا وعلائق المادة، وليكون العبد مندفعًا إلى المسجد مشتاقًا للصلاة فيه ويضع نصب عينيه أن الملائكة تنتظره في رحال هذا المسجد، وأن بيت الله يشع نورًا وضياءً، ويعبق الجو بالعطر والمسك، وينعش النفس ويربط قلبه بالله تعالى، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث. اللهم اغفر له، اللهم ارحمه)[3]...، وفي الحديث وقفة تربوية نبوية كريمة؛ إذ أراد ﷺ أن يوجه المؤمن إلى تقوية الصلة بالله، ثم ذكر وسيلة فعالة لتطبيق هذه الفكرة، وهي أن يكون قويَّ الصلة بالمسجد، شديد العناية بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة في المسجد، ليكون مرتبطًا بالجماعة يتفقد أحوالهم، ويتعاطف معهم في أمورهم، ويكون كل فرد منهم لبنة مباركة في بناء البيئة الإسلامية، وفي الحديث إشارة إلى فضل المسجد وفضل الملازمة له واستمرار المؤمن فيه بالقلب وإن عرض للجسد عارض ولذلك أشاد القرآن بمكانة المسجد في الإسلام فقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن

---

(١) وقفات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٦، ومسلم ٦٤٩.

فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١].

تلك البيوت "أذن الله أن ترفع"، وإذن الله هو أمر للنفاذ، فهي مرفوعة قائمة، يعبد فيها الله تعالى "ويذكر فيها اسمه" وتتعلق بها القلوب المؤمنة الوضيئة الطاهرة المسبحة الواجفة، قلوب الرجال الذين "لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة"، والتجارة والبيع لتحصيل الكسب والثراء، ولكنهم مع شغلهم بهما لا يغفلون عن أداء حق الله في الصلاة وأداء حق العباد في الزكاة "يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار" من شدة الهول والكرب والاضطراب. إنهم يخافون ذلك اليوم فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وهم مع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله "ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله". وهذا الصنف هو الذي يدخل في "ورجل قلبه معلق في المساجد")[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتحابين في الله تعالى:

(إن المحبة في الله ولله خير وسيلة لمحاربة المادية والأنانية والنفعية ولنشر السعادة والهناء ولإقامة روابط أخوية وللتآلف والتواد ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا مثاليًا يحتذى ويتطلع إليه البشر كلما ادلهمت الأمور واشتدت الأزمات وقد سلك الإسلام لذلك وسائل عديدة)[٣]، من أبرزها وأعظمها ما أوجبه النبي ﷺ للمتحابين في الله من ظله تعالى لهم يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله ﷺ "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه" وقوله ﷺ "إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

قال القرطبي: (وقوله "ورجلان تحابًا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه" أي: داما على المحبة الصادقة الدينية، المبرَّأة عن الأغراض الدنيوية، ولم يقطعاها بعارضٍ في

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٢) وقفات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) المرجع السابق ٣٤٥.

حال اجتماعهما، ولا حال افتراقهما)[١].

وهذا ما أكده النووي في قوله: (ومعناه اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله أي كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله وبيان عظم فضله وهو من المهمات فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له)[٢].

وقد عظم النبي ﷺ فضل ذلك فقال: ((إن من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم لعلنا نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب وجوههم نور على منابر من نور...))[٣].

قال ابن هبيرة: (وأما الرجلان المتحابان في الله عز وجل؛ فإنهما يعرفان بأن ينظر إلى الجامع بينهما، وأنه ليس عن قرابة ترعى، ولا عن رحم تُبَل، ولا عن تجارة تضم، ولا عن سفر يجمع، ولا عن دنيا ترب، ولا عن خدمة مخدوم تجمع؛ بل حب لله عز وجل، ويعرف هذا من هذا حبه لله، فيتحابا في الله من حيث إنهما إذا اجتمعا تذاكرا ذلك وأفاضا فيه، وتعاوداه وتهاديا أذكاره فاجتمعا على ذلك إذا اجتمعا، وافترقا على ذلك إذا افترقا، فكانا من المتحابين في الله عز وجل، فإن اتفق أن يكونا نسيبين، لكل واحد منهما في حب الله عز وجل معاملة من صلة الرحم منه فذلك أفضل؛ فإن كان أحدهما يحب الآخر في الله عز وجل بحسب ما ظهر له من أمارات حب الله، فلم يكن باطن الآخر على ما كان عليه ظاهره، أثاب الله المخلص ولم يأخذ بجريرة الغال)[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(٣) صحيح ابن حبان ٥٧٣، وقال محققو الصحيح: إسناده صحيح.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٣٦/٦.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتعفف عن الحرام:

قد أكد النبي ﷺ في نص الحديث على عظم فضل المتعفف عن الحرام بأن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله ﷺ "ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاه الله".

قال القرطبي: (معنى دعته: عرضت نفسها عليه. أي: للفاحشة. وقول المدعو في مثل هذا: إني أخاف الله، وامتناعه لذلك دليل: على عظيم معرفته بالله تعالى، وشدة خوفه من عقابه، ومتين تقواه، وحيائه من الله تعالى. وهذا هو المقام اليُوسُفِيّ)[1].

وقد ورد في رواية لمسلم قول "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله".

قال القاضي: (يحتمل قوله أخاف الله باللسان ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال لاسيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات؛ فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف ومعنى دعته أي دعته إلى الزنا بها هذا هو الصواب في معناه وذكر القاضي فيه احتمالين أصحهما هذا. والثاني أنه يحتمل أنها دعته لنكاحها فخاف العجز عن القيام بحقها أو أن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها)[2].

ومما لاشك فيه (أن النجاة من هذه الفتنة من المسائل العويصة التي شغلت بال الأنبياء والمصلحين والمربين، ونحن نعرف أن نبيَّ الله يوسف عليه الصلاة والسلام وقع في سلسلة من الابتلاءات كان أبرزها فتنته أمام امرأة ذات منصب وجمال ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣، وإكمال المعلم ٣/٥٦٣.

هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

وهنا ننبه إلى أن بيئة الترف والثراء وبيئة الاختلاط والإغراء بيئة خطيرة في حياة المسلم، ومثل هذه البيئة تقع فيها هذه الفتن غالبًا. ويوسف عليه السلام كان فيها مولى، وتربى فيها في سن الفتنة، فهذه هي المحنة الطويلة التي مرَّ بها يوسف، وصمد لها ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها ووسائلها الخبيثة ولسنه وسن المرأة التي يعيش معها في قصر منيف، كل هذه المدة، قيمة في تقدير مدى الفتنة وخطورة المحنة "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك". إذًا فقد كانت المراودة مكشوفة. وهذه الدعوة السافرة الغليظة لا تكون أول دعوة من المرأة إنما تكون هي الدعوة الأخيرة. ولكن جواب الشاب النقي يوسف عليه السلام كان عظيمًا وقويًا عندما قال كما يحكي القرآن العظيم: "قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون". وهذا الجواب وهذا العمل هو الذي يُسبِّب التشريف بظلٍّ عرش الرحمن وبالاسترواح في رحمته. وقد حدث هذا عبر السنين ويمكن أن يحدث في كل وقت إذا وجدت البيئة الصالحة والتربية الشاملة والرعاية المتكاملة للشباب)[2].

وقد بين ابن حجر: (أن ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له بل يشترك النساء معهم فيما ذكر، إلا إن كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم. وتخرج خصلة ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن، حتى الرجل الذي دعته المرأة فإنه يتصور في امرأة دعاها ملك جميل مثلاً فامتنعت خوفًا من الله تعالى مع حاجتها)[3].

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٣.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتصدق في السر:

لقد عظّم النبي ﷺ في نص الحديث فضل المتصدق بالسر، بأن جعله في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله "ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

قال النووي: (في هذاالحديث فضل صدقة السر قال العلماء: وهذه في صدقة التطوع فالسر فيها أفضل لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل)[1]، وهذا ما أكده القرطبي في قوله: (إن إخفاء صدقة التطوع، هو حضٌ على الإخلاص في الأعمال، والتستر بها ويستوي في ذلك جميع أعمال البر التطوعية. فأما الفرائض فالأولى إشاعتها وإظهارها لتنحفظ قواعد الدين، ويجتمع الناس على العمل بها، فلا يضيع منها شيء، ويظهر بإظهارها جمال دين الإسلام، وتعلم حدوده وأحكامه. والإخلاص واجبٌ في جميع القرب، والرياءُ مفسدٌ لها.

وقوله: "حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" هذا مبالغةٌ في إخفاء الصدقة)[2].

قال القاضي عياض: (وضرب مثل بهما لقرب اليمين من الشمال، ولتصرف اليدين جميعًا في العمل الواحد، وإن كان العلم لا يضاف لليد. وقيل: المراد: من على يمينه وشماله من الناس، والأول أظهر وأولى. وفيه استعمال اليمين في طاعة الله من الصدقة، وأنه أفضل وأولى، وقد ترجم البخاري على الحديث "الصدقة باليمين"[3])[4]. قال القرطبي: (وقد سمعنا من بعض المشايخ أن ذلك أن يتصدق على الضعيف في صورة المشتري منه، فيدفع له درهمًا مثلاً في شيء يساوي نصف درهم. فالصورة مبايعة، والحقيقة صدقة، وهو اعتبارٌ حسن)[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٦.

(٣) كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم ١٦، ص ٢٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٥٦٤.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٧.

ومما لا شك فيه أن تعظيم النبي ﷺ لفضل المتصدق بالسر، بأن يظله الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله (هو خير وسيلة لتشجيع المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله ومد يد العون إلى الأمة الإسلامية. وقد ركَّز الإسلام على هذه الناحية تركيزًا شاملاً نظرًا لخطورتها وأهميتها في بناء مجتمع إسلامي كريم. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. لأن تشريع الصدقة لا يبدأ بالفرض والتكليف إنما يبدأ بالحض والتشجيع. إنه يستجيش المشاعر والانفعالات في الكيان الإنساني كله بقوله: "سبعة يظلهم الله في ظله"، حيث تتطلع النفوس إلى هذا الظل الظليل المريح وتبحث عن وسائلها، إلى ذلك فتجد في الإنفاق وفي إخفاء الصدقات وسيلة إلى هذا الظل الظليل. وهذا التعبير في موكب الحياة النامية يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء، إنه لا يعطي، بل يأخذ، وإنه لا ينقص، بل يزاد وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها تضاعف المشاعر التي استجاشها.

إنه الإنفاق الذي يرفع المشاعر الإنسانية ولا يشوبها، والإنفاق الذي لا يؤذي كرامة ولا يخدش شعورًا، والإنفاق الذي ينبعث عن الأريحية والنقاء، ويتمثل ذلك في الإخفاء وفي عدم المنِّ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

إن الإسلام لم يرد بالإنفاق مجرد تأدية الواجب وتلافي الحاجة، كلا، إنما أراده تهذيبًا وتزكية وتطهيرًا لنفس المعطي واستجاشة لمشاعره الإنسانية، وارتباطه بأخيه الفقير في الله وفي الأخوة، وتذكيرًا له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير سرف ولا مخيلة وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا مَنٍّ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٢.

وبكل أساليب الإخفاء كما أراده ترضية لنفس الآخذ وتوثيقاً لصلته بأخيه في الله وسداً لخلة الجماعة المسلمة كلها لتقوم على أساس من التكافل والتعاون وحث الإسلام على ذلك في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

وفي ذلك دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يرتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية)[2].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

لقد أكد نص الحديث على الصنف السابع والأخير الذي يتمتع بالعناية الربانية الخاصة ويستظل بظل عرشه في يوم عصيب وفي لحظة حرجة هو "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".

قال ابن حجر: (قوله "ذكر الله" أي بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر، و"خاليًا" أي من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خاليًا من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ...، وقوله "ففاضت عيناه" أي فاضت الدموع من عينيه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة كأنها هي التي فاضت)[3].

قال القرطبي: (وفيضُ العين: بكاؤها. وهو على حسب حال الذاكر، وبحسب ما ينكشف له من أوصافه تعالى. فإن انكشف له غضبه، فبكاؤه عن خوف، وإن انكشف له جمالُه وجلاله؛ فبكاؤه عن محبة وشوق. وهكذا يتلوَّن الذاكر بتلوُّنِ ما

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٠-٢٧١.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢.

يذكر من الأسماء والصفات)[١].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة البكاء من خشية الله تعالى وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها)[٢].

ومما لا شك فيه أن البكاء من الخشوع والخوف من أحب اللحظات والصفات عند الله تعالى، وذكره القرآن بألفاظ مليئة بالمعاني والإيحاءات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٣].

وهو مشهد مُوحٍ يلمس الوجدان مشهد الذين أوتوا العلم من قبله وهم يسمعون القرآن فيخشعون، ثم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لا يسجدون ولكن يخرون للأذقان سجدًا، ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده "سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا"، ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ "ويخرون للأذقان يبكون"، "ويزيدهم خشوعًا" فوق ما استقبلوه به من خشوع وهو الأمر المفضل عند الله تعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))[٤].

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه البكاء من خشية الله والبكاء بعد تلاوة القرآن؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ عليَّ فقلت: يا رسول

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٤، وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٣/٥٦٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧-١٠٩.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٣، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٣٣٣.

الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا" فقال: حسبك الآن. فإذا عيناه تذرفان))[١].

وكأنه ﷺ يدرب أصحابه على البكاء من خشية الله والتأثير بعد تلاوة القرآن حتى يدخل في زمرة "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه" وحتى يدخل في ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٢]. أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجدًا وبكيًّا.

وهو ﷺ يربي أصحابه على البكاء بالتطبيق العملي وبالانفعال بتلاوة القرآن مرة وبالحديث مرة أخرى. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))[٣]. وكأنه ﷺ يحث خيرة أمته أن يكونوا من أولئك الأتقياء الحساسين الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله. عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله))[٤].

هذه التربية النبوية تركت أثرًا جميلاً في نفوس أصحابه فكانوا يتلون القرآن بكل الخشوع والخضوع حتى كانت تفيض أعينهم من الدموع وتقشعر أبدانهم من

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٥٠، ومسلم ٨٠٠.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٦٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٦٣).

الخوف والعظمة، وأولهم أبوبكر رضي الله تعالى عنه ((وكان له مسجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقًا إذا قرأ القرآن استبكى. قالت عائشة: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيأته))[1][2].

(١) أخرجه البخاري ٣٩٠٥.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٥٢-٣٥٤.

الحديث رقم (٣٧٧)

٣٧٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنّ الله تَعَالَى يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الصحابي قال رسول الله ﷺ انتقال بمستوى الكلام البشري العادي إلى مستوى الكلام النبوي أسلوباً، ومعنى، وقول الرسول ﷺ (قال الله)ارتقاء بمستوى الكلام من المستوى البشري إلى مستوى الكلام الإلهي معنى لا لفظاً؛ لأنه حديث قدسي معناه لله، ولفظه للرسول ﷺ، وله خصوصية في النظم، فقد بدأ بأسلوب التوكيد بـ(إن) مع تقديم المسند إليه (الله)على الخبر الفعلي (يقول) مع ما يشعر به لفظ الجلالة من الهيبة، والإجلال، وتقييد الفعل بيوم القيامة يصعِّد الرهبة والخوف، ويزيد ترقب المخاطب للمقول وقول الله تعالى (أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟) استفهام على غير حقيقته لأن الله تعالى علام الغيوب، ولكن الاستفهام خرج إلى معنى الإشادة بهم والتكريم لهم، والتنبيه على فضلهم، ومكانتهم، وقوله (المتحابون بجلالي) أي لعظمتي فالباء بمعنى اللام أو في وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة، والسطوة أي المنزهون عن شوائب الهوى والنفس والشيطان في المحبة فلا يتحابون إلا لأجلي ولوجهي لا لشيء من أمور الدنيا (اليوم أظلهم في ظلي) أي ظل عرشي كما جاء مصرحا به في خبر آخر وإضافة الظل إليه إضافة تشريف وملك والمراد أنه في ظله من الحر ووهج الموقف، أو كناية عن الراحة، والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب، والجناس بين، وتكرار لفظ الظل لتقرير معناه في قلب المخاطب، وسمعه ترغيباً في هذه العلاقة بين المؤمنين في الدنيا، ويجمعهم الله بها في الآخرة.

---

(١) برقم (٣٧/٢٥٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢٨).

فقه الحديث

١- فضل التحابِّ في الله تعالى لأنها سبب في إكرام الله تعالى للعبد يوم القيامة[١].

٢- فيه دليل على جواز قول الإنسان: "الله يقول" وهو الصواب الذي عليه كافة العلماء.

إلا ما روي عن بعض السلف من كراهة ذلك، وأنه لا يقال: يقول الله، بل يقال: "قال الله".

ولكن جاء بجواز ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[٢] كما جاءت به السنة في هذا الحديث[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٧/٤٢٩، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٥٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١٢٣.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٧٨)

٣٧٨- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: ((**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بينكم**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بقسم يتزلزل له الوجدان لأن الذي يحلف صادق لا يكذب، وهو نبي يوحى إليه مما يحقق اليقظة، والترقب، ويضمن للمعنى الثبات؛ لأنه ارتبط بتعبير له خصوصية في الترهيب وهو قوله: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة بالتكذيب يوحي بأهمية المعنى بعده الذي يقوم على تقرير معنى إفشاء السلام الذي يشيع المحبة بين المسلمين عن طريق المنطق الفطري بمقدمات تترتب عليها نتائج بطريقة مشوقة بدأت بجملة، نفت دخول الجنة إلا بعد بلوغ درجة الإيمان، وقد وصل الأفعال بواو الجماعة دلالة على عموم الحكم، ونظماً للمجتمع كله في سلك الخطاب، وهو ما يحقق ترقب الجميع للخبر، ثم إنه علَّق الإيمان على التحابب، وهو تفاعل من المحبة، وهذه الصيغة تدل على المشاركة، أي يحب كل واحد منهم الآخر، ثم صعَّد التشويق عن طريق الاستفهام التشويقي (أوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ) ثم ربط بأسلوب الشرط المحبة التي يتوقف عليها الإيمان الذي يتوقف عليه دخول الجنة بهذا الشيء الذي يعرضه عليهم (إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ) حتى إذا صار المخاطبون في قمة اليقظة، والترقب قرر المعنى الذي يريد عن طريق أسلوب الأمر حثاً، وترغيباً (أفشوا السلام بينكم)وطريقة النبي ﷺ

---

(١) برقم (٥٤/٩٤) ولم يسق لفظه إلى قوله: (الجنة حتى تؤمنوا) وأحال الباقي على حديث أبي معاوية ووكيع برقم (٥٤/٩٣) والسياق للحميدي في جمعه (٢٧٨/٢، رقم ٢٦٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٧٩).

في تقرير المعنى تدل على أهمية الأمر، وأثره في المجتمع الذي ينبعث محبة بين أفراده، وسلاماً يعم الجميع.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم إفشاء السلام، وقد سبق القول في الحديث رقم (٢٣٨) أنه قد اتفق الفقهاء[1] على أن رد السلام من فروض الكفايات فمتى قام به واحد من جماعة أجزأ عنها وإن تركه الجميع أثموا، وإن كان من يرد واحدًا فقد وجب عليه رد السلام، أما ابتداء السلام فقد اختلفوا فيه، فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة في المذهب إلى أن ابتداء السلام سنة وليس واجبًا، وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة يكفي سلام أحدهم ولو سلموا كلهم كان أفضل، وذهب الحنفية والمالكية في قول والإمام أحمد في رواية إلى أن ابتداء السلام واجب.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم، والاستفهام.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإيمان في دخول الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحاب في الله من علامات كمال الإيمان.

رابعًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الأسباب المؤدية إلى سعادتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم، والاستفهام:

القسم من أقوى التوكيدات في اللغة العربية وجاء القسم هنا مناسبًا لينبه أن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن، وقد أفاد القسم هنا أهمية الإيمان في دخول الجنة، ونظرًا لعظم

(١) المبسوط، السرخسي ٢٩/٢، ٢٧٤/٣٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٤/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٧٩/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٩١/١، والأم، الإمام الشافعي ٢٣٤/١، وأحكام القرآن، الشافعي ٣٥/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٥١/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٧١/٢، ٨٦، ٢١٣/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٣٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٤/١١.

المقسم عليه؛ فإن النبي ﷺ أراد بيان ذلك فاستخدم القسم للدلالة على أهمية وعظمة دخول الجنة، وأنها الغاية التي يجب على كل مؤمن أن يسعى إليها، ويُعد لها العدة اللازمة. والتي يأتي الإيمان في قمّتها.

وجاء الاستفهام في قوله ﷺ "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ وهذا الاستفهام جاء مناسبًا جدًا لمخاطبة المدعوين؛ حيث أفاد الاستفهام في هذا الموطن استثارة همم المدعوين ودفعهم إلى التنافس لإدراك تلك الغاية العظيمة وهي دخول الجنة، وذلك من خلال توجيههم إلى ما يؤدي إلى تلك الغاية من إيمان بالله ورسوله والإخلاص في ذلك. وقد وجههم النبي ﷺ إلى أن الإيمان لا يتحقق إلا من خلال الحب والمودة التي يجب أن تسود بين المؤمنين، وقد وجه النبي ﷺ المؤمنين إلى أن الحب لا يتحقق إلا من خلال عدد من الأمور وذكر أبرزها وهو إفشاء السلام.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإيمان في دخول الجنة:

هذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا".

قال القرطبي: (الإيمان المذكور أولاً هو: التصديق الشرعي المذكور في حديث جبريل الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد! أخبرني عن الإسلام ...، قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت... إلخ))[1]، والإيمان المذكور ثانيًا هو الإيمان العملي المذكور في قوله: ((الإيمان بضع وسبعون بابًا))[2] ولو كان الثاني هو الأول للزم منه أن لا يدخل الجنة من

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

أبغض أحدًا من المؤمنين، وذلك باطلٌ قطعًا، فتعيّن التأويل الذي ذكرناه)[1].

(ولا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان كتصديق شرعي، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[5]. والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٤٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٩.

(٤) سورة طه، آية: ٧٥.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧-١٠٨.

(٦) سورة النساء، آية: ١٣٦.

٢- وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[١].

٣- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

٥- وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل[٤]، السالف ذكره.

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

ولذا كان متأكدًا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علمًا وتعلمًا وتحقيقًا)[٥].

قال القرطبي: (والإيمان بالله: هو التصديق بوجوده تعالى، وأنه لا يجوز عليه العدم، وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الجلال والكمال من العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، وأنه تعالى مُنَزَّهٌ عن صفات النقص التي هي أضداد تلك الصفات، وعن صفات الأجسام والمتحيِّزات، وأنه واحدٌ صمدٌ فردٌ خالقُ جميع

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة القمر، آية: ٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٨.

(٥) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء.

المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء من التصرفات، يفعلُ في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه ما يشاء.

والإيمان بالملائكة: هو التصديق بأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، و﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[3] وأنهم سفراء الله بينه وين رُسله، والمتصرِّفون كما أذن لهم في خلقه.

والإيمان برسل الله: هو أنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وأنَّ الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلَّغوا عن الله رسالاته، وبيَّنوا للمكلفين ما أمرهم الله بنيانه، وأنه يجبُ احترامهم، وألا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، وأنهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك، مما صح نصه، وثبت نقله.

والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله: هو ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[5]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[6] وإجماع السلف والخلف على صدق قول القائل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وقوله ﷺ: ((كلُّ شيءٍ بقَدَر حتى العجز والكيس))[7].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.

(٤) سورة الصافات، آية: ٩٦.

(٥) سورة القمر، آية: ٤٩.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

(٧) أخرجه مسلم ٢٦٥٥.

تنبيه: (مذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف: أن من صدّق بهذه الأمور تصديقًا جازمًا لا ريب فيه، ولا تردد، ولا توقف، كان مؤمنًا حقيقةً، وسواء كان ذلك عن براهين ناصعة، أو عن اعتقادات جازمة)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحاب في الله من علامات كمال الإيمان:

هذا ما دلَّ عليه الحديث في قوله ﷺ "ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

قال النووي: (وقوله ﷺ "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب)[٢].

وقد بين النبي ﷺ أن من أعظم السبل لتحقيق التحاب في الله هو إفشاء السلام (فالسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال: ((ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، بذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار))[٣])[٤].

قال ابن القيم: (وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبَّر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبرًا منه وتيهًا، فكيف يبذل السلام لكل أحد)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/١٤٤-١٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان، باب: ٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٠.

(وفي إفشاء السلام وبذله للعالم يكون رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به)[١].

(ولما كان السلام من المسلم أمانًا له، وتأنيسًا منه، وطردًا للكبر عن كل تأذٍ به، وهو الأَمارة على صلح المتهاجرين، والآيةُ عند تلاقي الغائبين كان إفشاؤه وإظهاره لما فيه من هذه الفضائل المذكورة ما يجري مجراها ناشئًا عن الإيمان لإيثار جمع كلمة المسلمين ولإصلاح ذات بينهم)[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الأسباب المؤدية إلى سعادتهم:

هذا ما أشار إليه الحديث من بيان النبي ﷺ لأهم أسباب حصول التحاب في الله وذلك في قوله ﷺ "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم؟ وقد دل ﷺ على إفشاء السلام لأنه طريقٌ إلى حصول التحاب بين المسلمين الذي بدوره من أسباب حصول كمال الإيمان، وكمال الإيمان متوقف على حصول أصل الإيمان الذي بدوره يُدخل الجنان.

ويمكن الاستشهاد في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٣] (حيث أمر تعالى عباده بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها)[٤]، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذه الأعمال المؤدية إلى الجنة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٣٨٩/٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٥.

ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[1].

فحري بالداعية أن يوضح ويبين الأسباب الموصلة إلى إرضاء الله تعالى وجنته ممتثلاً في ذلك بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٤-١٣٦.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

الحديث رقم (٣٧٩)

٣٧٩- وعنه، عن النَّبيّ ﷺ: ((أنَّ رَجُلاً زَارَ أخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أخْرَى، فَأرصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ...)) وذكر الحديث إلَى قوله: ((إنَّ الله قَدْ أحبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1]، وقد سبق بالباب قبله.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أرصَد: قيَّضَ وأرسل[2].

مَدرَجته: طريقه[3].

الشرح الأدبي، والمضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٥٦٧/٣٨) وقد تقدم برقم (٣٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ر ج).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٦١).

الحديث رقم (٣٨٠)

٣٨٠- وعن البرَاءِ بن عازب رضي الله عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ في الأنصار: ((**لاَ يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ، مَنْ أحبَّهُمْ أَحبَّهُ الله، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ الله**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

فضل الأنصار رضي الله عنه لا ينكره مسلم في كل زمان، ومكان كما أن هذا الفضل ممتد، وباقٍ على كل مسلم إلى قيام الساعة، وقد صدر المعنى في ثلاثة أساليب بلاغية أولها: أسلوب القصر، ثانيها: المقابلة التي تقوم على المناظرة بين ضدين يتضح من خلال كل واحد منهما تفاصيل الآخر، والثالث: أسلوب الشرط الذي يربط الفعل بالجزاء، وقوله ﷺ في الأنصار (لاَ يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤمِنٌ) أسلوب قصر لمحبة الأنصار على المؤمنين، ونفيها عن غيرهم من المنافقين، والكافرين وكذلك الجملة المقابلة لها (وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ) والتي تقصر بغض الأنصار على المنافقين، وتنفيه عن المؤمنين، فهي تأكيد لمعنى الجملة الأولى، وقد قابل بين المحبة والكراهية، وبين المؤمن، والمنافق ليبين المفارقة في الشعور القلبي التي نتجت عن التفاوت في العقيدة، ثم جاء أسلوب الشرط ترغيباً في محبتهم، وترهيباً من بغضهم (مَنْ أَحبَّهُمْ أَحبَّهُ الله، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ الله) وبلاغة هذا الأسلوب تكمن في أنه يجعل الإنسان مسئولاً عن اختياره، وعاقبته، مما يشعره بأنه طرف حر الاختيار، فيختار ما يهديه إليه عقله بعد أن يعرض عليه الفعلين مع النتيجتين، وقد قابل بين أحبهم، وأبغضهم وهما فعلي الشرط، وبين أحبه، وأبغضه وهما العاقبة، وإسناد الفعل لله يلق المهابة في القلوب خوفاً من غضب من لا يطيق له غضباً.

---

(١) خرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥/١٢٩) واللفظ له.

فقه الحديث

فضل الأنصار، وحب رسول الله ﷺ لهم، حيث جعل حبهم علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على النفاق، كما جعل حبهم موصلاً لحب الله تعالى وبغضهم سببًا لبغضه تعالى.

وذلك لأن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة الإسلام، والسعي على إظهاره، وإيواء المسلمين، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله ثم أحب الأنصار لهذه الأسباب كان ذلك دليلاً على صحة إيمانه وصدقه في إسلامه.

ومن أبغضهم لذلك، كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته[1].

على أن بغض الأنصار الذي يعد علامة على النفاق وبغض الله هو بغض جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدين.

أما من أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له، فليس داخلاً في ذلك[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر والشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من علامات الإيمان حب الأنصار رضي الله عنهم، ومن علامات النفاق بغضهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر والشرط:

أما القصر ففي قوله ﷺ: "لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق"، وإنما جاء الحديث في أسلوب القصر ليدل على عظم فضل الأنصار وبيان مكانتهم السامية في قلب النبي ﷺ وفي قلب كل مؤمن بحيث جعل النبي ﷺ أن من أحب الأنصار لم

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢/ ٦٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/ ٦٣.

يحبهم إلا مؤمنًا، أما من أبغضهم فلم يكن إلا منافقًا وهذا الأسلوب يأخذ بالألباب والقلوب أيّمَا مأخذ فيقلبها بين الترغيب من ناحية وبين الترهيب من ناحية أخرى فمن رغب أن يكون مؤمنًا فليحب الأنصار حتى لا يكون في زمرة المنافقين. ولا شك أن كل مؤمن يرهب أشد الرهبة من أن يكون منهم.

أما أسلوب الشرط، فجاء في قوله ﷺ: (من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)، ليبين ﷺ أن حب الله مترتب على حب المؤمن للأنصار وأن بغضه تعالى ومقته يلحق من أبغضهم.

والخلاصة: أن أسلوب القصر وأسلوب الشرط قد أبانا عن عظيم فضل الأنصار كما وضحا الخطر العظيم الذي يحيق بمن كره الأنصار وأبغضهم، فكان هذا دعوة قوية لحب الأنصار رضي الله عنهم.

ثانيًا- في موضوعات الدعوة: من علامات الإيمان حب الأنصار رضي الله عنهم ومن علامات النفاق بغضهم:

لما كان الأنصار قد أسدوا إلى كل مسلم يدًا بيضاء وفعلة زهراء، من حيث إنهم آووا رسول الله ﷺ ونصروه، وصبروا على حرب الأحمر والأسود معه، فكانت الهجرة إليهم، ونزول الوحي عليه في دارهم، وود كل مؤمن أن يُقدر له أن يحسن جزاءهم، فلما فاته ذلك عدل عنه إلى حبهم، فلا يحبهم إلا عن إيمان منه برسالة محمد ﷺ، كما أنه إذا أبغضهم دلّ ذلك على نفاقه، فكان حبهم ناشئًا عن محض الإيمان[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في الحديث من قوله في الأنصار رضي الله عنهم: (لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله).

قال النووي: (إن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٣٨٩.

الناس إيثارًا للإسلام، ثم أحب الأنصار كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته، والله أعلم"[١].

وقوله ﷺ: (فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) هذا على مقابلة اللفظ باللفظ. ومعناه: أن من أحبهم جازاه الله على ذلك جزاء المحبوب المحب من الإكرام والترفيع والتشفيع، وعكس ذلك من البغض. وظاهر هذا الكلام أنه خبرٌ عن مآل كلٍّ واحد من الصنفين، ويصلح أن يُقال: إن ذلك الخبر خرج مخرج الدعاء لكل واحد من الصنفين، فكأنه قال: اللهم افعل بهم ذلك. كما قال ﷺ والله أعلم"[٢].

وقد عظّم الحق تبارك وتعالى فضل الأنصار رضي الله عنهم فقال مادحًا لهم، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣][٤].

(وقد أكد النبي ﷺ على عظيم فضلهم رضي الله عنهم في نصرته ﷺ، ففي غزوة حنين وبعد أن قسم النبي ﷺ الفئ مستألفًا في ذلك لإيمان قلوب كبار بعض القوم، فقال بعض الأنصار آثر علينا غيرنا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم، ثم خطبهم، فقال: ((يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ . قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ . قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ. قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُجِيبُونَنِى أَلاَ تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ - يَعْنِى الْبَقَرَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٦٦.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٨/٨.

- وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَتُدْخِلُونَهُ بُيُوتَكُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ))[١].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادِي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[٢].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدًا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه. وقوله: "فقال أبو هريرة ما ظلم" أي: ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه". وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله: "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)[٣].

وإذا كان الأنصار رضي الله عنهم قد قاموا بواجبهم أعظم قيام فنصروا دين ربهم وأقاموا سنة نبيهم ﷺ حتى قدّموا نحورهم وأولادهم وأنفسهم فداءً لرسول الله ﷺ، فاستحقوا لذلك عظيم الثناء من الله تعالى ورسوله ﷺ إلا أن هذا الدين العظيم في ذلك الوقت الذي أصبح غريبًا في قلوب أبنائه من المسلمين يحتاج إلى رجال مثل الأنصار ينافحون عنه بأنفسهم وأبنائهم وأموالهم، فلا يهدئون حتى يقيم الله على أيديهم الملة ويحفظ بهم السنة، فيتشبهوا بسلفهم الصالح في إقامة شعائر دينهم وامتثال أوامر ربهم واجتناب نواهيه، فتحيا البلاد ويمحى الفساد، وتقام دولة الإسلام من الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا كما كانت بالأمس، فيا لها من غاية عظيمة تسترخص فيها النفوس

---

(١) أخرجه أحمد ١١٥٤٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

والأموال، فمن يكون على شاكلة الأنصار من المدعوين فيفوز برضاء ربه وحب نبيه ﷺ.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

الترهيب من الأساليب الدعوية الهامة التي تؤثر في نفسية المدعو، وتزجره عن ارتكاب المعاصي، وتحذره من عدم الامتثال للأمر المدعو إليه، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قوله ﷺ: "... ولا يبغضهم إلا منافق ... ومن أبغضهم أبغضه الله..."، للترهيب من بعض الأنصار الذي يكون سببًا في بغض الله تعالى.

والمقصود بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والملاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية مملوآن بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والالتزام بآدابها والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبل الداعي المسلم[1].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٣٨١)

٣٨١- وعن معاذ رضي الله عنه ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((قَالَ اللهُ عز وجل: المُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

المتحابون في جلالي: لأجل إجلالي وتعظيمي[2].

يغبطهم: من الغبطة، وهي تمنى نعمة على ألا تتحول عن صاحبها[3].

الشرح الأدبي

سبق هذا المعنى في حديث سابق في هذا الباب غير أن هذا الحديث يزيد عنه في قوله (لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ) تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص بمعنى أنها خصوصية لهم دون غيرهم، والتعبير بالمنابر فيها دلالة على رفعة المكانة؛ لأن المقصود من ارتقاء الأمير، أو القائد، أو الخطيب، وجمع المنابر إشارة للكثرة من باب الترغيب، وقوله (من نور) إشارة الظهور والوضوح بحيث يراهم أهل الجمع تشريفاً لهم، كما أن في جعلها من نور إشارة إلى نور المحبة الذي عمر قلوبهم في الله وجمع بينهم، فهو جزاء من جنس العمل، وقوله: (يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) كناية عن عظمة المنزلة، وخصوصيتها لأصحاب هذا العمل، فكل ما يتحلى به الإنسان، أو يتعاطاه من علم وعمل، فإن له عند الله منزلة لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر

---

(١) برقم (٢٣٩٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (٢/١٨٨٥).

(٣) المرجع السابق ٢/١٨٨٥.

ما هو أرفع قدراً، وأعز ذخراً، فيغبطه بأن يتمنى، ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموماً إلى ماله من المراتب الرفيعة، والمنازل الشريفة، وذلك معنى قوله يغبطهم النبيون، والشهداء فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق، وإعلاء الدين، وإرشاد العامة، والخاصة إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، والشهداء، وإن نالوا رتبة الشهادة، وفازوا بالفوز الأكبر فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم، وشاهدوا قربهم، وكرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين فائزين بهما.

فقه الحديث

فضل التحاب والتجالس والتزاور والتباذل في الله تعالى وعظم منزلة المتحابين والمتجالسين والمتزاورين والمتباذلين فيه تعالى، وقد سبقت معالجة هذه الاحكام في الحديثين (٣٧٥) و (٣٧٧).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التحاب في الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان درجة المتحابين ومنزلتهم يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من أهداف الدعوة: ترابط المجتمع الإسلامي.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: جواز الغبطة في الخير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى:

لقد اتصف الله تعالى بصفات الكمال والجلال ومنها صفة الكلام وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل)، وقد وردت

نصوص كثيرة تثبت الكلام لله تعالى منها: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً﴾[١]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٣]، وقد تضمنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء وما تكلم الله به فهو قائم به[٤].

وقد أضيفت صفة الكلام لذاته سبحانه وتعالى، إضافة معنى إلى الذات دلالة على ثبوت المعنى لتلك الذات، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٦][٧]، فمذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله عز وجل، والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[٩]، فعُلِم أن نفي رجع القول ونفى التكليم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل[١٠].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ١٢- ١٨.

(٥) سورة التوبة، آية: ٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٧) العقيدة الواسطية، ابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٤٨.

(٩) سورة طه، آية: ٨٩.

(١٠) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/١٧٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التحاب في الله تعالى:

شاء الله عز وجل للأمة الإسلامية أن تكون أمة مترابطة متماسكة، فأرشد أفرادها إلى ما يحافظ على الوحدة بالتحاب والتآخي وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١]، قال السعدي في تفسير الآية: (هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم)[٢]. ومن لوازم الأخوة المحبة في الله، ومن ثمرات الإيمان المحبة لله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، يحبونهم لله تعالى وذلك لوجود التجانس في الصفاء والموافقة في الدين وكون الفضيلة لهم أمرًا ذاتيًا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الإخوان[٤]، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث الذي معنا إلى فضل التحاب في الله بقوله: (قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور)، والمحبة في الله من دلائل الإيمان، وسبب من أسباب الاستشعار بحلاوته، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: أَنْ يَكونَ اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ للّه، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّار))[٥]. فإن محبة المسلم لأخيه المسلم من حسن الإيمان ودلائل اكتماله شريطة أن يكون حبًا خالصًا لله لا تشوبه شائبة ولا تؤثر فيه الأهواء والمصالح، قال ابن حجر: (قوله: "وأن يحب المرء" قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء)[٦].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٩/١٦/١٠١.

(٥) أخرجه البخاري ١٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٩.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان درجة المتحابين ومنزلتهم يوم القيامة:

بيّن النبي ﷺ في الحديث درجة المتحابين يوم القيامة ومنزلتهم التي يغبطون عليها، يقول: (قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)، أي: المتحابون لأجل جلالي وتعظيمي[(١)]، على منابر النور، وأراد الله بيان فضلهم وشرفهم[(٢)]، عنده بقوله: (يغبطهم النبيون والشهداء)، والمعنى: أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلاله قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبوطهم[(٣)].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة المبينة لمنح الله وعطاياه للمتحابين في الله، ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: ... وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفرَّقا عليه))[(٤)].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في هذا الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في التحاب في الله ببيان ما أعد الله للمتحابين فيه يوم القيامة من الرفعة والمنزلة العظيمة التي يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء، يقول: (قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء، وأسلوب الترغيب من أنجح أساليب الدعوة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترغيب من أساليب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يبين هذا القرآن الكريم في مثل قول الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[(٥)(٦)].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٨٥/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٩٩.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ١٨٨٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٢٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٣١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، ص ١٩٩ - ٢٠١.

خامسًا- من أهداف الدعوة: ترابط المجتمع الإسلامي:

إن من أهم الأهداف الدعوية التي ترمي الدعوة إلى تحقيقها، ترابط وتماسك المجتمع الإسلامي، وإن مما يستنبط من هذا الحديث الدعوة إلى المحبة المودة التي تؤدي إلى ترابط المجتمع وذلك من خلال بيان منزلة المتحابين في الله، قال الله تعالى: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)، فالإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب، ويضم الصف إلى الصف، مستهدفًا إقامة كيان موحد، ومتقيًا عوامل الفرقة والضعف، وأسباب الفشل والهزيمة، فهو لهذا يكوّن روابط وصلات بين أفراد المجتمع، لتخلق هذا الكيان وتدعمه، ومن هذه الروابط الإخاء وما يستلزمه من محبة واحترام ومحافظ على كرامة وأمانة ووفاء وخفض للجناح وسلامة للصدر وغير ذلك[1].

وكان هذا الترابط في المجتمع الإسلامي من أعظم المنن وأسمى الآيات التي امتن الله تعالى بها على المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[2] فالآية دعت إلى الاتحاد والترابط وعدم الخلاف والشقاق مع الاعتصام بالعهد والقرآن، حيث أمرنا الله سبحانه بالاعتصام بحبله والتمسك بدينه ونهانا عن التفرق والاختلاف فقد أنعم علينا بالإسلام وألف بين قلوبنا بالقرآن والنبي ﷺ[3].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: جواز الغبطة في الخير:

علم الله ما فطرت عليه النفس البشرية من حب الخير وتمنيه، فأجاز لها ذلك شريطة عدم تمني الاستئثار بهذا الخير وزواله عن الغير، لذا أجاز ما يسمى الغبطة

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ١٨١ - ١٩٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ١/٤/١٠، ١١.

والتي وردت في الحديث في قوله: (يغبطهم النبيون والشهداء)، والغبطة هي: تمني مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه[١]، وألا يتحول عنه بخلاف الحسد فإنه تمنى زوال الخير عن صاحبه[٢]. وقد أجمع على تحريمه بل هو كبيرة لما فيه من الوعيد الشديد في الكتاب والسنة أن فيه تسخطًا بقضاء الله وقسمته، وفيه أيضًا نسبة الله تعالى إلى الجور وعدم العدل - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٩٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٨٨٥.

(٣) أسنى المطالب في صلة الأقارب، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ص ١٣٦.

الحديث رقم (٣٨٢)

٣٨٢- وعن أَبي إدريس الخولاني، قَالَ: دخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإذَا فَتىً[١] بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَإذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إلَيْه، وَصَدَرُوا عَنْ رَأيِهِ[٢]، فَسَألْتُ عَنْهُ، فَقيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَل رضي الله عنه. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بالتَّهْجِيرِ، ووَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إنّي لأَحِبُّكَ لِله، فَقَالَ: آلله؟ فَقُلْتُ: آللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ[٣]، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فجبذني إلَيْهِ، فَقَالَ: أبْشِرْ! فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((**قَالَ الله تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابين فيَّ، وَالمُتَجَالِسينَ فيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**)) حديث صحيح رواه مالك في الموطأ[٤] بإسناده الصحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

براق الثنايا: تلمع أسنانه[٥].

صدروا عن رأيه: رجعوا وانصرفوا إلى رأيه[٦].

هجَّرتُ: بكرت وهو بتشديد الجيم[٧].

---

(١) في الموطأ زيادة: (شاب).

(٢) في الموطأ: (عن رأيه).

(٣) تكررت في الموطأ ثلاث مرات.

(٤) (٢/٩٥٣، رقم ١٦) رواية يحيى بن يحيى الليثي. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٥)، وقال الحاكم (١٦٩/٤): هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد جمع أبو إدريس بإسناد صحيح بين معاذ وعبادة بن الصامت في هذا المتن. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢٧).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ر ق)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٣٤.

(٦) المعجم الوسيط في (ص د ر).

(٧) رياض الصالحين ١٩٣.

آللّه: قوله: آللّه؟ فقلتك ألله الأول بهمزة ممدودة للاستفهام والثاني بلامد[١].

حبوة ردائي: يقال: احتبى: جَلَس على أَليتيْه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند. وقال: احتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس على نحو ما سبق ليستند[٢].

فجبذني: فجذبني[٣].

المتباذلين: من البذل وهو العطاء والجود[٤].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل التحابب في الله يقوم على الأسلوب القصصي للأحداث، ويربط الحوار بين شخصياتها يبدأه الراوي بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه يروي حدثاً خاصاً به، وقوله (وَصَدَرُوا عَنْ رَأيِهِ) كناية عن طاعته، وقوله لمعاذ ﷺ (وَاللّهِ إنّي لأَحبُكَ لِله) أكده بعدة مؤكدات منها القسم، وهو من وسائل التشويق لدلالته على أهمية ما يتلوه لاسيما إذا صدر ابتداءً دون مواجهة بتكذيب، ومنها: التوكيد ب(إن) وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، وقوله (لله) بيان لسر المحبة والحامل عليها، ولذلك قال له (: آللّه؟ فَقُلْتُ: اللّهِ) وهو استفهام قصد به التقرير بغرض التحقيق، والتثبيت، فلما أقر به كرر الاستفهام زيادة في التثبت، والتوكيد (فَقَالَ: آللّهِ؟ فَقُلْتُ: اللّهِ)، وفي هذا دلالة على عظيم ما أخبره الراوي به، وعظيم ما سيخبره هو به، وقوله (فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فجبذني إِلَيْهِ) هذا الفعل كناية عن المحبة، والتودد إليه مع ما فيها من إحراز تمام انتباهه، وملك حواسه مما يضمن للخبر أن يقع على عقل يقظ، وقلب متفتح (فَقَالَ: أبْشِرْ !) أمر بغرض الإخبار بما فيه إدخال السرور مع ما يحققه من التشويق؛ لأن لفظ البشارة من الألفاظ التي تبعث السرور في النفوس، لأنها عَلم على

---

(١) رياض الصالحين ١٩٣.

(٢) المعجم الوسيط في (ح ب و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ب ذ).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ذ ل).

الخير، وقول الرسول ﷺ عن ربه، (وجبت محبتي للمتحابين في)التعبير بالوجوب تأكيد للتحقق يزيد ه تحقيقاً صياغته في الماضي، وبين قوله محبتي، والمتحابين جناس يوفر جرساً يجذب السمع، ويؤكد معنى محبة الله لمن اجتمعوا على محبته ' وقوله (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) وفي الحديث تناسب في التقديم حيث أوجب المحبة أولاً للمتحابين في الله، والتي دفعتهم المحبة إلى الارتياح، والجلوس، ثم إن الجلوس دعاهم إلى التزاور، والتزاور يعني بذل الجهد، والوقت، والمال من أجل ضيافة الإخوان، وما تستلزمه صلتهم فدعاهم بذلك إلى التباذل، ونلاحظ في صياغة المذكورين أنها جاءت على صيغة التفاعل التي تفيد المشاركة، وتكرار حرف الجر (في) مع كل واحد منهم تأكيداً على الإخلاص، وأنه المحرك لحركة قلوبهم، وجوارحهم، وهو سر محبة الله لهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المساجد.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الرجوع لأهل العلم وأصحاب الرأي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الأدب مع العلماء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد.

سادسًا: من صفات الداعية: التبشير.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التحاب والتجالس والتزاور في الله.

أولاً- من ميادين الدعوة: المساجد:

إن المساجد أطيب ميادين الدعوة وأفضلها، وقد جاء في الحديث ما يدل ضمنيًا على أن المسجد من وظائفه الدعوة والتقاء الدعاة بالمدعوين فعن أبي إدريس الخولاني قال: "دخلت مسجد دمشق"، فالمسجد يعد أهم الميادين الدعوية وأهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض، وذلك لترددهم المستمر عليه ولقائهم بالبعض فيه، ولا يقتصر المسجد على إقامة الشعائر الدينية فحسب، بل هو مكان

للدعوة والوعظ والتدريس والتناصح والتعاون على البر والتقوى [١].

وذلك يندرج تحت إعمار المساجد المأمور به، وقد قَصَر الله ذلك على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢]، (فعمارة المساجد بالعبادة والصلاة وغيرها من أنواع الطاعات إنما يقوم به المؤمنون المخلصون)[٣].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الرجوع لأهل العلم وأصحاب الرأي:

لقد أمر الله المؤمنين بطلب العلم الاستزادة منه، حتى تكون دعوتهم وعبادتهم على بينة وبصيرة، ومن روافد العلم والثقافة في الإسلام الرجوع لأهل العلم، ومثال ذلك ما ورد في الحديث: (فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه. وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: (هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه) وقد أمرنا الله بالرجوع إلى العلم وأهله فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، إن العلم اساس صحة الاعتقادات والعبادات، إذ أن شرائع الإسلام واجبة ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، فهل تمكن عبادة الله إلا بالعلم؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه؟[٥]؛ لذا فلا جرم أن الإسلام جعل طلبه فريضة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٦] والعلم المفروض هو العلم الذي طلب

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ١١ - ١٤.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٩١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن القيم الجوزي، ص ٢٩.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٣).

العمل به، فالعلم بأحكام الصلاة فرض ومعرفة الحلال والحرام فرض، وهكذا كل ما وجب عمله وجب العلم به، وأية عبادة لا تبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة لا تقبل بحال أبدًا فالله لم يُعصَ بمعصية أشد من معصية الجهل.

وتشمل العلوم الواجبة تعلمها العلوم المستمدة من الوحي، كالتفسير والسنة والسير والتوحيد والفقه وغير ذلك، وما وراء ذلك من علوم الكون فهو مما يدعو أيضًا إليه الإسلام ويحث عليه لتعرف بسنن الله في الكون وأسراره في الخلق وحكمته في الوجود[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة الأدب مع العلماء:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: مراعاة قواعد التعامل مع العلماء ولزوم الأدب في مخاطبتهم حيث إننا نلمس أن أبا إدريس الخولاني راعى الأدب مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، ويكمن ذلك في تهجيره إلى المسجد للقائه، وانتظاره حتى يفرغ من صلاته والإقبال عليه من قِبَل وجهه ومبادأته السلام وغير ذلك، قال: (فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلى فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبَل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: إني لأحبك) وفي معاملة أبي إدريس وغيره من سلفنا الصالح لعلمائهم القدوة لنا في أصول التعامل مع العلماء، وإن فيما سطروه من بيان لآداب طالب العلم لنورًا، ينبغي لشداة العلم أن يستنيروا به في طريق الطلب، فعلى طالب العلم أن يتأدب مع شيخه، ويتقرب إلى الله بخدمته، ويعلم أن تواضعه لشيخه عزّ ورفعة وأن ينظر إليه بعين الإجلال وأن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله وأن يعظم حرمته ويرد غيبته إلى غير ذلك من الآداب[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر السؤال والجواب في هذا الحديث مثل قول أبي إدريس الخولاني: (فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه: "فسألت عنه"، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز، ص ٦٤٦ - ٦٤٨.

صحيحة لما فيه الإقبال على الدعوة والاستجابة لها من قبل المدعوين، ولما في السؤال من لفت نظر السامعين وإثارة انتباههم وشدّ أذهانهم لما يلقى على مسامعهم.

والسؤال عن العلم والجواب من أوسع الأبواب لنشر العلم وتحصيله، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

خامسًا- من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد:

تكرر التوكيد في هذا الحديث ومن أمثلته: "إني لأحبك"، وزيادة على ذلك تأكيده بالقسم بقوله: "والله" وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المؤكدة لها، وقد عرف العرب أسلوب القسم قديمًا وحديثًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية[2]. ومن هنا ينبغي للداعية أن يستخدم أسلوب القسم والتوكيد لبيان أهمية الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت بحاجة إلى ذلك، وقد استخدم رسول الله ﷺ ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ مِن والدِهِ وَوَلَدِهِ))[3]. قال الإمام العيني: (ويستفاد منه جواز القسم على الأمر المبهم توكيدًا وإن لم يكن هناك من يستدعي الحلف)[4].

سادسًا- من صفات الداعية: التبشير:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية: صفة التبشير لما فيه من أثر عظيم في القلوب، وقد ورد ذلك في الحديث في قول معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي إدريس الخولاني: (أبشر)، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير[5]، والتبشير بالخير نسب إلى الله في القرآن: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[6]، والملائكة:

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٤.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١/١٤٣.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد ٣/٧٨٠.

(٦) سورة التوبة، آية: ٢١.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]، والقرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، والمرسلين: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[3]، وخاطب الله رسول الله ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4][5]، فهو ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم. وقدمت البشارة على النذارة في الآية لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[6].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التحاب والتجالس والتزاور في الله:

لقد دعا الإسلام إلى كريم الأخلاق وجميل الصفات، ومنها التحاب في الله تعالى وإخبار المحبوب بذلك، وما ينتج عن تلك المحبة من بذل الغالي والنفيس، والتزاور والتجالس، كل ذلك ابتغاء وجه الله وإرادة ثوابه، ومما يدل على ذلك ما ورد في الحديث: (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ)، أي: المتحابين والمتجالسين والمتزاورين من أجل الله لا لعرض ولا لغرض، والمتباذلين فيَّ الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم في مرضاتي[7]، فإن الأثر الذي يجب أن يكون واضحًا في أخوة الإسلام، والطابع الذي يجب أن يتسم به المسلمون ويكون أساسًا لترابطهم وقيام وحدتهم هو الحب في الله، كما وجّه إلى ذلك رسول الله ﷺ وأوضح ثماره، فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: أَنْ يَكونَ اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/ ٧٨٠ - ٨١١.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٩/ ٢٢/ ٥٣.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠١.

سواهما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ لله، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّار))[١]، ولقد ضرب السلف -رضوان الله عليهم- أروع الأمثلة للحب في الله، حتى بلغ درجة الإيثار على النفس، وبكل مرتخص وغالٍ، فرسموا بذلك الطريق للسالكين. وامتدحهم الله على حسن صنيعهم وإيثارهم وتفانيهم في الحب في الله، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢][٣].

قال القاسمي: (قوله: "يحبون من هاجرإليهم" أي لوجود الجنسية في الصفاء والموافقة في الدين والإخاء، قال الشهاب: المراد بمحبتهم المهاجرين هنا: مواساتهم وعدم الاستثقال والتبرم منهم إذا احتاجوا إليهم، "ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا" أي لا يجدون في أنفسهم طلبًا أو حسدًا مما أوتي المهاجرين من الفيء وغيره، لسلامة قلوبهم وطهارتها عن دواعي الحرص.

قال القاشاني: لتجردهم وتوجههم إلى جناب القدس وترفعهم عن مواد الرجس، وكون الفضيلة لهم أمرًا ذاتيًا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الإخوان بالحقيقة والأعوان في الطريقة، فتقديمهم أصحابهم على أنفسهم لمكان الفتوة وكمال المروَّة ولقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس)[٤].

إن هذا الحب هو دليل إيمان المؤمن بربه، وقائده إلى جنته[٥]، وصدق الرسول ﷺ ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) انظر: خطب القرعاوي المنبرية، عبد الله بن إبراهيم القرعاوي ٢/٦٧- ٦٨.

(٤) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي ٩/١٦/١٠١.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٩١.

(٦) أخرجه مسلم ٥٤.

الحديث رقم (٣٨٣)

٣٨٣- وعن أَبي كَرِيمَةَ المقداد[1] بن معد يكرب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وَقَالَ: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: هو المقدام بن معدي كرب بن عمر بن يزيد الكِنْدي، كنيته أبو كريمة وقيل غير ذلك.

قدم وهو صغير على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد كِنْدة وكانوا ثمانين راكبًا، فأسلم وداعبه النبي صلى الله عليه وسلم ومازحه، فاحتفظ المقدام بهذا ذكرى طيبة ومأثرة يفتخر بها. قيل له: إن الناس يزعمون أنك لم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبحان الله، والله لقد رأيته وأنا أمشي مع عمي فأخذ بأذني هذه فقال لعمي: أترى هذا يذكر أمه أو أباه؟[3]

ونصحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ((أفلحت يا قُدَيْمُ إن مُت ولم تكن أميرًا ولا جابيًا ولا عَرِيفًا[4]".

---

(١) الصواب: (المقدام) كما في: سنن أبي داود، وجامع الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٣) ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/رقم ٦٦٤) وأبو يعلى كما في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (١٨/ رقم ٤٦٢٦) وقال محقق المطالب: إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٣٣) وأحمد ١٣٣/٤ رقم ١٧٢٠٥، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٤٣٦/٢٨، وقال السندي في حاشيته على مسند أحمد: قوله: يا قديم تصغير المقدام. ولا جابيًا من الجباية وهو استخراج الأموال من مظانها وهو كالسعاة للسلاطين. ولا عريفًا -بفتح العين وتخفيف-: هو القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم لمعرفته بها. وفي الحديث تحذير من التعرض للرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة ولأنه إذا لم يقم بحقه ولم يؤد أمانة فيه إثم واستحق من الله العقوبة.

مسنده ٤٠ حديثًا، انفرد البخاري منها بحديث.

نزل الشام وسكن حمص ومات بها ٨٧هـ وهو ابن إحدى وتسعين سنة. وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته[1].

الشرح الأدبي

دعت أحاديث الباب السابقة إلى التحابب في الله، وبينت أثره على علاقة العبد بربه، وأخبرت عن ثوابه، وأجره، وهذا الحديث يشير إلى معنى مهم يحد ث الأثر الأكبر في علاقة المؤمنين ببعضهم، ويساعد على انتشار المحبة، وهو أن يخبر الأخ أخاه بأنه يحبه، وقد جاء المعنى في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعلوم دون مؤكدات، وقد جاءت في صورة الشرط الذي يربط وقوع الجزاء بوقع الفعل، والتعبير ب(إذا) الشرطية دون (إن) للدلالة على تحقق الوقوع؛ لأن ذلك واقع بين المؤمنين، والتعبير بلفظ المحبة يوحي بالمشاعر التي يريد الله أن تشيع بينهم، والتعبير بلفظ الأخوة إشارة إلى تلك الرابطة التي تجمع بين جميع المؤمنين، وفعل الشرط (فليخبره) أمر توجيه، وإرشاد، وتوكيد الجملة بعده تأكيد على ضرورة إعلامه بهذه المحبة التي تحقق التواصل، وتشركه في أجر المحبين، والتعبير بالفعل المضارع يفيد التجدد، والاستمرار للإخبار تجديداً للمحبة حتى تظل الرابطة قوية بين المؤمنين.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤١٥/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٠٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٤/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٣ والسير (٤٢٧/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢١٥/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٤٧/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٨٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٣٧/٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقوية أواصر المحبة والمودة.

رابعًا: من مهام الداعي: دلالة المدعوين على الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

أسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة التي تُشعر المدعو بأهمية ما يؤمر به المدعو ولعل الحكمة من هذا الأمر الوارد في الحديث التعجيل بالأسباب التي تؤدي إلى تعميق أواصر المودة والحبة بين المؤمنين، وقد ورد في الحديث في قوله ﷺ "فليخبره" .

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ "فليخبره" والإخبار هو نقل الأمر وتعريفه على حقيقته[1]، وذلك هو المنهج الحقيقي في الدعوة: تبليغها وتعريف الناس بها، وتبليغها إليهم. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، وذلك أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ، يخاطبه ربه آمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقوية أواصر المحبة والمودة:

في هذا الحديث دعوة إلى التلاحم بين أفراد المجتمع الإسلامي والترابط فيما بينهم بتوطيد عربي المحبة والإخاء، فيقول ﷺ إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه"، لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه، واستجلاب زيادة المحبة وفي ذلك حث على التودد والتآلف[4]، وإزالة الاختلاف بين المؤمنين[5]، حتى يكون المجتمع الإسلامي كما أراده

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ب ر).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/ ١٥٠.

(٤) عون المعبود ، العظيم آبادي، ص ٢١٨٧.

(٥) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/ ١٨٨٧.

الله وأراده رسوله ﷺ لُحْمَة واحدة، كما روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى[1].

إن شيوع المحبة والمودة من أسباب استقرار المجتمعات وتماسك أفرادها، قال الراغب الأصفهاني: المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة. فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾[2]، أي محبة في القلوب[3].

إن محبة المؤمن لأخيه المؤمن وتقوية أواصر المودة والترابط دليل حرص المؤمن على كمال إيمانه وصفاء قلبه، قال أبو عثمان الجاحظ: ينبغي لمحب الكمال أن يعوِّد نفسه محبة الناس والتودد إليهم والتحنن عليهم والرأفة والرحمة لهم، فإن الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الإنسانية[4].

رابعًا- من مهام الداعي: دلالة المدعوين على الخير:

إن مما ينبغي أن يضطلع به الداعي: دلالة المدعوين على الخير وحثهم عليه، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فما ترك خيرًا إلا ودل الأمة عليه، ومن ذلك ما جاء في الحديث "إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه" فالدلالة على الخير من المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5]، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١.

(٢) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص٣٦٤.

(٤) انظر: تهذيب الأخلاق، الجاحظ ص ٥٥، ٥٦.

(٥) سورة الصف، آية: ١٠.

النبي ﷺ، فقال: إني أبدع فاحملني، فقال: ما عندي، فقال رجل: يارسول الله: أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ "من دل على خير فله مثل فاعله"[1]، ومن أعلى درجات الخير الدعوة إلى الله عز وجل[2]. قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، أي دعا عباد الله إلى الله، وهو في نفس الوقت في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وذلك عام في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) انظر: الأعمال الصالحات، فضل عبدالرازق محمود، ص ١٤٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧.

الحديث رقم (٣٨٤)

٣٨٤- وعن معاذ ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ أخذ بيدِهِ، وَقالَ: ((**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود والنسائيُّ[1]، بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاةٍ: عقبها أو خلفها أو آخرها[2].

الشرح الأدبي

نرى دائما فعل الرسول ﷺ يسبق قوله، وإذا أمر بشيء كان أول من يفعله حرصاً منه على الخير، وإيجاداً للقدوة الصالحة للأمة في دروب الخير، وقول الرسول ﷺ (يا معاذ) نداء تنبيه، وتكريم، والقسم بالله توكيد لتعظيم ما بعده، وتنبيهاً إلى العناية به، والتوكيد بـ(إن) واللام الداخلة على الفعل المضارع الذي يعطي المعنى استمرارية، ويدل على دوام المحبة، وكثافة هذه المؤكدات تربي المهابة، والعناية والاهتمام بمضمون الخبر مع تمهيد النفوس له بما يدخله عليها دخول الخبر المأنوس، وفيه شرح لصدره؛ لأن الذي يخبره بأنه يحبه هو حبيب الله، والمؤمنين، وخير خلق الله ثم إن هذا الإحساس يبعثه على الاهتمام بما بعده من إرشادات، ونداؤه للمرة الثانية، وهو مقبل عليه مدرك لما يقول يدلل على محبته، وفيه مزيد تودد، وتكريم، والنهي في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) واللفظ له، والنسائي في المجتبى (١٣٠٣). وكذا قال المؤلف في الخلاصة (١٥٤٨). وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٢٠)، وقال الحاكم (٢٧٣/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٠)، وسيكرره المؤلف برقم (١٤٢٤).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

قوله: (لا تدعن) نهي عن ترك الذكر للتوجيه، والإرشاد، والتعبير بالدبر يفيد تعقيب الصلاة بالذكر مباشرة، وترتيب كلمات الدعاء بدأ بالذكر لأنه يؤدي إلى الشكر، والذكر والشكر يؤديان إلى حسن العبادة، وقد تضمَّن عناصر إصلاح الصلاة، ودوامها، ومواصلة الذكر، وتصدَّره الدعاء بصيغة (اللهم) التي تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً، وتوحي بحالة من السكينة تحقق القبول.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم الأذكار المسنونة عقيب الصلاة، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يسن للمصلي أن يأتي بالأذكار المسنونة عقب الصلاة من نحو حمد الله تعالى وشكره والصلاة على نبيه ﷺ، وأفضل الأذكار في هذا الشأن ما ورد نصًا عن النبي ﷺ ومنها قوله في هذا الحديث: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

الثاني: حكم الدعاء بعد الانتهاء من الصلاة، وقد ذكر جمهور الفقهاء[2] أنه يستحب الدعاء بعد الأعمال الصالحة، ومنها الدعاء بعد الصلوات المكتوبة لما فيها من رجاء الإجابة، وخير ما يدعو به المرء الإعانة على الذكر والشكر.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ٥٢٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٧/٢، والمدخل لابن الحاج ٢٩٦/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٦٧/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ١٩٨/١، ومغني المحتاج ٣٩٣/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٥/٢، ٢١٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٠/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٣/٢، وسبل السلام ٢٩٧/١.

(٢) المدخل لابن الحاج ٢٨٠/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٦/٢ وما بعدها، والأم، الإمام الشافعي ١٥١/١، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٦٨/٣ وما بعدها، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٢٩/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٢٧/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٠٦/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٦/٢١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الوصية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

خامسًا: من آداب الداعية: اتباع الأساليب التربوية الحكيمة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذكر بعد الصلاة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء بالمأثور والجوامع من الدعاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يامعاذ" وأسلوب النداء أسلوب دعوي ناجح لما فيه من التقرب والتحبيب إلى المدعو بتخصيصه، والنداء عليه باسمه وهذا مما يورث المودة والمحبة في القلب. وقد استخدم القرآن النداء في كثير من الآيات، وقد وردت نداءات عامة كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[1]، ونداءات لأمة التوحيد والتي إذا ما ناداها ناداها بأفضل وصف وهو الإيمان كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2]، فإن الله إذا نادى عباده الطائعين ناداهم بعنوان الإيمان، لأن المؤمن حي بإيمانه والله سبحانه إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم أو ليبشرهم أو ينذرهم أو ليعلمهم ما ينفعهم[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري، ص٧.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الوصية:

تعددت أساليب الدعوة في هذا الحديث ومنها الوصية والتي وردت في قوله ﷺ "ثم أوصيك" وقد تكرر أسلوب الوصية في القرآن وفي السنة في عرض الدعوة إلى الله من ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] ، ووصف الله مجتمع المؤمنين بالتواصي بالخير قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2]، أي أوصى بعضهم بعضًا بالحق أى الإيمان والتوحيد وتواصوا بالصبر على أداء الفرائض وإقامة أمر الله[3]، وذلك من أسباب السلامة من الخسار، والفوز بالربح العظيم[4].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ "والله إني لأحبك" فأكد محبته لمعاذ بعدة مؤكدات "إن"، ولام التوكيد كما أكده بالقسم الذي عرفه الناس واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية، والمقصود بالقسم في الحديث ثبوت المقسم عليه[5]، وهو محبة رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه.

وقد استخدم القرآن أسلوب القسم في تقرير كثير من الحقائق وإقناع الناس بها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٢.

(٢) سورة العصر، آية: ٣.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٥٢٥/٨، ٥٢٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٦٤.

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د أحمد أحمد غلوش، ص ٣٢٧-٣٣٤.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٧) سورة يونس، آية: ٥٣.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل:

لقد عد كتّاب الرجال والمناقب كثيرًا من فضائل معاذ بن جبل والتي ورد في الحديث منها محبة رسول الله ﷺ له وقَسَمُ رسول الله ﷺ على ذلك إضافة إلى أخذ يده ، قال العظيم آبادي (وكأنه عقد محبة وبيعة مودة، ثم قال له "أوصيك يامعاذ لا تدعن"، أي إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركن)[1]، وقال ابن علان: (وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمور ديانته؛ حيث حصل له هذا المقام الأسني من المصطفى، وذكره توطئة وبعثًا له على امتثال أمره بعده، وقال بعضهم لما صحت محبة معاذ للنبي ﷺ، جازاه بأعلى منها كما هو عادة الكرام ولا أكرم منه ﷺ)[2]. وتلك من مناقب معاذ بن جبل وفضائله الجمة التي اشتهر بها والتي كان من أبرزها ما حباه الله به من علم وفقه في الدين، فلقد كان معاذ بن جبل رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، وكان من الذين يبعثهم رسول الله ﷺ ويعتمد عليهم في تعليم الناس، قال ابن عبدالبر عنه: (شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجنَد من اليمن يُعلِّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم)[3].

وجاءت الأحاديث الصحيحة، والتي تشيد بمعاذ بن جبل رضي الله عنه ومكانته العلمية منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُم أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ. وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ))[4]. وكان رضي الله عنه من الذين جمعوا القرآن

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٠٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٢٥٢-١٢٥٣.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٥١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٩٨١).

على عهد رسول الله ﷺ وأمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم، فعن قتادة قال «سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : من جمع القرآنَ على عهدِ النبيِّ ﷺ ؟ قال: أربعَةٌ كلُّهم من الأنصار أبيُّ بن كعب ومُعاذُ بن جَبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[١]. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[٢].

خامسًا- من آداب الداعية: اتباع الأساليب التربوية الحكيمة:

إن اتباع الأساليب التربوية الحكيمة من أقرب الطرق للوصول إلى قلب المدعو ونجاح الدعوة، وفي الحديث نجد أن الرسول ﷺ اتبع عدة من الأساليب التربوية في تعليمه لمعاذ من أخذه بيده ومناداته باسمه وإخباره بمحبته وغير ذلك[٣]، "أن رسول الله أخذ بيده وقال يامعاذ والله إني لأحبك ثم أوصيك يا معاذ..." الحديث.

لذا ينبغي على الداعية اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أساليب تربوية حكيمة التي من شأنها إذا اتُبعت الوصول بالمجتمع إلى غاية من الرفعة والسمو.

إن القرآن هو الذي قام فعلاً بدور التربية وله فيها منهج فريد يربي بآيته متى صادف الفطرة السليمة والقلب الذكي والعقل الواعي والقدوة الحسنة.

وكان الرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه والقدوة الحسنة وصاحب التطبيق العملي لمنهج الداعية الفاهم لدعوته والمربي الذي أوتي كل صفات التربية، فوصل أصحابه بالله عن فهم ومعرفة وإيمان ووصلهم بالقرآن، ففهموه على أنه أوامر للتنفيذ فكان زاد قلوبهم ومطهر نفوسهم وموجه سلوكهم وصلة بينهم وبين ربهم[٤].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذكر بعد الصلاة:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث فضل الذكر بعد الصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤١، ومسلم ١٩١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢.

(٣) نزهة المتقين، شرح رياض الصالحين، د. مصطفى البغا وآخرون، ١/٢٩٧.

(٤) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص ١١.

فقد ورد ذلك في وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل "لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". قال العظيم آبادي: (قوله: "أخذ بيده" كأنه عقد محبة وبيعة مودة، وأوصى معاذ بن جبل بقوله "أحببتك يا معاذ لا تدعن..." أي إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركَنَّ عقب كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك من طاعة باللسان وشكرك من طاعة بالجنان وحسن عبادتكم من طاعة الأركان)[1].

وقد أرشد القرآن إلى الذكر بعد الصلوات فبعد ما أمر بالصلوات الخمس حث على الذكر بعدها، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[2]، قيل أنه أراد به الصلوات الخمس، وقال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر، وقال ابن عباس: وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن الليل فسبحه، أى صلاة العشاءين ، وأدبار السجود. ومن تفسيراتها قال أبو الأحوص: هو التسبيح في أدبار السجود، قال ابن العربي: وهو الأقوى في النظر[3]، وذكر الله ودعاؤه مظهر من مظاهر التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى الله وشدة الحاجة والفقر إليه وفيه يجد العبد طعم المحبة في التقرب من الله والتملق له[4].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء بالمأثور والجوامع من الدعاء:

إنَّ أفضل الأدعية والأذكار ما ورد في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، لما في ذلك من صلة المسلم بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، والدعاء بجوامع الكلم، ألا ترى في وصية الرسول ﷺ لمعاذ بهذا الدعاء دعاءً جامعًا تضمن الإعانة على جميع العبادات

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

(٢) سورة ق، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤/١٧/٩، ٢٥.

(٤) انظر: الفوائد، شمس الدين ابن القيم، ص ٢٨٤.

فقوله: "أعني على ذكرك" أى من طاعة اللسان، "وشكرك"، من طاعة الجنان، "وحسن عبادتك" من طاعة الأركان"[١]، كما أن الذكر شامل للقرآن وسائر الأذكار والشكر يشمل شكر النعم الظاهرة والباطنة سواء كانت دينية أو دنيوية والتي لا يمكن أن يحصيها حاصٍ ولا يعدها عادٍ ، وقوله "وحسن عبادتك" أى القيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع وإخلاص واستغراق وتوجه تام[٢].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٨٩.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٣.

الحديث رقم (٣٨٥)

٣٨٥- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبيّ ﷺ: ((أأعْلَمْتَهُ[1]؟)) قَالَ: لا. قَالَ: ((أعْلِمْهُ)) فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إنِّي أُحِبُّكَ في الله، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث تطبيق عملي لأمره بأن يعلم الأخ أخاه إذا أحبه، وقام المعنى على الحوار بين النبي ﷺ وبين أحد أصحابه بدأ بنداء تكريم وتشريف للرسول ﷺ إيذاناً بالتوجه بالخطاب إليه، وتمهيداً لما بعده، وقوله (أنِّي لأُحِبُّ هَذَا) ونلاحظ أن أكثر الجمل التي تحمل الإخبار بالمحبة تتضمن عدة عناصر من التوكيد كما مرَّ في الأحاديث السابقة، وكما نرى في هذا الحديث، ولعل ذلك يرجع إلى أن المحبة عمل قلبي لا يظهر، ولا يمكن لأحد أن يطلع عليه؛ فاحتاج الإخبار عنه إلى مزيد توكيد يدفع الشك، ويدخله على النفوس، وهي مهيأة لقبوله، ولذلك أكد العبارة ب(إن) واللام الداخلة على خبر إن، وميَّز المقصود بالإشارة، وقول النبي ﷺ له (أأعْلَمْتَهُ؟) استفهام على حقيقته تمهيداً لإخباره ما ينبغي عليه بأمره بإعلامه، والتعبير بالفعل (لحق) الدال على المتابعة عن قرب، واتصال الفعل بضمير المحبوب دلالة على سرعة استجابة الرجل للرسول ﷺ، وفيه دليل على صدقه، وقد جاء خبره لمن يحب ببعض عناصر التوكيد، وقد جاء رده مفعماً بالمودة، والمحبة (أَحَبَّكَ الَّذِي أحْبَبْتَنِي لَهُ) فقد عبَّر بالماضي الدال على

---

(١) لفظ أبي داود: (أعملته).

(٢) برقم (٥١٢٥). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٦٩).

التحقق، والموصول الدال بصلته على من جمعتهم المحبة فيه، وهو الله، واللام في قوله (له) تدل على السببية أي الذي أحببتني بسببه، وإفصاح كل منهما لأخيه عن محبته يقويها، ويضمن لهما الجر من الله كما أنها وسيلة لنشر المحبة بين في أرجاء الأمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إظهار محبة المؤمن لأخيه وإخباره بها.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: إخلاص المحبة لله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

من أساليب الدعوة والتي لها بالغ الأثر في تأليف القلوب وإقبال النفوس لما فيها من إظهار المحبة: أسلوب النداء وقد ورد في الحديث في قول الرجل "يا رسول الله" وفيه أن النداء إذا كان لأصحاب الفضل لابد أن يُراعى فيه التوقير والاحترام خاصة مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾[1]. قال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيُّه ﷺ وأن يُبَجّل وأن يُسَوَّد، وقال مقاتل: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا ياابن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في قول الرجل لرسول الله ﷺ: "إني لأحب هذا" والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يلقيه في قلب المدعو من التصديق واليقين الناشئ عن

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨٨/٦، ٨٩، زاد المسير، ابن الجوزي، ٦٨/٦.

تأكيد الداعي لدعوته. وقد استخدم القرآن أسلوب التأكيد في تقرير كثير من القضايا خاصة ما يتعلق بجانب العقيدة، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في هذا الحديث: "فقال له النبي ﷺ أعلمته ؟ قال لا"، والسؤال والجواب من الأساليب التي ينبغي أن تراعى في الدعوة لما فيها من تثبيت ما يدعى إليه في أذهان المدعوين، لما فيه من المؤثرات من استدعاء للفت الأنظار وإثارة الانتباه وشدّ الأذهان. واتباع أسلوب السؤال والجواب في الدعوة والحوار يجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على حامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

إن الأمر من الأساليب الدعوية الناجحة ولاسيما في مجتمع المؤمنين لما للأمر من إظهار لأهمية المأمور به وحمل المدعوين على امتثالهم لما تضمنه ما أمروا به، وقد ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ : ((أعلمه)). وقد ورد أسلوب الأمر في كثير من آي القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٥]، والأمر إذا كان من قِبَل الله أو من قبل

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٥٩/٢.

(٤) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٠.

رسوله ﷺ يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه[1] وقد وصف الله المؤمنين بهذه الاستجابة المطلقة بلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع وذلك مقتضى الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إظهار محبة المؤمن لأخيه وإخباره بها:

إن من حقوق الأخوة بين المؤمنين أن يظهر المؤمن بمحبته لأخيه ويخبره بها، لما في ذلك من إظهار المحبة وشيوع المودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وذلك ما تضمنه الحديث من أمر رسول الله ﷺ بإخبار الرجل لمن يحب بتلك المحبة "فقال يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ أعلمته؟ قال لا، قال أعلمه، فلحقه فقال إني أحبك في الله، فقال أحبك الذي أحببتني له" أي أخبره لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة، قال الخطابي: (معناهُ الحث على التودد والتآلف؛ وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب وده)[3]، وإذا شاعت المحبة في المجتمع على النحو الذي أراده رسول الله ﷺ فسيكون مترابطًا تعلو فيه قيم الأخوة والمحبة والمودة، فالمحبة هى صمام الأمان للمجتمعات، وإذا كان قانون الجاذبية يمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدم فتتساقط أو تحترق وتزول، فقانون المحبة هو الذي يمسك العلاقات الإنسانية أن تتصادم أو تتهاوى[4].

سادسًا: من موضوعات الدعوة: إخلاص المحبة لله تعالى:

إن إخلاص العمل لله تعالى هو شرط قبولها، وكما روى عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنما الأعمال بالنيات))[5]، وفي شرح الحديث قال ابن عجلان:

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢١٨٧.

(٤) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

"لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله والنية الحسنة، والإصابة"[١]، لذا ركز النبي ﷺ في الحديث على أن تكون المحبة لله "فقال يا رسول الله إني لأحب هذا فقال له النبي ﷺ أعلمته؟ قال لا، قال: أعلمه، فلحقه فقال إني أحبك في الله، فقال أحبك الله الذي أحببتني له"، فالإنسان مكلف بأن يتجه بأعماله كلها إلى الله وحده، ومنها المحبة التي وردت في الحديث وهي من الأعمال القلبية التي يجب أن يتوجه العبد بها لله كما يتوجه إليه بالأعمال الظاهرة[٢].

إن إخلاص المحبة وكونها خالصةً ومن أجل الله تعالى وحده أصل لجني ثمار المحبة والتي منها:

١- استحقاق العبد لمحبة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:((أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال أريد أخًا لي في هذه القرية، قال هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه))[٣].

٢- الاستظلال بظل الله تعالى يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))[٤].

٣- شرط لاستكمال الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٥].

٤-وُجدان حلاوة الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٧١/١.

(٢) انظر: الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دون ذكر رقم الطبعة والتاريخ، ص١٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

(٥) أخرجه البخاري ١٣ واللفظ له، ومسلم ٤٥.

وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار))[1].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ثلاثًا من كن فيه وجد حلاوة الإيمان" إنما خص هذه الثلاث بهذا المعنى؛ لأنها لا توجد إلا ممن تنور قلبه بأنوار الإيمان واليقين وانكشفت له محاسن تلك الأمور؛ التي أوجب له تلك المحبة التي هي حال العارفين.

وقوله: "وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" يعني بالمرء هنا المسلم المؤمن؛ لأنه هو الذي يمكن أن يخلص لله تعالى في محبته وأن يتقرب لله تعالى باحترامه وحرمته، فإنه هو الموصوف بالأخوة الإيمانية والمحبة الدينية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

وقد أفاد هذا الحديث أن محبة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان لا بد أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية والحظوظ البشرية؛ فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض أو يئس من حصوله.

إن محبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام وجدت الأعراض أو عدمت، وعلى الجملة فمحبة المؤمنين من العبادات التي لا بد فيها من الإخلاص في حسن النيات[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١ واللفظ له، ومسلم ٤٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١/٢١١-٢١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

من هدي الإسلام تربية أتباعه على حب الآخرين، هذا الحب لا ينتج عن تعامل مادي، ولا ترابط عصبي، بل أساسه التقرب إلى الله به، ومثل هذه الروح إن سرت في المجتمع وجدت أفراده متعاونين متآلفين متحابين كأنهم لبنات في بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً.

إن طرق الجنة في الإسلام كثيرة وإن أبوابها مفتوحة لكل من يلتمس أسباب الدخول، ومنها ما لا يكلف الإنسان عبئاً مادياً ولا جهداً جسمانياً، بل شعور روحي بحق هذا أو ذلك.

وإشاعة روح المحبة مما يحمده الإسلام حتى إنه أوجب إخبار من نحب بحبنا له، وأن نعلن أن ذلك مما يبتغى به وجه الله، لا عرض دنيوي ولا منفعة مادية. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- من مهام المربي: بيان فضل الإخلاص في القول والعمل:

وذلك ببيان شيم المخلصين، الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، فهم يجدون حلاوته، فأول هذه الخصائص: "أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا"، والثانية: "أَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ للّه"، والثالثة: " أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ ...".

فحبُّ الله تعالى من أساسيات الإيمان، ومن واجبات الإخلاص، "فإن من عرف نفسه وعرف ربَّه عرف قطعًا أنه لا وجود له من ذاته؛ وإنما وجود ذاته وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله"، أما حب الرسول ﷺ فإنه واجب ومحمود؛ "لأنه أثر عن حبِّ الله تعالى"[1].

ومن الإخلاص أيضًا: الحبُّ في الله تعالى، وقد أخبر النبي ﷺ عن المتحابين في الله، وكيف يكون جزاؤهم في الدنيا والآخرة، وعندما أراد رجلٌ أن يزور أخاه في

---

(١) تزكية الأنفس، سعيد حوَّى، ص٢٨١.

الله، قيد الله له ملكًا يقول له: "إن الله قد أحبك كما أحببته فيه"، وهذا معاذاً بن جبل رضي الله عنه يخبر بحبه في الله بما سمعه من النبي ﷺ: «قَالَ اللّه تَبَارَكَ وَتَعالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ... ».

وهذا الحب في الله يوجب على صاحبه المصارحة به إلى من يُحبُّ، حتى يعمَّ الحب ويدوم إذا كان متبادلاً، يقول ﷺ: «إِذَا أَحَبَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ».

ولقد دلَّنا النبي ﷺ على سبب الحب بقوله: «أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَينَكُمْ».

ثانيًا- التربية على علو الهمة:

لم يكن المربي الأول يعلم أصحابه ما ينجيهم من عذاب النار ويقربهم من الجنة فحسب؛ بل إنه دائمًا ما كان يخبرهم بما يرفعهم إلى أعلى الدرجات وأسمى الغايات، في الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله ..."، ثم عدَّ سبعة أصناف من الناس الذين علت هممهم، وتساموا واستعلوا بأخلاقهم وأفعالهم، حتى استحقوا هذا الظل الدائم الوارف.

إن ما يجمع بين هؤلاء السبعة هو الإخلاص وعلو الهمة، والتطلع إلى معالي الأمور، والترفع عن الدنايا والصغائر؛ فأولهم "إمام عادل"، كان بإمكانه أن يكون ظالمًا، ولكنه رأى نفسه كبيرًا فعدل في ملكه، وثانيهما: "شاب نشأ في عبادة الله"، مع أن الشباب مظنة المعاصي والتجاوز؛ نظرًا للقوة والفتوة والفحولة والنشاط والحيوية، ومع ذلك فإن هذا الشاب تغلب على غرائزه، وكبح شهواته، فنشأ في عبادة الله، وهذا يعد من النماذج الرائعة التي ينبغي أن تحتذى، ويربي الإنسان نفسه على أن يكون نموذجًا طيبًا مثل هذا الشاب الذي نشأ في عبادة الله.

أما الثالث: فقلبه "معلق بالمساجد"، وتلك غاية سامية، أن يصير القلب مرتبطًا بأطهر البقاع، وأن يربى المؤمن نفسه على العبادة والتوبة والخضوع والإنابة إلى الله تعالى، فهذا نموذج تربوي رائع، يجعل نفس الإنسان تهفوا إلى طاعة الله ورضوانه وما

أحوج المسلم إلى تنمية الجانب الروحي في نفسه.

والرابع: "رجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرقا عليه" وما أكثر ما يتحاب الناس، ولكن لمصالح دنيوية، أما هذا النموذج من الحب في الله ففيه سمو وترفع خلقي واستعلاء عن الأغراض المادية، مما يعزّ على الكثير، حيث أصبحت المصلحة والأمور المادية هي المحرك الأساسي للعلاقات والتواصل بين الناس، ومن الأمور التي يندى لها الجبين أن العلاقات بين الأهل والأقارب أصبحت مرتبطة بمدى الانتفاع المادي، فإن انتفت المصلحة والمنفعة، كانت القطيعة والفتور في العلاقات، وهذا لون من ألوان المعاناة النفسية للمسلم في هذا الزمان، الذي عزّ فيه الحب في الله بين الناس، إن مثل هذا النموذج من التحاب في الله ينبغي أن يحتذى، وأن يحاول الإنسان أن يوطن ويربي نفسه على الحب في الله.

والخامس: "رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله"، وهذه من الصفات التي يصعب أن تتحقق إلا في رجل أخلصه الله لعبادته، واختاره لمحبته؛ فتغلّب على شهوته، وفاضل بين لذة عارضة سريعة، وبين النعيم المقيم، فاختار ما عند الله، إن التربية على الطهر والعفاف من أهم ما ينبغي أن يركز عليه المربون خاصة مع الشباب الذي يعاني الفتن، ومظاهر التبرج والسفور، والانحلال الخلقي الذي استشرى في كثير من مجتمعات المسلمين اليوم، من خلال الغزو الثقافي والتغريب الاجتماعي، ومن ثم فإنه يتعاظم في هذا العصر دور القائمين على التربية والأسرة في إعلاء قيمة الفضيلة، وبيان أهمية العفاف، واجتناب الفتن، ولذا فإن هذا النموذج الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث: "رجل دعته امرأة ..."، ينبغي أن يُحتذى.

وسادسهم: "رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"، إنه سمو روحي؛ فما أكثر ما ترغب النفس في أن تُرى في هذا الموضع، موضع العطاء، لتكسب بذلك الفخر والمحمدة في الدنيا، ولكن الإخلاص في العبادة، يدفع صاحبه إلى أن يعطى ولا ينتظر حمدًا، إنه يطمع فيما عند الله، فتصدق ولم يحدث نفسه بجوده، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

وسابع هذه الأصناف الفريدة من الناس: "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"، إنهما لم تفيضا رياءً ولا تملقًا؛ لأنه ذكره خاليًا دون أن يراه أحد، وهذا تربية على مراقبة الله وحده، والتسامي عن الاعتداد بالناس، وانتظار ثنائهم.

إن علوا الهمة "خلق رفيع ... تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وهو من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية؛ كالجدّ في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى المعالي" [(١)].

ولقد أحسن الشاعر حين قال:

إذا غامرتَ في شَرَفٍ مَرُومٍ … فَلا تَقْنَع بِمَا دُونَ النُّجُومِ

ثالثًا- التربية بالترغيب:

لقد رغَّب ﷺ في عمل الصالحات؛ لأنها مؤدية إلى مثوبة الله الجزيلة في الآخرة، وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..."، ثم يُعدِّد النبي ﷺ هؤلاء السبعة، الذين سينعمون بالظل من حرٍّ يوم القيامة.

وفي حديث آخر يُرغب النبي ﷺ في الحب في الله بقوله: "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور..".

"وتبرز أهمية التربية الترغيبية من كونها أسلوبًا رائعًا يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين الناس؛ ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا؛ لكونها خطوة حتمية لتنفيذ الشريعة في المجتمع الإسلامي؛ وذلك لأن أساس الأوامر والنواهي في الإسلام هو جلب المصلحة ودفعُ المَضَرَّة"[(٢)].

رابعًا- التربية بالتوجيه المباشر:

وقد بدا ذلك في توجيه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل إلى أن يقول دبر كل صلاة: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، وفي قوله: "وإذا أحبَّ الرجل أخاه فليُخبره...".

---

(١) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص١٠٧.

(٢) تربية الأبناء والبنات، خالد عبدالرحمن العك، ص١٨٧.

"والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من الطلاب القيام بعمل معين..." [(١)]. و"العادة هي توظيف طاقات الإنسان وقدراته وجهده في جوانب الخير، وتحويلها إلى عادة سهلة وميسرة" [(٢)].

خامسًا- من مهام المربي: تعميق العلاقات الاجتماعية بين المربين:

وليس أحرص من النبي ﷺ على تماسك المجتمع الإسلامي، وسيادة روح المحبة والوئام فيه، يقول: "إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه"، وفي موضع آخر: يسأل النبي ﷺ صاحبه الذي أخبره بأنه يحب رجلاً في الله، فقال له: "أأعلمته؟" قال: لا، قال: "أعلمْهُ".

وبهذه المصارحة بالحب يصير متبادلاً بين الأخوين المسلمين، ويقوي الترابط بينهما؛ لأن علة المحبة قائمة لا تزول؛ لأنها في الله تعالى.

وتهدف تعاليم الإسلام "إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء"[(٣)].

سادسًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية في هذا الباب القصة، التي تشحذ النفوس بأحداثها، وتشوق القلوب، فيثبت المبدأ التربوي المراد تثبيته، ويبدو ذلك في القصة التي رواها أبو إدريس الخولاني، عندما بُصر بمعاذ بن جبل رضي الله عنه بمسجد دمشق، ولقيه في اليوم التالي، وأخبره بأنه يحبه في الله، قال: "فأخذني بحبوة ردائي، فجبذني إليه فقال: أبشر...".

"وللقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية مهمة، لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي؛ إنها تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، بعيدة المدى على مرِّ الزمن، لما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه، وتجديد عزيمته بحسب إيماءات القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها"[(٤)].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٢٨٤.

(٢) السابق ٢٨٣.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٠.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٤٠٧.

سابعًا- التربية الاجتماعية:

تتضمن أحاديث الباب التربية الاجتماعية للفرد والمجتمع من خلال تقوية المحبة والعلاقة بين المسلمين، وذلك أن يظلل أفراد المجتمع حب بعضهم لبعض لا لحاجة من حاجات الدنيا، حبًا يقصد به وجه الله تعالى، فمحبة المسلم لأخيه المسلم نابعة من حبه لله ولرسوله ﷺ ولدينه، فالحب في الله يدوم، كما أن المحبة في الله من كمال الإيمان.

ويمكن تحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع المسلم إذا تحققت المحبة بين المسلمين في الله، ساد الأمن والاطمئنان في المجتمع لأن الجميع سوف يسعى في صلاح من يحب وجلب الخير له، ودفع ما يضره عنه، كل واحد منهم آمن ومأمون، كما أن المحب لمن يحب مطيع.

ثامنًا- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-المناقشة والحوار: كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمرّ رجل به فقال: يا رسول الله إني لأحبّ هذا فقال له النبي ﷺ: "أأعلمته" الحديث.

ب-توجيه الأسئلة: وهذا واضح من قول معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي مسلم الخولاني عند أخبره أنه يحبه، قال: آلله؟ وتوجيه الأسئلة يفيد في تقويم ما تعلمه المتعلمون ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.

ج-التكرار: وهذا واضح من قول معاذ بن جبل: آلله؟ ثلاث مرات. ولا شك أن التكرار يفيد في جذب انتباه المتعلم.

د-الوصية: وهذا واضح من قول النبي ﷺ ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" والوصية تدل أهمية الموصى به.



٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد

والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤].

الحديث رقم (٣٨٦)

٣٨٦-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **((إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِيَ وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ**[١]**، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))** رواه البخاري[٢].

معنى (آذنته): أعلمته بأني محارِب لَهُ. وقوله: (استعاذني) روي بالباءِ وروي بالنون[٣].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) لفظ البخاري: (لأعطينه) بلام التأكيد.

(٢) برقم (٦٥٠٢) وقد تقدم برقم (٩٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٧٨/١٢): ضبطناه بوجهين، الأشهر: بالنون بعد الذال المعجمة، والثاني: بالموحدة، والمعنى: أعذته مما يخاف.

الشرح الأدبي

المتأمل لبناء الحديث يجد أنه يجسِّد النموذج الأكمل لمسلم يسعد المجتمع بانتمائه إليه لأنه يكون مصدر خير مطلق لكل من حوله يؤدي الأمانة ويساعد الضعفاء ويرفع المعاناة عن الآخرين فهو متفانٍ في مرضاة الله على كل وجه، والرسول ﷺ إذ يرفع هذا النموذج بين أعين أصحابه وبعد أن يبيّن طريقة الوصول إلى هذه المنزلة يريد أن يبني مجتمعاً مثالياً فاضلاً يجنب أفراده الخطأ حيث تتسامى نفوسهم عن الدنيا، وتطمح إلى مرضاة الله ضاربة سهام الخير في كل واد.قد استخدم لبيان ذلك ورسم صورة للمسلم المثالي والنموذج الأعلى لولي الله، عدة أساليب بلاغية منها:البداية بأسلوب خبري قصد منه إفادة الخبر مع إثارة مشاعر الإجلال والرهبة حول المقول في قوله (إن الله قال...) لصدوره عن الذات الإلهية، وإسناد الرسول ﷺ الكلام لله تعالى في قوله (إن الله قال...) ارتقاء بمستوى الكلام البشري إلى الكلام الإلهي، وهذه النقلة تعطي الخبر صفة القدسية التي توفر عليه اهتماماً وعناية وقبولاً، لأن الفرق بين كلام الله وكلام خلقه كالفرق بين الله وخلقه. وهو حديث قدسي معناه لله ولفظه للرسول ﷺ وقوله: (من عادى لي ولياً...) جملة خبرية تتسم ككل الأساليب الخبرية بهدوء وثقة، خلت من المؤكدات؛ لأنها مقولة للقول المؤكد بأكثر من مؤكد في قوله: (إن الله قال...) بالإضافة إلى أن إسناد القول لله زاد الأمر توكيداً لصدق الخبر وقبول المخاطبين له، وهي جملة شرطية تضفي على الأسلوب تشويقاً لتعلقها بالشرط فمن طبيعة الجملة الشرطية شدة اتصال معانيها، وبنائها على هذا الاتصال بجملة الجواب مما يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً إليه.

وقد جاءت جملة الجواب (فقد آذنته بالحرب) مترتبة على جملة الشرط دون مهلة زمنية، إشارة إلى سرعة هذا الجزاء، والأسلوب ببنائه يوحي بعزة الربوبية في رعاية الولي، والذَّبِّ عنه كما يوحي بسيطرة الألوهية في حرب أعداء وليه وسرعة إهلاكهم، وفي قوله: (فقد آذنته بالحرب) مجاز مرسل في قوله (آذنته) حيث عبّر باللازم وهو الإيذان بمعنى الإعلام، وأراد الملزوم وهو الاستحقاق، والعلاقة اللزومية،

وفي قوله: (بالحرب) مجاز مرسل حيث أطلق اللازم (الحرب) وأراد الملزوم، وهو الإهلاك والإذلال، والتعبير بالمجاز في قوله (آذنته) يفيد مع معنى الاستحقاق معنى التحذير والتهديد ويترك فرصة العودة لمرتكب هذا الخطأ حتى يرجع عن معاداة وليه، لأن الإعلام سابق للحرب فالعودة ممكنة، والتعبير بالمجاز في قوله (بالحرب) مع ما يفيده من الإهلاك يثير في النفوس كل تبعات الحرب من مشقة اللقاء ومنظر الدماء وتطاير الأشلاء وغيرها، وهذا من شأنه التأثير في النفوس التي تميل للركون للراحة وتؤثر السلامة فترجع عن الخطأ، وتقديم الجار والمجرور في قوله (من عادى لي ولياً...) يفيد العناية والاهتمام، وفيه تشريف لهذا الولي، قوله: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه) الواو: للاستئناف، وكأن الله تعالى بعد أن بيَّن منزلة وليه عنده بدأ في ذكر الأسباب الموصلة إلى تلك المنزلة وأولها أداء الفرائض، وتقديم الجار والمجرور (إليَّ) في قوله: (وما تقرب إليَّ...) تخصيص وإشارة إلى وجوب توافر الإخلاص في القصد والعمل، ومن دونه لا يتحقق القرب، وإضافة العبد لياء المتكلم في قوله (عبدي) تشريف للعبد وإشادة به بنسبته إلى عبودية الله، وتنكير كلمة (شيء) للتقليل ومعناه - والله أعلم - أن العبد إذا أخلص في عمله كان سبباً في قربه مهما كان حجم العمل فمدار قبول العمل على الإخلاص، وقوله: (أحب إليَّ) التعبير بأفعل التفضيل يفيد المبالغة في المحبة، وقوله (وما يزال عبدي يتقرب إلي) والتقرب هو طلب القرب "وقرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه، وامتنانه، وقوله تعالى: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به...إلخ) معناه أني أكون له في إعلامه ما لم يعلم، وتبشيره بما يجب كسمعه الذي يوصل إليه الأنباء والمعلومات، وكنت له في تبصيره ما خفي من الآيات، وانبهم من الدلالات ولطف من اللمحات كبصره، الذي ينقل إليه صور المرئيات، وكنت له في عمل ما يجب، ونفاد ما يريد، وتسخير ما يشاء، وتذليل من يشاء كَيَده التي يبطش بها، وكنت له في الإيصال إلى المقاصد والمرامي، وإدناء الغايات والأماني كرجله التي يمشي بها، وكنت له في

إلهامه الحكمة، وإيتائه البصيرة والفطنة بما أنزل في قلبه من نوري، وما أبديه له من أسراري كفؤاده الذي يعقل به المعقولات، ويدرك به المدركات، وكنت له في إنطاقه بالحجج والبينات، والقضايا المحكمات كلسانه الذي هو آلة المقال، وأداة البيان.

وهذه المنزلة هي محطُّ أنظار السالكين ومطمح نفوسهم ومنتهى آمالهم؛ لذلك رفع الرسول ﷺ بحديثه هذا النموذج الأعلى لصحابته الكرام ومَنْ بعدهم حتى يكون عَلماً تطمح نفوسهم إلى تحقيقه، قوله: (وإن سألني لأعطينه) أسلوب شرط علّق فيه الجواب وهو العطاء على الشرط وهو السؤال، وقوله (ولئن استعاذني لأعيذنه) جملة شرطية فعلها ماض يدل على التحقق، وقوله: (ولئن استعاذني) أي طلب عياذي مما يكره فحذف المتعلقين اختصاراً ولإفادة العموم، والرسول ﷺ بتحديد ملامح شخصية ولي الله الذي يتحرك ويسكن وفق ما يرضي الله يؤدي الفرائض ويتقرب إلى الله بالنوافل حتى ينال محبة الله، بهذا البيان يتضح خطأ الذين يتخذون الدجالين، والمشعوذين، والمجانين أولياء يبنون لهم النصب والأضرحة ويدعونهم من دون الله - وهو شرك بالله - ويضلون غيرهم من العامة، ومن الجدير بالذكر أن بلوغ المؤمن مرتبة الولاية لا يعني أن يُتَّخذ إلها من دون الله، كما يفعل جهال الأمة مع أولياء الله، يدعونهم، ويتخذون قبورهم مساجد، ويذبحون لهم من دون الله، وهو لون من ألوان إيذاء أولياء الله بل هو من أشد ألوان الإيذاء لأن أقبح الذنوب أن يتخذ الإنسان إلهاً من دون الله، ولو كان هذا الولي حياً لتأذى بما يرى، وإيذاء الميت أشد من إيذاء الحي.[1]

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ١١٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٥).

الحديث رقم (٣٨٧)

٣٨٧- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جبريلَ: إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، فَيُنَادِي[١] في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلانًا، فأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرْضِ)) متفق عليه[٢].

وفي رواية لمسلم[٣]: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إنّي أُحِبُّ فلانًا فأحببهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماءِ، فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبوهُ[٤]، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ، وَإِذَا أبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جبْريلَ. فَيَقُولُ: إنّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأبْغِضْهُ. فَيُبغِضُهُ جبريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القبول: المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه[٥].

البغضاء: المقت والكراهية[٦].

---

(١) عند البخاري زيادة: (جبريل).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم بعد حديث (٢٦٣٧/١٥٧، بدون رقم) ولم يسق لفظه، وقال: غير أن حديث العلاء بن المسيب ليس فيه ذكر البغض.

(٣) (٢٦٣٧/١٥٧).

(٤) لفظ مسلم: (فأحبه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢٢٣/٣، رقم ٢٤٧٧)..

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ل).

(٦) المعجم الوسيط في (ب غ ض).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول محبة الله للعبد، وأثرها على العبد، وعلاقته بمن حوله، وقد جاء في ثوب الشرط الذي يربط الفعل بالجواب، وكلاهما جاء في صورة الماضي الذي تحقق، ومحبة الله غاية يسعى إليها كل مؤمن، وقوله (نادى جبريل) جواب الشرط الذي يحكي سريان المحبة من مصدرها الأعظم من الله إلى جميع المخلوقات بداية بجبريل، ومروراً بأهل السماء، وانتهاءً بأهل الأرض، وفيه بيان لأثر فعل الله في الكائنات، وهذا التدرج من الأعلى إلى الأدنى في سريان المحبة ينبه العبد الذكي إلى أن يسعى لتحصيل محبة الله، وإن كانت على حساب غضب الخلق، وألا يسعى إلى محبة الناس بما يغضب الله؛ لأنها ناقصة، وقلوبهم متقلبة، والحب الثابت ما كان من عند الله متصلاً به، وقوله (إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ فُلاناً) جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) مع اسميتها لإزالة أي شك يمكن أن يخالج نفس المخاطب مع ما يوحي به التوكيد من أهمية الخبر، وعناية المتكلم به، وهو نوع من تمهيد النفوس لاستقبال نوعية الأخبار التي تتسم بالطرافة، وتحمل نوعاً من الغرابة، وتتميز بأهمية خاصة عند المتكلم، ويريد أن يبثها في نفس السامع، وقوله: (فلاناً) كناية عن الشخص المحبوب، واختياره في التعبير يفتح الباب لكل من سعى إلى محبة الله، ونالها، وقوله (ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبْولُ في الأرْضِ) كناية عن محبة أهل الأرض، ورضاهم، والملاحظ في عطف الجمل أنه استخدم الفاء في الربط بين الجمل إلا في موضع واحد استخدم فيه ثم، فاستخدم الفاء دلالة على السرعة، والفورية في تنفيذ الأمر، من جبريل، وأهل السماء، واستخدم ثم في العطف في الجملة الأخيرة التي تخص قبول أهل الأرض دلالة على أن على المؤمن أن يصبر على الناس، ويتحمل منهم، لوجود العوائق التي قد تؤخر وجود هذه المحبة في نفوس الناس، لكنها ستتحق مهما تأخرت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعـوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النداء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب فيما يؤدي إلى محبة الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إثبات صفتي المحبة والبغض لله تعالى.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان محبة الملائكة وبغضهم للعبد.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان محبة وبغض الناس للعبد وعلامة ذلك.

أولاً- من أساليب الدعـوة: التوكيد:

ورد التوكيد في هذا الحديث، حيث تكرر في قوله ﷺ: "إذا أحَبَّ اللهُ تعالى العبدَ نادَى جبريلَ: إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ فلانًا فأحببْهُ ... الحديث" لما لأسلوب التوكيد من بيان لأهمية الأمر، وتقبل المدعوين له، خاصة إذا كان الخطاب موجهًا للمؤمنين.

وقد ورد أسلوب التوكيد في كثير من آي القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2]. لذا ينبغي عل الداعية أن يستخدم أسلوب التوكيد في بعض الأمور والقضايا التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة للتأكيد على صحتها أو ثبوتها.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

تكرر الأمر في هذا الحديث في قوله ﷺ "إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه... الحديث" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما يحمله في طياته من أهمية ورفع لشأن المأمور به وحمل المدعوين على المسارعة للإذعان له والامتثال به.

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٤.

وقد كثر ورود أسلوب الأمر في القرآن بصيغ متعددة، منها الصريح، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، ومنها غير الصريح كأن يجيء الأمر في صورة إخبار عن تقرير الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٣]، وكأن يجيء في صورة مدح الفعل أو مدح فاعله، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤]،[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النداء:

تكرر النداء في الحديث في قول الله تعالى وفي قول جبريل عليه السلام، "نادى جبريل ... فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء ... الحديث"، وأسلوب النداء يتضمن استمالة المدعو ولفت نظره لما للنداء من أثر في النفوس. وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية الناجحة لما لها من بالغ الأثر في نفوس المدعوين، وقد ورد أسلوب النداء في كثير من النصوص القرآنية والنبوية، ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ))[٦].

قال ابن أبي جمرة: والحكمة في نداءه باسمه تظهر من وجهين:

الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطره فيكون ذلك سببًا لتحصيل جميع ما يلقى إليه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٥) انظر: الموافقات، الشاطبي، ٣/١٤٤، ١٤٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٧٠.

الثاني: إن في ندائه باسمه إدخال السرور عليه، لأن النداء أبدًا إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف وهو نداء سيد الأولين والآخرين[١].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب فيما يؤدي إلى محبة الله تعالى

ورد ذلك ضمنيًا في الحديث في تحصيل ما يؤدي إلى محبة الله تعالى، فكلٌ يتطلع إلى محبة الله له، ومحبة الله للعبد لها علامة، منها كون الإنسان متبعًا لرسول الله ﷺ: فإنه كلما كان الإنسان لرسول الله ﷺ أتبع كان لله أطوع، وكان أحب إلى الله تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤]،[٥]، قال ابن القيم: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطي الناس بدعواهم لادعى الخليُّ حُرقة الشَّجِيِّ فتنوع المدَّعون في الشهود فقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٦]،[٧]. فهذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقًا إلى محبته ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ

---

(١) بهجة النفوس، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ١٣٤/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٣٩/١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٧) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٣٤/٣.

من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه [١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إثبات صفتي المحبة والبغض لله تعالى:

جاء في الحديث التصريح بإثبات المحبة لله في قوله ﷺ: "إذا أحب الله تعالى عبدًا... إن الله تعالى يحب فلانًا"، وإثبات البغض أيضًا لله في قوله: "وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانًا... إن الله أبغض فلانًا..." وقد ورد إثبات صفة المحبة لله في كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٤]، وذلك ماعليه أهل الحق من إثبات المحبة صفة حقيقية لله عز وجل، كما يليق به تعالى كسائر صفاته[٥] فإن ذلك يدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦]، وإثبات صفة المحبة لله عز وجل على هذا النحو لا يقتضي نقصًا ولا تشبيهًا، وكما يثبت أهل الحق صفة المحبة لله عز وجل يثبتون لازم تلك المحبة وهى إكرام الله عزوجل لمن يحبه وإثابته[٧].

وما قيل في إثبات صفة المحبة لله تعالى كذلك يقال في إثبات صفة البغض وما في معناه من الغضب والسخط والأسف الكره والمقت لله تعالى، ومن الآيات الدالة على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، ٢/٢٩٦.

(٦) سورة الشورى، آية: ١١.

(٧) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ١٣٥.

ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[2]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[3]. والمراد من الآية شدة الغضب والسخط، وقال تعالى: ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[5]. فتضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرضا لله والغضب واللعن والكره والسخط والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق[6] فمحبة الله وبغضه لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة[7].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان محبة الملائكة وبغضهم للعبد:

إن من دلائل محبة الله للعبد ومقتضياتها محبة الملائكة للعبد كما أن بغض الملائكة للعبد تبع لبغض الله عز وجل له، وقد ذكرت في الحديث محبة الملائكة وبغضهم للعبد في قوله ﷺ: "فيحبه أهل السماء: ... فيبغضه جبريل ... الحديث"، قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا أحب الله عبدًا دعا جبريل: إني أحبه فأحبه ... إلى قوله: "فوضع له القبول في الأرض" وقال مثله في البغض، محبة الله عبده: إرادة الخير به في

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٨.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٥٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤٦.

(٥) سورة الصف، آية: ٣.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ١٤١، ١٤٢.

(٧) المرجع السابق، ١٤٥، ١٤٦.

الدنيا والآخرة من هدايته له وإنعامه عليه ورحمته له، وبغضه له: أراد به شقاء عقابه وشقاوته في الدنيا والآخرة، وقد تكون محبة جبريل والملائكة على وجهها من معنى المحبة وظاهرها التي تليق المخلوقين، ويتنزه عنها الخالق، وهو ميل النفس ونزوع الروح والقلب إليه وحب لقاءه، وأنه لما كان ممن أطاع وأحبه الله كان ممن يجب أن يكون مع جبريل والملائكة متحابين في الله، وقد يكون من جبريل والملائكة استغفارهم له، وذكرهم الجميل في الملأ الأعلى له ودعائهم له[1]، وكذا قال ابن علان: (ومحبة جبريل وأهل السماء محتملة أن يراد استغفارهم للعبد وثناؤهم عليه ودعائهم له، وأن يراد بها ظاهرها المعروف من الخلق، وهو ميل القلب إلى المحبوب وشوقه إلى لقائه، وسبب حبهم له كونه مطيعًا لمولاه محبوب له)[2].

وقد أورد القرآن كثيرًا من دلائل محبة الملائكة للعبد المؤمن من استغفار ودعاء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[3]، أي ويستغفرون لأهل الأرض من آمن منهم بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب[4] فما أكرم المؤمن على الله![5].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان محبة وبغض الناس للعبد وعلامة ذلك:

ورد في الحديث بيان أن محبة الناس الصادقة وإقبالهم على العبد نتاج طاعته لله ومحبة الله له، وبغضهم علامة على بغض الله تعالى له، وجاء ذلك في قوله: "ثم يوضع له القبول في الأرض... ثم توضع له البغضاء في الأرض"، قال القاضي عياض: (وقوله:

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٦/٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٧.

(٣) سورة غافر، آية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٠/٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/١٥/٨.

"فيوضع له القبول في الأرض" وهو الرضاء والحب في القلوب، أي تقبله وتميل إليه، ولا تنفر عنه ولا ترده)[١]، وقال ابن حجر العسقلاني: (والمراد بالقبول المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه، ويؤخذ من الحديث أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، والعكس ومحبة الخلق للعبد في اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن)[٢]، والمحبة من الإنسان على هذا النحو لإخوانه المؤمنين من الأسس التي حرص الإسلام على أن يقيم علاقة المجتمع الإسلامي عليها ليجعل من المسلمين أمة قوية يحسب حسابها ويرهب جانبها، فرابطة المسلمين أقوى من أن تُحَلّ، ووحدتهم أعصى من أن يَنَال منها عدو[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٦/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

(٣) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ١٩١-١٩٢.

الحديث رقم (٣٨٨)

٣٨٨- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رَسُول الله ﷺ بعث رجلاً عَلَى سَرِيَّة فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُل هُوَ الله أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ؟)) فَسَأَلُوهُ فقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمانِ فَأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أخْبِرُوهُ أنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّهُ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول شكلاً من أشكال المحبة لله تعالى والتقرب إليه بصفاته، والراوي يبدأ حديث بأسلوب خبري تصدرته عدة مؤكدات، وتصدُّرُ المؤكدات دليل على أهمية الخبر والتنبيه إليه؛ ولذلك تجد أكثر أحاديثه يسبقها، أو يحدوها نوع من تمهيد النفوس بنوع، أو أكثر من المؤكدات، بيد أنها تختلف كماً، وكيفياً بحسبة طبيعة المعاني، وأحوال المخاطبين، وقول الرسول ﷺ (سَلُوهُ لأَيِّ شَيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟) الأمر للتوجيه، والإرشاد، والاستفهام عن الغاية، والغرض الموجه لتكرار الفعل، لأن النية تحدد قيمة العمل، وقوله: (لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا) أكد الخبر بعدة مؤكدات؛ لأنه يتحدث عن عمل قلبي، والأعمال القلبية لا يطلع عليها إلا الله- كما أسلفنا الذكر - فاحتاج إلى بناء الأسلوب على ما يدفع عنه الشك، ويوفر له القبول،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣/٢٦٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٢٧.

ونسبة الصفة إلى الرحمن للتخصيص، وذكر هذه الصفة خاصة لما فيها من معنى الرحمة الغامرة، وقوله (فأنا أحب) الفاء للسببية، وذكر الضمير مع إمكان الاستغناء عنه للتخصيص، وفعل المحبة المضارع يدل على الاستمرارية في تلك العاطفة النبيلة التي دفعته لتكرار السورة الكريمة، وقول الرسول ﷺ (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّه تعالى يُحِبُّهُ) الأمر فيه إشادة، وتنويه، ومدح للرجل، وترغيب في محبة الله بأسمائه، وصفاته، وتوكيد جملة (أَنَّ اللَّه تعالى يُحِبُّهُ) لتعظيم، وإجلال المعنى الذي تحمله العبارة مع ما توحي به محبة الله من معاني التقريب، والتوفيق، والإنعام، والنصرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: الجهاد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل سورة الإخلاص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ في شئونهم وأحوالهم.

خامسًا: من صفات الداعية: التثبت قبل إصدار الأحكام.

أولاً- من ميادين الدعوة: الجهاد:

إن ميادين الدعوة كثيرة ومتنوعة ومنها ميدان الجهاد، والذي ورد في الحديث "أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً" ففي ميادين الجهاد خاصة في أعقاب الحرب تسنح الفرصة تمامًا للدعوة بأن ينتشروا وينشروا الإسلام ويعرِّفوا به، فلم يكن الجهاد في يوم من الأيام حربًا قائمة على القهر والغلبة، وإنما شرع ليفتح الطريق أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص[1].

ولذا كان الجهاد في الإسلام لتذليل العقبات أمام الدعوة الإسلامية، وقد أفاد الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والسلف الصالح من الجهاد في نشر الدعوة بالحكمة

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص ١٧، ٢٠.

والموعظة الحسنة، وإعلام الناس بالمبادئ الإسلامية القويمة لأجل إخراجهم من الظلمات إلى النور. إن الإسلام يهتم بدعوة العالم الإنساني إلى الدخول في هدايته لينعم بهذه الهداية ويستظل بظلها الوافر الظليل.

وإن الأمة الإسلامية هي الأمة المنتدبة من قِبَل الله لإعلاء دينه وتبليغ وحيه وهي منتدبة كذلك لتحرير الأمم والشعوب، وهي بهذا الاعتبار كانت خير الأمم.

ومادام أمرها كذلك فيجب عليها أن تحافظ على كيانها الداخلي وتكافح لتأخذ حقها بيدها وتجاهد للتبوأ مكانتها التي وضعها الله فيها.

إنه لا يوجد دين من الأديان دفع بأهله إلى غمرات الحروب وقذف بهم إلى ساحات القتال في سبيل الله من أجل الحق والعناية بالمستضعفين ومن أجل أن يحيا الناس حياة كريمة غير الإسلام[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

جاء أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله: "فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها من صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها ..." والسؤال من أنجح أساليب الدعوة لما فيه من لفت الأنظار وإثارة الانتباه، وشد الأذهان للدعوة والإقبال بالقلوب عليها.

لذا ينبغي على الداعية أن يهتم بهذا الجانب من الأساليب الدعوية، وأن يطرح على المدعوين من الأسئلة ما يشد انتباههم، إضافة إلى أن السؤال والجواب بصفة عامة من وسائل تحصيل العلم ونشره، وإلى ذلك أشار ابن حجر بقوله: (العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل: حسن السؤال نصف العلم)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل سورة الإخلاص:

إن لسورة الإخلاص من الفضل ما لا يخفى على أحد، وهو من دافع هذا الصحابي في ختم الصلاة بها كل ليلة وحبه لها" فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧١.

بها". وأنَّ حبها سبب لمحبة الله للعبد، فقال النبي ﷺ عن ذلك الصحابي الجليل الذي كان دائمًا ما يختم صلاته بقل هو الله أحد "أخبروه أن الله تعالى يحبه"، قال المازري: (إن البارئ عز وجل لا يوصف بالمحبة المعهودة فينا، لأنه يتقدس عن أن يميل أو يُمال إليه، وليس بذي جنس أو طب، فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسية والطبيعية البشرية، وإنما معنى محبته - تبارك وتعالى- للخلق: إرادته لثوابهم وتنعيمهم على رأي بعض أهل العلم، وعلى رأي بعضهم: أن المحبة راجعة إلى نفس الإثابة والتنعيم لا للإرادة، ومعنى محبة المخلوقين له: إرادتهم أن ينعمهم ويحسن إليهم)[1].

ويتجلى فضل سورة الإخلاص في أنها اشتملت على اسمين يتضمنان جميع أوصاف الكمال: وهما الأحد والصمد، فالأحد في أسماء الله مشعر بوجوده الخاص به الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يتضمن جميع أوصاف الكمال لأن معناه الذي انتهى سؤدده بحيث يصمد إليه في الحوائج كلها وهو لا يتم حقيقة إلا لله[2]. وقد اشتملت سورة الإخلاص على ما يجب لله سبحانه من التوحيد وما يجوز في حقه من توجيه الخلق حوائجهم إليه وقصدهم إياه في سائر أمورهم[3]، ولما كان الدين يتكون من العقيدة والشريعة والأخلاق وشملت سورة الإخلاص الدعوة إلى تصحيح العقيدة، ثلث القرآن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لأصحابه "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد، ثلث القرآن"[4].

ومن فضائل سورة الإخلاص أنها صفة الرحمن، قال ابن التين: إنما قال أنها صفة الرحمن لأن فيها أسماؤه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته[5]. و"الرحمن" صفة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/ ٢٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/ ٣٧٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٦٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠١٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/ ٣٦٩.

مأخودة من الرحمة وهى بالنسبة لله بمعنى الإنعام، فمعنى الرحمن المنعم بجلائل النعم على مستحقها وغير مستحقها، والإنسان في جميع أطواره بأشد الحاجة إلى من يرحمه ويرأف به ولا يملك الرحمة الحقيقية به في دفع الضر عنه، وجلب الخير له، وإفاضة النعم عليه إلا خالقه وخالق السموات والأرض ومن بيده ملكوتهما[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ في شئونهم وأحوالهم:

لقد ضرب لنا الصحابة ﷺ المثل الأعلى في الاقتداء والرجوع إلى رسول الله ﷺ والحديث سجل لنا صورة من منهج الصحابة في ذلك، ((أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ)). فإن مما يؤكد صدق الإتباع لرسول الله ﷺ الرجوع إليه في حياته وتحكيم سنته بعد مماته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام فما وافقها قُبل وما خالفها رُدَّ وإن قاله مَنْ قاله، وقد وردت آيات كثيرة تؤكد هذا الأمر، منها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[٢]، [٣].

بل إن الله ليجعل من مقتضيات الإيمان الرجوع إلى رسول الله ﷺ في حياته وإلى سنته بعد وفاته ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[٤]، فإن الإعراض عن منهج الله وعدم الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ يكون صاحبه قد التبس بحالة تنافي

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢١٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٥.

الإيمان في خفاء إن استمر عليها بعد التنبيه على عاقبتها لم يكن مؤمنًا[١].

سادسًا- من صفات الداعية: التثبت قبل إصدار الأحكام:

من المبادئ التي غرسها الإسلام في المجتمع الإسلامي حتى لا يؤخذ إنسان بغير جريرة، ولا يحكم بغير دليل التثبيت قبل إصدار الأحكام، وفي الحديث مثال تطبيقي على ذلك في قوله ﷺ "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه"، فقوله سلوه لأي شيء يصنع ذلك" ليرتب جزاءه على حسب نيته وقصده، فإن الأعمال بمقاصدها، وقال ناصر الدين ابن المنير: وفي الحديث أن المقاصد تغير أحكام الفعل، لأن الرجل لو قال: إن الحامل له على إعادتها أمر غير ما ذكره لإجابة بما يناسبه[٢].

لقد أمر الإسلام بالتثبت في الأمور كلها قبل إصدار الأحكام وإبداء الآراء حتى لا يقع المسلم في الزلل وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين سواء كان ماديًا أو أدبيًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٣].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١١٣/٥/٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٩.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الروح تنزع إلى مصدرها، ولها تعلق به، كما أن الجسد يخلد إلى مصدره وله تعلق به، والإسلام قد أشبع الجانبين في وقت واحد. ففي إطار إشباع الجانب الروحي أذن بحب العبد لله حباً يقوم على اتباع كلمته ورعاية حرماته والالتزام بالتكاليف الشرعية، وذلك لأن الحب دعوى تفتقر إلى دليل، ونصوص القرآن صريحة الدلالة على حب المؤمنين لله وحب الله للمؤمنين، ورضى الله عن المؤمنين ورضى المؤمنين عن الله. فإذا قام الإنسان برعاية حقوق الله وتعهدها، وأضاف النوافل إلى الفرائض عند الأداء وأكثر من النوافل صار ولياً، أي متعهداً لأوامر الله ونواهيه وعندها يتولاه الله فيحفظه ويرعاه ويحركه كما يشاء في الخير وذلك بأن يختم على حواسه فلا يسمع إلا ما صدر عن الله، ولا يرى إلا ما أذن الله برؤيته ولا يحرك يده في غير ما شرع الله، فإذا وصل العبد إلى هذه الحالة نال الرضا وتحققت الاستجابة في الدعاء - إذا شاء الله ذلك - ومد الله له يد العون عند الاستعاذة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: ربط السلوك بالعقيدة:

إن ربط السلوك الإنساني بالعقيدة من أبرز أهداف التربية الإسلامية التي أولاها النبي ﷺ عناية كبيرة لأنه لا قيمة للعمل الذي يقوم به الإنسان إذا لم يكن مسبوقاً بالاعتقاد الراسخ.

ولقد ربى النبي ﷺ صحابته على أن بإمكانهم أن ينالوا بصالح أعمالهم ما فوق القبول، أن ينالوا حُبَّ الله عز وجل، "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...".

وقوله ﷺ: "إذا أحبَّ الله تعالى عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه..."

فهذا ربط للعبد بربه، وتعلق قلبي بخالقه، فليس الأمر مجرد أداء للواجبات: بل إن الإسلام يحرص على أن يكون العبد محباً لربِّه، حتى يحبه الله تعالى، ثم يلقي محبته في السماء والأرض من خلال ما بينه النبي ﷺ بأن الله يأمر جبريل أن ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض.

إن الفضائل الخلقية "ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والإنسان حين ينشأ على الإيمان منذ طفولته تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية؛ لتقبُّل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كلِّ فاضل؛ حيث يبيت إيمانه بالله حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة"[١].

ويتربى المرء على المفاهيم التربوية الواضحة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين السلوك والعقيدة، فتأتي أعماله ترجمة عملية لهذا الفهم الراسخ.

"إن الذي يستطيع أن يحب هذا الحب الكبير صنف واحد من بني الإنسان؛ إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان، فالمؤمن بعقيدة الإسلام نفذ إلى سر الوجود، فأحب الله واهب الحياة ... أحبه حبَّه للجمال، فقد رأى في كونه أثر الإبداع والإحكام... وأحبه حبه للكمال ... وأحبه حبه للإحسان ... حُباً يفوق حب الإنسان لأبويه"[٢].

والمؤمن الحق "هو الذي أدرك جمال الله وجلاله، واستشعر لطفه وإحسانه... ثم تأثر بهذا الإدراك فأحبه، فأصبح قلبه مشغولاً به... يتحمل في ذلك ما يتحمل راضياً مغتبطاً، قرير العين مطمئن القلب"[٣].

ثانياً- التربية على أداء الفرائض والإكثار من النوافل:

من عظمة التربية الإسلامية أنها بينت الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى للعبد، والتي من جملتها المحافظة على الفرائض والاستكثار من النوافل.

وقد حرص النبي ﷺ على بيان ذلك من خلال الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة جل وعلا": «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افْتَرَضتُ عَلَيهِ».

"ولكي ينال العبد حب الله ورضاه فلابد من إحياء قلبه بالذكر والشكر وتلاوة القرآن، وحسن العبادة والعمل الصالح؛ فإن الإيمان يروى بذلك، فيزيد ويقوى في القلب"[٤].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٥٧.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٧، ١٤٨ بتصرف.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٨٠.

(٤) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٥١.

وقد وجه النبي ﷺ من حضر المسجد حال إقامة الصلاة أن يلتزم جماعة المسلمين فيصلي معهم، ولا ينفرد بصلاة السنَّة ... فالنافلة عبادة مطلوبة، ولكن لما تعارضت مع ما هو أهم وأولى، قدم الأولى عليها"[١].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في العبادة بأداء الفرائض، والنوافل، وبيَّن أن ذلك سبب لحبِّ الله تعالى، الذي يُكسب الإنسان قوَّة ربَّانية، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل: "مازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به...".

إن هذه القربات سبب لحب الله تعالى، وحب عباده: "إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل، فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه...".

إن طريقة الترغيب في عاقبة الطاعة وثوابها: "يخلق لدى النفس وازعاً نفسياً، يسمو بها إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق"[٢].

رابعًا- من أساليب التربية: الحوار والمناقشة وتوجيه الأسئلة:

وهذا واضحٌ في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ "قل هو الله أحد"، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبّ أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: "أخبروه أن الله تعالى يحبّه".

فالحوار في هذا الحديث كان له ثلاثة أطراف: النبي ﷺ وصحابته والصحابي إمام السرية، ومما لا شك فيه أن الحوار له دور مهم في العملية التربوية والتعليمية. فهو من الأساليب التي تقوى دور المتعلم في العملية التعليمية وتعتمد على مبدأ المشاركة بين المعلمين والمتعلمين سواء في حجرة الدراسة أو خارجها.

---

(١) انظر: فقه الموازنات الدعوية، د. معاذ البيانوني، ص٢٢٤.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص٥٩٥.

كما كان أسلوب توجيه الأسئلة واضحًا في هذا الحديث وذلك في قوله ﷺ: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ وتوجيه الأسئلة من الأساليب التي تمكن من معرفة المعلومات الجديدة وقياس ما تعلمه المتعلمون وتقويمه إن اقتضى الأمر ذلك.



٤٨- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[الأحزاب: ٥٨]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[الضحى: ٩-١٠].

وأما الأحاديث، فكثيرة مِنْهَا:

حديث أَبي هريرة رضي الله عنه في الباب قبل هَذَا: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ))[١].

ومنها حديث سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضَبْتَ رَبَّكَ))[٣].

الحديث رقم (٣٨٩)

٣٨٩- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ في ذِمَّةِ الله، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ))** رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

جندب بن عبدالله البَجَليّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

غريب الألفاظ:

ذمّة الله: ضمانه وحرمته وعهده وأمانه[٥].

---

(١) تقدم برقم (٩٥)، و (٣٨٦).

(٢) تقدم برقم (٢٦٠).

(٣) تقدم برقم (٢٦١).

(٤) برقم (٢٦٢/٦٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

يُدْرِكْهُ: يناله ويبلغه بانتقامه وقدرته[١].

يكبُّه: يُلقيه مقلوبًا[٢].

الشرح الأدبي

البداية بالموصول، وصلته التي تدل على العموم من وسائل إعطاء المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان ليوافق التوجيه كل من كانت هذه حاله، وقوله (من صلى الصبح..) الفعل الماضي يؤكد التحقق، وذكر الصبح من بين الأوقات الخمسة؛ لأنه بداية النهار، وذكر الضمير للاختصاص، وذمة الله عهده، وأمانه، والتعبير بـ (في) التي تفيد الظرفية للإشارة إلى تمكن، وإحاطة هذا العهد به من كل مكان كتمكن الظرف في المظروف، وقوله (فَلا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ) نهي عام أخذ عمومه من اتصال الفعل المنهي عنه بكاف الخطاب، وميم الجمع، والتي سبقتهما نون التوكيد زيادة في تأكيد النهي، وقد جاء لغرض التحذير، والتهديد، وكون لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه يزيد من الترهيب، والباء في قوله: (بشيء) للسببية أي بسبب شيء، وتنكير شيء للتقليل، أي مهما كان قليلاً، وقوله (فإنه)الفاء للتعليل، وإن للتوكيد، وضمير الشأن المتصل بها للتفخيم، والتعظيم لما بعده، والجملة بعده شرطية تربط، وقوع طلب الله لمن خان عهده بإدراكه، وهي تهديد، ووعيد ببطش الله بالظالم، وقوله (، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) استخدام ثم يشير إلى الفترة الفارقة بين الحياة، ويوم الحساب، والتعبير بالكب يشير إلى الأخذ بالقوة والبطش الشديد، الذي يتناسب مع طبيعة الظالم المعتدي وتخصيص الوجه بالذكر فيه إهانة، وإذلال، لهذا المتجبر؛ لأنه أشرف ما فيه، وذكر النار يستحضر مع إحراقها، ولظاها دفئها، ونورها، وإضافتها لجهنم يخلصها للإحراق والتعذيب، وهي للترهيب، والتهويل بسوء المصير -والعياذ بالله- وكثرة ألفاظ الترهيب والوعيد في الحديث لتناسب النفوس

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر ك).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ب ب).

السبعية التي تميل إلى الغضب، والقهر، وظلم الناس، لاسيما أهل الصلاح، والتقوى الذين هم في ذمة الله، فهو من مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الناس كثيراً ما يستهينون بالضعفاء والمساكين، وكذلك الصالحين، ويخشون الأقوياء والمتجبرين والفاسقين، ولهذا جعل الله الفريق الأول في ذمته، وأوجب رعايته، وحرم أذاه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: غرس قيمة الرحمة بالضعفاء:

إن الرحمة مسلك إنساني حميد، دعا إليه الإسلام، كما توجبه الفطرة السليمة، وهي من صفات الله التي يُبتدأ بها في كل أمر "بسم الله الرحمن الرحيم"، وتتحتم الرحمة أكثر بالضعفاء ومن لا حيلة لهم، فإن من أغضبهم، ولم يرأف بهم فقد أغضب الله تعالى. يقول ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: "يا أبا بكر، لئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك"، يعني اليتامى.

والرحمة "رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم، والعطف عليهم، مكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خيرٍ وسلم للناس أجمعين"[(١)].

وهذه الرحمة الدافقة الشاملة "أثر من آثار الإيمان بالله والآخرة؛ ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويُلَيِّنُ الأفئدة القاسية... ولقد غلبت هذه العقيدة، وهذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين، ووضحت آثارها في سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين"[(٢)].

وبهذه الرحمة يسود الخير والود في المجتمع الإسلامي، وينشأ الجيل على الرحمة؛ لأنه نالها من الجيل السابق عليه، وإن لم ينل الضعفاء واليتامى والمساكين الرحمة،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٣٦٥.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٢٤٥، ٢٤٦.

فإنهم سيكونون قُساةً حال تمكنهم وقوتهم، يجزون المجتمع الجزاء الوفاق على إساءته وقسوته.

إن المؤمن: "يعتقد دائماً أنه فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش في الدنيا ويفوز في الآخرة، ولكنه يُوْقن أن رحمة الله لا تُنال إلا برحمة الناس"[(١)].

ثانياً- التربية بالترغيب في أداء صلاة الصبح:

لقد بيَّن النبي ﷺ فضل صلاة الصبح بقوله: "من صلى الصبح فهو في ذمة الله"، أي: في حمايته، وتلك تربية للمسلم على أن يؤدي صلاة الصبح على وقتها، وفي ذلك ملمح عملي آخر؛ وهو اليقظة مبكراً، وفي حديث آخر يقول ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"[(٢)]، لما في الصباح من خير وعافية، وفي هذا الباب بيَّن النبي ﷺ فضلاً آخر للبكور بعد صلاة الصبح؛ وهو أن يصبح المرء في حماية الله وذمته، لا يناله مكروه، ولا يصيبه أذى.

والصلاة عموماً من أهم الركائز التي اهتم بها الإسلام؛ فهي "عمود الدين والمفتاح المؤدي إلى الجنة، وهي من أبرز العبادات في الدلالة على أن الفرد المسلم قوي الإيمان، عبادة يؤديها المسلم كل يوم، وعلى فترات من يومه، من استيقاظه إلى منامه، وهي العبادة التي يُعلن فيها المسلم ولاءه لله خمس مرات"[(٣)].

ثالثاً- التربية بالترهيب:

من المبادئ التربوية البارزة في هذا الباب الترهيب، وذلك أن النبي ﷺ حذَّر صحابته والمسلمين عامةً من مغيبة الوقوع في إيذاء أوليائه وعباده الصالحين، يقول ﷺ: "ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"، وفي الحديث الثاني يُرهب من إيذاء المصلين العابدين، الذين يصلون صلاة الصبح، فيقول: "فإنه من يطلبه من ذمته بشيء

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٢) رواه أبو داود ٢٦٠٦، والترمذي ١٢١٢، والنسائي وابن ماجة ٢٢٣٦، وابن حبان في صحيحه ٢٧٣٥. وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد عبدالرحمن العك، ص٢٠٠.

يدركه، ثم يكبُّه على وجهه في نار جهنم"؛ ذلك بأنه آذى مسلماً في حمى الله عز وجل، فحقٌّ على الله أن يعاقبه على فعلته بكبِّه على وجهه في نار جهنم.

"إن هذه السلوكيات الخاطئة التي قد يوجد في المجتمع المسلم من يفعلها ويجترئ على تكرارها، لاشك أنها تحطم المجتمع المسلم، وتفقده كل قيم الخير وفضائل الأعمال، وكان لابد من زجر شديد ووعيد مخيف، يوقظ قلب هذا المجترئ الجاني، ليكون أمام خيارين لا ثالث لهما"[(١)]: إما أن يكفّ عن إيذائه عباد الله الضعفاء واليتامى والأولياء الصالحين، وإما أن يُعرض نفسه لغضب الله، وعذابٍ في جهنم يوم القيامة.



(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٢٥٢.

٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾[التوبة: ٥].

الحديث رقم (٣٩٠)

٣٩٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ إلاَّ بحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، وفيه تنبيه على أن هذه الأوامر ليست من عنده، وإنما فرضت عليه من عند الله، وقوله: (أن أقاتل الناس) أي بقتال الناس، وقد عبر بأن المصدرية، والفعل المضارع دون المصدر الصريح، لأن المصدر حدث ليس محدد الزمن، ويفيد الدوام، وهو لا يريد الدوام، ولا يقاتل إلا لضرورة في ظروف محددة، والفعل المضارع أدل على هذا المعنى، لأنه يفيد التجدد، و(ال) في قوله: (الناس) للجنس، وفيها دلالة على عموم رسالته؛ لأنه لم يحدد طائفة معينة كاليهود، أو النصارى، أو غيرهم بل كل من تصدَّى للدعوة مأمور بقتاله، وقوله (حتى يشهدوا) لبيان الغاية، وأنه لا يقاتل الناس طلباً لجاه، أو سلطان، وإنما ليُعبِّدهم لربهم فيوحدوه، ويؤمنوا بأنه رسول الله حتى يرتب على هذا الإيمان عملهم بالشرع الذي أرسل به، وقد قدم الشهادة بالله، لأنها مدخل الدين، فإذا آمنوا به آمنوا برسوله، فإذا آمنوا برسوله عملواْ بما جاء به، وقدم إقامة الصلاة للاهتمام، وتلاها الزكاة لحاجة المسلمين يومئذ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٨).

للأموال التي تستكمل بها عدة القتال، وتستمر الدعوة، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث يقرر نقاء العقيدة، ونبل المقصد؛ لأنهم إن آمنوا أمنوا على أرواحهم، وأموالهم إلا بالحق، وقوله (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ) كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة دقيقة، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال.

فقه الحديث

١-قال النووي: (قال الخطابي: ومعنى "حسابه على الله" أي فيما يستسرون به ويخفونه دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة، قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسرّ الكفر قبل إسلامه في الظاهر. وهذا قول أكثر العلماء. وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل. ويحكي ذلك أيضًا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما. هذا كلام الخطابي. وذكر القاضي عياض معنى هذا، وزاد عليه وأوضحه فقال: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحّد. وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه. فأما غيرهم ممن لا يقرّ بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله: لا إله إلا الله، إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك جاء في الحديث الآخر "وأني رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة"[1]. هذا كلام القاضي. قلت: ولا بدّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة -هي مذكورة في الكتاب-: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به"[2] والله أعلم. قلت: [القائل النووي]: اختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق، وهو

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٣٦ من حديث ابن عمر { بلفظ "وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة".

(٢) أخرجه مسلم ٢١/٣٤.

الذي ينكر الشرع جملة، فذكروا فيه خمسة أوجه لأصحابنا، أصحها والأصوب منها قبولها مطلقًا للأحاديث الصحيحة المطلقة)[١].

٢-قال النووي: (فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه، كفاه ذلك وهو مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلّم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافًا لمن أوجب ذلك وجعله شرطًا في كونه من أهل القبلة وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به. وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين وهو خطأ ظاهر، فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل، ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ ولم يشترط معرفة بالدليل. فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحة يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من فقه الدعوة: البدء بالتوحيد.

ثالثًا: من واجبات الداعية: ترتيب الأولويات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحكم بظواهر الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء في أسلوب الإخبار ذلك في عموم الحديث حيث أخبر النبي ﷺ بما أمر به من مقاتلة الناس والجهاد في سبيل الله وسبيل دعوته حتى يدخل الناس في الإسلام وشعائره وبيان عصمة مَنْ فعل ذلك: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... الحديث)، وإنّ أسلوب الإخبار لهو البلاغ الذي أمر به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٨٤/١/١.

(٢) المرجع السابق ١٨٧/١/١.

رِسَالَتَهُۥ﴾[١]، فهذا أمر من الله لرسوله ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ[٢].

ثانيًا- من فقه الدعوة: البدء بالتوحيد:

إن التوحيد هو الأصل الذي يقوم عليه الدين، وينطلق منه الداعية في دعوته وما بني من الدين على غير أساس التوحيد فلا قيمة له ولا بقاء، لذا بدأ النبي ﷺ به، وأكد عليه في هذا الحديث في قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم...)، قال شبير العثماني: (قوله: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..." جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر، فمقتضاه أن من شهد وأقام وآتى عصم دمه، واكتفى بذكر الصلاة والزكاة في الحديث وذلك لعظمتهما والاهتمام بأمرهما، لأنهما أما العبادات البدنية والمالية)[٣].

إن التوحيد هو أعظم أصول الدين وأساسها[٤]، فإن انتفى هذا الأصل بارت الأعمال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٥]، ففي الآية شبهت الأعمال التي لا تقوم على أساس من التوحيد بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية، وذلك أن الأعمال التي لا تقوم على أساس من التوحيد لا قيمة لها وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ[٦].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

(٣) انظر: موسوعة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٥٢٢/١.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ٩٨.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٣/٦.

ومن ثمَّ كان اهتمام الرسل عليهم السلام - ومَنْ بعدهم الدعاة- بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1]، وقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا ما يدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء التوحيد، وبمنهجه ينبغي أن يحتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان ومكان[2].

ثالثًا- من واجبات الداعية: ترتيب الأولويات:

إن من أوجب الواجبات على الداعية مراعاة ترتيب الأولويات، وكما هو واضح في الحديث في بدء رسول الله ﷺ بالتوحيد الذي هو أسُّ الدين وأصله ثم بعد ذلك جاء ذكر الشعائر الدينية: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيمون الصلاة.. الحديث)، فينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك متأسيًا برسول الله ﷺ[3].

لذا ينبغي أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة، والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا كذلك، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل أو تعصف بالشجرة الرياح، وهذا ما يوضحه قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار القاسم، الرياض ص ٦ - ٨.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٠٩.

كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[١].

ولا شك أن المتتبع لدعوة المصطفى ﷺ يجد هذا الأمر جليًا واضحًا فيها فقد أمضى ثلاثة عشر سنة في مكة، وهو يدعو الناس إلى التوحيد وقوله: "لا إله إلا الله" قبل دعوتهم إلى الصلاة والزكاة والصوم والحج وبقية شرائع الإسلام الأخرى، وما ذاك إلا لأهمية هذا الأصل العظيم وهذا الركن الركين، الذي ما إن يتبث في القلوب وتتآلف عليه الصدور حتى يثمر الثمرات اليانعة الطيبة بإذن الله.

فالدعوة العقيدة الصحيحة إذ تأتي في أولويات عمل الداعية ثم الحث على العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبقية الشرائع والأخلاق الإسلامية الأخرى حسب الأهمية وما يقتضيه المقام[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

ذكر هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ: "فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام"، ففيه شرط العصمة على أساس الإيمان؛ فإن انتفى الإيمان فلا مجال لعصمة الدم، وأسلوب الشرط يحمل المتلقي على العمل بما فيه رغبة بمنطوقه، ورهبة من مفهومه. وقد ورد أسلوب الشرط في كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] وقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحكم بظواهر الأمور:

لقد أمر الله تعالى بمعاملة الناس بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤، ٢٥.

(٢) انظر: منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٣٠، ١٣١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧، ٨.

ﭐلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[١]، وجاء في الحديث: "فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى"، والمعنى أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقًا أدخله الله الجنة، وإن كان كاذبًا فهو من جملة المنافقين، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾[٢]، والمعنى: إنما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم إليه، ولست مسلطًا على إدخال الإيمان في قلوبهم قهرًا ولا مكلفًا بذلك، ثم ذكر أن مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه[٣]، فينبغي تفويض أمر بواطن الناس إليه سبحانه، لأنه الذي يتولى خبايا أسرارهم وخفايا ضمائرهم من إيمان وكفر ونفاق، وأما الرسول ﷺ فإنما أُمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم[٤].

---

(١) سورة غافر، آية: ١٩.

(٢) سورة الغاشية، الآيات: ٢١ - ٢٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٣٦/١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٢.

الحديث رقم (٣٩١)

٣٩١- وعن أبي عبدِ الله طارِق بن أشَيْم ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ قالَ لاَ إلهَ إلاَّ الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله تَعَالَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

طارق بن أَشْيَم: وهو طارق بن أَشْيَم بن مسعود الأشجعيُّ، وأشيم بفتح الهمزة وإسكان الشين المعجمة وفتح المثناة التحتية.

له صحبة ورواية[2].

الشرح الأدبي

قوله (من قال...) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى؛ لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) هي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي

---

(١) برقم (٣٧/٢٣).

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٣١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٩٠/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٣٢/٢).

والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ) تأكيد للجملة الأولى بنفي ضدها؛ لأن بينهما تضاد من جهة أن من قال كلمة التوحيد فهو على الإسلام، وهو ضد الكفر، وقوله (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ) بناء الفاعل لما لم يسم فاعله تعميم لهذه الحرمة، وفي هذا صيانة لماله، ودمه في الدنيا وصيانة لنفسه من النار في الآخرة بدخوله في الإسلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الأمور وإظهار الحقائق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التبرؤ من عبادة غير الله تعالى.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حرمة دم ومال وعرض المسلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

ورد أسلوب الشرط في هذا الحديث في قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى"، وأسلوب الشرط له أثره في شد انتباه المدعو لمضمون أسلوب الشرط، لما فيه من ربط للجزاء بالعمل، وقد تكرر أسلوب الشرط في القرآن كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الأمور وإظهار الحقائق

إن من المهام الأساسية التي يضطلع بها الداعية بيان الأمور وإظهار الحقائق. وقد ورد هذا المعنى في عموم الحديث حيث بين رسول الله ﷺ للناس طريق الخلاص

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

وعصمة الدماء والأموال في قوله ﷺ "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى" فالداعية مهمته تبيين تفاصيل وأحكام ومعاني الدين، وتنظيم حياة الأفراد ممن يتولاهم نظرًا لعلمه الواسع، وإحاطته بأمور الدين أكثر من غيره[١]. وجاء في القرآن ما يدل على أن التبيين مهمة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٢]. وذلك بشأن عيسى عليه السلام، وقال تعالى مخاطبًا نبيه الكريم محمدًا ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر، وأمر السرائر موكول إلى الله تعالى، وهذا ماورد في قوله ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله. وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى))، أي حساب سره إن أظهر ما يحقن دمه ويعصمه، وأبطن خلافه كما فعل المنافقون، فذلك إلى المطلع على السرائر وأن حكم النبي ﷺ والأئمة بعده إنما كان على الظاهر. وبهذا قد سدّت الشريعة الباب على من يريد أن يرمي أحدًا بالنفاق ظلمًا وبهتانًا، فربطت الأمر بالظاهر الذي يعصم الدم[٤]، قال ابن حجر العسقلاني: أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك[٥].

وقد عنف النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قتل الرجل بعد أن قال: لا إله إلا الله، وزجره النبي ﷺ حتى إن أسامة رضي الله عنه قال: إن الرجل قال تقية وخوفًا من القتل،

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، مفهومها وحاجة المجتمعات إليها، محمد خير رمضان يوسف، ص٢٠.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣١.

(٤) انظر: فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، ص ٢٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٢/١.

فقال له النبي ﷺ كيف تحاجّ عن لا إله إلا الله يوم القيامة؟ لقد قال له النبي ﷺ: ((... يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَال لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتعوِّذا. قَالَ، فَقَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ؟ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ))[١]. وفي رواية: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ". قال ابن حجر: (قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحثّ على التبرؤ من عبادة غير الله تعالى:

لا يصح إسلام الإنسان إلا بالتبرؤ من كل ما يعبد من دون الله تعالى، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث فقال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى" وتلك رسالة الأنبياء جميعًا، فأول ما يدعون أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده وترك عباده ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣]،[٤].

يعني أن الرسل يأمرون بأن يُعْبَد الله وتُجتنب عبادة الطاغوت، والطاغوت اسم كل معبود من دون الله[٥]، وبهذا بيّن الله للأمم على ألسن الرسل عليهم السلام، أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة غيره[٦]، وبين الله تعالى أن التبرؤ من عبادة غيره استمساك بالعروة الوثقى، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[٧]، وهداية من الله وصفة لأولي الألباب: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/١٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) عقيدة التوحيد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ٦.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ١١٤/٣.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ١٤٩/١٤/٦.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[١]. أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة[٢].

خامسًا: من أهداف الدعوة: حرمة دم ومال وعرض المسلم

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من هذا الحديث حرم دم ومال وعرض المسلم، حيث ورد الشاهد على ذلك في قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى"، فلا يهدر دمه ولا يستباح ماله بسبب من الأسباب إلا بحقه، كفعل الواجبات وترك المنهيات فإنها واجبة وقد التزمها المسلمون بإسلامهم، فإن فعلوا واجتنبوا بنية صالحة فمؤمنون، أوتقية وخوفًا حقنوا ذلك وعصموه[٣]، وبهذا قدس الإسلام حق الحياة للمسلم وحماه بالتربية والتوجيه وبالتشريع والقضاء، وبكل المؤيدات النفسية والفكرية والاجتماعية واعتبر الحياة هبة من الله لا يجوز لأحد أن يسلبها غيره[٤]. لأن حماية النفس والمال والعرض من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله تعالى، لأن الدعوة ترعى الحرمات وتجمع ولا تفرق، وتبني ولا تهدم، وتصون ولا تنتهك، وتعمل على توفير الحماية والضمانات التي تكفل للإنسان أن يعيش آمنًا على نفسه وماله وعرضه.

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/٩٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٢.

(٤) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٨٤.

الحديث رقم (٣٩٢)

٣٩٢- وعن أبي معبد المقداد بن الأسْود ﵁، قَالَ: قُلْتُ لرسول الله ﷺ: أرأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أسْلَمْتُ لِلهِ، أأقْتُلُهُ يَا رَسُول الله بَعْدَ أنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ: ((**لا تَقْتُلْهُ**)) فَقُلْتُ: يَا رَسُول الله، قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فَقَالَ: ((**لا تَقْتُلْهُ، فإنْ قَتَلْتَهُ فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي المعروف بالمقداد بن الأسود، تبناه الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه. كان من السباقين الأوائل إلى الإسلام، قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم.

هاجر الهجرتين: هجرة الحبشة وهجرة المدينة، وتزوج ابنة عم النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب.

كان من الأبطال الشجعان شهد بدرًا والمشاهد بعدها، وله في بدر الموقف الجليل والفعل الحسن: فقد كان أول من قاتل على فرس في سبيل الله. قال عبدالله بن مسعود: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدِل به [أي أحب إلي من كل شيء دنيوي كالجاه والمال والسلطان]. أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا تقول كما قال قوم موسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾[2] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه قولُه[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٩) واللفظ له، ومسلم (٩٥/١٥٥).

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

وظلّ على حبه الجهاد ومشاركته في الفتوح، قابله رجل وهو كبير في السن في مدينة حمص فقال له: قد أعذر الله إليك فقال: أبت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [١][٢].

وكان متواضعًا لا يحب الظهور والشهرة، استعمله النبي ﷺ على عمل فلما رجع سأله: كيف وجدت الإمارة؟ قال: يا رسول الله ما ظننت إلا أن الناس كلهم خَوَلٌ لي، والله لا ألي على عمل ما دمت حيًا[٣].

وكان يقول: لا أتحمل على أحد أبدًا. فكانوا يقولون: تقدم فصلٍّ، فيأبى.

وكان جوادًا كريمًا أوصى للحسن والحسين بستة وثلاثين ألفًا ولأمهات المؤمنين كل واحدة بسبعة آلاف درهم.

مات ٣٣هـ - وقيل: وهو ابن سبعين سنة- وصلّى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع[٤].

غريب الألفاظ:

لاذَ منّي بشجرة: التجأ إليها واحتمى بها[٥].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة البحوث: هي سورة التوبة "سميت بذلك لأنها تبحث عن أسرار المنافقين" الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١/٨/٤.

(٣) أخرجه الحاكم (٣٤٩/٣-٣٥٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٦١/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٩٩ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٢/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢١٣/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٤٦/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٨٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٢٩/٣).

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٧/١٢.

بمنزلتك: معصوم الدم محكوم بإسلامه [(١)].

أنك بمنزلته: مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر [(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول عصمة من دخل في الإسلام، وقد قام المعنى فيه على الحوار بين المقداد ﷺ، وبين الرسول ﷺ على إثر سؤال المقداد (أرَأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ) وهو بمعنى أخبرني فهو استفتاء للرسول ﷺ في تلك المسألة، والقيود التي بعده، والتي توالت بعد الاستفهام في سرعة دل عليها الربط بين الجمل بالفاء تحكي تفاصيل الحدث، وقوله (، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا) قوله بالسيف توكيد للفعل، وقوله فقطعها توكيد للضرب، وبيان للأثر المترتب عليه وقوله (ثم لاذ مني) استخدام ثم يشير إلى فترة تقاتلا فيها حتى تغلب عليه. وقوله (أأقْتُلُهُ يَا رَسُول الله بَعْدَ أنْ قَالَهَا؟) استعلام قصد به معرفة الحكم. وقوله: (بعد أن قالها) تتميم بلاغي أفاد التأكيد على إعلانه دخول الإسلام، وقول الرسول ﷺ ((لا تَقْتُلهُ) نهى على حقيقته، وقوله (قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ...) خبر أريد به لازم الفائدة، وهي مراجعته في الحكم، وتكرار الرسول ﷺ لنهيه توكيد للحكم، وأسلوب الشرط بعده (فإنْ قَتَلْتَهُ فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ) يربط الفعل الذي هو القتل بالجزاء، وهو التماثل في العصمة، ومعناه أنه معصوم الدم بإسلامه، والتماثل في إباحة الدم. لأنه قتل مسلماً؛ لأن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم، فإذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم، فإن قتله المسلم بعد ذلك صار دمه مباحاً بحق القصاص كالكافر بحق الدين، وليس المراد إلحاقه في الكفر، وحاصله اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ، فالأول أنه مثلك في صون الدم، والثاني أنك مثله في الهدر - كما

---

(١) رياض الصالحين ١٩٧.

(٢) رياض الصالحين ١٩٧.

...ار الخطابي- ، واستخدامه (إن) كأداة شرط توحي بندرة الحصول؛ لأن قتل المسلم لمن دخل في الإسلام أمر نادر الحدوث.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم عصمة الأنفس والأموال بنطق كلمة التوحيد، وقد سبق القول في الحديث رقم (٩٤) أنه قد اتفق الفقهاء[1] على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله فقد عصمت نفسه وماله إلا بحقه، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك فقال: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أنه إذا قال الكافر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام وهو صحيح العقل أنه مسلم، فهو محمول على حكم الظاهر دون الباطن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة دم ومال من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام.

رابعًا: من واجبات المدعو: الانقياد للشرع وترك العصبية والانتقام.

خامسًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

---

(١) انظر في ذلك: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣١/٧ وما بعدها. وتفسير ابن كثير ٥٠/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤٣/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٠/٧، وشرح منح الجليل ١٤٤/٣ وما بعدها، ونهاية المحتاج ٦٤/٨، ومغني المحتاج ٣١/٦. وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٢٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٨/٣٠ وما بعدها.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث في أسئلة أبي معبد المقداد بن الأسود وجواب الرسول ﷺ عليها: (أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا... فقال أسلمت أأقتله.. فقال: لا تقتله، فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي... فقال: لا تقتله... الحديث)، والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من بحث عن الحقيقة وتبيين لها أضف إلى ما فيه من لفت الأنظار وشد الأذهان وإثارة الانتباه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في هذا الحديث في قوله ﷺ: (لا تقتله) نهى عن قتل المحارب إذا أسلم، والنهي من الأساليب الدعوية المعتبرة في الدعوة إلى الله لما فيه من بيان المحذور للمدعوين لاجتنابه، ومن صفات الأمة خاصة العلماء والدعاة القيام بواجب النهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]. أي ولتكن منه جماعة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. والنهي أحد ركني الموعظة الحسنة والتي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]. والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة دم ومال من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام:

من الحقائق المقررة حرمة وعصمة من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام دمًا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/ ٩١.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم لابن القيم، ص ٣٤٤.

وعرضًا ومالاً وقد ورد ذلك صريحًا في الحديث: "أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: لا تقتله"، وفي ذلك دليل على أن كل من صدر عنه أمر ما يدل على الدخول في دين الإسلام من قول أو فعل حكم له لذلك بالإسلام[١]، وعصم دمه وحرم ماله، ووضح النبي ﷺ ذلك أيما توضيح في قوله: (فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال).

قال النووي: (فأحسن ما قيل فيه وأظهره ما قاله الإمام الشافعي وابن القصار المالكي وغيرهما أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله: لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله، وأنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قوله لا إله إلا الله. قال ابن القصار: يعني لولا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك)[٢].

رابعًا- من واجبات المدعو: الانقياد للشرع وترك العصبية والانتقام:

جاء هذا المعنى في إجابة النبي ﷺ للمقداد بن الأسود بالنهي عن قتل المحارب الذي صدر عنه ما يدخله الإسلام: (لا تقتله)، حتى وإن اعتدى على المسلم قبل أن يعلن الشهادة: (فقال: يا رسول الله إنه قطع يدي، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله) وذلك ابتعادًا بالمسلم عن ابتاع هوى نفسه وما تدعوه إليه من تشفٍ وانتقام[٣]. وقد أرشد الإسلام المسلمين انتهاج العفو والمسامحة منهج حياة وملازمة خلق، ما لم تنتهك حرمات الله ولقد ضرب النبي ﷺ مثلاً أعلى يحتذى به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ. وَلاَ امْرَأَةً. وَلاَ خَادِمًا. إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٤٤ - ٤٥.

نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[1]. ووصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2]. وفي ذلك بيان أن الانتقام ليس من صفات الكرام.

خامسًا- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

لقد كان شأن الصحابة رضي الله عنهم الرجوع إلى رسول الله ﷺ في أمورهم يسألونه عن الصواب والرشاد وإن ما ورد في الحديث من سؤال المقداد بن الأسود لرسول الله ﷺ يعد نموذجًا لأدب الصحابة رضي الله عنهم في الاحتكام إلى رسول الله ﷺ: (قال: قلت لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف.. الحديث)، ذلك تطبيقًا منهم لما فهموه من أمر الله تعالى لهم وبيان الرجوع إلى رسول الله ﷺ شرط الإيمان: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3]، فلا بد من الرضا بما بلغه النبي ﷺ عن الله من الدين، وما صدر عنه من سنة، وتلقي ذلك بالرضا والتسليم، وذلك لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك[4]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٢٨.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي ٥٠٢/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

فإن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب الوقوف عند حدودهما والتحاكم إليهما فهما الميزان الذي توزن به الاقوال والأفعال والأحكام فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدّ[١].

إن من أهم وسائل المعرفة سؤال أهل العلم، وعدم ترك السؤال لهم حياء أو كبرًا، وفي الحديث صورة تطبيقية لما ينبغي أن يكون عليه المدعو، وذلك في سؤال المقداد بن الأسود لرسول الله ﷺ: "أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا.. الحديث" قال أبو العباس القرطبي: (قوله: "أرأيت إن جاء رجل من الكفار فقاتلني" دليل على جواز السؤال عن أحكام النوازل قبل وقوعها، وقد روي عن بعض السلف كراهية الكلام في النوازل قبل وقوعها، وهذا إنما يحمل على ما إذا كانت تلك المسائل مما لا تقع أو تقع نادرًا، فأما ما يتكرر من ذلك ويكثر وقوعه فيجب بيان أحكامها على من كانت له أهلية بذلك إذا خيف الشغور عن المجتهدين والعلماء في الحال أو في الاستقبال، كما قد اتفق عليه أئمة المسلمين من السلف لما توقعوا ذلك فرّعوا الفروع ودونوها، وأجابوا عما سؤلوا عنه من ذلك حرصًا على إظهار الدين)[٢].

إن الجهل داء دواؤه السؤال كما صرح بذلك رسول الله ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٣]، والعي بكسر العين: الجهل، والمعنى: أن الجهل داء وشفاؤه السؤال والتعلم[٤].

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٩٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

الحديث رقم (٣٩٣)

٣٩٣- وعن أُسَامة بن زيدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بعثنا رَسُول الله ﷺ إلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَصبَّحْنَا القَوْمَ (عَلَى مِيَاهِهِمْ) [١]، ولَحقْتُ أنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ الله، فَكفَّ عَنْهُ الأَنْصَاري، وطَعَنْتُهُ برُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا (المَدِينَةَ) [٢]، بَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: ((**يَا أُسَامَة، أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ؟!**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّمَا كَانَ متعوِّذًا، فَقَالَ: ((**أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ؟!**)) فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمنَّيتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ [٣].

وفي رواية [٤]: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أقَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وقَتَلْتَهُ؟!**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: ((**أفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أقَالَهَا أمْ لا؟!**)) فمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا [٥] حَتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي أسْلَمْتُ يَوْمَئذٍ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

---

(١) لفظهما: (فهزمناهم).

(٢) (المدينة) لا توجد عندهم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١٥٩) ولفظهما سواء.

(٤) أخرجه مسلم (٩٦/١٥٨).

(٥) عند مسلم زيادة: (عليَّ).

غريب الألفاظ:

الحُرَقَةُ بضم الحاء المهملة وفتح الراء: بطن من جُهَينَةَ: القبيلة المعروفة[١].

صبَّحنا القوم: هجمنا عليهم صباحًا قبل أن يشعروا بهم[٢].

غشيناه: لحقنا به حتى تغطى بنا[٣].

متعوذًا: مُعتصمًا بها من القتل لا معتقدًا لها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث اشتمل على قصة تلاها حوار، وقد بدأ القصة بقوله (بعثنا رَسُول اللّٰه ﷺ إلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ) وهو خبر أريد الفائدة، وهي الإعلام بمضمون الخبر، وقوله (فَصَبَّحْنَا القَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ) كناية عن الإغارة عليهم، وقت الصبح وهم يسقون، وقوله: (لما غشيناه) التعبير بالغشي دلالة على الإحاطة به من كل جانب، وقوله (حتى قتلته) يشير إلى الغاية، وأنه قصد قتله لا إصابته، وقوله (بَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ) نسبة الفعل للإشارة العائدة على الحدث مجاز مرسل، والغرض منه المبالغة فيه كأنه من هوله نما إلى علم الناس بنفسه، يؤكد هذا استخدام إشارة البعيد مع قربه في الذكر تفخيماً له، وقول الرسول (أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللّٰهُ؟!) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت، فلما أقر بالفعل كرر قوله (أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللّٰهُ؟!) وهذا الاستفهام للإنكار، والتوبيخ، ومعناه ما كان ينبغي أن تفعل ذلك يدل على ذلك ما ورد في الرواية الثانية (أفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أقَالَهَا أمْ لا؟!)، وقد صعَّد هذا التوبيخ عن طريق التكرار الذي ذهب، بأسامة كل مذهب من هول ما يسمع، حتى

---

(١) رياض الصالحين ١٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٠٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٠٣.

[illegible] الصالحين ١٩٨.

قال (تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ) وهو كناية عن شدة ما لاقى من غضب رسول الله ﷺ، مع كونه حِبَّه، وهو أحرص الناس على طاعته - رضي الله عنه - والحديث تغليظ لجرم قتل من نطق بكلمة التوحيد، وإن قالها خوفاً يدل على ذلك قول أسامة رضي الله عنه للرسول ﷺ (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ متعوِّذا) كناية عن قولها نفاقاً خوفاً من القتل؛ ولذلك حصر المعنى بأسلوب القصر بإنما فقصر نطقه بالشهادة على كونه متعوذاً لا مسلماً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البكور.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: العمل بالظاهر والله يتولى السرائر.

سادسًا: من مهام الداعية: إقناع المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري:

ورد الاستفهام في قوله ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه "يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"، وأسلوب الاستفهام الإنكاري من الأساليب الدعوية الناجحة لما فيه من لفت نظر المدعو إلى ما وقع منه، ولبيان وجوب الإنكفاف عما صدر عنه[1]. وقد ورد الاستفهام الإنكاري في غير آية في القرآن الكريم كقوله تعالى موبخاً بني إسرائيل ومنكرًا عليهم سوء أفعالهم وخيانتهم للعهد والميثاق: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٦.

يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ﴾[١]، وفي سورة يس يبين الله ما سيوجه للكافرين يوم القيامة من توبيخ وتقريع لتفريطهم بالعهد الذي عهده الله إليهم فضيعوه[٢] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التكرار:

ورد التكرار في هذا لحديث في قوله ﷺ: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله ومن الشواهد على ذلك ما جاء في قول أسامة بن زيد رضي الله عنه: "فما زال يكررها"، قال أبو العباس القرطبي: (وتكرار ذلك القول: إنكار شديد وزجر وكيد وإعراض عن قبول عذر أسامة الذي أبداه بقوله: "إنما قالها خوفًا من السلاح")[٤].

إن التكرار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد للأمر وبيان لأهميته وخطورته، قال ابن حجر: إن من يريد التأكيد في أمر وإيضاح البيان فيه أن يكرره[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتضح الحوار في هذا الحديث من خلال ما دار بين الرسول ﷺ وأسامة بن زيد في شأن الرجل الذي قتله أسامة بعد ما نطق بالشهادة ظنًا من أسامة أنه قالها تعوذًا "فقال لي: يا أسامة أقتلته .... قلت يا رسول الله إنما كان متعوذًا، فقال بعد ما قال لا إله إلا الله.... الحديث"، فالحوار أسلوب دعوي هادف وهو من لون من ألوان الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ففي الحوار رد للمخطئ للصواب والمبطل إلى الحق وإيقاظ للضمائر والعقول ودعوة إلى أعمال النظر والتفكير[٦].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٩.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص٥٢.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٩٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٥٨٩.

(٦) انظر: أدب الحوار والمناظرة، المستشار الدكتور علي جريشة ص ٨٧.

والإسلام دعا للحوار لا بين المسلمين أنفسهم فقط، بل دعا للحوار بينهم وبين غيرهم من الأجناس الأخرى، وحثهم على أدب الحوار، هذا الأمر أحد العوامل المهمة في انتشار الإسلام سواء في بداية عهده بل إلى قيام الساعة [١]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية البكور:

يعد البكور من العادات الإسلامية التي حث عليها الرسول ﷺ وقد ورد في الحديث ما يدل على الالتزام بهذا الهدى النبوي وذلك في قول أسامة بن زيد رضي الله عنهما "فصبحنا القوم"، أي هجمنا عليهم صباحًا قبل أن يشعروا بنا[٣].

وقد دعا النبي ﷺ للأمة في بكورها وحثهم عليه؛ فروى عن صخر الغامدي عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثها من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله"[٤]، أي: صار ذا ثروة، أي: مال كثير[٥].

إن ساعات الصباح والبكور من أعظم الساعات المباركات التي رغب النبي ﷺ في اغتنامها ودعا بالبركة لمن استثمرها، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل، فتطيب أنفسنا وتنشط طوال نهارنا خلافًا لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ نشاط يومه بصلاة الفجر ومن فاتته ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثة عقد، فإذا

---

(١) الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٠٣.

(٤) أخرجه أبو داود، ٢٦٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١١٨.

هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية فإذا هو صلى انحلت عقدة ثالثة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان))[١]، فالفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج والثاني نتيجته كسل وفشل[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العمل بالظاهر والله يتولى السرائر:

إن من القواعد العامة في الإسلام أن الناس إنما يعاملون على ظواهرهم فأحكام الشريعة متعلقة بالظاهر[٣]، وجاء في الحديث ما يقرر ذلك من خلال إنكار الرسول ﷺ على أسامة "فقال لي يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قلت: يارسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا... الحديث"، قال القرطبي: (وفي ذلك دليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة الجلية دون الباطنة الخفية)[٤]، وقال ابن حجر: أمور الناس محمولة على الظاهر فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك[٥]، فنحن متعبدون بالأخذ بالظاهر والحكم على الظاهر وإقامة الحدود على الظاهر، ويعذرنا الله بذلك، ولم يكلفنا ما لا نستطيع من الاطلاع على بواطن الأمور[٦].

سادسًا: من مهام الداعية: إقناع المدعوين:

نرى ذلك بجلاء في حُجَّة أسامة بن زيد في قتله المحارب الذي تلفظ بالشهادة، ظانًا أنه قالها خوفًا من السلاح فقال "إنما كان متعوذًا" وفي رواية "إنما قالها خوفًا من

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦.

(٢) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٦/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٢/١.

(٦) فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، ص ٢٠١

السلاح"، فقال رسول الله ﷺ مقنعًا له أن ذلك الحكم ليس بمقدوره؛ قائلاً "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ ولذا ينبغي على الداعية أن يُولي الإقناع ومخاطبة العقل عناية خاصة لما في ذلك من أثر في توجيه الآراء والسلوكيات للمدعوين، فلابد أن يخاطب عقولهم، ويقدم لهم من الحجج والبراهين ما تقتنع به عقولهم ويسلم به تفكيرهم ويذعنوا عن علم ويستجيبوا عن بينة[1].

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بن أحمد بادحدح، ص ٣٧، ٣٨.

الحديث رقم (٣٩٤)

٣٩٤- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ المُسْلِمينَ إلَى قَومٍ مِنَ المُشرِكينَ، وَأنَّهُمْ التَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْركينَ إِذَا شَاءَ أنْ يَقْصِدَ إِلَى رجُل مِنَ المُسلِمينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأنَّ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ. وَكُنَّا نتحدَّثُ[1] أنَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيهِ السَّيفَ، قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فقتَلَهُ، فَجَاءَ البَشيرُ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَسَألَهُ وَأخبَرَهُ، حَتَّى أخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدعَاهُ فَسَألَهُ، فَقَالَ: ((لِمَ قَتَلْتَه؟)) فَقَالَ: يَا رَسُول اللهِ، أوْجَعَ فِي المُسلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلانًا وفلانًا، وسمى لَهُ نَفرًا، وَإنِّي حَمَلْتُ عَلَيهِ، فَلَمَّا رَأى السَّيفَ، قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ. قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: ((أقَتَلْتَهُ؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَكَيفَ تَصنَعُ بلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟)) قَالَ: يَا رَسُول الله، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: ((وكَيفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلاَّ الله إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟)) فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُ عَلَى أنْ يَقُولَ: ((كَيفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلاَّ الله إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جندب بن عبدالله البَجَليّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

غريب الألفاظ:

بعثًا: جيشًا[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع سابقه في كثير من معناه، ويختلف في كثير من مبناه، وقوله (لم قتلته) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت وقوله (أوْجَعَ فِي المُسلِمِينَ) كناية عن الإصابات، والجراح التي أحدثها فيهم، وقول الرسول ﷺ لأسامة رضي الله عنه (أقَتَلْتَهُ؟)

---

(١) لفظ مسلم: (نحدِّث).

(٢) برقم (١٦٠/٩٧).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ع ث).

استفهام إنكاري توبيخي، وقوله (فَكَيفَ تَصْنَعُ بلاَ إلهَ إلاَّ اللّهُ، إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟) استفهام صعَّد التوبيخ، وصار إلى التهويل والتي أكدها ذكر الظرف (يوم)، وإضافته للقيامة؛ لأنه يوحي بالهول، والشدة، والخوف، ونسبة المجيء لكلمة التوحيد يوحي بالرهبة، لأنه يصوِّر القصد، والتوجه، وكأنها تسعى إليه، وتقصده، وهو تركيب يوحي بالرهبة، والخوف الذي يسيطر علي القلوب لاسيما إذا صدرت من رسول لا يكذب، وقد وجهها لمن يحب، ثم جاء التكرار لهذه العبارة ليبلغ بالرهبة ذروتها في قلب أسامة ﷺ، وبناء عبارة الرسول ﷺ على هذا النحو في خطابه لحبه يدل على تعظيم حرمة دم من نطق بالشهادة مهما كان ما في قلبه.

المضامين الدعوية

من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

خامسًا: من مهام الداعي: توجيه المدعوين وبيان الأحكام.

سادسًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس البشرية.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: طلب الصحابة من رسول الله ﷺ الاستغفار إذا وقع خطأ من أحدهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك في سؤال النبي ﷺ للبشير "فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ فسأله وأخبره" وفي سؤاله لأسامة بن زيد "فدعاه فسأله، فقال: لم قتلته؟" والسؤال والجواب من أكثر أساليب الدعوة تأثيرًا لما فيه من لفت الأنظار وإثارة الانتباه، وهو شكل من أشكال الاتصال الشخصي[1] وهو من أقوى الأساليب لعرض الدعوة وتبليغها.

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ص ٦٠٧.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري:

جاء هذا الأسلوب في سؤال النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه مستنكرًا عليه قتله المحارب بعد تلفظه بالشهادة "أقتلته؟ قال نعم. قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فأنكر عليه امتناعه عن العمل بما ظهر باللسان[١] وأسلوب الاستفهام الإنكاري له بالغ التأثير في نفس المدعو لما فيه من تصحيح الأخطاء وبيان وجوب الإنكفاف عما يستنكره الداعي[٢]. وقد استخدمه القرآن في كثير من الآيات، ومن ذلك ما ورد في سورة الأعراف موبخًا بني إسرائيل ومنكرًا عليهم سوء أفعالهم وخيانتهم للعهد والميثاق[٣]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾[٤].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

يستنبط ذلك في الحديث من قوله "فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ أي المبشر[٥] والتبشير من أفضل الأساليب الدعوية التي لها أكبر الأثر في نفس المدعوين، وهي من أسس الرسالة النبوية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٦] أي مبشرًا لمن آمن بالجنة ونذيرًا لمن كذب بالنار[٧] والمدعو أشد تقبلاً لأسلوب البشارة لما يجلب التبشير من طمأنينة وسكون النفس ورفع للروح المعنوية وسبب لانشراح الصدر وسعادة القلب واستقرار النفس وراحة البال[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٥٧.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٦.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص ٥٢، ٥٣.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٦١٨.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٧) معالم التنزيل، البغوي، ٦/٣٦١.

(٨) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٣/٨١١.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

ويظهر ذلك الأسلوب فيما دار بين الرسول ﷺ وأسامة بن زيد من حوار وسؤال وجواب في أمر المحارب الذي تلفظ بالشهادة فقتله أسامة، والحوار أسلوب خير للوصول إلى الحق والإقناع به ولو اتبع الدعاة وغيرهم من المفكرين الحوار أسلوبًا لوصلوا إلى أفضل ما يَصْبُون إليه، فإن الفكر يعالج بالفكر والحجة تقرعها الحجة[(١)].

ويعد أسلوب الحوار من أفضل الأساليب المناسبة للعصر التي يحسن بالداعية استخدامها[(٢)]. والقرآن مليء بصور الحوار، ومناقشة ودحض الشبه التي قد تحول بين الناس والدخول في الإسلام. كما أن الحوار أسلوب دعوي تعليمي ذو تأثير كبير، والحوار من أجل التعليم والإقناع، وقد ورد في القرآن في مواضع كثيرة منها حوار موسى عليه السلام مع الخضر[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[(٤)] إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[(٥)].

خامسًا- من مهام الداعي: توجيه المدعوين وبيان الأحكام:

إن في بيان الرسول ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما في الحديث أن الإنسان ما دام قد نطق بالشهادة فلا ينبغي التعرض له، بيان لما ينبغي أن يضطلع به الدعاة من بيان للأحكام وإرشاد وتوجيه للمدعوين وفي ذلك اقتداء برسول الله ﷺ في عنايته بالبلاغ وقيامه به على أتم وجه وأكمله[(٦)] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا

---

(١) أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة، ص ١٤٧.

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد الخياط ص ١٦٧.

(٣) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغماسي، ص ٤٠.

(٤) سورة الكهف، آية: ٦٠.

(٥) سورة الكهف، آية: ٨٢.

(٦) نصوص الدعوة في القرآن الكريم، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٤٧.

تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[١] وسيد الناس في هذاالمقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله ﷺ، ثم ورث ذلك عنه أمته من بعده، فبنورهم يقتدى وعلى منهجهم يسلك الموفقون[٢].

سادسًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس البشرية:

يبدو ذلك واضحًا في استنكار رسول الله ﷺ لما فعله أسامة بن زيد رضي الله عنهما من قتله المحارب بعد تلفظه بالشهادة "أقتلته؟ قال نعم قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة" أي بماذا تحتج إذا قيل لك: كيف قتلت من قال لا إله إلا الله وقد حصلت لدمه حرمة الإسلام[٣]. ومن أجل الحفاظ على دم المسلم عَظَّم الله عقوبة من يعتدي عليه فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤] فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم بما فيها من العذاب العظيم والخزي المهين وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح وحصول الخيبة والخسارة[٥]. وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لوْ أَنَّ أهلَ السَّماءِ والأرضِ اشترَكوا في دمِ مُؤمنٍ لأَكبَّهُمُ اللَّهُ في النَّارِ))[٦] ويؤخذ مما سبق أن قتل النفس التي حرم الله بغير حق أكبر

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٢٣/٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٧/١.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٧.

(٦) أخرجه الترمذي ١٣٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١١٢٨).

الكبائر بعد الإشراك بالله[١]، ويتبين مدى عصمة الإسلام لدم الإنسان.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: طلب الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ الاستغفار إذا وقع خطأ من أحدهم:

في الحديث مثال تطبيقي لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، إذا وقع من أحدهم خطأ يطلب من رسول الله ﷺ الاستغفار له قال -أي أسامة- يا رسول الله استغفر لي- وقد ندب القرآن العصاة إلى طلب الاستغفار من رسول الله ﷺ؟ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢] قال ابن كثير: (في الآية يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٣])[٤]. وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته، لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول ﷺ لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء[٥].

وذم القرآن أقوامًا دُعُوا إلى رسول الله ليستغفر لهم فأبوا وأعرضوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٦] أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك واحتقارًا لما قيل لهم[٧] فاستحقوا لعائن الله عز وجل.

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، محي الدين ابن النحاس. دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٧/٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٩.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٦/٨.

الحديث رقم (٣٩٥)

٣٩٥- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قَالَ: سَمِعْتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقولُ: إنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وإنَّمَا نَأخُذُكُمُ الآن بما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعمَالِكُمْ، فَمَنْ أظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا[1] مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإنْ قَالَ: إنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

يؤخذون بالوحي ينزل على النبي ﷺ يخبره بأحوال الناس المؤمن منهم وغير ذلك.

سريرته: ما يكتمه[3].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يقرر الأخذ في الأحكام على الناس بالظاهر، وترك الباطن لعلم الله؛ لأنه لا يعلمه إلا هو، وقد جاء في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وتفخيماً للمعنى، وقوله (كانوا) عودة بهم إلى زمن التشريع، والتعبير بالعهد إشارة إلى تلك الرابط التي تربطهم بالنبي ﷺ وهي شريعته بين الكتاب، والسنة، وأسلوب القصر في قوله (وإنَّمَا نَأخُذُكُمُ الآن بما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعمَالِكُمْ) يقصر الحكم عليهم بما بدا منهم دون ما خفي، والتعبير بالأخذ كناية عن تطبيق الأحكام عليهم بما فعلوا، وأسلوب الشرط في قوله (فَمَنْ أظْهَرَ لَنَا خَيْراً أمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ) يؤكد

---

(١) لفظ البخاري: (إلينا).

(٢) برقم (٢٦٤١).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (س ر ر).

الأخذ بالظاهر، وما يترتب عليه، وقد قابل بين جملة الشرط الأولى، وبين الثانية فقد قابل بين ظهور الخير، وبين ظهور السوء، كما قابل بين التأمين، والتقريب، وبين التخويف، والتكذيب، وهذه المقابلة تؤكد عزمه على ذلك، وتفصِّل عاقبته، وقوله (اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص أي حسابه على ما في قلبه على الله لا علينا، وهذه الجملة توكيد معنوي للتي قبلها، ولذلك فصلت عنها؛ لأنه لا يعطف الشيء على نفسه لاقتضاء العطف للمغايرة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى قاعدة مهمة في الفقه الإسلام، وهي الأخذ بالظاهر دون الباطن، فمدار الأحكام في التشريع الإسلامي على ظواهر الأمور دون بواطنها، فالقاضي مثلاً مأمور بالحكم بالظاهر دون الباطن.

وقد سبق القول في الحديث رقم (٢١٩) أن الفقهاء اتفقوا[١] على أن القاضي يحكم بما يراه من ظاهر الأمور والأدلة ويجتهد في ذلك بما يستطيع من وسع، ولا يكون مقيداً له إلا الأدلة الواضحة فالبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وكذا في كل أمر يؤخذ بالظاهر دون الباطن لأنه هو الذي في مقدورنا دون بواطن الأمور.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ١٩٠/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥/٧ وما بعدها، ومواهب الجليل للحطاب، المواق ١٢٤/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٢٠/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٠٦/٤، وتحفة المحتاج، ابن حجر ١٣٩/١٠، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥١٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٤/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوحي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: معيار العدالة والأمانة في الإسلام.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان ولاة الأمور لمنهجهم في سياسة الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد التوكيد في هذا الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم"، وأسلوب التوكيد له تأثير جيد في قبول المدعو للدعوة لما يوقعه في قلب المدعو من أهمية الأمر.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

لقد استخدم عمر رضي الله عنه الشرط لبيان أهميته في المعاملة والأمان والقرب لمن أظهر الخير، وعدم الأمان وعدم التصديق لمن أظهر السوء والقرب لمن أظهر الخير وعدمه إن أظهر السوء، فقال:فمن أظهر لنا خيرًا أمَّناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال : إن سريرته حسنة"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية المفيدة وقد استخدم أسلوب الشرط كثيرًا في آيات القرآن ونصوص السنة النبوية من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوحي:

لقد صرح عمر رضي الله عنه بذكره في قوله: "إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يطلق في اللغة على الرسالة، والإلهام، والكلام الخفي[2]،

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣-١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٩٣٦.

وقد كمَّل الله لرسول الله ﷺ من مراتب الوحي مراتب عديدة منها "الرؤيا الصالحة، وما كان يلقيه الملك في رُوْعه وقلبه من غير أن يراه، أو متمثلاً له في صورة رجل، أو في صورته التي خلق عليها، أو كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكذلك ما أوحاه الله وهو فوق سبع سماوات، وكلام الله منه إليه بلا واسطة ملك"[1].

فلقد أوضح النبي ﷺ صور إتيان الوحى ونزوله عليه ومنها قوله ﷺ: ((أَحْيانًا يَأتِيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهُوَ أَشَدُّه عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ، وأحْيانًا يَتَمثَّلُ ليَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي فأعِي ما يَقولُ))[2]. واستغرق نزول الوحي ثلاثة وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر عامًا بمكة المكرمة، وهذا هو المشهور وعشر سنين في المدينة وهو المتفق عليه[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: معيار العدالة والأمانة في الإسلام:

لقد وضع عمر رضي الله عنه معيارً للعدالة التي يعامل على أساسها الناس في قوله : "من أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه"، أى صيرناه عندنا أمينًا عدلاً، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"، قال المهلب: هذا إخبار عمر عما كان الناس عليه في عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده، ويؤخذ منه أن العَدْل مَنْ لم توجد منه الريبة[4]، وأن الوحي كان يكشف المنافقين حماية للإسلام أما بعد عصر النبوة فخفيت الأمور، واحتاج الأمر إلى الاجتهاد والاحتياط في مراقبة من يُشك، وبيان أن الاعتبار بالظاهر غالبًا يكشف خبيئة صاحبة[5]. لأننا نحن لا نكلف إلا بالظاهر، وهذا من نعمة الله علينا ألا نحكم إلا بالظاهر، لأن الحكم على الباطن من الأمور

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ١/١٢٨-١٢٩، وزاد المعاد، ابن القيم الجوزي. ١/٧٨-٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٢.

(٣) عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير، محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد الخطراوي ومحي الدين نتو، المدينة المنورة، دار ابن كثير، بيروت: ١٤١٣هـ، ١/٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٧٦.

الشاقة، والله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فالنية موكولة إلى رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى"[(١)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان ولاة الأمور لمنهجهم في سياسة الأمور:

يستنبط ذلك من قول عمر رضي الله عنه وبيانه للعدالة التي يؤخذ بها ويحاسب عليها "وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"، فالإمام مأمور بحفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فلابد أن يبين للناس منهجه، ويبين لهم الحجة ويوضح لهم الصواب حتى إذا زاغ منهم إنسان بعد ذلك أخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسًا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل"[(٢)].

إن من يتصفح التاريخ الإسلامي خاصة جانب الحكم فيه ليجد أن كل من كان يلي أمر المسلمين كان يبين لهم المنهج المرتضى والذي يوافقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سواء أكان هذا البيان لسواد الناس كما في الحديث وبيان عمر للمسلمين معيار الأمانة والعدالة بأنه إظهار الخير "فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته..." أم كان هذا البيان لأصحاب الولايات الخاصة كالإمارة والقضاء وما شابهها، ومن ذلك ما جاء في بيان عمر بن الخطاب لأسس القضاء والفصل بين الناس في كتابه لأبي موسى الأشعري حينما بعثه قاضيًا إلى البصرة فكتب إليه أما بعد فإن القضاء فريضة محتكمة وسنّةٌ متبعة الفهم إذا أُدلي إليك، فإنه لا ينفع حقٌّ لا يقاد له، ساوِ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع قوي في حيفك، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك، البينة على المدَّعي واليمين على من أنكر، والصلح بين الناس جائز إلا صلح حرم حلالاً وأحل حرامًا، ولا يمنعك قضاءٌ

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٤٧/١.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص ٢٧.

قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم والرجوع إليه خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما ليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله واعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور برأيك واعمد إلى أقربها إلى الله سبحانه وأشبهها بالحق، واجعل لمن يطلب حقًا غائبًا أو شاهدًا أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذ له بحقه، وإن عجز عنها وجهت للقضاء، فإنه أجلى للعمى وأبلغ في العذر والناس كلهم عدولٌ بعضهم على بعض إلا محدود في قذف أو مجرى عليه شهادة الزور، فإن الله تولَّى السرائر ودرأ عنكم الشبهات[1].

---

(١) معالم القربة في معالم الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بان الأخوة ص ٢٠٣، ٢٠٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على أن لا يجعل من كل مسلم مفسراً أو شارحاً لما في قلوب الآخرين. ويحرم ويجرم أن يكفر المُسلم المسلمَ أخذاً بظواهر النصوص أو السلوك. إن ظاهر الناس كان للحكم عليهم وسرائرهم مردها إلى الله. والمتأولون في الإسلام لا تصدر الأحكام بحقهم على وجه السرعة، ولا يقتلون على ما هم عليه ابتداء، بل لا بد من إجراء المناظرات وعقد اللقاءات لتصحيح المفاهيم.

إن رسول الله ﷺ كان يكتفي بكلمة واحدة، تحقن دم صاحبها وتصون ماله، إنها كلمة التوحيد، ولم يثبت أنه عليه السلام كان يحمل قائلها على القسم أو يكلف من يتعقبه في السلوك، بل يكتفي بمجرد السماع، وقد نهى عليه السلام عن قتل كل من يقولها، وإن ارتكب محظوراً لا يوجب قتلا. كما أنكر عليه السلام قتل قائل هذه الشهادة وعاب على من قتله في ميدان القتال، وحذره من المساءلة أمام الله عن حق هذه الشهادة وسأله ماذا يقول عن علة القتل وهل شق صدره ليتأكد قالها متعوذاً أم راضياً. ومن مضامين التربية نذكر:

أولاً- التربية الإيمانية:

لمَا كان الإيمان بالله تعالى أساساً للعقيدة الإسلامية، فقد جعل النبي ﷺ قول «لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» هدفاً أولياً للجهاد في سبيل الله، حيث قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله....»، ثم تأتي بعد ذلك الصلاة والزكاة، تلك هي أساسيات الإيمان بالله، ولا يكون عمل إلا إذا سبقه إيمان واعتقاد.

فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان؛ فإنها تربية عشوائية غير صحيحة[1]؛ لأنها معدومة الهدف، ليس لها غاية ثابتة.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي ص٦٩، ٧٠.

يقول ابن القيم: "فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن، ودفعت عنه كثيراً من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة، ضعف حملها للبدن، وكانت الآفات إليها أسرع شيء، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان[1].

إن لكلمة التوحيد مكانة كبيرة في الإسلام، فهي نقطة التحول التي يصير بها الكافر مسلماً، له حقوق المسلمين، وعليه ما عليهم، ولهذا فقد عاتب النبي ﷺ أسامة ولامه، فقال: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

ثانياً- التربية على الأخذ بالظاهر وإسناد السرائر إلى الله تعالى:

وهذا المبدأ معاضد للمبدأ السابق، فإذا جاهد المسلمون الكفار من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فإن المسلمين غير مكلفين بالتفتيش عن قلوب الناس؛ إنما يكفيهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإن «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى».

وعندما تعلل أسامة بن زيد بقتله للرجل الذي قال: لا إله إلا الله بأنه: «إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ»، قال له النبي ﷺ: «أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ: أقالها أم لا».

فذلك منهج في التيسير على الناس، وعدم المشقة عليهم، فيكفي المسلم لعصمة دمه وماله أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤدي الفرائض الأساسية في الإسلام.

ثالثاً- التربية بالتحذير:

لقد حذر النبي ﷺ المقداد بن الأسود من قتل الكافر الذي قطع إحدى يديه، ثم لاذ بشجرة، وقال: أسلمت لله، حذَّره أن يقتله، وقال له: «لا تقتله؛ فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»، أي: وإنك تصير مباح الدم لورثته، ويصير هو معصوم الدم محرمه؛ فكيف يجترئ المقداد على قتل من

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ص١٧٥.

أسلم حال القتال، وقد لقي من النبي ﷺ هذا التحذير الشديد؟

تلك تربية النبي ﷺ لأصحابه، ليس فقط بمعاقبتهم بعد أن يقعوا في المحظور، بل إن رفقه بهم، ورحمته لهم، جعلته حريصاً على أن يعرفهم عاقبة ما يقعون فيه وعقوبته، ويحذرهم من إتيانه قبل أن يأتوه؛ حتى لا تكون لهم حجة إذا اقترفوا ما حذروا منه من قبل؛ فواجب المربي أن يحذر من الخطأ، وواجب المربيِّ أن يحذره ولا يقع فيه.

ولقد ورد التحذير على لسان النبي ﷺ: كأسلوب تربوي وتوجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع"[1].

خامسًا- تنوع الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ-أسلوب الإلقاء، كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ..." الحديث. وحديث طارق بن أشيم رضي الله عنه مرفوعًا: "من قال لا إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودومه وحسابه على الله تعالى".

وأسلوب الإلقاء يكون من خلال العرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ولكن هذا الأسلوب يمكن للمعلم استخدامه مع المراحل العليا من المتعلمين كالمرحلة الثانوية، ويمكن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ب-أسلوب الحوار والمناقشة كما هو في الأحاديث الأخيرة من الباب، وهذا الأسلوب ينمي معلومات المتعلمين ويحثهم على البحث والاطلاع ويعودهم على التعبير عن رأيهم، ويكسبهم مهارة المناقشة، كما أن استخدام الأسئلة والأجوبة في عملية التعليم والتعلم يجذب ويشد انتباه المتعلمين نحو الدرس ويشعرهم بأثر مساهمتهم في سيره.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٤٩.

ج-توجيه الأسئلة: كما في قول النبي ﷺ لأسامة رضي الله عنه: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ وقوله: "لم قتلته؟" و"أقتلته؟". وتوجيه الأسئلة يفيد في معرفة استيعاب المتعلمين لعناصر الدرس وتقويم أفكارهم إن لزم الأمر ذلك.

د-التكرار: كما في قول النبي ﷺ: "أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله" فما زال يكررها تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. والتكرار أسلوب تربوي ينبه المتعلمين إلى أهمية الأمر وخطورته.

سادسًا- التربية على المحاسبة:

وذلك واضح من سؤال النبي ﷺ لأسامة لما بلغه قتله الرجل في الحرب، ولم يكن سؤال لمجرد السؤال وإنما كان محاسبة له على فعله بدليل قول أسامة فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. قال أسامة: لما بيّن سبب فعله وقتله الرجل: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح. قال له النبي ﷺ: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ.

ومن الملاحظ أن الرجل كان قد أعمل السيف في المسلمين فلما أحس بالقتل قال: لا إله إلا الله معلنًا إسلامه، فقتله أسامة متأولاً إنما قال ذلك خوفًا من القتل، لكن النبي ﷺ حاسبه على ذلك حسابًا شديدًا بلغ من شدته أن أسامة تمنى أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم حتى لا يكون قد ارتكب هذا الفعل الذي أغضب الرسول ﷺ. وفي ذلك إرشاد للمربين ولولاة الأمر وكل من له صلة بأن تكون هناك محاسبة على ما يفعله الإنسان وخاصة تلك التي تتعلق بدماء الناس وأموالهم وأعراضهم ولا يتركون المعتدين يمرون هكذا بدون عقاب.

وأنه من المحزن أن تجد بعض الحكومات تسعى جاهدة إلى عدم مثول جنودها وقت الحرب أمام المحاكم الدولية والجنائية، بحجة أنهم في حالة حرب، فيرتكب هؤلاء الجنود من الفظائع ما تشيب لهوله الولدان، وليس هذا فحسب بل يتقلدون أعلى الأوسمة وأعلى القلادات من قادة دولهم!



٥٠- باب الخوف

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[هود: ١٠٢-١٠٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: ١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٥-٢٨].

وَالآيات في الباب كثيرة جدًا معلومات والغرض الإشارة إلَى بعضها وقد حصل:

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا فنذكر مِنْهَا طرفًا وبالله التوفيق:

الحديث رقم (٣٩٦)

٣٩٦-عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: حدثنا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصادق المصدوق: **((إنَّ أحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربعِينَ يومًا نُطْفَةً[1]، ثُمَّ يَكُونُ[2] عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بأرْبَعِ كَلِمَاتٍ:**

---

(١) (نطفة) لا توجد عندهما، وهي عند الشاشي في مسنده (٦٨٢).

(٢) عند مسلم زيادة: (في ذلك) في الموضعين.

بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لا إِلهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فيعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

النُطفة: ماء الرجل[٢].

عَلَقةً: قطعة دم[٣].

مُضغةً: قطعة لحم[٤].

ذراع: والذراع من الإنسان يعني من طرف المرفق إلى طرف الإصبع[٥]، ومقصوده في الحديث: التمثيل بقرب حاله من الموت[٦].

فيسبقُ عليه الكتاب: يسبق المكتوب واقعًا عليه[٧].

الشرح الأدبي

الحديث فيه جانب من الإعجاز العلمي المؤكد للنبوة؛ لأنه تناول جانباً من الغيب المجهول آنذاك مما لا يجرؤ عاقل أن يتكلم فيه من نفسه مما يدل على أنه من عند

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم واللفظ له (٢٦٤٣/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ط ف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل ق).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ض غ).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٦/١١.

(٧) المرجع السابق ٤٩٦/١١.

الله، والحديث بأسلوب خبري يناسب طبيعة المعنى الذي يقرر حقائق غيبية لا علم للمخاطبين بها، وإذا كان ذلك كذلك، فعنصر التشويق موجود، ومن ناحية أخرى فإن كونها غيباً غريباً عن معارفهم يستلزم توكيدها، وتمهيد النفوس لها فأكدها بأكثر من مؤكد وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، ثم إنه يعطي مساحة لنسبة فعل الجمع للخلق الذي هو آية الإعجاز مما يلفت النظر، ويلقي الضوء على وجه الإعجاز، ومظهر القدرة الإلهية في هذا التكوين الذي يغفل عن تدبره الإنسان، وهذا التدرج في هذه المراحل حتى يولد، وهو سر ذكر مراحل التكوين، كما أن بناء فعل الإرسال، والنفخ لما لم يسم فاعله يعطي العقل فرصة ليذهب في تصوره كل مذهب، وقوله (وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) أسلوب تشويق بذكر العدد المبهم، وهو لون من ألوان الإيضاح بعد الإبهام التي تحقق مع التشويق، والترقب تأكيداً للمعنى، وقد عطف بين هذه الأربع ب(ثم) لطول المدة بين كل مرحلة، والتي تليها، وقسم الرسول ﷺ (فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ) بهذه الصيغة مع ما تلاه من مؤكدات يرتقي بهم قمة الترقب، كما يرفع الإحساس بعظم ما يتلوه، وخطره ؛لأن المعنى الذي يتلوه معنى ترتجف منه أبدان المؤمنين، وتوجل منه قلوبهم، وهو قوله (إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا) وقوله :(حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ) كناية عن شدة القرب، وميزة الكناية أنها تجسِّد المسافة، وقوله (فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ) كناية عن نفاذ ما قدَّر الله، والتعبير بسبق الكتاب توكيد لتحقق ما قدر الله على خلاف ما يبدو من ظاهر العمل، وهذا المعنى إذا ما انصبغت به نفس المؤمن ربطه بربه بخيط الرجاء، والخوف، ونزع من نفسه الاتكال على عمله، وعلَّقه كلياً بربه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-المدة التي يستبين فيها شيء من الخلقة: لا يكون التخليق إلا في الأربعين الثالثة، فأقل ما يتبين فيه خلق الولد واحد وثمانون يومًا[١].

٢-الحمل الذي تنقضي به العدة: ذهب الجمهور إلى أن الحمل الذي تنقضي به العدة هو ما يتبين فيه شيء من خلق الإنسان ولو كان ميتًا أو مضغة تصورت ولو صورة خفية تثبت بشهادة الثقات من القوابل.

أما إذا لم تتصور، وشهد الثقات من القوابل أنها مبدأ خلق آدمي لو بقيت لتصورت، فقد اختلف الفقهاء في ذلك:

فذهب الشافعية في المذهب والحنابلة في رواية إلى انقضاء العدة بها لحصول براءة الرحم به، بينما ذهب الحنفية والشافعية في قول والحنابلة في رواية إلى عدم انقضاء العدة في هذه الحالة.

أما إذا ألقت المرأة نطفة أو علقة أو دمًا أو وضعت مضغة لا صورة فيها فلا تنقضي بها العدة عند الجمهور، وتوسع في ذلك المالكية فذهبوا إلى أن العدة تنقضي بانفصال الحمل كله مضغة كان أو علقة أو دمًا مجتمعًا[٢].

---

(١) الشرح الكبير ٨٩/٩، ومغني المحتاج ٣٨٤/٣، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٥٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٧/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٣٠/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٩/١، والمدونة ٣٩٩/٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٦٨/٤، ومغني المحتاج ٣٨٨/٣، والمجموع شرح المهذب، النووي ٥٤٩/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٨٢/٨ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٤/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الإيمان بقضاء الله وقدره.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: العبرة بالخواتيم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: التفكر في خلق الله للإنسان.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

وُجِدَ ذلك في الحديث بتأكيد كلامه ﷺ عند سياقه بكثير من المؤكدات، والقسم وغيرهما فقال ﷺ "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه.... الحديث" وإن تأكيد الكلام له تأثير في إيقاعه في قلب المدعو، إن كان مترددًا زال عنه الشك والتردد، وإن كان مصدقًا ازداد إيمانًا ويقينًا، وقد أفاد التوكيد في هذا الحديث بيان مراحل خلق الإنسان في بطن أمه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: القسم:

جاء القسم في قوله ﷺ "فو الذي لا إله غيره" وأسلوب القسم من الأساليب التي لها تأثير على المدعوين لماله من أثر في تأكيد الأخبار أو تعظيم لشيء أو شد الانتباه حول أمر معين، ويؤدي القسم دوره في صنع التأثير النفسي، والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبهما معًا، الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها[1].

وقد أفاد القسم في هذا الحديث بيان أهمية الاستقامة على الطاعة ولزوم تقوى الله والحذر من المعاصي، والطمع في رحمة الله تعالى وعفوه وإحسانه، وقد استخدم القرآن الكريم القسم في تقرير وتأكيد كثير من القضايا الأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3].

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٣- ١٦٤

(٢) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٣) سورة التغابن، آية: ٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في السنة النبوية:

من دلائل نبوته ﷺ صدقه المطلق وبعده عن الهوى؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[١]، وتصديق الواقع والعلم ومطابقتهما لكل ما صدر عنه ﷺ، وذلك من دلائل الإعجاز التي تحدو بالناس إلى خالقها وتعرفهم على بارئها وسيظل هذا الإعجاز قائمًا ومستمرًا إلى يوم الدين مهما تقدم العلم الوضعي وسيظل العلماء والمفكرون يكتشفون في كل زمان ومكان جوانب متعددة مضيئة من معجزات الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

وفي ذلك الدلالة على أن الإنسان على مر الزمن ومستقبلاً سيرى الكثير من آيات الله الممثلة من أقطار السماوات والأرض، كما سيعلم الإنسان أسرارًا من قدرة الله في خلق الإنسان دالة على قدرات الله وعلى عجائب خلقه وبدائع حكمته في خلقه[٤].

ومن ذلك ما جاء في الحديث من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ المراحل الجنينية لتكوين الإنسان في بطن أمه، من قبل اكتشاف العلم الحديث لذلك بأربعة عشرة قرنًا من الزمان أو يزيد، فيقول ﷺ: "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، ، فينفخ فيه الروح"، في الحديث يبين النبي ﷺ مراحل النمو للجنين حتى ينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين عامًا أى بعد أربعة أشهر من الحمل، وهى المدة التي يظهر بعدها حركة الجنين في بطن

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٢) سورة النمل، آية: ٩٣.

(٣) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٤) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين ص ٥٥ - ٥٦.

أمه، وصدق الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[١]، [٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الإيمان بقضاء الله وقدره:

إن الإيمان بقضاء الله وقدره أحد أركان الإيمان التي لا قوام له إلا بها، وفي الحديث بيان أن ما يحدث للإنسان مكتوب عليه مقدر له، (ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)، قال ابن تيمية: (وأما السلف والأئمة متفقون على وجوب الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)[٣]، فالأجل والرزق والسعادة والشقاوة وجميع ما هو لاقيه الإنسان مما كتبه الله فإنه لا يزاد فيه ولا ينقص منه[٤].

ويوضح ابن تيمية مذهب أهل السنة واعتقادهم في القدر فيقول: "وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العبادات ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء إما بالمدح والمثوبة وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها"[٥].

إن المسلم يؤمن بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيئته وأنه لا يقع شيء في الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله بها وتقديره، وأنه تعالى عدل في قضائه

(١) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/ ٥٨ - ٥٩

(٣) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ٤/٦٩٠

(٤) معارج القبول، الحكمي، ١١٠١/٣

(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف: محمد خليل هراس، ص ٢٦١.

وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره وأن حكمته تابعة لمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به تعالى[(١)].

فالإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان، وهو مصدر الرضا والقوة عند الإنسان[(٢)]. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍ﴾[(٣)].

"وفي ذلك إخبار من الله تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية وأن علم الله تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وقوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم فإنه لو قدر شيء لكان ولا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا تفخرون بها على الناس"[(٤)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العبرة بالخواتيم:

إن العبرة ليست بصور الأعمال والركون إليها بل بالخاتمة فلا يقطع لأحد معين بدخول جنة أو نار إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها، لذا يحذر النبي ﷺ في الحديث من سوء الخاتمة بتقلب الأحوال في آخر لحظات العمر[(٥)]، وذلك ما يدفع بالإنسان إلى

---

(١) انظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري ص ٤٠ - ٤٨.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٠٨-١٣٢

(٣) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٦/٨ - ٢٧.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٧٨.

الدوام على الطاعة وملازمتها حتى إذا ما فاجأه الموت كان على طاعة ربه عز وجل، فيقول ﷺ: (فوالذي لا إله إلا غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

قال القاضي عياض: (وفي هذا أن الثواب والعقاب راجع إلى أمر الخاتمة، وأن من مات على شيء حكم عليه به من خير أو شر إلا ما عفا الله عنه من السيئات وسمح فيه لأهل الإيمان من التبعات)[١].

وقال النووي: (والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة،وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٢]، ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان في التخليد وعدمه فالكافر يخلد في النار والعاصي الذي مات موحدًا لا يخلد فيها.

وفي هذا الحديث إثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة)[٣].

وقال ابن أبي جمرة في شرح الحديث: "قوله: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)، هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بماذا يختم عملهم"[٤].

وقال محمد تقي الدين العثماني: "والحاصل أن الإنسان ليس له أن يفتخر ويُعجب

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٢٨/٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٨.

(٤) بهجة النفوس، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٤٥٥/٢.

بما يفعل من الأعمال الحسنة، لأن العبرة بالخواتيم ولا يدري إلى ما يصير إليه في العاقبة، وليس ذلك جبرًا، فإن ما يفعله في الأخير إنما يفعله بكسبه واختياره ولكن يتغير اختياره من الخير إلى الشر فيعاقب به، أعاذنا الله من ذلك"[١].

لذا ينبغي على الإنسان أن يسأل الله دائمًا الثبات، وكان ذلك هدي رسول الله ﷺ، كما ينبغي ألا ييأس ولا نيأس من شخص نجده على الكفر أو على الفسق فربما يهديه الله في آخر لحظة ويموت على الإسلام[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: التفكر في خلق الله للإنسان:

إن خلق الإنسان بهذا الإبداع في جميع مراحله وأطواره لمن ادعى الأسباب إلى التفكر في خلق الله للإنسان، وجاء في الحديث بيان لخلق الإنسان وأطواره في بطن أمه، "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات... الحديث".

وقد لفت الله أنظارنا إلى التفكير في خلق أنفسنا في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣]، والمعنى ألا تتفكرون في خلق أنفسكم، كيف أنشأكم الله من ماء، وكيف خلقكم أطوارًا[٤]، وصدق الله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٥]، فإذا ما تفكر الإنسان في نفسه وما حوله من الكائنات ما من شك أنه يؤدي به إلى الاتعاظ والخوف والخشية من الله تبارك وتعالى ويورثه انشراحًا للصدر وسكينة للقلب، كما أن التفكر طريق موصل إلى

---

(١) فتح الملهم ٣٦٥/١١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٧٥٣/١.

(٣) سورة الذاريات: ٢١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٦/١٠، ٣٥٣

(٥) سورة فصلت: ٥٣.

رضوان الله ومحبته[١].

وقد مدح الله عباده المؤمنين الذين يزينون عباداتهم بالتفكر وإعمال العقول، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول وأولو النهى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]. فخص الله تعالى بالآيات أولي الألباب وهم أهل العقول لأنهم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم لا بمجرد أبصارهم، ثم ذكر من صفاتهم بأنهم "ويتفكرون في خلق السماوات والأرض" أي: ليستدلوا بها على المقصود منها وفي ذلك دليل على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا[٣].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٤/١٠٧٨

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٨.

الحديث رقم (٣٩٧)

٣٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الزمام: ما تقاد به الدابة من حبل أو غيره[2].

الشرح الأدبي

الحديث تجسيم لجهنم ليس عن طريق التشبيه، أو والوصف، ولكن عن طريق بعض ما يتصل بها مما يعطي تصوراً لكل عقل بقدر اتساع مخيلته، وبما يستطيع أن يستوعب، ولفظ جهنم من الألفاظ الموحية بطبيعتها ؛لأنها تستدعي في الذهن إحراق النار، وجحيمها، ولهيبها دون ما يمكن أن يستحضره لفظ النار من منافع كالإنارة، والتدفئة، وغيرها، وقوله: (بجهنم) الباء للتعدية أي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه، وهي علم على الهول، والتعبير بالمبني للمجهول قبلها يذهب بالعقول كل مذهب في تصور الفاعل، وتحديد اليوم لزيادة الترهيب، واللام في قوله (لها) للملك، وذكر العدد للترهيب ؛لأنه يعطي تصوراً عن حجمها، وقد صعَّد الشعور بضخامة حجمها عن طريق العدد الثاني المركَّب ثم إن نسبة الجر إلى الملائكة مع ما عرف عنهم من قوة خارقة يرسم صورة لهول مطبق لا تدرك العين البشرية أبعادها، وتعجز الأذن البشرية عن سماع هدير حركتها، والملائكة يجرونها، ثم إن التعبير بالجر يوحي بتقل الكيان المجرور، وهو مشهد يشيب منه الولدان.

---

(١) برقم (٢٩/٢٨٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٦٤).

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٨، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٢٦.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن الحالة التي تأتي عليها جهنم يوم القيامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الخوف من جهنم والبعد عن كل ما يقرب إليها.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من جهنم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

سادسًا: من واجبات المدعو: الفرار من جهنم بفعل الطاعات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن الحالة التي تأتي عليها جهنم يوم القيامة:

إن يوم القيامة وما يجري فيه من الأهوال وعظائم الأمور من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله، إلا أن الله سبحانه قد استثنى بعض رسله فأطلعهم على بعض غيبه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[٢] قال العلماء: لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم[٣].

ومن ذلك ما جاء في الحديث بإخبار النبي ﷺ عن حال جهنم يوم القيامة وإتيانها[٤] "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٩٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٩٨).

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ ، ٢٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨/١٩/١٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٥٤/١.

يجرونها" والمعنى: (أنها يُجاء بها من المحل الذي خلقها الله فيه فتُدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والزمام: ما يُزَمّ به الشيء أي: يشد ويربط، وهذه الأزمة التي تساق جهنم بها أيضًا تمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه، وملائكتها كما وصفهم الله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1])[2].

وعن أهون أهل النار عذابًا "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا"[3] والحديث الأول يدل على عظم النار وذلك للعدد الكبير من الملائكة الذين يجرونها، وذلك لعظمها وفرط كبرها بحيث إنها تحتاج في الإتيان بها إلى هذه الأزمة[4]، فيعتقد أنه ليس في النار أشد عذابًا منه، مع أن عذابه جمرة من جهنم في أخمصه، وسببه: أن القليل من عذاب جهنم -أعاذنا الله منه- لا تطيقه الجبال وخصوصًا عذاب الكفار[5]، فالحديث الثاني على شدة عذابها فأدنى أهلها رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان فما بالنا بمن هو أشد منه عذابًا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الخوف من جهنم والبعد عن كل ما يقرب منها:

إن ذكر الرسول ﷺ في الحديثين "يؤتى بجهنم..." و"إن أهون أهل النار..." دل على أهوال جهنم وشدة حرها، وفي ذلك باعث على الخوف من جهنم والفرار منها بالأعمال الصالحة.

لذا ينبغي الحذر من غضب الله وعذابه وقد أمرنا الله بالحذر منه ومن عذابه بغية

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٨٦/٧، ١٨٧.

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث الذي بعده.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٦.

(٥) المرجع السابق ٤٥٨/١.

النجاة من غضبه وانتقامه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]. وقد أثنى القرآن على من هذا حاله يرجو رحمة الله ويحذر انتقامه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

لذا كان الواجب على الإنسان أن يلزم طاعة الله عز وجل ويترك مناهيه ومكروهاته، ومتى صار الخوف من جهنم عونًا على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه فقد انعكس المقصود من التخويف بالنار وهو لزوم الطاعة واجتناب المعصية[4].

ثالثًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من جهنم:

إن العلماء هم ورثة الأنبياء ولذا كان عليهم أن يحذوا حذو النبي ﷺ في منهجه في الدعوة من ترغيب وترهيب ومن ذلك التخويف من النار وقد ورد ذلك في الحديثين، وقد حذرنا الله النار في كثير من آياته منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[5] وحذر النبي ﷺ الناس كلهم من النار ولم يستثن أحدًا من هذا الإنذار حتى أقربائه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

(٤) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ٣٥-٤٠.

(٥) سورة التحريم، آية: ٦.

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١] دَعَا رَسُولُ اللّهِ قُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا))[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد وذلك لإيقاع الكلام في القلب موقع اليقين فقال ﷺ "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل... وأنه لأهونهم عذابًا" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه من إقبال المدعو على كلام الداعي. ولأهمية التوكيد في تقرير القضايا والأحكام وإثباتها استخدمه القرآن في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التحذير:

جاء في الحديثين تحذير النبي ﷺ الناس من النار وتخويفهم منها ببيان مدى عظمها وفَرْط كِبَرها بحيث يحتاج للإتيان بها إلى سبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك[٤] لا يعلم مدى قوتهم إلا الله، "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" وببيان شدة عذابها بذكر أهون أهلها عذابًا

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٦.

"إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه..." وأسلوب التحذير يذكر الناس ويبصرهم بما يؤول إليه أمرهم إن عصوا ربهم، فيحملهم ذلك على اجتناب معصيته ولزوم طاعته[1].

سادسًا- من واجبات المدعو: الفرار من جهنم بفعل الطاعات:

إن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن[2] لأنها تدعوهم بلسان حالها إلى الفرار منها باجتناب ما يؤدي إليها، وإلى التمسك بالإيمان والطاعة ولزوم العمل الصالح، بفعل المأمور على الوجه المطلوب[3]، قال ابن رجب الحنبلي: (إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان به من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات وأن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات فضلاً عن المحرمات[4].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص ٩٧.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ٤٠.

(٣) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر الجزائري ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) التخوف من النار والتعريف بحال أهل البوار ص ٦، ٧.

إن طاعة الله والرجاء في رحمة الله سبيل الخلاص والفوز بالنعيم يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال الرافعي:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنّوني أحبائي وقولوا لك ... البشرى قَدمتَ على كريم[2]

فالرجاء مستلزم للخوف والخوف مستلزم للرجاء، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٧٦.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ج٥/٢٠٣٩، ٢٠٤٠.

الحديث رقم (٣٩٨)

٣٩٨- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ آهْوَنَ أهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يوضعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ))[١].

((مَا يَرَى أنَّ أحَدًا أشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا))[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

أخمص قدميه: ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشي[٤].

والجَمرةُ: القطعة الملتهبة من النار[٥].

الشرح الأدبي

تأكيد الكلام بأكثر من مؤكد عند عدم المواجهة بالإنكار نزوع إلى غرض آخر هو الرغبة في تفخيم الخبر، وتعظيمه، والمقام يستلزمه؛ لأنه حديث عن الهول، والتعبير بأفعل التفضيل (أهون) يشير إلى منتهى أحد الطرفين ارتفاعاً، أو انخفاضاً، وهو يشير هنا إلى الأدنى، وإضافته لأهل النار فيها تنفير، وتهويل، لأنه، وإن كان الأهون إلا أنه في النار، وقوله (عذاباً) يؤكد هذا الشعور، ويدعمه، ويصعّد هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٢/٣٦٣) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه مسلم (٣٦٤) من حديث الأعمش. أورده المنذري في ترغيبه (٥٤٢٠).

(٣) تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٠١/١، رقم ٨٠٧) وساق اللفظ الأول، ثم قال: وفي حديث الأعمش، ثم ساق اللفظ الثاني، النووي جمع بين اللفظين في حديث واحد، وعزاه إلى الصحيحين، وليس كذلك، فإن اللفظ الأول متفق عليه، والثاني لفظ مسلم من حديث الأعمش.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٨/١١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٣٤.

الشعور ذكر الظرف (يوم)، وإضافته للقيامة، وهي من الألفاظ ذات الإيحاء المرعب الذي تتقبض له القلوب، واتصال اللام بالخبر، توكيد له، وقوله (يوضعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ) ذكر الأخمص للمبالغة في التعذيب؛ لأنه إذا كان هذا حال الأهون فما بال البقية، وتثنية القدمين ، والجمرتين تشديد في العذاب، والتعبير بالغليان يبيِّن مدى حرارة الجمرتين، ويوحي بمدى الألم الذي يلقاه هذا الأهون، وذكر الدماغ تأكيد على شدة الحر لبعد ما بين الأخمص، والرأس، والتعبير بالدماغ فيه إشارة إلى أن الذي يغلي ما بداخلها ؛لأن الدماغ حشو الرأس، وفي هذا زيادة ترهيب، وتنفير من كل ما يؤدي إليها - أعاذنا الله - وقوله (مَا يَرَى أنَّ أَحَداً أشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً) يفصح عن مرارة التحريق داخل أحشائه، وما بلغ به عذاب الجمرتين، وبناء جملته يدل على ذلك، فقد جاءت بـ (ما) نفياً للرؤية، والفعل المضارع يشير إلى الاستمرار، والرؤية هنا ليست بصرية، لأنه لا يرى في النار، لأنها سوداء كالليل المظلم -والعياذ به- كما أن رؤيته لا تبلغ كل من في النار حتى يعلم من أشد عذاباً، ثم إنه نكَّر (أحداً) فأفادت العموم، وعبَّر بأفعل التفضيل للدلالة على أن عذابه فاق الجميع، وعبارة الرسول ﷺ (وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً) بكل ما فيها من مؤكدات إرصاد للمعنى يقرر أنه على ما فيه من الهول هو أهونهم عذاباً -أعاذنا الله-

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٩٩)

٣٩٩- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه : أنَّ نبيَّ الله ﷺ ، قَالَ: ((**مِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ النَّارُ إلَى كَعْبَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ**[1] **إلَى رُكْبَتَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلَى حُجزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلَى تَرْقُوَتِهِ**)) رواه مسلم[2].

(**الحُجْزَةُ**): مَعْقِدُ الإزار تَحْتَ السُّرَّةِ، وَ(**التَّرْقُوَةُ**) بفتح التاءِ وضم القاف: هي العَظمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وَلِلإنْسَانِ تَرْقُوتَانِ فِي جَانبَي النَّحْرِ.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

الشرح الأدبي

المتأمل للحديث يجد أنه بني على جمل متشابهة في التركيب تصدَّر كل جملة منها جناس ناقص يرسخ في العقل معنى، وفي السمع لفظاً وهو قوله (منهم من) ومن الأولى تبعيضية، ومن الثانية موصولة، بمعنى الذي أي بعض منهم الذي، وتكرار الموصول يشير إلى اختلافهم درجاتهم في العذاب، تبعاً لاختلافهم في درجات المعاصي ، فكل يأخذ بقدر ذنبه، والتعبير بالأخذ يوحي بالاستحواذ، والملك، ونسبتها للنار يوحى بقصدها إليهم، والسعي نحوهم، وكأنها تعقل، وذكر هذه المواضع التي تدركها النار، وهي:الكعب، والركبة، و الحُجْزَةُ ، وهي مَعْقِدُ الإزار تَحْتَ السُّرَّةِ، وَالتَّرْقُوَةُ وهي :العَظمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وتدرجها من الأسفل إلى الأعلى، لأن النار تأتيهم من أسفل، فيه تحذير من تراكم الذنوب التي تؤول بصاحبها إلى أحد هذه الأصناف.

---

(١) عند مسلم زيادة: (النار) في المواضع الثلاثة. ولم يوردها الحميدي في جمعه (٣٨٢/١) في موضعين، وأوردها في الأخير.

(٢) برقم (٢٨٤٥/٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٥٤٢٠).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة

ثانيا: من موضوعات الدعوة: التخويف بالنار

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أهل النار في العذاب

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة:

إن من دلائل نبوته ﷺ إخباره ﷺ بالمغيبات والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة[٢] ومن ذلك ما ورد في الحديث من بيان أحوال أهل النار، "منهم من تأخذه النار إلى كعبيه... الحديث" وحال الناس في عرقهم يوم القيامة "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه". وإطلاع الله لرسوله على بعض المغيبات دلالة قاطعة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، فما كان لرسول الله ﷺ أن يتأتى له الإخبار بمثل تلك الأمور إلا عن طريق الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٣]. أي: ليس بمتكلم عن هواه[٤] فهو لا يتبع إلا ما أوحي إليه من الهدى والتقوى في نفسه وفي غيره، ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه لأن كلامه لا يصدر عن هوى وإنما يصدر عن وحي يوحى[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التخويف بالنار:

إن التخويف من النار والترهيب من كل ما يقرب إليها لهو الهدف من ذكر رسول

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٠٠).

(٢) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٢٨٣/١، ٣٢٩

(٣) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٠٧/٨.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٦٠.

الله ﷺ لأحوال أهل النار يوم القيامة " منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه ... الحديث" وبيان الناس وعرقهم يوم القيامة "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه" فالأمر جد خطير فيجب الحذر من أهوال يوم القيامة، وأن نخاف الله تعالى فنقوم بما أوجب علينا، وندع ما حرم علينا[1]. إن استحضار اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب والإيمان به يجعل العبد على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

ولو اجتمعت معاني الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب في حس المسلم وصار لها ذاكرًا واستشعرها بقلبه لأصبح من أولياء بإذن الله تعالى.

إن استحضار النار وما فيها من أهوال يوقظ العبد من سباته ويجعله في حذر دائم منها فإذا ما سولت له نفسه ارتكاب محذور تذكره فيتولد عنده حينئذ خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء[2]، وذلك له أكبر الاثر في سلوك العبد وتصرفاته وتوجهاته في الحياة.

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب يصحح سلوك العبد ويوجهه الوجهة الصحيحة لأنه القوة الدافعة إلى فعل الخير وترك الشر[3]. وقد بين الله تعالى أن من صفات عباده المصلين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[4].

وقد كان ﷺ كثيرًا ما يستعيذ من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ. يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أكثر

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٧٥٥

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٣) انظر: أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ص ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة المعارج الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٨٨.

دعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تفاوت أهل النار في العذاب:

وردت الإشارة إلى ذلك بذكر أهون أهل النار عذابًا، فقال رسول الله ﷺ: "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه"، وقوله: "منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته"، قال أبو العباس القرطبي: (ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد عُلم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من تل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وفكر مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، فالحديث دليل على أن أهل النار يتفاوتون فيها[٢]، وقال ابن رجب الحنبلي: واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[٤]، قال ابن عباس: وافق أعمالهم فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾[٥]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٦]،[٧]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٨٩/٧.

(٣) سورة الأحقاف آية: ١٩.

(٤) سورة النبأ: ٢٦.

(٥) سورة النحل آية: ٨٨.

(٦) سورة غافر: ٤٦.

(٧) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٠

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1] فالمنافق في الدرك الأسفل، وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين[2].

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٥/٥/٣.

الحديث رقم (٤٠٠)

٤٠٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((¹) (يَقُومُ النَّاس لِرَبِّ العَالَمِينَ) حَتَّى يَغِيبَ أحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إلَى أنْصَافِ أُذُنَيهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

وَ((الرَّشْحُ)): العَرَقُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

والرشحُ: العرقُ[٣].

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام إشارة إلى ابتداء أمر عظيم، لذلك يقال قامت القيامة، وقام الناس للحرب، وقامت السوق، وصورة المضارع تشخص المشهد الرهيب، وتستحضره، واللام في الناس للجنس فتشمل الناس جميعاً، واللام المتصلة برب للسببية، والتعبير بالرب لما في اللفظ من معاني العناية، والرعاية، والحفظ، وهي معاني يحتاجها المؤمن خاصة في هذا الموقف، وإضافة الرب للعالمين شمول وعموم لجميع أهل الموقف، والعالمين جمع عالم، ويشمل عالم الإنس، والملائكة، والجن، والطير، وغيرها، و(حتى) لبيان الغاية، والتعبير بالغياب يدل على إحاطة الرشح بهم وقوله (في رشحه) دلالة على أن أكثر الهول من إحساسهم بشدة خوفهم من مصيرهم مع ما يعتريهم من الزحام، وشدة الحر، وقوله (إلى أنصاف أذنيه) فيه دلالة على مبلغ الهول، وشدة الموقف، -والعياذ بالله-.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عندهما بزيادة: (يوم) في أوله، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٢/٢٤٠، رقم ١٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨، و٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢/٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٥٥).

(٣) رياض الصالحين ٢٠١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٠١)

٤٠١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: خطبنا رَسُول الله ﷺ خطبة مَا سَمِعْتُ مِثلها قط، فَقَالَ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيرًا)) فَغَطَّى أصْحَابُ رَسُول الله ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية[٢]: بَلَغَ رَسُول الله[٣] ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أرَ كَاليَومِ في الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) فَمَا أتَى عَلَى أصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخنينُ: البكاءُ مع غُنَّة وانتشاق الصوت من الأنف[٤].

الشرح الأدبي

رسول الله رأى الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها، ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كشف له من أهوال القبور، والحشر والنشر، وزوى الله له الأرض؛ فرأى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٩٥/١٣٤). أوردها المنذري في ترغيبه (٤٩٤٩). وسيكرره المؤلف برقم (٤٤٧).

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٤٩١/٢، رقم ١٨٥٥) في المتفق عليه، وقال: وأخرجاه من حديث موسى بن أنس، عن أنس، ثم ذكر اللفظ الأول، ثمّ قال: وفي حديث النضر بن شميل، ثم ذكر اللفظ الثاني. ففهم النووي رحمه الله أن اللفظ الأول متفق عليه، وليس كذلك، بل اللفظ الأول أخرجه البخاري، واللفظ الثاني أخرجه مسلم.

(٣) لفظ مسلم: (النبي) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) رياض الصالحين ٢٠١.

مشارقها ومغاربها، واختصه الله بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره، فصار قلبه مفعماً بتلك المعارف مهموماً بأمته، لأنه أكثر القلوب رحمة لذلك لم يترك فرصة يبث فيها تلك المعارف إليهم إلا استثمرها ترغيباً أو ترهيباً، وهذا الحديث يشير إلى هذا المعنى، وقوله (لو تعلمون ما أعلم) لو حرف امتناع لامتناع، امتناع الجزاء لامتناع الشرط، أي لم يحدث علم فلم يحدث بكاء كثير، وضحك قليل وقوله(لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيراً) مقابلة بين الضحك، والبكاء، وبين (قليلاً)، و(كثيراً)، وهذه المقابلة توضح المفارقة بين من علم فبكى، ومن جهل فضحك، وعبارته ﷺ بنيت على إيجاز القصر حيث كثرة المعاني، وقلة الألفاظ ؛لأن تلك العبارة تنظر بعيني الرسول ﷺ فيما وراء الغيب المنتظر، وما فيها من عقبات تنتظر الناس - بما فيهم من الصالحين - كالموت، وضمة القبر، والحشر، والنشر، وأهوال القيامة، وما فيها من فزع، ولذلك بكى الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أعرف الناس بمغزى كلامه ﷺ ومقصده حتى صار لهم خنين، وهو صوت البكاء عندما يستغرق صاحبه فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الخطبة

ثانيا: من أساليب الدعوة: الإخبار

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم، وبكاؤهم.

رابعًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الأخروية.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

الحديث ورد في معرض خطبة لرسول الله ﷺ، وصرح بذلك راوي الحديث أنس بن مالك بقوله "خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط"، والخطبة من

الوسائل المؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى لما لها من آثار العواطف والمشاعر والوعظ[١]، والخطبة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل من الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر[٢]، وقد وظّف النبي ﷺ الخطبة في هذا الحديث لبيان حقيقة الأمور التي تستوجب التشمير عن سواعد الجدّ والاجتهاد في الطاعات والحذر من المعاصي والموبقات، وقد بيّن أن الأمر خطير جدًا يستلزم الاقتصاد في الضحك واللهو وفي ذلك بيان لأهمية الإقبال على الآخرة وعدم الانبهار بزينة الدنيا وأن يحاسب الإنسان نفسه فيندم على تقصيره في الطاعات ويستدرك ما فاته.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث بتعريف النبي ﷺ الناس بعظم أهوال يوم القيامة وأشار إلى ذلك بقوله " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" وفي قوله" عرضت على الجنة والنار ... الحديث، ويتجلى أسلوب الإخبار أيضًا في نقل أنس الخطبة للناس "خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ..." وبحال الصحابة حين سمعوها "فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين"، وأسلوب الإخبار من الأساليب المؤثرة لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق مما يجعلهم على بينة من أمرهم وبصيرة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم، وبكاؤهم:

وقد جاء ذلك صريحًا في قول أنس رضي الله عنه "فغطى أصحاب رسول الله ﷺ ولهم خنين"[٣]، وقد وردت الإشارة التي تدل على فضل البكاء وأنه من صفات المؤمنين الذين هداهم الله واجتباهم، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٤]،

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٢٨٥

(٢) انظر: مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ص٢٠٧

(٣) الخنين ورد بالخاء المهملة وهو الصورة الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، بالخاء المعجمة، الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الأنف، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/١٣١.

(٤) سورة مريم آية: ٥٨.

وقد نعت الله العلماء بالبكاء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1]، [2] وذلك مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسَّم بالعلم وحصل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند سماع القرآن والذكر ويتواضع ويذل[3].

وذلك علامة من علامات الإيمان ودلائله، ووقاية من عذاب النار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((عَيْنَانِ لا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحرُسُ في سبيلِ الله))[4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ))[5].

رابعًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة:

ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث مثالاً حيًا يحتذى به الدعاة في تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة "فقال صلى الله عليه وسلم "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" وذلك واجب العلماء والدعاة ليكون المدعوون على بينة ويأخذوا حذرهم وكما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[6] أي ينذرونهم ويقيموا عليهم

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧-١٠٩.

(٢) انظر: كتاب الزهد، لعبدالله بن المبارك المروزيّ، دار الكتب العلمية، بيروت: ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٧٨.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨١).

(٦) سورة التوبة: ١٢٢.

الحجة[1]، وكما قال الله عن الأنبياء والمرسلين أئمة الدعاة ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الأخروية:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا" وقوله "عرضت عليّ الجنة والنار" وذلك من دلائل نبوءته ﷺ ومن جملة المعجزات التي أيد الله بها رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[3]، [4].

فإخبار النبي ﷺ ببعض أخبار يوم القيامة من دلائل ثبوت نبوته وصحة رسالته ﷺ فما كان له أن يأتي بمثل هذه الأخبار إلا عن طريق الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5] ذلك بالإضافة إلى ما أخبر النبي ﷺ بوقوعه إلى قيام الساعة، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[6]. وعن عمرو بن أخطب الأنصاري أنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[7].

---

(١) بدائع التفسير، الجامع لتفسير ابن قيم الجوزيه، جمع وتوثيق، يسري السيد محمد، ٢/٣٨٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الجن الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) انظر: كتاب الشفا، للقاضي عياض، ص ٣٢٩.

(٥) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

الحديث رقم (٤٠٢)

٤٠٢- وعن المقداد رضي الله عنه، قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**)) قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر (الراوي عن المقداد)[1]: فَوَاللهِ مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أم المِيلَ الَّذِي تُكتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: ((**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إِلَى ركبتيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجَامًا**)). قَالَ: وَأَشَارَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بيدهِ إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

غريب الألفاظ:

حِقويه: هما معقد الإزار، والمراد هنا: ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه[3].

يُلجمه العرق: أي يصل العرق إلى أفواههم فيصير بمنزلة اللجام[4]، واللجام: هو أداة من حديد ونحوه توضع في فم الدابة ولها سيور تمكن الراكب من السيطرة[5].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول جانباً من الغيب المنتظر، والنفس بطبيعتها ليست مكلفة بالبحث عن المجهول، وهذا يجعلها في حالة ترقب فطرية فلم تحتج إلى أدوات تنبيه، أو وسائل تشويق، فبدأ الخبر دون توكيد؛ لأنه لم يواجه بشك، أو إنكار لكونه يخاطب بها

---

(١) هذا الكلام للنووي.

(٢) برقم (٢٨٦٤/٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٥٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ق و)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ج م).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥٨.

خالي الذهن، وقوله: (تدنى الشمس) بناء الفعل لما لم يسم فاعله للعلم؛ لأنه من الأحداث العظام التي لا تتأتى لبشر، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يبث في النفس الإحساس بالرهبة، والجار والمجرور (من الخلق) يجعل الجميع في قلب الحدث مما يحكم الرهبة في القلوب، وحتى لبيان الغاية التي يبلغها الهول بهم، والذي صور إطباقه بالتشبيه (كمقدار ميل)، وهو بيان لمقدار القرب الذي يعطي صورة تقريبية عن شدة الحر الذي يشبه الجحيم، وقول الراوي (فَوَاللهِ مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ ؟) يصعِّد الرهبة من عدة وجوه، منها :القسم في بداية العبارة، ثانياً: أسلوب النفي للعلم بالمقصود من الميل ثالثاً: استفهام التحير، والاضطراب الذي يعكس الفزع مما سمع، وسواء أكان المقصود من الميل المسافة أم ما تكتحل به المرأة فالمسافة قريبة بحيث يكون حراً يشوي الأبدان، ولا ينجي منه إلا ظل عرش الرحمن، وقوله (فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أعْمَالِهِمْ في العَرَقِ) خبر أريد به الفائدة أي الإخبار بمضمون الخبر بغرض التحذير، الترهيب، والتنفير من سوء العمل، وهو إجمال تبعه تفصيل يؤكد المعنى بعد التشويق إليه، والتدرج الذي تلاه يؤكد ما قرره الرسول ﷺ، وإشارته في نهاية الحديث توكيد تعاضد في استقباله حاستي البصر مع حاسة السمع مما يجعل له مزيد توكيد مع ثباتٍ في ذهن المخاطب، وفيه تحذير من سوء الأعمال، والركون إلى الراحة، وعدم الاستعداد المؤدي لهذا المصير.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حال الناس يوم القيامة.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أحوال الناس يوم القيامة حسب أعمالهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الخوف والرهبة والاستعداد بالعمل الصالح ليوم القيامة.

رابعًا: من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٠٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٠٣).

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حال الناس يوم القيامة:

إن الناس يعانون يوم القيامة الأهوال الشداد، لأنه يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، وقد نقل لنا النبي ﷺ في الحديث صورة من صور تلك الأهوال وهى ما يلاقيه الناس من العرق وغزارته، لدنو الشمس واشتداد حرها فيقول ﷺ " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل ..." فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ... الحديث"، وذلك من شدة الهول والكرب[١]، وذلك مما يورث في قلب الإنسان الخوف والرهبة من الله ومن عذابه، ويظهر أثر ذلك على أركان الإنسان بلزوم الطاعة واجتناب المعصية[٢]. قال ابن حجر: (يستثنى من هذه الهيئة والعذاب الأنبياء، والشهداء، ومن شاء الله فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل)[٣].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أحوال الناس يوم القيامة حسب أعمالهم:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث ببيان أصناف الناس يوم القيامة وتفاوتهم فيما يصيبهم من عرق "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون له حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما" أي اختلافهم في مكان العرق منهم بحسب اختلافهم في العمل صلاحًا وفسادًا[٤]، وذلك من الأهوال الهائلة يوم القيامة، هذه الشمس المحرقة القريبة جدًا من الناس والتي تتوزع حرارتها على حسب الأعمال، فمن كان عمله صالحًا كان حرها خفيفًا عليه بحيث لا يفرز من العرق إلا القليل، ومن كان عمله فاسدًا كان إحساسه بالحرارة أشد ألمًا وعرقه أكثر غزارة[٥]. قال ابن رجب الحنبلي: واعلم أن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٩

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٢٢٢

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٩٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٩

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٨٠.

تفاوت الناس يوم القيامة هو بحسب تفاوت أعمالهم[١]، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[٢]، يعني: ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين "درجات" منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، بحسب أعمالهم، فيجازيهم عليها[٣]، قال ابن زيد: درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفالا، ودرجات أهل الجنة علوًا[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الخوف والرهبة والاستعداد بالعمل الصالح ليوم القيامة:

إن استحضار الإنسان لأهوال يوم القيامة يورثه الخوف والرهبة، ويحفزه إلى الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح ليوم القيامة، ومن ثمَّ فقد ذكر النبي ﷺ في الحديث جانبًا وصورة من صور أهوال يوم القيامة فقال "تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل... الحديث، والخوف المقصود من ذكر أهوال يوم القيامة هو ما يحول بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يُقوّم به الشاردين عن بابه، وقال الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل، فإنك إذا أخفته هربت إليه[٥].

رابعًا- من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين:

يظهر ذلك ضمنيًا في إخبار النبي ﷺ أمته بمشاهد وأهوال يوم القيامة ليكونوا على بصيرة منها، وليأخذوا حذرهم وليعدوا العدة لهذا اليوم بإخلاص التوحيد وإحسان العمل، فذكر أحوال الناس في عرقهم ودنو الشمس منهم، تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق.. الحديث، وقوله: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض.. الحديث، وإن الباعث على بيانه ﷺ لأهوال يوم القيامة هو الشفقة والخوف على

---

(١) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٠

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٩

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٢٥٩

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٨/ ١٩٩

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٣٩، ١٤٩

المدعوين، وإذا غرس هذا الخلق من الشفقة والرحمة في قلب الداعي فإنه يثمر الألفة ومحبة المدعوين له وإقبالهم عليه والامتثال بما يدعوهم إليه ويبلغهم به من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ[١].

يحمل الداعية على ذلك شفقته على المدعوين ورحمته بهم واقتداؤه برسول الله ﷺ الذي ضرب المثل الأعلى في الشفقة والرحمة بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، حريص على هدايتها ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليها، لذا كانت شريعته ﷺ سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه[٣].

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ٦/ ٢٣٨٥-٢٣٩٢

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/ ٢٤١.

الحديث رقم (٤٠٣)

٤٠٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أن رَسُول اللَّه ﷺ ، قَالَ: ((يَعْرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يذهب عرقهم في الأرض: ينزل ويغوص[2].

ذراعًا: والذراع من الإنسان: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يتناول هول الموقف المرتقب جاء في أسلوب خبري مجرد عن المؤكدات، لأنه يقابل به خالي الذهن من الخبر، وقد بدأه بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويلقي في روع المخاطبين كأنهم فيها، واللام في (الناس) للجنس تؤكد هذا الشعور لديهم؛ لأنها تستوعبهم فيه، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يصعِّد هذا الإحساس، وقوله (حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعاً) بيان للغاية التي وصلها العرق نزولاً في الأرض يصور عن طريق الأثر، وهو حجم العرق حجم المؤثر، وهو هول الموقف، وذكر العدد، وتمييزه يؤكد المعنى، ويُحجِّم الفعل بما يخلع القلوب، وقوله (وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) بيان لما وصل إليه العرق صعوداً، ونلاحظ أن أفعال الحديث جاءت في صورة المضارع (يعرق - يذهب - يلجم - يبلغ) وهي تعطي للحدث حيوية، وحركة تناسب اضطراب الناس في الموقف، ورعدة الأجسام التي تصبُّ العرق من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٢ واللفظ له، ومسلم ٢٨٦٣/٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٥٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٠.

هولها صباً، وقوله (يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) يؤكد الإلجام لأن موضع الآذان أعلى من الفم، بالإضافة إلى أن بلوغ العرق الآذان يسد مخارجه كلها نكاية به، وجزاء يتساوى مع عمله.

المضامين الدعوية[١]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٠٤)

٤٠٤- وعنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ إذْ سمع وجبة، فَقَالَ: ((**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**)) قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: ((**هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إلَى قَعْرِها فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا**[1])) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الوجْبةُ: صوت السقوط[3].

خريفًا: هو العام أو السَّنة[4].

قعرها: القعر: من كل شيء أجوف: منتهى عُمْقه[5].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) يوحي بالكثرة في شهود الحدث كما يدل على تمام تحققه، والتعبير بالوجَبَة يدل على الهدة، وهي السقطة القوية التي ترج ما حولها كما أنها تدل على السقوط المفاجيء، وقول الرسول ﷺ (هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟) استفهام بغرض التنبيه، والتشويق، وقولهم (اللّه وَرَسُولُهُ أعْلَمُ) تفويض، وردٌّ للأمر إلى أهله، وإشارة الرسول ﷺ (هذا) لتمييزه، واستحضاره في عقولهم قبل أن يذكر المسند، والتعبير بالخريف دون السنة؛ لأن الخريف موسم جفاف، ويوحي بالشدة، وهو يتناسب مع ذكر

---

(١) قوله "فسمعتم وجبتها" هذه الزيادة في رواية مروان الفزاري التي تأتي بعد هذه الرواية، وهي بدون [illegible] أوردها الحميدي في جمعه ٣٠٢/٣، رقم ٢٧٠٦ منبهًا عليها، وجمعهما المؤلف في حديث واحد.

(٢) برقم ٢٨٤٤/٣١.

(٣) النهاي في (و ج ب).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ر ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٤٩.

النار، وذكر العدد كناية عن العمق الذي تُطْوى دونه المسافات، ولا تبلغه القياسات، وقوله (فهو يهوي) ذكر الضمير للاختصاص والفعل المضارع دلَّ على الحضور، والظرف (الآن) حدد الزمان، وأكد الحدث، وتكرار الجار، والمجرور (في النار) في الحديث يؤكد الظرفية أي أنه مع طول زمن السقوط لم يخرج عنها، وقوله (حتى انتهى) بيان للغاية، والقعر هو نهاية الشيء من أسفل، والتعبير به للدلالة على العمق مع الإشارة إلى الإظلام كطبيعة قعر أي شيء، والمعنى من بداية الحديث إلى نهايته ترهيب، وتنفير من النار، ينسحب على كل ما يقرب منها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الأمور الغيبية مما أطلعه الله تعالى عليها.

خامسًا: من واجبات الدعوة: الخوف والحذر من جهنم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص ما يكونون على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته، وفي الحديث إشارة إلى ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم" يدفعهم إلى ذلك محبتهم الشديدة له ومعرفة قدره وفضله[1] صلى الله عليه وسلم بل كان بعضهم يدفعه حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلازمه في أحواله كلها يخدمه ويقوم بحاجته، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ:

(١) انظر: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، ص: ٨٩

«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[١].

وكان حرصَ الصحابة على مجالسة النبي ﷺ وملازمته محبة له وخوفًا من أن يفوتهم شيء من إرشاداته وتوجيهاته، بل كان مَنْ يتعذر عليه مداومة الملازمة يتناوب مع غيره في حضور مجالس رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ- وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يومًا وأَنزِلُ يومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ...))[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال النبي ﷺ للصحابة، لا للاستفهام، وإنما لشد انتباه وإثارة غريزة حب التعلم والاطلاع على ما خفى، "كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبه؟ فقال هل تدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفاً..." وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه من إثارة الداعي من بعض التساؤلات التي تشوِّق المدعوين إلى التطلع إلى إجاباتها[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: تفويض العلم لله ولرسوله ﷺ:

إن مما يجب على الإنسان تفويض العلم إلى الله ورسوله وعدم الإفتاء والإجابة بغير علم، والصحابة رضي الله عنهم، قد أوضحوا بصورة عملية ما ينبغي أن يكون في ذلك الأمر فأجابوا رسول الله ﷺ بقولهم "الله ورسوله أعلم" قال ابن علان: وفي ذلك بيان أن الأدب إذا سئل الإنسان عما لا علم له به أن يكل العلم فيه إلى الله سبحانه، ولا يتكلم فيما لا علم له به[٤] وليس في ذلك أدنى عيب في ذلك فإن الله يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص ٢٢٧.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٣٠.

عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[١]، [٢]، بل هو من دلائل فقه العالم وإكرامه لنفسه، قال القاسم بن محمد: إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه، وقال مالك: من فقه العالم، أن يقول لا أعلم، فإنه عسى أن يهيأ له الخير[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار الرسول ﷺ ببعض الأمور الغيبية مما أطلعه الله تعالى عليها:

ورد في هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ بيانه ﷺ لمصدر الوجبة وسببها فقال "هذا حجر رمى به في النار" وبيانه ﷺ لقعر جهنم وعمقها الذي يصل سبعين خريفًا، منذ سبعين خريفًا" أي سبعين سنة[٤]، وذلك مما اطلع الله عليه رسوله ﷺ، وذلك ممن جملة معجزاته المعلومة على القطع[٥] قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[٦]. وذلك كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾[٧] فهو سبحانه يعلم الغيب والشهادة ولا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلع تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري[٨] ويتلخص مما سبق أن ما وقع من رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فإنما هو بوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[٩].

---

(١) سورة يوسف، آية: ٧٦.

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٥٣١/١

(٣) الآداب الشرعية، ابن مفلح المقدسي، ٦٥/٢

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٨

(٥) كتاب الشفا، القاضي عياض، ٣٣٩/١

(٦) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٧/٨.

(٩) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ٥٤٣/١.

خامسًا- من واجبات المدعو: الخوف والحذر من جهنم:

ذكر الحق تبارك وتعالى أن من صفات عباده المؤمنين خشيتهم وإشفاقهم من عذابه تبارك وتعالى فقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[1] وإن ذكر رسول الله ﷺ لعمق قعر جهنم في الحديث لمن أدعى الأسباب للخوف والحذر من جهنم "هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفًا فخوف الله والحذر من عذابه أمر واجب قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[2]، ينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله، فحقيقته تقتضي حذر الموفقين إذ هو جدير بذلك[3]، فبالخوف والحذر يَنْكَفُّ الإنسان عن المناهي، كما أن الرجاء يبعث عن الطاعات[4]. فما جاء في الحديث من بيان رسول الله ﷺ لصحابته الوجبة التي سمعوها بأنها صوت حجر رمي به في النار منذ سبعين سنة لم يصل إلى قعرها إلا بعد هذه المدة الطويلة مما يبين مدى عمقها، ودارٌ كهذه سعتها هائلة فإذا كان هذا عمقها فكيف عرضها؟ فليحذر المؤمن وليسر في الطريق المستقيم لينجو من هذا فالأمر جدٌّ ليس بالهزل ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5][6].

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٢٥-٢٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٤١/١٥/٦

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٥

(٥) سورة البقرة، آية: ٧٤.

(٦) [illegible] الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٤٠٥)

٤٠٥- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

غريب الألفاظ:

تَرْجُمان: الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى[2].

أيمن: يمينًا[3].

أشأم: شِمالاً[4].

الشرح الأدبي

بناء الرسول ﷺ للحديث على هذا النسق يؤكد رغبته في أن يكون دافع المؤمن لاجتناب الخطأ، والتزام الصراط المستقيم نابعاً من داخله مما يحقق الأمن، والطمأنينة، ويكفي المجتمع تبعات ملاحقته وعقابه، أو تقويمه، ولتحقيق ذلك نقل الرسول ﷺ مشهد العبد -كل عبد وأي عبد شقي- في الموقف العظيم، وصوَّر هواجس نفسه، واضطرابه بعدة أساليب بلاغية حيث بدأ الحديث بأسلوب خبري توجَّه به إلى عمق المخاطب ببراعة جعلته من البداية في قلب الحدث حتى يتحرك به في الزمان والمكان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦/٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٦٤)، وقد تقدم برقم (١٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر ج م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي م ن).

(٤) اللسان في (ش أ م).

لذا بدأ بقوله (ما منكم) بكاف الخطاب المتصلة بالجار، وقد بدأ بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله ﷺ (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله...)، وهو قصر موصوف (من أحد) على صفة (تكليم الله) وهو قصر إفراد -والله أعلم- حيث إن المخاطبين لم يكونوا على اعتقاد بأن حديث الله لكل فردٍ منهم على حدة، وظنوا الشركة في حديث الله لهم، فجاء القصر لكي يقصر كل واحدٍ منهم على التكليم، و(من) في قوله: (من أحد) زائدة للتوكيد وتفيد الاستغراق لجميع المخاطبين حتى يشعر كل فرد من المخاطبين بأنه المعنيُّ بالحديث، وكلمة (أحد) نكرة في سياق النفي أفادت التعميم، وتقديم الجار والمجرور (منكم) يفيد التخصيص، وهو بذلك يغرس في نفوس المخاطبين خصوصية الموقف المهيب الذي يهز الوجدان، ويستلزم تنقّية الأعمال من كل ما من شأنه أن يجعل العبد في موقف اللوم، والخزي بين يدي الله من الخطايا والذنوب.

وقوله: (إلا وسيكلمه) الواو عاطفة على كلام سابق تقديره: إلا سيخاطبه وسيكلمه. وتعبيره بالفعل المضارع (وسيكلمه) يوحي بالقرب لدرجة المضارعية، والسين في الفعل تضبط التوقيت، وتوحي بأنه أمر مستقبلي لكنه جد قريب حتى لا يستبعده أحد، والتعبير بلفظ الجلالة (الله) دون كلمة (رب) أو إله يعطي الفعل بعداً جديداً من الهيبة، والجلال، وشدة الموقف؛ لأن لفظ الجلالة يستدعي صفات الكمال، ونعوت الجلال، كذلك لفظ القيامة المضاف لليوم وما توحي به وتثيره في النفوس من مشاهد مرتبطة بها، وجملة: (ليس بين الله وبينه ترجمان) تستدعي في الخيال جلال الموقف وشدة الحساب، وتأمل تركيز الألفاظ على تعزيز الموقف النفسي بجلال الموقف وشدته حيث عبَّر بالاسم الظاهر (الله) في قوله (ليس بين الله وبينه) دون الضمير، وأيضاً تقديم لفظ الجلالة (الله) في قوله (ليس بين الله...) الذي يعزز هذا الشعور، ويذكّر بحجاب العزة الذي بين الله، وبين خلقه، وقوله: (ليس بين الله، وبينه ترجمان) تتميم: يفيد المبالغة في إزالة الحجب، وتأكيد المعنى حتى لا يظن ظان أن الكلام بواسطة، وهذا ما يؤكد صعوبة الموقف ؛لأن عتاب الله عز وجل وعقابه ومواجهته

بالخطايا أمر عظيم لا يقع فيه إلا هالك بيِّن الهلكة، أو شقي مؤكد الشقاء، الأمر الذي يجعل كل مخاطب يفتش في نفسه ويراجع أعماله، ويحاسب نفسه لما قرَّ في نفسه أنه لن يستطيع إخفاء سوء عمله؛ لأن الله مطلع عليه وهو يتولى حسابه، وتأمل تباطؤ الحركة، وتثاقل الأحداث، وتمطي الزمن بعد أن أزيلت الحجب، ووجد هذا العاصي نفسه موقوفاً بين يدي الله ليس له منقذ، هذا التباطؤ في الحركة، والتمطي في الزمن يحكيه حرف العطف (ثم) في قوله: (ثم ينظر فلا يرى شيئاً) التي تربط بين موقف الكلام مع الله، والحساب، وبين بحث العبد لنفسه عن مخرج، وهي تفيد مع الترتيب تراخياً يشير إلى فترة زمنية قد تطول، أو تقصر بحسب عمل العبد يبحث فيها العبد لنفسه عن مخرج.

والجملة المعطوفة تحكي الحيرة الشديدة والاضطراب يدلك على ذلك الفعل (ينظر) الذي يصوِّر حركة العين في مختلف الاتجاهات، (ثم) يأتي حرف العطف (ثم) مرة أخرى في قوله: (ثم ينظر بين يديه) ليؤكد على أنه أطال النظر بحثاً عن مخرج أمامه فعاد يائساً يبحث في اتجاه آخر بين يديه دون جدوى، ونظر العبد الشقي قدامه. وبين يديه كناية عن صفة الحيرة، والاضطراب التي أحاطت به فراح مشدوهاً في حركات لا إرادية تحكي فزعه، وذهوله.

وتأمل براعة الرسول ﷺ في الربط بالفاء بين الجمل التي تحكي سرعة العقاب، وصفعة العذاب في قوله (فلا يرى) التي تحكي العمى. وقوله: (فتستقبله النار) التي تحكي سرعة الأخذة، وعجلة العقاب، ثم استخدامه لصيغة (تستفعل) لما تدل عليه السين والتاء من مطلق الطلب، وكأنها تبحث عنه وتطلبه، وقوله (فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة) أسلوب شرط محذوف الجواب تقديره (فليفعل) وقوله (ولو بشق تمرة) تتميم أفاد المبالغة، إشارة إلى أن العمل الصالح ينفع - مهما قل -، واختيار الرسول ﷺ للإنفاق في افتراضه لاتقاء النار إشارة إلى أهمية التكافل الاجتماعي الذي يؤدي إلى استقرار الأمة، وتعاون أفرادها[1].

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري ص ٩٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الشفقة على المدعويين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقات إن قلت كميتها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قرب الله من عبده يوم القيامة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: منزلة الكلمة الطيبة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الشفقة على المدعويين:

إن رسول الله ﷺ مشفق على أمته وهذا الإشفاق يستدعي نصحهم وبيان ما سيكون من مواقف صعبة يوم القيامة حيث لا ينفع مال ولا بنون ولا ينفعه إلا ما قدم.

لذلك كان على الداعية الشفوق بيان المصير حتى يتهيأ المدعوون لهذا اليوم الرهيب.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقات وإن قلت كميتها:

الصدقة نجاة لصاحبها ونجاح في الدنيا والآخرة إذ هي سبب لتكفير الذنوب ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾[البقرة: ٢١٧] ومن ثم كانت وقاية من النار "فاتقوا النار ولو بشق تمرة".

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قرب الله من عبده يوم القيامة:

إن يوم القيامة عصيب وحسابه رهيب والمؤمن يعلم ذلك بإخبار النبي ﷺ له. ومن الدافع للنجاة في هذا اليوم الإحساس اليقيني بقرب الرب من عبده وكلامه له بما يليق بجلاله تعالى. وهذا أعظم دافع للخوف والرجاء والعمل لذلك اليوم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: منزلة الكلمة الطيبة:

للكلمة الطيبة فضل عظيم وبخاصة في مجال الدعوة قال تعالى: "وقولوا للناس حسنا" وقد جاء في رواية مسلم من حديث عدي بن حاتم "اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[1] قال النووي: (فيه أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار وهي الكلمة التي فيها تطييب قلب الإنسان إذا كانت مباحة أو طاعة)[2].

---

(١) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١/٧.

الحديث رقم (٤٠٦)

٤٠٦- وعن أَبي ذر رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إنِّي أرَى مَا لا تَرَوْنَ، أطّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أرْبَعِ أصَابعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ تَعَالَى. والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى**)) رواه الترمذيُّ[١] ، وَقَالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

أطّت: صوَّتت، والأطيط: صوت الرَّحل والقتب وشبههما، ومعناه: أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت[٢].

وحُقَّ: أي ويستحق وينبغي[٣].

لها أن تئط: أي تصوت[٤].

الصُّعدات: الطرقات، ومفردها: صُعْدَة[٥].

تجأرُون: تستغيثون[٦].

---

(١) برقم ٢٣١٢ وزاد في آخره: (لوددتُ أني كنتُ شجرة تعضد)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. إسناده منقطع. فيه مورق العجلي لم يسمع من أبي ذر، ورواه الحاكم ٥٧٩/٤ من طريق مجاهد، عن أبي ذر موقوفًا مختصرًا. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ط ط).

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ١٨٤٨.

(٤) المرجع السابق ١٨٤٨.

(٥) رياض الصالحين ٢٠٣.

(٦) رياض الصالحين ٢٠٣، اللسان في (ص ع د).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بالتوكيد تربية للمهابة، وتنبيها للمخاطبين لعظم الخبر، وقوله (أَرَى مَا لا تَرَوْنَ) يشير إلى ما اختصه الله به من معارف بصرية، وسمعية، وما اختصه به عن خلقه من الغيبيات، وهذه الجملة تشويق لما بعدها؛ لأنه سيقص عليهم أموراً غابت عنهم، وقوله (أطت السماء) الأطيط، صوت الرحل، والقتب، وشبهها، وهو تصوير بديع بالاستعارة بالكناية حيث شبه ذلك الجرم العظيم الذي لا يعلم حدوده إلا الله بالدابة التي تحمل ما يثقلها فيسمع لها صوت، والجامع عظم الحمل، وشدة الثقل، ورمز إلى المشبه بالأطيط، ...وإذا أردت أن تتذوق جمال التعبير النبوي فتخيل دابة بحجم السماء تئط من ثقل ما تحمل ! ما حجم الحمل الذي يثقلها حتى تئط ؟! وهي تصوير لحجم الزحام مع عظم المساحة مما يقرب للتصور كثرة الملائكة العابدين على ظهرها، وحتى لا يستبعد أحد المعنى، ولا يستغلق على من تأخر فهمه، جاء أسلوب القصر ليزيد الصورة قرباً، ويؤكد المعنى السابق، وينفي وهم المبالغة، قال: (مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أصَابعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ تَعَالَى)، وقوله(وملك واضع جبهته) كناية عن العبودية، والذل لله، والهيبة، والخشية منه، وقوله (ساجداً) بعده يؤكد ذلك. وقسم الرسول ﷺ بعد هذا الخبر يرتقي بالقلوب الوجلة قمة الخشية التي تربِّي في النفس إجلال الله، وهيبته على وجه يمنعها عن التردي في معصيته، وقوله (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً) كناية عن كثرة علمه ﷺ، وقوله (وَمَا تَلَذَّذْتُم بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ) كناية عن هول ما ينتظر الناس، وقوله (وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى) كناية عن الفزع، والهلع، والحديث يدور حول تقريب معنى فوق وهم العبقري، ولا يحيط به عقل بشري؛ لأنه مستتر خلف جدار هول غيبي - والله المجير وحده-.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والقسم، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الخوف من الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغاثة بالله عز وجل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والقسم، والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إني"، وقد أكد النبي ﷺ أنه يرى ما لا يرون من الأحوال والأمور واستخدم أداة التوكيد "إن". هنا لكون هذا الأسلوب مؤثر في النفوس ولكونه منبه للسامع على إحضار قلبه وفهمه لما سيقال له كما أن فيه تثبيت للمعنى في القلب[١].

٢- القسم: ورد في الحديث في قوله ﷺ: "والله لو تعلمون"، ومن استخدامات القسم اقناع المدعو بما يستبعد أو لا يتصور حصوله، فيأتي القسم لإقناع المدعو والبلوغ إلى أعلى درجات اليقين.

وفي الحديث أقسم النبي ﷺ أنهم لو يعلمون ما يعلمه لضحكوا قليلاً ولبكوا كثيرًا من شدة الأمر وهول الحساب والعقاب للعصاة والمذنبين.

٣- الترهيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش..."، ولأهمية الترهيب في الدعوة فإنه يجب على الداعية أن يفيد منه وذلك لزجر المدعو عن المعاصي وتخويفه من عذاب الله، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٣٠١.

(٢) سورة الحج، الآيات: ١٩ - ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الخوف من الله تعالى:

إن المسلم يجمع في علاقته بربه بين الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، وقد جاء في الحديث في قوله ﷺ: (إني أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع اصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش)، وفي هذا إرشاد إلى أهمية الخوف من الله تعالى.

قال المباركفوري: (لو تعلمون من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا أي بكاء كثيرًا أو زمانًا كثيرًا من خشية الله ترجيحًا للخوف على الرجاء وخوفًا من سوء الخاتمة، وعن الحسن البصري قال: من علم أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الله مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه)[1].

إن هذا الحديث فيه التخويف والتحذير من السقوط في الفتن، ومن عظمة الله تعالى وشدة انتقامه في الدنيا والآخرة.

قال ابن علان: (واستدل به على فضل السماء على الأرض، وهو المختار عند أصحابنا الشافعية، فهي محل الطاعة ولم يقع عليها عصيان، وامتناع إبليس من السجود كان وهو خارج عنها. ويؤخذ منه فضل مواضع أعمال البر من الأرض على مواضع غيره، وقد أشار إليه إمامنا الشافعي بقوله:

إني نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وفي قوله ﷺ: "قليلاً أولاً وكثيرًا ثانيًا"، إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر عنده من الخوف ما ينزجر به عن المخالفة، ويكون تارة في مظهر الجمال، وتارة في مظهر الجلال)[2].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٤٨/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٠١/٢.

قال ابن الأثير: (الأطيط: صوت الأقتاب وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمة أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى)[(١)].

قال المباركفوري: (وأما قوله: "لو تعلمون ما أعلم" قال الحافظ: والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزاع والموت وفي القبر ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف)[(٢)].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: المعنى: لخرجتم من منازلكم إلى الجبانة متضرعين إلى الله تعالى، ومن حال المحزون أن يضيق به المنزل، فيطلب الفضاء الخالي لبث الشكوى)[(٣)].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضيلة الخوف من الله تعالى والأمر به، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٤)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[(٥)]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[(٦)]، ومدح أهل الخوف والخشية فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[(٧)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثر ٤٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٤٨/٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٤/١٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

قال ابن القيم: (فالخائف هارب من ربه إلى ربه، قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبا إلا خرب، وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها، والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغاثة بالله عز وجل:

لا ملجأ للمسلم من الله إلا إليه فالمؤمن الصادق مفزعه واستغاثته بالله دائمًا، وقد جاء الحث على الاستغاثة في قوله ﷺ في الحديث: (ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى)، ومما لا يخفى أن المسلم يلجأ ويستغيث بالله في كل أحواله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، والله هو الذي ينجي العبد من الكربات قال الله عز جل: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾[٣]، والاستغاثة هي "طلب الغوث والغياث، وهو ما يغاث به المضطر ويعان به من طعام أو شراب أو نصر وتأييد أو إخلاص من شدة، وإنقاذ من محنة والاستغاثة من جنس الدعاء وهي لا تكون إلا بالله الذي يجيب المضطر إذا دعاه[٤].

وقد استغاث النبي ﷺ بربه في غزوة بدر فكانت الإعانة والنصرة والظفر والنصر، وقد صور القرآن هذه الاستغاثة في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٥].

ولقد كان هذا ديدن الأنبياء عليهم السلام دائمًا يلجأون ويستغيثون بالله فلما أتبع فرعونُ موسى عليه السلام جاء على لسان أصحابه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٤٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٤.

(٤) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، ص ١١٥ - ١١٦.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٩.

لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾(1).

ولما اشتد الضر بأيوب وزاد عليه المرض جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾(2).

ولما أظلمت الدنيا على يونس عليه السلام في بطن الحوت دعا ربه كما أخبر الله في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(3).

ولما يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه بعد ألف سنة إلا خمسين عامًا من الدعوة وهم يسخرون منه ويستهزءون به جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾(4).

ولما التقى جنود طالوت وهم قلة برجال جالوت وهم كثرة كان دعاؤهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(5).

فالواجب على الدعاة تذكير الناس بهذه النصوص القرآنية، وحث المدعوين على

---

(1) سورة الشعراء، الآيات: ٦١ - ٦٣.

(2) سورة الأنبياء، الآيتين: ٨٣ - ٨٤.

(3) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧ - ٨٨.

(4) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧ - ١٢٠.

(5) سورة البقرة، الآيتين: ٢٥٠ - ٢٥١.

الاستغاثة والاستعانة بالله في كل أمر من أمور الحياة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية:

أيد الله نبيه ﷺ بالكثير من الأمور التي تدلل على صدق نبوته ورسالته ومن ذلك إخباره عن الغيب حيث جاء في الحديث: (إني أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط)، ولا شك أن هذا من دلائل نبوته ﷺ حيث أخبر عن بعض الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا من خلال الوحي الإلهي المعصوم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (ومن معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطّلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه وكما جاءت أدلة على أن الله تبارك وتعالى اختص بمعرفة علم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه فقد جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل عليهم السلام فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[3]، ونخلص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته)[4].

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٤٢ - ٥٤٣.

الحديث رقم (٤٠٧)

٤٠٧- وعن أَبي برزة -براء ثُمَّ زاي- نَضْلَة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : ((**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ**[1]**؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟**)) رواه الترمذيُّ[2]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو برزة الأسلمي: هو نَضْلة بن عبيد بن الحارث.

أسلم قديمًا، وشهد خيبر، وفتح مكة، وحنينًا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان من سكان المدينة ثم تحول إلى البصرة، وهو الذي قتل عبدالعُزَّى بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان آدم رَبْعةً، وقد شهد صفين والنهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهد قتال الأزارقة مع المهلب بن أبي صفرة، وغزا خرسان.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وله جُلّه أحاديث وكان محبًا للإنفاق في سبيل الله. فقد كانت له جَفْنَةٌ من ثريد غدْوةً وجنفةٌ عَشِيَّةً جعلها للأرامل واليتامى والمساكين.

وكان قوامًا لليل، يتوضأ، ويوقظ أهله، وكان يقرأ من الستين إلى المائة آية.

وكان مجهارًا للحق، فقد رأى يزيد بن معاوية يومًا وهو يَنْكُتُ ثَغْر الحسين بن علي رضي الله عنه بقضيب في يده بعد أن أُتي برأس الحسين، فقال له: لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذًا ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء الحسين بن علي، ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه، ثم قام فوَلَّى.

وقد عاب على مروان وابن الزبير والقراء بالبصرة لما وقع من الاختلاف بعد موت يزيد بن معاوية، فقال في قصة ذكرها حاصلها أن الجميع يقاتلون على الدنيا وبلغت

---

(١) (فيه) لا توجدُ عند الترمذي.

(٢) برقم ٢٤١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٢.

روايته عن النبي ﷺ ٤٦ حديثًا.

وتوفي بالبصرة وقيل بخراسان سنة ٦٠هـ وقيل سنة ٦٤هـ وقيل ٦٥هـ[١].

الشرح الأدبي

الحديث دعوة للإنسان لكي يَعد نفسه لما سيحاسبه الله عليه مما هو فيه من نعم، وقد بدأ بأسلوب النفي الصريح العام، وصراحته من وجود أداة النفي الداخلة على الفعل المضارع، وأخذ العموم من النكرة التي وقعت في سياق النفي (عبد)، وقوله (لا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ) كناية عن انتقاله إلى الجنة، والتعبير بعدم الزوال تأكيد على عدم المفارقة، ولذلك ذكر القدمين، وبناء الفعل (يُسأل) لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، والسؤال: (فيمَ أفنَاهُ ؟، و فِيمَ فَعَلَ فِيهِ، ومِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ ؟، وفِيمَ أبلاهُ ؟) استفهام على غير حقيقته؛ لأن الله محيط بكل شيء، وإنما هو للتقرير بغرض إلزامه بالحجة، والسؤال عن العمر، والجسم يعم الجميع، والسؤال عن العلم، لمن حصله، والمال لمن ملكه، وإخبار الرسول ﷺ بهذه الأسئلة رحمة بأمته، وشفقة عليهم حتى يأخذ كل مؤمن حذره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المحافظة على النعم واستشعار المسؤولية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات البعث والحساب.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٩٨/٤ و٤٦٦٠٩/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٢٥-١٣٢٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٨٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٠٥/٥-٣٠٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٣٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٢٧/٤-٢٢٨، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٠٢٩/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٣/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٨٩١/٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "لا تزول قدما عبد..."، وأسلوب الإخبار يعتمد على سوق الحقائق وبيانها للمدعوين، وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بمسؤولية الإنسان الكاملة عن عمره وعن علمه وعن ماله وعن جسمه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: المحافظة على النعم واستشعار المسؤولية:

لقد أنعم الله على عباده نعمًا كثيرة ومنها هذه النعم المذكورة في هذا الحديث الذي يذكرنا بيوم الحساب على هذا الزمن الذي عاشه العبد في الحياة الدنيا، هل قام بعبادة الله تعالى الخالق المنعم؟ وهل عمل صالحًا فيثاب؟ ويسآل عن ماله كيف جمعه هل بالحلال أم بالحرام؟ وفي أي شيء صرف هذا المال هل صرفه فيما يرضي الله تعالى أم فيما يغضب الله تعالى؟ وعن جسمه في أي شيء أبلاه هل استخدمه في الطاعات أم في المعاصي؟

إنها سؤالات حتمية لن يفلت منها عبد إلا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، هذه السؤالات تحتاج إلى أجوبة سديدة وأعمال رشيدة، فهذا الحديث العظيم يجعل المسلم العاقل محاسبًا لنفسه قبل أن يُحاسب، وأن يبذل قدر استطاعته الأعمال الصالحة، والقيام بما يرضي الله سبحانه.

ولا شك أن إيمانهم وأعمالهم الصالحة هي التي جعلتهم يصلوا إلى هذه المرتبة عند الله تعالى.

قال ابن حجر: (وفي سياق حديث أبي برزة إشارة إلى الخصوص وذلك أنه ليس كل أحد عنده علم يسأل عنه، وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم وبمن له مال دون من لا مال له ومن لا علم له، وأما السؤال عن الجسد والعمر فعام)[1].

وقال المباركفوري: (عن عمره: بضمتين ويسكن الميم أي عن مدة أجله. فيما أفناه: أي صرفه. وعن شبابه: أي قوته في وسط عمره. فيما أبلاه: أي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره.

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤١٤.

وقال الطيبي: فإن قلت هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه؟ قلت: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة وعن ماله من أين اكتسبه؟ أي أمن حرام أو حلال؟ وفيما أنفقه؟ أي طاعة أو معصية، وماذا عمل فيما علم؟

قال القاري: لعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب.

وقال الطيبي: إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل عن عمله ماذا عمل به؟

لأنها أهم شيء وأولاه، وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يُعتد به لولا العمل)[1].

ولا شك أن كل هذه الأمور نعم من الله عز وجل فيجب على الإنسان المحافظة عليها بشكر هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]، والإنسان مسؤول أمام الله عز وجل على هذه النعم واستخدامها في الطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[5]، وقال جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[6].

قال السعدي: (هذا الذي تنعمتم به في الدنيا هل قمتم بشكره؟ وأديتم حق الله فيه ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل أم اغتررتم به ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به على المعاصي فيعاقبكم على ذلك)[7].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٨٥/٧.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة النمل، آية: ٤٠.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٦) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٦٣.

وما من شك في أن المعاصي سبب لزوال كثير من نعم الله، قال ابن القيم: (ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيّر غُيّر عليه جزاءً وفاقًا وما ربك بظلام للعبيد، فإن غير المعصية بالطاعة غير عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم[2]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إثبات البعث والحساب:

إن من أصول العقيدة الإسلامية الإيمان بوقوع البعث والحساب وأن الإنسان سوف يعاد ويحاسب بين يدي الله عز وجل وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل"، والبعث والحساب من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وبأن العبد يسأل يوم القيامة وقد دلت النصوص الشرعية على إثبات البعث والحساب، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4]، قال ابن أبي العز الحنفي: (والقول الذي عليه السلف وجمهور

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

(٢) الداء والدواء ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٤) سورة التغابن، آية: ٧.

العقلاء أن الأجسام تتقلب من حال إلى حال فتستحيل ترابًا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظامًا ولحمًا ثم أنشأه خلقًا سويًا كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب»[1].

إن هذا الحديث يقرر حقيقة البعث وأن العبد يسأل بين يدي الله تعالى: "لقد أخبرنا الله تعالى بأن البعث للدار الآخرة في يوم الجزاء حقيقة مقررة في قضاء الله وقدره، ستوضع موضع التنفيذ إذا جاء أجلها المحدد في علم الله، فالبعث أمر واقع لا محالة ستعود فيه الحياة إلى الأجساد التي رثت وبليت وليس ذلك ببعيد ولا مستغرب على قدرة الله الذي خلق السماوات والأرض وخلقهن أكبر من خلق الناس"[2]. كما أنه يقرر حقيقة الحساب الذي هو وقوف العباد بين يدي الحق تبارك وتعالى، فعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر. واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كاوا طالحين.

ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود ووزن للأعمال. والحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه التكريم، ومنه التوبيخ والتبكيت، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين. اهـ[3]. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٩٨.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٥١.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد ٥١٦، ٥١٧.

(٤) سورة الجاثية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٤٩.

الحديث رقم (٤٠٨)

٤٠٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قرأ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤] ثُمَّ قَالَ: (أتَدْرونَ مَا أخْبَارهَا)؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: (فإنَّ أخْبَارَهَا أنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلّ عَبْدٍ أَوْ أمَةٍ بما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَملْتَ[1] كَذَا وكَذَا فِي يَومِ كَذَا وكَذَا فَهذِهِ أخْبَارُهَا) رواه الترمذيُّ[2]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

اعتقاد المؤمن بأن المكان شاهد عليه، أو الزمان، أو الملائكة، أو غيره تجعله يتحرك في الزمان، والمكان في رقابة لا تنفك عنه، وهذا الشعور إذا ما قرَّ في نفسه نقَّى أفعاله، وصفَّى أقوله، فلم يفعل إلا ما يرضى الله، ولم يقل إلا ما يحبه، وهو ما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث، ومنها هذا الحديث الذي يقرر شهادة المكان، وقد قرر ذلك خلال تفسيره لقول -الله تعالى - ({ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) وقد بدأ حديثه بسؤال التنبيه، والتشويق (أتَدْرونَ مَا أخْبَارهَا) ؟، ثم بدأ الإجابة مؤكدة بعدة مؤكدات تفخيماً للخبر، وتنبيهاً إليه، ولفظ (كل) يفيد الشمول، وتنكير كلم (عبد، وأمة) استقصاء لجميع الخلق بالإخبار، والتعبير بالظهر إشارة إلى أنها مسخرة لهم في الدنيا، ولكنها في الآخرة تشهد عليهم، وقوله (عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا) كناية عن

---

(١) لفظ الترمذي في الموضعين: (عمل)، والمثبت لفظ ابن حبان كما في الإحسان ٧٣٦٠ تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه، حيث عزاه إلى ابن حبان واستدرك عليه المؤلف بذكر الترمذي، واعتمد على لفظ ابن حبان.

(٢) برقم ٢٤٢٩، و ٣٣٥٣ قال في الموضع الأول: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وفي الموضع الثاني: هذا حديث حسن صحيح. إسناده ضعيف، فيه يحيى بن سليمان لين الحديث. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٩١ وعزاه إلى ابن حبان فقط.

الحدث الذي أحدثه الإنسان عليها، وقوله (فِي يَومِ كَذَا وكَذَا) كناية عن زمان الحدث تأكيداً لتحقق وقوع الفعل، واستقصاءً لأعماله يوماً بيوم بل لحظة بلحظة كل عمل مرتبط بوقته الذي وقع فيه، وقول الرسول ﷺ (فَهذِهِ أخْبَارُهَا) خبر أريد به لازم فائدته، وهو التحذير، والتهديد من مواقعة المعصية عليها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من آداب المدعو: تفويض العلم لله ورسوله.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد ليوم الحساب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: شهادة الأرض على العبد.

سادسًا: من مهام الداعية: تعليم المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "أتدرون ما أخبارها؟، فقد سأل النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن أخبار الأرض وأجابوا برد العلم إلى الله ورسوله"، ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تحقق الحوار بين الداعية والمدعو، وتعين المدعو على الفهم حيث تكون الإجابة محددة في نقطة واحدة، وعلى الدعاة الإفادة من هذا الأسلوب الدعوي.

ثانيًا- من آداب المدعو: تفويض العلم لله ورسوله:

إن من أهم آداب المدعو أن لا يتقول على الله بغير علم، وأن يفوض العلم إلى الله ورسوله فيما لا علم له به، يتضح هذا مما جاء في الحديث: "قالوا الله ورسوله أعلم"، وهذا يجعل المدعو أن لا يجيب بغير علم، وهذا أدب قرآني علمه الله لنبيه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[1]، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يتقول على الله بغير علم، قال ابن القيم:

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، وبيّن سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحلّه وحرمه)[١].

ولقد كان هذا ديدن السلف الصالح رضي الله عنهم التوقف فيما لا يعلمون، والإتقاء من القول في القرآن والسنة بغير علم، قال ابن مفلح: (نقل الميموني عن أحمد أنه سئل عن حديث فقال: سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأُخطئ، وعن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان يتقون حديث النبي ﷺ كما يتقون تفسير القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم: لا أدري أصيبت مقاتله، وقال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقال الشعبي: لا أدري نصف العلم، وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري)[٢].

ثالثًا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

تقوم الدعوة على مصادر ثابتة تستمد منها الدعوة أدلتها ومصداقيتها، ومن أهم مصادر الدعوة القرآن الكريم حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٣]، ويعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأساس في الدعوة وتأتي بعده السنة النبوية الصحيحة، (ومن مصادر الدعوة ووسائلها القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة السلف الصالح، وفي القرآن الكريم كثير من مخاطبة الله لمحمد ﷺ في توجيهه لأمور الدعوة، وهذه الآيات الكريمة يستفاد منها في أصول الدعوة ووسائلها وأساليبها التي يجب أن يفقهها المسلم كما يتفقه أمور الدين الأخرى)[٤]، والقرآن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٨/١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٦٠/٢ - ٦١.

(٣) سورة الزلزلة، آية: ٤.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤١٣.

الكريم كمصدر من مصادر الدعوة احتوى من جملة ما احتوى علاج كافة المشكلات، (فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، يحقق انسجامًا بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب وبين الحقوق والواجبات وما إلى ذلك من أوجه التوازن)(١).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستعداد ليوم الحساب:

يعيش الإنسان في الدنيا وقد تغريه وتلهيه، بيد أن المطلوب من المسلم الحقيقي أن يستعد للقاء الله وأن يجعل الدنيا مزرعة الآخرة، يظهر هذا مما جاء في الحديث: "عملت كذا وكذا في يوم كذا"، وما من شك في أن الإنسان يجب أن يستعد ليوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(٢)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٤).

(ولذا فإن الحساب يوم القيامة يدور على محتويات الكتب التي يعطاها كل فرد من أفراد الناس في ساحة فصل القضاء، ويقرؤها كل واحد من أهل الموقف، فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيرًا ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرا، وفي الحساب يستنطق الفرد، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ويجري هذا الاستجواب والاستنطاق في جو رهيب للغاية، إذ تقوم فيه الأشهاد، ولا يؤذن للمرء في الاعتذار فيعتذر، ولا تقبل من ظالم معذرة)(٥).

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٢٢.

(٥) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، ص ٣٤٥.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: شهادة الأرض على العبد:

هذا الحديث العظيم ينبئ الإنسان عن أعماله بأن الأرض ستشهد عليه، وفي ذلك تخويف من اقتراف السيئات، وترغيب بفعل الحسنات، وهو أمر غيبي لا يُعلم إلا بالوحي، وقد أعلم النبي ﷺ بذلك للاستعداد لهذا اليوم العصيب.

قال ابن علان: (الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، ويحتمل عموم الخبر لهم ويكون شهادتها بذلك تذكيرًا لمزيد إنعام الله عليه حيث سامحه بسوء عمله ولم يعاقبه عليه بل أثابه من فضله، وقوله: "تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا" تفصيل للشهادة وبيان لكيفيتها)[1].

قال المباركفوري: (أي هي يعني شهادتها أن تقول عمل أي فلان كذا وكذا أي من الطاعة أو المعصية في يوم كذا وكذا أي من شهر كذا أو عام كذا، قال: بهذا أمرها أي بهذا المذكور أمر الله تعالى الأرض، وفي بعض النسخ: فهذا أمرها، وفي بعضها: فهذه أخبارها، وفي بعضها: فهذا أخبارها)[2].

قال سليم الهلالي في فقه الحديث:

(- خير ما فسر به كتاب الله هو كلام رسول الله.

- الحث على فعل الطاعة والبعد عن المعصية.

- قدرة الله تعالى في إنطاق ما شاء الله من خلقه حيث تشهد الأرض بما حدث عليها من خير أو شر.

- يشهد الله على العبد الكتبة وسمعه وبصره وجلده ويديه ورجليه والأرض كما ثبت في الكتاب والسنة؛ لتقوم الحجة الدامغة على العبد)[3].

إن هذه الشهادة ليست قاصرة على الأرض فحسب ولكنها تشمل شهادة اللسان والأرجل، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣٠٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٩٨.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٤٨٠.

يَعْمَلُونَ﴾[1]، بل تشمل السمع والبصر والجلود، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، قال القاسمي: (إذا بالغوا في إنكار المخالفة شهد عليهم سمعهم بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها، وسمعوا الشبه فاتبعوها، وسمعوا الفواحش فاستحسنوها، وشهدت أبصارهم أنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها، ورأوا القبائح فاختاروها وتشهد جلودهم بأنهم باشروا المعاصي، فوصل أثرها إلى القوة اللامسة منهم، فيشهد كل عضو وجزء بما كانوا يعملون)[3].

سادسًا- من مهام الداعية: تعليم المدعوين:

يناط بالداعية الكثير من المهام تجاه المدعوين ومن أبرزها: التعليم للمدعوين، حيث جاء في الحديث: (قرأ رسول الله ﷺ: "يومئذ تحدث أخبارها"، ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟)، ويعتبر التعليم من أولى مهام الداعية لأنه هو المسؤول عن تبليغ الحق للناس، والمرشد والمعلم لهم في أمور دينهم، يقول الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، والعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، فإن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق)[4].

---

(١) سورة النور، آية: ٢٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٢٠.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٢٦٣/١٤/٨.

(٤) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

الحديث رقم (٤٠٩)

٤٠٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((كَيْفَ أنْعَمُ! وصَاحبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بالنَّفْخ فَيَنْفُخُ)) فَكَأنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَى أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: ((قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: (حديث حسنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

أنعمُ: أفرح وأتنعم[2].

القرنُ: هو الصور الذي قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [3] كذا فسره رسول الله ﷺ[4].

وصاحب القرن: الملك الموكل به وهو إسرافيل[5].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترهيب من أهوال القيامة، يصور مشهداً من أوائل مشاهد القيامة بدأه النبي ﷺ بالاستفهام (كيف أنعم....؟) استبعادا لأن يكون منه تنعم بالحالة تلك، وجملة الحال التي ذكرها النبي ﷺ جعلت بينه وبين النعيم أسواراً منيعة بدأها بقوله :(وقد التقم صاحب القرن القرن) وصاحب القرن: كناية عن

---

(١) برقم ٢٤٣١ وزاد في آخره: (وعلى الله توكلنا). وصحّحه ابن حبان الإحسان ٨٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٣٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٠٥.

(٣) سورة ق، آية: ٢٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٠٤.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٠٥، ١٩٠٦.

موصوف. هو إسرافيل عليه السلام المكلف بالنفخ (والتقام القرن وحنو الجبهة كناية عن صفة التأهب، والاهتمام، وقرب موعد النفخ)، وهي صورة تخيلية تصور الأمر الشديد الذي نحن في عمى عنه، على هذا الوجه الذي تنخلع له النفس فرقاً، صورة مَلك عظيم التقم قرنه، وحنى جبهته، وقد أذن لله ينتظر أن يؤمر ببداية النهاية، وتصور الألفاظ رسول الله ﷺ ناظراً إليه واجف القلب خوفاً على أمته الغافلة عن هذا الأمر، هذا المنظر، وتلك الصورة كانت سبباً في أن صدَّر الرسول ﷺ حديثه بهذا الاستفهام استبعادا للنعيم، وإشارة إلى، وجوب الحذر، وترك الغفلة قبل مباغتة النفخة، فإذا كان النبي ﷺ أخبر أن الملك متهيئ للنفخ منتظراً الإذن من أكثر من ألف وأربعمائة عام مشيراً لأصحابه بقربه فإنه منَّا اليوم (قاب قوسين أو ادنى)[1]

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الخوف من قيام الساعة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله والمسارعة إلى العمل الصالح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد الاستفهام في هذا الحديث في قوله ﷺ: "كيف أنعم..."، والاستفهام يعمل على جذب انتباه المدعوين، ولفت أنظارهم، والاستفهام من أساليب القرآن التي تعرض قضايا الرسالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[3]، وقوله جلّ

---

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري. د: ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨.

(٣) سورة نوح، آية: ١٥.

شأنه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق:

إن الداعية مُبلّغ ومبين لحقائق الإسلام لا يكتم منها شيئًا ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "وصاحب القرن، قد التقم القرن واستمع الأذن متى يؤمر بالنفخ"، وإن الداعية هو المبلغ لحقائق القرآن، وبهذا أمر الله رسوله ﷺ في القرآن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ...﴾[2]، قال ابن كثير: (يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة، وآمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام. وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "وإن لم تفعل فما بلغت رسالته"، يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته)[3]. ومما لا شك فيه أن جميع أخبار القرآن الكريم والسنة الصحيحة كلها صادقة لأنها من عند الله سبحانه ولذا فمصداقية الخبر تزيد من اقتناع المدعو، وعلى الدعاة الهداة تبليغ حقائق الدين إلى جميع الناس فتلك مهمتهم ورسالتهم.

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين:

إن المدعوين في حاجة إلى صدر واسع وقلب رحيم يتحملهم ويعطف عليهم، ولذا كان من أهم صفات الداعية الرحمة والشفقة بالمدعوين حيث جاء في الحديث: "فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم قولوا: ..."، ويظهر من هذا مدى الرحمة والشفقة بالمدعوين وقد حصر الله الغاية من إرسال نبيه ﷺ في الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، ووصف رسولنا الكريم ﷺ بالرأفة

---

(١) سورة المزمل، آية: ١٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٥٠ - ١٥١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

والرحمة فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، والمتأمل لسيرة الرسول ﷺ يجد أنها كانت برًا ورحمة وشفقة بمن يدعوهم إلى الإسلام: (إن الدين الإسلامي بذاته رحمة من الله بعباده، لأنه يحقق للبشرية سعادتها، ويحفظ للإنسانية كرامتها من خلال التشريع الإلهي الذي جاء به، ومن هنا وجب على الداعية المسلم أن يتأسى برسول الله ﷺ في رحمته بالناس وشفقته عليهم؛ فإن الرحمة هي ترياق الحياة، لا طعم لها بدونها، فكيف بمن يريد هداية الناس وبيان الحق لهم لا بد أن يكون رحيمًا بهم حانيًا عليهم حتى يصل إلى قلوبهم، ومن ثم يقول لهم عن الدين ما يريد لأنهم أحبوه، والرحمة ما دخلت في أمر إلا تركت فيه أثرًا حميدًا أو أمرًا رشيدًا وحبًا وخيرًا لأن النفس البشرية في حاجة إليها في كل حين)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الخوف من قيام الساعة:

يستنهض النبي ﷺ الهمم للاستعداد لهذا اليوم يوم القيامة، فإذا كان النبي ﷺ لم يهدأ له باله من هذا المشهد، وهو المشهد القريب حين يأمر الله تعالى الملك الموكل بالنفخ في الصور، فما بالنا نحن قد غفلنا عن هذا النفخ، فإن الملك قد أخذ القرن الذي يشبه البوق، وقد وضعه على فمه ليستجيب لأمر ربه تعالى فورًا إذا أمره بالنفخ، فهو على أهبة الاستعداد، ولقد تهيب الصحابة رضوان الله عليهم الذين سمعوا هذا الحديث وشعروا برهبة الموقف فأشفق عليهم ﷺ، وعلمهم أن يستعينوا بالله تعالى ويذكروه بقولهم "حسبنا الله ونعم الوكيل" قال ابن علان:

(قال المظهري: أي كيف أطيب عيشًا وقد قرب أمر الساعة، وكأنه خاف على أصحابه منها وقد علم أنها لا تقوم إلا على أشرار الناس، أو حثّ لأصحابه على الوصية لمن بعدهم بالتهيؤ لها.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٩٤.

(فينفخ) أي عقب الأمر فحينئذ يصعق من في السماوات والأرض: أي يموت (فكأن ذلك) أي المذكور من قرب الساعة، وهي إنما تقوم على الأشرار..

قال ابن رسلان: قوله الصور قرن هو على هيئة البوق دائرة رأسه كعرض السماوات والأرض)[١].

قال المباركفوري: "وفي رواية الترمذي في التفسير "وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ.

والظاهر أن كلاً من الالتقام والإصغاء على الحقيقة وأنه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به.

وقال القاضي: (معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور؟ فكنى عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه، وهو مترصد مترقب لأن يؤمر فينفخ فيه، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، وفي التفسير قال المسلمون فكيف نقول يا رسول الله؟، وقوله: "حسبنا الله": مبتدأ وخبر أي كافينا الله. ونعم الوكيل: فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الموكول إليه الله)[٢].

هذا وقد أخبر الله سبحانه أن الذين آمنوا مشفقون خائفون من الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾[٣].

قال ابن عاشور: (يطلب الذين لا يؤمنون بالساعة من النبي ﷺ أن يعجل الله بحلول الساعة ليبين صدقه تهكمًا واستهزاء وكناية عن اتخاذهم تأخرها دليلاً على عدم وقوعها وهم آيسون منها، وأما الذين آمنوا فهم مشفقون من أهوالها، وإنما جعل الإشفاق من ذات الساعة لإفادة تعظيم أهوالها حتى كان أحوالها هي ذاتها...)[٤]، وقد

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣٠٥-٣٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٩٩.

(٣) سورة الشورى. الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٧٠/٢٥/١٠.

بيّن الله في القرآن الكريم كيف يكون حال الناس عند النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١).

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله والمسارعة إلى العمل الصالح:

إن المسلم تواجهه عقبات في حياته فلا يجد إلا الاستعانة بالله تعالى للنجاة مما هو فيه، وقد جاء في الحديث: "قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل"، ولا شك أن المسلم يرتكن إلى الله عند الشدائد، والله قادر على تخليصه مما هو فيه من الشدة، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ...﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(٣)، وبين سبحانه جزاء من يرتكن إليه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٤)، وبيّن الرسول الكريم ﷺ أن الاستعانة والالتجاء لا تكون إلا لله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ، يَوْمًا فَقَالَ: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَاذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الامَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْكَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ الا

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) سورة الزمر، آية: ٣٦.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣ - ١٧٤.

بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الاقْلأَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))[١].

وفي هذا الحديث إشارة إلى من أراد الاستعانة على الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فإن الله هو المستعان وعليه التكلان يحفظ في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات وذلك لأنك استعنت به وراعيت حقه وتحريت رضاه[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٤٦/٢.

الحديث رقم (٤١٠)

٤١٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : (**مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ. ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ**) رواه الترمذيُّ[1] ، وَقالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أدْلَجَ: بإسكان الدال ومعناه: سار من أول الليل. والمراد التشمير في الطاعة[2].

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب خبري غرضه لازم الفائدة حيث إن مضمونه معلوم، وإنما أراد فائدته، وهي الحث على الاجتهاد في الطاعة، والتحذير من القواطع التي تمنعه وقوله (مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ) مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه، والنفس، وأمانيه الكاذبة أعوانه فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان، وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه، كمن خاف أن يدركه العدو فسار من أول الليل حتى بلغ مأمنه، ومن الملاحظ في الحديث كثرة الأفعال التي تدل على الحركة، والتبكير بالعمل كما أن هذه الأفعال جاءت في صورة الماضي الذي تحقق وقوعه، وفي هذا إشارة إلى سرعة إنجاز العمل، وتحقيقه، قبل فوات الوقت ؛فإن لكل وقت في الزمان عملاً خاصاً به، وقضاؤه في وقت غيره مضيع لغيره، كما نلاحظ تكرار أداة التنبيه، التي تنبه إلى فضل ما يليها فالأولى (ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ) تنبيه إلى ما أعده لعباده، ونسبة السلع إلى تخصيص، وتشريف ،

---

(١) برقم ٢٤٥٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحاكم ٣٠٨/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٢.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٤.

والثانية (ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ) تنبيه بعد تنبيه يشير إلى أهمية الخبر، وهو الجنة، وتكرار السلعة للترغيب في الجد، والاجتهاد لتحصيل ثمنها، وهو الباقيات الصالحات.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاهتمام بالطاعة والخلاص من المعصية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الخوف من الله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل، والترغيب:

١- **التشبيه والتمثيل:** حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل"، قال الطيبي: (هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في سيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بأدنى سعي فقال: "ألا أن سلعة الله غالية")[١].

ومما لا شك فيه أن أسلوب التشبيه والتمثيل من أساليب الدعوة التي تساعد على تقريب المعنى للمدعوين، واستحضار الصورة في أذهانهم ومن أمثلة استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٥/١٠.

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٧.

٢- الترغيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "ألا إن سلعة الله الجنة"، قال المباركفوري: (ألا إن سلعة الله المراد به: من متاعه من نعيم الجنة غالية أي رفيعة القدر ألا إن سلعة الله الجنة يعني ثمنها الأعمال الصالحة الباقية)(١)، والترغيب من أساليب الدعوة التي تحفز النفس على الإقدام على الطاعة رغبة في نيل الثواب والأجر من الله سبحانه، ومن أمثلة استخدام القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾(٣)، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾(٥).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاهتمام بالطاعة والخلاص من المعصية:

يظهر هذا من قوله ﷺ في الحديث: "ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"؛ فالطريق الموصل إلى سلعة الله هو طاعة الله عز وجل، وترك المعاصي، وقد وعد الله بالأجر الكبير لمن يطيعه، قال تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾(٦).

ووعد سبحانه بدخول الجنة بالطاعة قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٧)، وجعل سبحانه الطائعين هم الفائزون فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٨).

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩١٧/٢.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) سورة يس، آية: ٥٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٢.

(٥) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٦) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٧) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٨) سورة النور، آية: ٥٢.

قال الماوردي: (والواجب على الإنسان أن يستجيب إلى فعل الطاعة، ويكف عن ارتكاب المعصية فهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين، ولهم جزاء العاملين وثواب المطيعين، قال ابن شبرمة: عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار؟ وقال ابن ضبارة: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى، أهونَ من الصبر على عذاب الله، وقيل للفضيل بن عياض: رضي الله عنك، فقال: كيف يرضى عني ولم أرضه وقال بكر بن عبدالله: رحم الله امرأً كان قويًا، فأعمل قوته في طاعة الله أو كان ضعيفًا ينكف عن معصية الله تعالى وقال عبد الأعلى بن عبدالله الشامي:

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتُقَال عَثَرات الفتى فيعودُ

هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود

والمرء يُسأل عن سنيه فيشتهي ... تقليلها وعن الممات يحيدُ[1]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الخوف من الله تعالى:

الخوف من الله تعالى عظيم الفوائد في الدنيا والآخرة، فإن المسلم الذي يخاف الله تعالى ينجو من الوقوع في مغبات المحرمات، ومن الاضطراب النفسي والضعف الروحي الذي يؤثر على حياة المسلم اليومية، ثم في الحياة الآخرة فإنه سيعاقب بعذاب النار، ويُحرم من ملذات الجنة التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين يخافون عقابه.

فمن خاف الله تعالى سلم من هذه الآفات الدنيوية والنيران الأخروية، وفاز بجنة عرضها السماوات والأرض.

وفي هذا الحديث ترغيب في الجنة، وإن نيلها ليس بالأمر السهل فإنها تحتاج إلى تصديق بالله تعالى وبطاعته سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث نصّ فيه على فضل الخوف، وقد بيّن الإمام ابن قيم الجوزية معناه،

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ١٠٣، ١٠٥.

وأنواعه ومتعلقاته فقال:

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله.

وقال صاحب المنازل[1]: (الخوف: هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر).

يعني: الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد.

والخوف من العقوبة: هو الخوف الذي يصح به الإيمان. وهو خوف العامة. وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.

فالخوف مسبوق بالشعور والعلم. فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به. وله متعلقان:

أحدهما: نفس المكروه المحذور وقوعه.

والثاني: السبب والطريق المفضي إليه. فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف، وبقدر المخوف: يكون خوفه. وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه، عمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضي إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب. ومن اعتقد أنه يفضي إلى مكروه ما، ولم يعرف قدره: لم يخف منه ذلك الخوف. فإذا عرف قدر المخوف، وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف.

هذا معنى تولده من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.

وفي مراقبة العاقبة: زيادة استحضار المخوف، وجعله نصب عينه، بحيث لا ينساه. فإنه -وإن كان عالمًا به- لكن نسيانه وعدم مراقبته يحول بين القلب وبين الخوف. فذلك كان الخوف علامة صحة الإيمان. وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه. والله أعلم[2].

ومما يدل على فضيلة الخوف ما جاء في الحديث الذي معنا: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل"، فالإنسان الذي يخاف الله عز وجل يقبل على طاعته ويمتنع عن

---

(١) هو أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي صاحب منازل السائرين.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥١٤/١، ٥١٥.

معصيته، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دَخَلَ على شَاب وهُوَ بالمَوْتِ فقَالَ: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟)) قالَ والله يا رسولَ الله إنِّي أرْجُو الله وإنِّي أخَافُ ذُنُوبِي. فقَالَ رسولَ الله ﷺ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْد فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاَّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[2]، وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، إذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ، يَبْكِي. حَتَّى يَبُلَّ لِحيَتَهُ. فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلاَ تَبْكِي. وَتَبْكِي مِنْ هذَا؟ قَالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ. فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ. وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)) قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))[3].

قال الغزالي: (إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يُقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود)[4].

وقال ابن القيم: (والخوف أنفع شيء للقلب وهو فرض على كل أحد، والخوف هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس وقيل: الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه)[5].

وقال ابن رجب الحنبلي: (والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل

---

(١) سورة النور، آية: ٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٠٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٨).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٢/١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٣٩/٢.

الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلاً محمودًا، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو همًا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودًا، فإن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدّها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين. قال سفيان بن عيينة: خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا)[1].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يظهر هذا من سياق الحديث، وتوجيه النبي ﷺ إلى الخوف من الله والعمل بالطاعة واجتناب المعصية، ولا شك أن الداعية من أهم واجباته الحرص على المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير لأنه -أي الداعية- هو العالم العارف بالكتاب والسنة فيلزمه دعوة الناس إليهما وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[2].

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ٣٩ - ٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٤١١)

٤١١- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْض؟! قَالَ: ((**يَا عائِشَةُ، الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ**)).

وفي رواية[1]: ((**الأَمْرُ أهمُّ مِنْ أنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعض**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

غُرلاً: بضم الغين المعجمة، أي: غير مختونينَ[3].

الشرح الأدبي

بناء الفعل (يحشر) لما لم يسم فاعله يذهب بالعقول كل مذهب في تصور الفاعل، وتعريف لفظ (الناس) باللام يدخل الجميع تحت مظلة الخبر، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يوحي بالرهبة المرتبطة بمدلوله، وقوله (حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً) وغرلا أي: غير مختونين جمع أغرل، وذكر هذه الأحوال تنبيه إلى أن الساتر الوحيد يوم القيامة هو لباس التقوى العمل الصالح، وقول عائشة رضي الله عنها: (الرِّجَالُ وَالنِّساءُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إلى بَعْض ؟!)استفهام أم المؤمنين رضي الله عنها يحمل مع التحقيق، والتثبيت تعجباً يعكس حياء جماً نسيت معه أن الموقف موقف الهول المذهل، والموقف العصيب الذي يذهل كل مرضعة عما أرضعت، ونداء الرسول ﷺ نداء تلطف، وتودد، وقوله (الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ) التعبير بأفعل التفضيل إشارة إلى ما فيه من أهوال، ومواقف تشغل الإنسان عن التفكير فيمن حوله.

---

(١) عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٧) واللفظ الأول له، ومسلم (٢٨٥٩/٥٦) واللفظ الأخير له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٤٢).

(٣) رياض الصالحين ٢٠٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان صفة الحشر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهوال يوم القيامة.

رابعًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "يحشر الناس"، لقد أخبر النبي ﷺ صفة وهيئة الناس في الحشر يوم القيامة، ولا شك أن أسلوب الإخبار إعلام بحقائق الإسلام الحنيف، (إن الداعي إلى الله خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله ﷺ، وخليفة كتابه في تبليغ شرائعه، وفي بيان هديه وسنته وفي بيان عقائده وأحكامه، وأخلاقه الكريمة وعظاته البالغة وأسرار التشريع)[١].

ومن خلال الإخبار تقوم حجة الله على عباده بتبليغهم وإخبارهم بالأوامر والنواهي، وتعريفهم بحقائق الدين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان صفة الحشر:

إن من المواقف الصعبة على الإنسان عندما يحشر للحساب بين يدي الله سبحانه وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث صفة الناس عند الحشر فمما جاء في الحديث: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً"، قال النووي: (والمعنى: يحشر الناس كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم)[٢].

إنها موعظة راعدة في هذا الحديث ألا وهي الوقوف بين يدي الله يوم المحشر إنه يوم عصيب إذ تُجمع الخلائق كلها على صعيد واحد كما خلقهم الله تعالى حفاة عراة غير مختونين، الكل مشغول بهموم نفسه هموم كالجبال في ثقلها تجعل المرء لا يفكر بشيء

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، على محفوظ ص ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٤.

آخر غير نفسه، حتى أنه يذهل عن رؤية الآخرين، لأن عقله مشغول بنفسه وهموم ما جنى.

وفي هذا الحديث الترهيب والترغيب من هذا المشهد للاستعداد له بما يرضي الله تعالى وتقواه سبحانه.

وهذا الحديث يفصِّل ويبيِّن الإجمال في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[1]، ففي هذه الآية الإجمال في قوله كما بدأنا، وفي الحديث بيان لذلك إذ وصف الناس في الحشر والبعث حفاة عراة غير مختونين وهكذا بداية خلق الإنسان.

وهذه الأحاديث كلها ترغب في الخوف من الله، وما قبل هذا الباب ببابين أورد باب محبة الله تعالى ثم تلاها هذا الباب باب الرجاء، ليكون العبد ما بين المحبة والخوف والرجاء، وفي هذه الأمور الثلاثة تمام وكمال توحيد العبودية.

قال ابن قيم الجوزية:

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسرًا وتمزقًا

وكذاك لولا برده بحرارة الـ ... أكباد ذابت بالحجاب تحرقًا

وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء. فكل محب راجٍ خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه. وكذلك خوفه. فإنه يخاف سقوطه من عينه. وطرد محبوبه له وإبعاده، واحتجابه عنه. فخوفه أشد خوف. ورجاؤه ذاتي للمحبة. فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه. فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه. ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضى، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه. فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه.

فتأمل هذا الموضوع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة. فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء. وعلى قدر تمكنها من قلب المحب

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

يشتد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة. بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير. وأين رجاء المحب من رجاء الأجير؟ وبينهما كما بين حاليهما[١].

وقال ابن حجر: (يحشر الناس عراة فإن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا، ولأن الذي يقي النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئًا قاله الحليمي، ويحشرون غرلاً: قال ابن عبدالبر: يحشر الآدمي عاريًا ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف ويحشر الناس حفاة أيضًا)[٢].

ومصداق هذه الصورة والهيئة التي يحشر عليها الناس، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٤]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٥]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[٧]، ولإذلال الكافر فإنه يحشر على وجهه حيث جاء في الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة: قال ﷺ: ((أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟))[٨]، وأما عن صفة أرض المحشر فقد جاء

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢-٤٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٩١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٤.

(٤) سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٧) سورة الكهف، آية: ٤٨.

(٨) أخرجه مسلم ٢٨٠٦.

في الحديث أن الرسول ﷺ قال: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ))[١]، قال النووي: (قوله: "عفراء" أي: بيضاء إلى حمرة كقرصة النقي أي مثل الدقيق النقى وقوله ليس فيها عَلَم لأحد، أي: ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهوال يوم القيامة:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: (يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)، وهذا يدل على شدة أهوال يوم القيامة، (إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة وذلك لفصل القضاء وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم، وتدني الشمس في ذلك اليوم من رؤوس الخلائق حتى تكون قريبة منهم جدًا فتشتد الحرارة في الموقف، ويعرق الناس لذلك حتى يذهب العرق سبعين ذراعًا)[٣]، وقد وصف الرسول الكريم ﷺ شدة هذا اليوم فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تُدْنَى الشَّمْسُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ)). قَالَ: ((فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا)). قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[٤].

ولا يخفى أن تذكر أهوال يوم القيامة يولد في داخل الإنسان الخوف من الله والانقياد لأمره، "إن ذكر صفة الحشر وما فيه من أهوال جسام من ازدحام الخلائق اختلاط الأنفاس وعرى الأجسام وكثرة العرق ودنو الشمس من الخلائق والعرض على العزيز الجبار وذكر النار وصفتها المفزعة وحال أهل النار فيها هذه الأمور إذا تذكرها المسلم في هذا اليوم فإنه يشفق من عذاب الله ويخافه ويرجوه أن ينجيه من تلك الأهوال

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٣٩.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥١٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٦٤.

الشداد العظام"[١].

رابعًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

المسلم بحاجة مستمرة إلى أن يسأل عن أمور دينه وعن الأمور التي تظهر في حياته، ويحتاج إلى معرفة هدي الإسلام فيها، لذا كان المسلم بحاجة إلى أن يسأل عما خفي عليه، يظهر هذا من قول عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟"، والمدعو مطالب أن يسأل عندما يخفى عليه أي أمر وبهذا أمر الله في القرآن. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[٣]. وأمر الله حتى بالسؤال عنه سبحانه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٤]، ومن ثم أصبح من أهم واجبات المدعو السؤال عن الأمور الخافية عليه.

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٧٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن الخوف من الله يدفع إلى تقواه، وإن الشعور بالعرض عليه يحول دون معاصيه، وإن صفات الكمال القائمة بذات الله تحول دون الإقدام على معصية الله، إن الإقدام على المعصية ناتج غفلة أو ضعف الرائي أو مصلح مشركة بين الجاني والمشاهد، والحق سوى ذلك بالكلية، فالحق لا تأخذه سنة ولا نوم "إن الله كان عليكم رقيبا"، وأما المراقبة الإلهية فنصوص القرآن بحقها تبلغ حداً في الكثرة في الوصف بالبصر بعد الوصف بالسمع أو على سبيل الاستقلال.

ومع هذا فعفو الله واسع وكرم الله عميم، فقد جعل اتقاء النار أمراً سهلاً ميسراً، وأشار إلى أن قليل المعروف يؤدي إلى الجنة ويقي من جهنم. ومن المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية والتنشئة على الخوف من الله عز وجل:

التربية على الخوف من الله تعالى من الأساليب التربوية التي يقوم عليها الإسلام، مما يسهم في صياغة شخصية المؤمن وتربيته على خشية الله تعالى وطاعته والحذر من مخالفة أوامره سبحانه: يظهر ذلك من قول النبي ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل ...»، وقوله: «منهم من تأخذه النار إلى كعبه ...»، وقال: «يقوم الناس لرب العالمين ...»، وقوله: «تدني الشمس يوم القيامة...»، وقوله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرنِ ...».

فهذه أساليب تربوية تحذر من الوقوع في المعاصي حتى يحذر المؤمن أن يكون من أهل النار، إن التخويف من الأساليب التربوية المؤثرة في تربية النفوس للبعد عن المعاصي التي تكون سبباً في دخول النار، وحلول غضب الله، وعليه فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ولا يتجاوز ذلك[1].

---

(١) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم عبداللطيف، ص٢٢١، ٣٠٥، أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص ٣٣٩.

والخوف من الله تعالى سمة المؤمنين وآية المتقين ودين العارفين، خوف الله تعالى في الدنيا طريق للأمن في الآخرة، وسبب للسعادة في الدارين، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام وصفاء القلب، وطهارة النفس. وإذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه وطرد بهرج الدنيا عنه وهو سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه ويرد به الآبقين إلى رحابه، فهذه هي القلوب الممتلئة بخوف الله، المعظمة بخشية الله، والخوف شجرة طيبة إذا ثبت أصلها في القلب، ويرق الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين، لأنه إذا خاف المرء ربه أخاف الله منه كل شيء، وإذا لم يخف ربه أخافه من كل شيء، والخوف من الله، مانع للذنب، عاصم من الخطأ.

وإمام الخائفين وقدوة المتقين هو خاتم الأنبياء والمرسلين كان دائماً مايردد أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له[1].

ثانياً: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الأعمال الصالحة والمداومة عليها:

تعمل التربية الإسلامية على تحقيق جملة من الأهداف في حياة المسلم، لعل من أبرزها الحث على الأعمال الصالحة والمداومة عليها، لحاجة المسلم إلى التردد بالعمل الصالح والمداومة عليه، لأنه لا يدري متى يأتيه الموت، وعلى أي حال يدركه، لذا فإن التربية الإسلامية، ترمي إلى تنشئة وتربية المسلم على حب الأعمال الصالحة، التي تكون سبباً في رضوان الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ حريصاً على حث أصحابه رضي الله عنهم على ذلك، ومن الشواهد من أحاديث الباب قوله ﷺ: «فَوَالَّذِي لاَ إِلهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَكُونُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ....».

في هذا الحديث توجيه تربوي للمسلم للاستمرار على الأعمال الصالحة ولزومها لما في ذلك من الأثر الكبير في تقوية العلاقة مع الله وحسن الصلة به سبحانه واجتناب المنهيات على الدوام، ولاشك أن هذا النوع من التربية يجعل الإنسان موصولاً بالله تعالى

---

(١) الله: أهل الثناء والمجد ٦٤.

وينمي جوانب الخير في حياة الناس، ولفعل الأعمال الصالحة دور في صلاح المجتمع لما فيها من التربية المباشرة على مداومة الأعمال الصالحة، وذلك لأن التربية الإسلامية تهدف إلى تنمية شاملة(١).

والمنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة، وذلك: بحثه على فعل الخيرات والمسابقة إليها باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، وقد جعل الله المبادرة إلى فعل الخيرات أحد العناصر الرئيسية للفوز برضاه والعلاج في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢). وهدف الإسلام من الحث على المداومة على أعمال الخير هو قهر نوازع الشر، ولأننا نجاهد في هذه الحياة للتزود ليوم القيامة كان لزاماً علينا أن نسارع إلى الخيرات(٣).

ثالثا: التربية بالترهيب:

لاشك أن الإنسان يحرص على ما يحقق له السعادة ويسعى إلى تحصيل أسبابها، وفي المقابل يحاول أن ينأى بنفسه عن كل ما ينغص عليه حياته، وقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه من خلال الترهيب لما له آثار تربوية عميقة في النفوس لأنه يثير عند الإنسان عامل الخوف.

وهذا العامل في الواقع يوجه الإنسان، ويعمل على تحديد أهدافه وسلوكه، وعلى قدر ما يخاف يكون التأثير في السلوك والتوجه، ومن الشواهد التربوية في أحاديث الباب ما ورد في قوله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»، وقوله ﷺ: عن الأرض عندما قرأ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾(٤). أتدرون ما أخبارها؟.... إن أخبارها أن

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص٢٧٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٣) الشخصية، د. ناصر التركي، ص٣٦٢.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٤.

تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عملت كذا...

فهذا شاهد تربوي للتحذير من الأهوال، مما يبعث على الخوف من فعل المعاصي، والرسول ﷺ في هذه الأساليب يوجه الإنسان، ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته اعتماداً على الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة(١).

إن العلاقة بين العمل والجزاء في الآخرة تعد من أهم ما تميز به الإسلام على سائر الأديان، ويعد ذلك من أبرز الأساليب التربوية التي بمثابة الدوافع الإيجابية التي تدفع الإنسان إلى فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات وتنمي لديه الرغبة في نيل رضوان الله تعالى في الآخرة. ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيه...».

ففي هذا الحديث لون من ألوان التربية الإسلامية التي تعمق في نفس الإنسان الفهم الواعي للصلة بين عمله، وبين جزائه في الآخرة.

لقد بيّن الرسول ﷺ أن الإيمان باليوم الآخر يمثل الوازع الداخلي والضابط لسلوك الإنسان في الحياة الدنيا، ولذلك أكد رسول الله ﷺ على أن سلوك الإنسان وتصرفه في حياته هو الذي يحدد ويربي الإنسان المسلم على قوة الصلة بين العمل والآخرة(٢).

إن مسألة استشعار الصلة بين العمل والجزاء في الآخرة تنمي في نفس المسلم المراقبة والمحاسبة والمعاتبة والمراجعة الدائمة لكافة تصرفاته وسلوكياته فيسأل نفسه ماذا أردت بهذا الفعل؟ هل ابتغيت به مرضاة الله، أم إشباع هوى النفس؟ وهكذا يكون المسلم في يقظة ومراجعة مستمرة لأنه يطمع في مرضاة الله تعالى.

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز الجليل، ٥٦/٣، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص٢٢٢، ٢٥٠.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٦٤. أصول التربية الإسلامية للحازمي، ص٢٩٢.

من أهداف التربية الإسلامية، التربية على المسؤولية، لأن فيها التزاماً وارتضاء مجموعة القيم والمبادئ والتعاليم التي جعلها اله منهاجاً للحياة، ومن الشواهد على ذلك في باب الخوف. قوله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَن عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيه ...».

فهذا شاهد تربوي يبين مدى المسؤولية في الإسلام، وأن الإنسان محاسب ومسؤول يوم القيامة عن عمله، وعمره، وماله، وجسمه، والإسلام لم يخل أحداً من المكلفين من المسؤولية فهو يعتبر كل إنسان مسؤولاً مسؤولية كاملة عن نفسه، وعما ينتج عنه من أفعال. سواء كان بالنسبة إلى نفسه أو الآخرين، ويجني ثمارها إن أحسن ويلحقه عقابها إن أساء[1]. لذلك قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

إن شعور الفرد بهذه المسؤولية يدفعه للعمل بدون توان ولا ملل ويراعى في هذه المسؤولية هل حفظ الأمانة كما ينبغي أم ضيّع وفرّط، وإن أولى الناس بالمحاسبة والمراقبة نفسه التي بين جنبيه فيراجعها الفينة بعد الأخرى، ويسألها قبل أن تسأل، فكل فرد في المجتمع المسلم له رعية يرعاها بغض النظر عن موقعه فيه في القمة أو في القاع[3].

من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية أنها تربية وقائية تقوم على وقاية الإنسان من كل ما يورده المهالك في الدنيا والآخرة، وهذا منهج عظيم تميزت به التربية الإسلامية حيث لم تنتظر لحظات وقوع الإنسان في المعاصي والذنوب بل عمدت إلى وقايته وحمايته من كل ما يؤدي به إلى الضرر، وهذه التربية الوقائية، قدمها رسول الله ﷺ على هيئة نصائح، بينها رسول الله ﷺ ويتضح ذلك من أحاديث الباب في قوله ﷺ: «...

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٩٩، الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.

(٣) التربية الذاتية، د. هشام علي أحمد، ص٥٨.

فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وقوله: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»، فهذه توجيهات نبوية وقائية تحذر من الوقوع في النار وأهوال يوم القيامة.

"وهذه الوقاية جاءت على شكل تحذير وتحصين للفرد فكرياً وسلوكياً من بعض الأمور السلبية المستقبلية أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يقضي إلى مفسدة أكبر منه، والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم والأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والتربية الوقائية تعد جرعة إن أخذت ستقي الإنسان المسلم من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق"[١].

إن من أساليب التربية الإسلامية التنشئة بالسؤال والجواب، ومن الشواهد على ذلك في حديث الباب، قوله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً. فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا فسمعتم وجبتها».

فهذا توجيه نبوي تربوي ظهر منه السؤال والجواب كأداة تعليمية فيه إثارة المعلم للاهتمام والانتباه قبل البيان لأن هذا أدعى إلى الفهم، والرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب، وذلك لإعداد الصحابة إعداداً صحيحاً لأن الاستفهام يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير، وهذا ما يحمل المخاطب إلى توجيه اهتمامه لما يلقي إليه لكي يجيب عليه[٢].

ويعد أسلوب السؤال والجواب من أهم الأساليب التربوية لأن السؤال من أحد أركان الفهم والإقناع، والجواب يعد من أحد أركان هذا الأسلوب، وهذا الأسلوب لا يستغني عنه الإنسان الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير، لأن الإنسان معارفه محدودة، ولن يحيط بكل شيء ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة، ولذلك تراه يبحث عن إجابات لما يحصل، ولأهميته حرص الصحابة عليه، ومن عود نفسه على السؤال زادت ثقته وشعر بالطمأنينة والارتياح لمعرفة الإجابة[٣].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني. ص٢٥٦.

(٢) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل، ص٥٨.

(٣) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد، ص١٢٤.

إن من أهداف التربية الإسلامية، الجد في الأمور، ولقد اعتبرت التربية الإسلامية ذلك من أولوياتها وصفة ملازمة لبرامجها التربوية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «... لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً ...».

فهذا توجيه نبوي ربيّ فيه الصحابة على الجد في الأمور، وأنه لا نجاح في تحقيق الهدف دون استحضار واستصحاب الجدية في الأمور، لأن التربية الجادة طريق الأنبياء والعلماء من بعدهم، والأنبياء قدوة الناس، والجدية هي الأصل الأصيل في هذه الحياة، فلا ينجح في الحياة ولا يثمر ولا يحقق أهدافه إلا من وطن نفسه ورباها على الجد في الأمور والسعي الحثيث لإدراك معاليها مع التأكيد على أصالة التوكل على الله في كافة الأمور، فالمسلم يتوكل على الله أولاً ثم يبذل الأسباب الجادة بعد ذلك.

"والرجل الجاد هو صاحب الهدف الذي يسري في أعماقه وروحه فهمه وجهده متوجة إلى هذا الدين، إنه الرجل صاحب العبادة الحقة لله سبحانه وتعالى، ظاهراً، وباطناً، مخلصاً مخبتاً راجياً خائفاً، كثيرَ الذكر والصلاة والصيام والتلاوة، فهذا هو الرجل الجاد في نفسه القادر على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت المناسب إنه الرجل الشجاع غير الهياب"[١].

من أسس التربية الإسلامية التربية العقدية الصحيحة، ومن مهام وأهداف التربية العقدية التأكيد على الإيمان بالغيبيات وترسيخ هذا الإيمان؛ لأن الإيمان بالغيبيات أصل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية يضمن سلامة مسيرة المؤمن في حياته، وذلك لأن ترسيخ هذا الإيمان في النفس يكون بمثابة السياج القوي الذي يحمي الإنسان من الانحراف لإيمانه بوجود الجنة والنار، وأنه لابد من الحساب والجزاء والمصير إما إلى الجنة وإما إلى النار والعياذ بالله[٢].

ومن شواهد التربية العقدية من أحاديث هذا الباب على ذلك. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هذَا؟» قَالَ: قلنا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً. فَهُوَ يَهْوِي

---

(١) انظر: التربية الجادة ضرورة، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٢.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١١٦.

فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا». فهذا توجيه نبوي ظهر منه تأكيد النبي ﷺ على أحوال الدار الآخرة، وذلك لأنها من أصول العقيدة الإسلامية. "وذلك لأن العقيدة أساس يجب الوقوف فيه على ما ينبغي على المسلم اعتقاده وضبط سلوكه به في إطار التربية الإسلامية من الناحية النظرية والعملية، والإيمان بالدار الآخرة ركن من أركان العقيدة التي يجب التصديق به وأن يقف عند حدود بيان الله عز وجل لها فيثبت ما أثبته الله تعالى وينفي ما نفاه، مع ضرورة العلم بأن الإيمان ينتقض إذا أنكر المرء معلوماً من الدين بالضرورة -كالدار الآخرة- أو أتى بشيء مكفر حتى لو آمن بالأركان الأخرى"[(١)].

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد في مجال التعليم والتربية، منها ما يلي:

أ-التلقين والموعظة الحسنة والخطبة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين.

ومما لا شك فيه أن نفس الإنسان تتأثر بما يلقى من كلام، لذا كان الوعظ والتلقين من الأمور التي تصل إلى نفس المتعلم وتحرك وجدانه، وقد استخدم النبي ﷺ الموعظة والخطابة في مواقف متكررة لقوة أثرها وشدة تأثيرها.

ب-الإلقاء: كحديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ..." الحديث. والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين ويُمَكّن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ج-التربية بالمواقف، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً [أي صوت سقطة] فقال: هل تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم..." الحديث.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٨٠.

ولقد استخدم النبي ﷺ المواقف المختلفة لتربية أصحابه الكرام وغرس القيم النبيلة وإبعاد القيم غير الطيبة، وتمتاز التربية بالمواقف والأحداث بأنها تحدث في النفس أثرا كبيرًا من خلال التجربة العملية والممارسة.

د-توجيه الأسئلة كما في الحديث السابق: "هل تدرون ما هذا؟" وتوجيه الأسئلة يفيد في قياس مدى إدراك المتعلمين لبعض المعلومات والمعارف المرتبطة بالدرس.

هـ-المناقشة والحوار، كما في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلا" قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض" قال: "يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك" والمناقشة والحوار من الأساليب التي تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع الملل عن المتعلمين.



٥١- باب الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[سبأ: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[طه: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[الأعراف: ١٥٦].

الحديث رقم (٤١٢)

٤١٢- وعن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ ألْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: **((مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ)).**

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٨٦).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في أسلوب الشرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك العاقل ليختار مصيره، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وفي هذا رعاية لمصلحته ببيان سبيل الخير، ورعاية لحريته حتى يرجع إلى عقله، ويحكمه، فيهديه إلى الصواب، أو يحيد عن طريق الحق فتلزمه الحجة، وقوله: (مَنْ شَهِدَ أنَّ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٥ واللفظ له، ومسلم ٢٨/٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٥١.

(٢) أخرجه برقم ٢٩/٤٧. أوردها المنذري في ترغيبه ٢٢٥١.

لَهُ...) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وشهد فعل الشرط، مع ما عطف عليها، وقوله (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) تعريض بالنصارى، ودعوة لهم للإسلام، والإضافات المتكررة في العبارة للتشريف، والنص على العبودية، وتقديمها على الرسالة في قوله: (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ) نفياً للألوهية التي ادعاها النصارى لعيسى عليه السلام وقوله: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) كناية عن ولادته دون أب، والتعبير بالإلقاء يشير إلى مسافة قطعها الملك ليبلغها، وتكرار المسند في قوله (وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ) إيذاناً باستقلال الحكم في كل جملة منهما بمعنى أنه لابد، وأن يؤمن بكل واحدة منهما، وتوكيد الجملة بعدة مؤكدات لتضمنها دعوة غير المسلمين، وهم بين منكرين، وشاكين، وقوله (أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ) جواب الشرط والجواب محقق من جهة صياغته المضارعية، ومن جهة نسبته لله -تعالى-، وقوله (عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ) تتميم بلاغي أفاد بقاء عمله الصالح، وأنه يجزى به.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل عيسى عليه السلام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الإيمان بالجنة والنار.

خامسًا: من صفات الداعية: التبشير.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرجاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء الشرط في الحديث في قوله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله ..."، ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من الأساليب التي تعمل على شدّ انتباه المدعو إلى معرفة الجواب، كما أن أسلوب الشرط يبين مدى ارتباط الجزاء بالعمل من خلال الارتباط بين الشرط وجوابه، ومن استعمال القرآن لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ

ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[١]، وقوله جلّ شأنه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين:

إن الدخول في الإسلام يكون بالشهادتين وهذا يدل على فضل هذه الكلمة، وقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله"، وشهادة التوحيد هي أولى مطلوبات الإسلام، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٤]، وهي أحد دعائم الإسلام الخمسة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ....))[٥]، وأمر الله رسله بالمقاتلة عليها فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إلاّ بحَقِّ الإسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه))[٦].

ومن قالها بإخلاص نال الشفاعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إلهَ إلا اللّهُ خالِصًا مِن قَلبه، أو نفسِه))[٧].

---

(١) سورة الحج، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٢٢.

(٧) أخرجه البخاري ٩٩.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكلمة التوحيد هي الكلمة الطيبة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وهي تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة، ولا تزال هذه الشعيرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها فكلمة التوحيد أصلها ثابت راسخ في قلب كل مؤمن، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت)[١].

وقال حافظ بن أحمد حكمي: (وهذه الشهادة -كلمة التوحيد- هي سبيل الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار، ولا سعادة في الدارين إلا عن طريقها فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق. وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها مقيّدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إن نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من الرسل وهو كلمة الله وروح منه وهذا يدل على فضله عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث جاء في الحديث: "وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"، قال النووي: (وسمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة لأنه كان بكلمة "كن" فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم، قال الهروي: سمي كلمة؛ لأنه كان عن الكلمة فسمي بها كما يقال للمطر رحمة وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٣]، أي: رحمة، وقال ابن عرفة: أي: ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح وقال غيره: وروح منه،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١٧٢/١ - ١٧٣.

(٢) معارج القبول ٥٠٩/٢ - ٥١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧١.

أي: مخلوقة من عنده وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشريف كناقة الله. وبيت الله)[(١)].

وقال ابن حجر: (وفي ذكر عيسى عليه السلام تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله "عبده"، وفي ذكر "رسوله" تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزه عنه وكذا أمه وفي قوله "وابن أمته"، تشريف له وقوله "وكلمته"، إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه وأحيا الموتى على يده)[(٢)].

وعيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[(٣)].

وقد أيد الله عز وجل نبيه عيسى عليه السلام بالمعجزات لإثبات رسالته، "ولما أنكر عيسى عليه السلام على رجال الدين انغماسهم في الشهوات أجمعوا أمرهم على مناوأته وتكذيبه ولإحراجه طالبوه بما يؤيد رسالته فأيده الله بالمعجزات الباهرة وهي: صنع من الطين شكل طير ثم نفخ فيه فكان طيرًا بإذن الله، مسح على الأكمه -وهو من ولد أعمى- فعاد الأعمى بصيرًا بإذن الله، مسح على الأبرص فشفاه بإذن الله، أحيا الموتى بإذن الله "بالنداء أو اللمس"، أنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وهذا ما ذكره الله على لسان عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٤)]، هذا بالإضافة إلى معجزة المائدة من السماء التي طلبها

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٧/٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

الحواريون فيتثبتوا من صدق رسالته، فدعا عيسى عليه السلام ربه فأنزل عليه المائدة التي طلبوها ولا شك أن هذا يدل على فضل نبي الله عيسى عليه السلام"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الإيمان بالجنة والنار:

إن من ثوابت العقيدة الإسلامية الإيمان بأن الجنة حق والنار حق، حيث جاء في الحديث: "والجنة حق والنار حق"، والإيمان بالجنة والنار من أصول العقيدة الصحيحة، "لقد اتفق أهل العلم على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ودلت على هذا نصوص الكتاب الكريم ومن ذلك قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣]، وقوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٥])[٦].

وقد تواترت نصوص القرآن والسنة في بيان نعيم الجنة وعذاب النار، (ونعيم الجنة منه ما هو مادي حسي ومنه ما هو روحي معنوي هذا مفهوم القرآن الكريم ومن نعيم الجنة المادي أنهار الجنة وأشجار الجنة وثمارها وطعام الجنة وشرابها وثياب الجنة وحللها ومساكن الجنة وغرفها ونساء وحور الجنة ومن نعيم الجنة الروحي: لقاء الله تعالى، ورؤية الله تعالى، ورضوان الله تعالى وفي المقابل ذكر الله في القرآن العذاب الحسي لأهل النار وطعامهم وشرابهم والعياذ بالله)[٧].

ومما لا شك فيه أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار له أثر فاعل في نفس المؤمن، وفي توجيه سلوكه في الحياة، (ولو اجتمعت معاني الإيمان باليوم الآخر في حس

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ٣٣١ - ٣٣٢

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣١.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ٢/٦١٤.

(٧) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ١٢٧.

المسلم، وصار لها ذاكرًا على الدوام، واستشعرها بقلبه، لأصبح من أولياء الله فعلاً لأن هذه العقائد الجلية توقظ المؤمن من سباته وتجعله في حذر دائم من عواقب هذا اليوم فإذا ما سولت له نفسه ارتكاب محذور تذكر الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والنار والوقوف بين يدي الجبار، فيتولد عنده حينئذ خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها، ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء عند الموت وفي القبر وفي الحشر وعند الميزان والصراط والمرور عليه ولحظة الوقوف بين يدي الحليم الغفار فالإيمان باليوم الآخر هو الدافع إلى اجتناب المحارم وإتيان الطاعات وهو دستور إصلاح للأفراد والجماعات والأمم والشعوب المسلمة)[1].

خامسًا- من صفات الداعية: التبشير:

إن النفس تحب التبشير وتكره التنفير، وتأنس الترغيب وتخاف من الترهيب ولذا كان من صفات الداعية الناجح التبشير حيث جاء في الحديث: "إلا أدخل الجنة"، والداعية من ألزم صفاته أن يكون مبشرًا لا منفرًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

قال الطاهر بن عاشور: (والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل وقدمت البشارة على النذارة؛ لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته)[3]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4]، وأمر رسول الله ﷺ

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٣/٢٢/٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

بالتبشير فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[1]، والداعية الذي يكون من صفاته التبشير فإن الناس تستمع لموعظته، وتستجيب لقوله.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الرجاء:

يؤخذ ذلك من عموم الحديث والمسلم دائمًا يستصحب رجاءه في الله دائمًا، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[2]، وقال سبحانه عن أهل الطاعة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قالَ: واللهِ يا رسولَ اللهِ إنِّي أرْجُو اللهَ وإنِّي أخَافُ ذُنُوبِي. فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[4].

ومن الرجاء حسن الظن بالله، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِيثَ يَذْكُرُنِي))[5]، وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: ((لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ باللّهِ الظَّنَّ))[6].

قال ابن القيم: (ومن فوائد الرجاء أن فيه إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين، ومن فوائده أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله لأن الملك الجواد أجود من سئل وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد أن يرجى ويؤمل ويسأل. والسائل راجٍ وطالب فمن لم يرج الله يغضب الله عليه، والرجاء حادٍ يحدو بالعبد في

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٣٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته فلولا الرجاء لما سار أحد فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء، والرجاء يطرح العبد على عتبة المحبة فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حبًا لله تعالى وشكرًا له ورضى به وعنه. والرجاء يبعث العبد على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره)[1].

والرجاء له علامة وقد سئل أحمد بن عاصم: ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان أُلهم الشكر، راجيًا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة وتمام عفوه عنه في الآخرة[2].

قال ابن علان: (والمراد من صدّق بمضمون ذلك وأذعن له بجنانه ونطق به بلسانه، فإن منع من النطق مانع من خرس أو معاجلة منية فهو مؤمن، وإلا فنقل المصنف في أول شرح مسلم الإجماع على كفره. وعورض بأن الغزالي نقل فيه عن جمع أنه مؤمن عاص بترك النطق بها..

ويعني من مات على الإيمان لا تخرجه الكبائر عن إيمانه فيدخل الجنة. أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار فمفوض إلى مشيئة الله تعالى)[3].

قال ابن حجر: (قوله "على ما كان من العمل" أي من صلاح أو فساد لكن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: "على ما كان من العمل" أي: يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات)[4].

قال العيني: (وقال القرطبي: المقصود من هذا الحديث التنبيه على ما وقع من النصارى من الضلال والفساد في عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام)[5].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) نفس المرجع السابق ٢/٣٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٧٥.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦/٢٧.

قال المناوي: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

قال البيضاوي: فيه دليل على المعتزلة في مقامين:

أحدهما: أن العصاة من أهل القبلة لا يخلدون في النار لعموم قوله: "من شهد".

الثاني: أنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة فإن قوله على ما كان من العمل حال من قوله أدخله الجنة، والعمل غير حاصل حينئذ بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من ثواب أو عقاب.

فإن قيل ما ذكر يوجب أن لا يدخل النار من العصاة؟ قلنا: اللازم منه عموم العفو، وهو لا يستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عن بعضهم بعد الدخول وقبل استيفاء العذاب، هذا وليس محتم عندنا أن يدخل النار أحد من الأمة بل العفو عن الجميع بموجب وعده بنحو قوله: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1][2].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) التيسير شرح الجامع الصغير، المناوي ١٥٩/٦.

الحديث رقم (٤١٣)

٤١٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**يقول الله عز وجل: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِهَا أَوْ**[١] **أَزْيَد، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ**[٢] **سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الأرْض خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**)) رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

وقُراب الأرض: ما يقاربُ ملأها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث بني على أسلوب الشرط المنبيء باتصال الجمل و(من) في كلتا الجملتين شرطية، والمجيء بمعنى عمل، شبَّه عمله الحسنة بحال المكتسب، إذ يخرج يطلب رزقاً، فيجيء أهله بشيء فالباء للمصاحبة، والكلام تمثيل، ويجوز حمل المجيء على حقيقته، أي مجيء إلى الحساب، والحسنة، والسيئة هنا للجنس، والجار، والمجرور (له) للملك، وتعليق الجواب على الشرط الذي يقتضيه أسلوب الشرط يجعل حصول عشر حسنات للعبد معلق على فعله حسنة واحدة مما يرغِّبه فيها، وحصول سيئة للعبد معلق على فعله سيئة مما ينفِّره منها؛ لأنه يعلم أنها ستعود عليه بمثلها، وقوله في الحسنة (أو أزيد) تفضل منه بترك باب الزيادة مفتوحاً وجملة (أو أغفر) تفضل منه بترك باب

---

(١) لفظ مسلم: (أو)، وفي نسخة: (وأزيده).

(٢) لفظ مسلم: (فجزاؤه) بدل: (فجزاء سيئة).

(٣) برقم ٢٢/٢٦٨٧.

(٤) رياض الصالحين ٢٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ب).

مغفرة مفتوحاً، وقوله (وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً)أسلوب شرط يعلق تقرب الرب من العبد ذراعاً على تقرب العبد شبراً) ومعناه :(مَنْ تَقَرَّبَ) إِلَيَّ بطَاعَتِي (تَقَرَّبْتُ) إليه برَحْمَتِي وَإِنْ زَادَ زِدْتُ (فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي) وَأسرَعَ فِي طَاعَتي (أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) أي: صَبَبْتُ عليه الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بهَا، وَلَمْ أحْوجْهُ إلَى المَشْيِ الكَثِيرِ فِي الوُصُولِ إلَى المَقْصُودِ والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه -كما قال النووي- (وقُرَابُ الأَرضِ): ما يُقَارِبُ مِلأَهَا، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوبة والرجاء في رحمة الله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث القدسي: "من جاء بالحسنة"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تشدّ انتباه المدعو إلى معرفة الجزاء، ويربط للمستمع بين العمل والجزاء عليه، ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2].

٢- **الترغيب:** يستنبط هذا الأسلوب مما ورد في الحديث القدسي من الترغيب في الإتيان بالحسنات وعمل الصالحات والتقرب إلى الله تعالى، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب مما يحفز النفس على الإقدام على الطاعة، "والترغيب يكون بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير وتبشيرهم بحسن المثوبة، وهو يفيد في حمل

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة والترغيب على ضربين، الأول: الترغيب في جنس الطاعات مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[1]، والثاني: الترغيب في أنواع الطاعات مثل الصلاة والصدقة والصوم[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله تعالى:

إن رحمة الله واسعة وفضله عظيم، ويعامل الناس بفضله لا بعدله ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث القدسي: "من جاء بالحسنة له عشر أمثالها أو أزيد"، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى، قال النووي: (معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى)[3].

وفضل الله عز وجل ورحمته واسعة قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4]، قال السيد سابق: (وينبغي للإنسان أن يأخذ بالأسباب الموصلة إلى النجاة والخلاص، ولا يقف عند مجرد إحسان الظن بالله، ولكي يعفو الله عن الإنسان ويستره لا بد أن يستر الإنسان نفسه في الدنيا فلا يجهر بما يفعل من سيئات، والله سبحانه لحبه لعباده ولسعة مغفرته يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء وعلمه الذي وسع كل شيء أن يغفر للتائبين ويدخلهم رحمته، ومن أبلغ ما قيل في هذا المقام: إن استغفاري مع إصراري لؤم وإن ترك استغفاري مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك - يا من

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ١٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٨.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

إذا وعد وفى وإذا توعد عفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)[١].

إن من كرم الله تعالى مضاعفة الحسنات لعباده ليكثروا منها، رجاء ثوابه سبحانه، فإنه يُرغّب في ذلك، ويؤكد على ذلك بالبشرى التالية لمن يتقرب إلى الله تعالى بالطاعات فإنه سبحانه يثيبه على ذلك.

ثم ختم الحديث القدسي بالبشرى الثالثة للمؤمنين التجاوز ومغفرة الذنوب مهما كثرت وتعددت حتى لو ملأت الأرض بشرط ألا يشرك بالله تعالى، وهذه البشرى تبدد اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وتبث الأمل برحمة الله، وتقوي الرجاء لنيل ثمرات هذه البشرى العظيمة، فإذا كانت رحمته الواحدة في الدنيا تتراحم بها الخلائق والبهائم والهوام، فإن الرحمات التسعة والتسعين تنتظر المؤمنين ليتفيأوا بظلالها وجناتها.

قال ابن علان: فالجملة الأولى لبيان عظم الثواب على كثرة العمل ومزيد المجاهدة، والثانية لبيان حصول ثواب العمل وإن قل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٢].

قال القرطبي: (هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب إلى الله تعالى تدل على أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قل عمله، بل يقبله ويثيبه مضاعفًا)[٣].

وقال العيني: قوله "أنا عند ظن عبدي بي" يعني: إن ظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك. وإن ظن العقوبة والمؤاخذة فكذلك، ويقال إن كان فيه شيء من الرجاء رجاه لأنه لا يرجو إلا مؤمن بأن له ربا يجازي، ويقال إني قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامله به.

وقال الكرماني: وفيه إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف قوله وأنا معه: أي بالعلم إذ هو منزه عن المكان، وقيل أنا معه بحسب ما قصد من ذكره لي.

---

(١) إسلامنا ١٠٩ - ١١٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ٣٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣١٣-٣١٤.

قوله "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" يعني إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرًا.

وقيل معناه إن ذكرني بالتعظيم أذكره بالإنعام.

قوله: "وإن ذكرني في ملأ" أي في جماعة "ذكرته في ملأ خير منهم" يعني: الملائكة المقربين[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوبة والرجاء في رحمة الله تعالى:

كل ابن آدم خطاء والمسلم الحق هو الذي يعود إلى ربه ويتوب إليه، ويأمل في مغفرته ولا يستسلم للمعصية، وقد جاء في الحديث القدسي الذي معنا: (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة)، وما من شك في أن باب التوبة مفتوح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[2]، وأخبر سبحانه أن من يتوب، يتوب الله عليه قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[3]، وأمر بالتوبة فقال جل شأنه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، وأمر أن تكون توبة نصوحًا فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[5]، وأخبر أنه يحب من يتوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[6]، ووصف خليله إبراهيم عليه السلام بالإنابة إليه فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[7]، وقد ثبت في الحديث عن أبي

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٠١/٢٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٩.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٧) سورة هود، آية: ٧٥.

موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّه عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وبالنَّهَارِ ليتوبَ مُسِيءُ الليلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ))[٣].

قال ابن حجر: (المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجو أن تنجو)[٤].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من ألزم واجبات الداعية أن يدعو الناس إلى الخير دائمًا، ويرشدهم إلى ما ينفعهم لأن الداعية حامل رسالة ودعوة، والمدعوون يثقون فيه ينتظرون منه الخير دائمًا، قال الله عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥].

والداعية الذي يرشد ويدل على الخير والصواب يناله من الأجر والثواب الكثير، وهذا من فضل الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَعَا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٠١.

(٥) سورة الشورى، آية: ٥٢.

إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[1].

قال النووي: (وفي الحديث الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة، ومن دعا إلى هدي كان له مثل أجور متابعيه أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٣.

الحديث رقم (٤١٤)

٤١٤- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: جاء أعرابي إِلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجبَتَانِ؟ قَالَ: ((مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الموجبتان: أي الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار[2].

الشرح الأدبي

كان الصحابة رضي الله عنهم يستبشرون بقدوم الأعراب؛ لأنهم يفتحون لهم أبواب العلم بالمسائل التي كانوا يسألون فيها الرسول ﷺ، وهذا الأعرابي جاء يسأل النبي ﷺ (مَا الموجبَتَانِ؟) وهي مفرد موجبة، وهو استفهام على حقيقته، ولذلك جاء رد الرسول ﷺ مبنياً على الإيجاز بحذف المستفهم (مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئاً دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار) ومن اسم موصول بمعنى الذي وتعريف المسند إليه بالموصول لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، وتنكير (شيئاً) للتقليل أي لا يشرك بالله قليلاً، ولا كثيراً، والجملة الثانية من أشرك قليلاً، أو كثيراً، والمقابلة بين الجنة، والنار توضح مدى الفارق بين العاقبتين، والذي كان سببه انتفاء الشرك، أو وجوده.

---

(١) برقم (٩٣/١٥١).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والترغيب والترهيب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: التعرف على ما يحقق له النجاة في الآخرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وخطورة الشرك.

رابعًا: من واجبات الداعية: الإجابة عن أسئلة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والترغيب والترهيب:

١- السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث في سؤال الأعرابي للنبي ﷺ "ما الموجبتان" ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب المقنعة في الدعوة إلى الله تعالى حيث تتوجه الإجابة إليه مباشرة على السؤال، ومن ناحية أخرى فإن أسلوب السؤال والجواب يحقق نوعًا من التفاعل والحوار بين الداعية والمدعو ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[3].

٢- الترغيب والترهيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "دخل الجنة - دخل النار" وأسلوب الترغيب والترهيب، من أساليب الدعوة النافعة في حمل النفس على الطاعة، وبعدها عن المعصية (إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين وللترغيب أدوات

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

كثيرة كما أن للترهيب أدواته)[1] والداعية الحصيف هو الذي يستطيع المازجة بين الترغيب والترهيب كل في موطنه وموضعه اللائق به.

ثانيًا- من واجبات المدعو: التعرف على ما يحقق له النجاة في الآخرة:

إن من أهم واجبات المدعو البحث عن أسباب النجاة من العذاب في الآخرة يظهر هذا من الحديث في سؤال الأعرابي عن الموجبتان؟ قال الإمام النووي: (وأما قوله ما الموجبتان فمعناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

وأما حكمه ﷺ على من مات مشركًا بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًا عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًا عليها فهو تحت المشيئة فإن عفى عنه دخل أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وخطورة الشرك:

إن التوحيد يعني إفراد الله بالخلق، والملك والتدبر، وكذا إقراره بالألوهية ومقتضاياتها فحقيق بمن آمن بذلك أن يسعد في دنياه وأخراه وهذا ما نراه واضحًا في ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية، والجاحدون "بربوبية الله" يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى حياة كلها قلق وحيرة، كلها أسئلة، من هنا تتجلى أهمية وفضل التوحيد[3].

وفي هذا الحديث يظهر فضل توحيد الله عز وجل، فإنه يقوي في المؤمن درجة

---

(١) فقه الدعوة. د. بسام العموش، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (٢/٩٦).

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٦٠.

الرجاء لثواب الله تعالى وعفوه من عقابه سبحانه وتعالى، وفي الوقت نفسه يُرهِّب من أمر خطير وشره مستطير ألا وهو الشرك أعاذنا الله منه ومن أنواعه وأسبابه. فيالها من بشرى للمؤمنين بدخول الجنة برحمته سبحانه وتعالى بشرط أن يتقوا أنواع الشرك. ويستفاد من الحديث أن من تاب من الشرك قبل أن يغرغر وقبل أن يأتيه الموت فإنه أيضًا من أهل الجنة بمشيئة الله، الله أكبر، ما هذه الرحمات الكريمة! والبشريات العظيمة! والمواعظ الحكيمة! إنها والله تحتاج إلى تذكير الغافلين، وتبصير العاصين، وتحذير المشركين، من تلك النار التي أعدت للكافرين والمشركين، وترغيبهم بما بشر الله تعالى عباده الصالحين.

ويستفاد من هذا الحديث معرفة عظمة ثمرة توحيد العبودية وبركة التصديق بالله تعالى، وعلى العكس لمن حرم نفسه من هذه الثمرة، فإنه فوت عليه فرصة كريمة من عند الله الكريم سبحانه، وأن مصيره النيران أعاذنا الله تعالى منها.

وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ بفضل التوحيد وخطورة الشرك فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئًا دخل النار" ومما هو معلوم أهمية التوحيد وخطورة الشرك، قال حافظ حكمي: (والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو توحيد الإلهية وكثير من الآيات جاءت تخبر عن إكرامه سبحانه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء التوحيد، ومن الآيات ما تبين حال أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده)[1].

هذا وقد تكاثرت النصوص الشرعية في الدعوة إلى التوحيد قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

---

(١) معارج القبول، حافظ حكمي، ص ١٢٢/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢] ودعو التوحيد هي دعوة كل الأنبياء لأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٣] وقد بين الله تعالى أنه يغفر كل شيء إلا الشرك به قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

قال ابن عثيمين: (ومن فوائد التوحيد أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة لأن الموحد يعمل لله سبحانه وتعالى، وعليه فهو يعمل سرًا وعلانية أما غير الموحد كالمرائي مثلاً يفعل الطاعة إذا كان عنده من يراه.

والموحدون لهم الأمن وهم المهتدون قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[٥] فمن فضائل التوحيد استقرار الأمن)[٦]. وقال د. صالح الفوزان: (وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد؛ لأن القرآن إما خبر عن الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الألوهية؛ وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة وهذا هو جزاء التوحيد، وإما خبر عن أهل الشرك وجزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع وهذا من حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده. وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: "لا

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

إله إلا الله" فإنها تتضمن نفيًا وإثباتًا. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده، كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه، ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين)[1].

رابعًا- من واجبات الداعية: الإجابة عن أسئلة المدعوين:

حيث أجاب الرسول الكريم عن أسئلة الأعرابي الذي جاء يسأل عن الموجبتين وهذا من ألزم واجبات الداعية، لأنه المفترض فيه أنه العالم بأحكام الدين، وأحكام الحلال والحرام وقد بين الله أنه أنزل الذكر لبيانه للناس قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وحذر الله من كتمان العلم فقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[3].

قال القرطبي: (قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة وقال محمد بن كعب: لا يحل للعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية. وقال الحسن بن عمارة: أتيت الزُّهري بعدما ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت: إن رأيت أن تحدثني فقال: أما علمت أني تركت الحديث؛ فقلت إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك قال: حدثني قلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعت عليًّ بن أبي طالب يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلَّموا حتى أخذ على العلماء أن يعلِّموا. قال: فحدثني أربعين حديثًا)[4].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ١٥/١.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥٨/٥.

الحديث رقم (٤١٥)

٤١٥- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النَّبيّ ﷺ ومعاذ رديفه علَى الرَّحْل، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول اللَّه وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول اللَّه وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول اللَّه وسَعْدَيْكَ، ثلاثًا، قَالَ: (**مَا مِنْ عَبْدٍ**[1] **يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار**) قَالَ: يَا رَسُول اللَّه، أفَلاَ أُخْبِرُ بهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: (**إذًا يَتَّكِلُوا**) فأخبر بهَا مُعاذٌ عِنْدَ موتِه تَأثُّمًا. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

رديفه: راكب خلف رسول الله ﷺ[3].

الرَّحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب[4].

لبيك: تعني الإجابة والإقامة على الطاعة[5].

سعديك: أي إسعادًا لك بعد إسعاد[6].

تأثمًا: خوفًا من الإثم في كتم هذا العلم[7].

---

(١) لفظ البخاري: (أحد) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١/٣٩٨، رقم ٦٣٩ وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨ واللفظ له، ومسلم ٢٢/٥٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٥٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٧٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ح ل).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (ل ب ى).

(٦) المرجع السابق ٢٨٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٣٠.

(٧) رياض الصالحين ٢٠٦.

الشرح الأدبي

دلالة الحال التي كان عليها النبي ﷺ وصاحبه تدل على تواضع النبي ﷺ وحسن خلقه فلم يتكبر، ولم يتجبر، فركب الدابة وحده، أو مع غيره. كما تدل على المودة، والتقريب لصاحبه معاذ رضي الله عنه يدل على ذلك نداؤه الحنون: (يَا مُعَاذُ) مع قربه منه بأداة نداء البعيد إشارة لارتفاع مكانته عنده، ثم تكرار النداء الذي يعكس كمال الحرص على وصول الخير إليه، ثم كرره مرة ثالثة، وفي هذا التكرار دلالة على أهمية ما يتلوه، مع ما فيه من تشويق، وما يثيره من ترقب في نفسه، وكانت إجابة معاذ رضي الله عنه بعد كل نداء (: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ) وهي إجابة مفعمة بالمحبة، والتكريم، والإجلال، لأن معنى لبيك أي تلبية لك بعد تلبية، فهي مبالغة في إجابة المنادي مع ما فيها من مودة، ورغبة في استطالة الخطاب، ولذلك صارت نداء الحاج لربه في أكثر المواقف خشوعاً في مواسم الخير، وخير البقاع، ثم نداء الرسول ﷺ مع قربه ب(يا) دلالة على علو مكانته، ونداؤه بلقبه دون اسمه، وإضافته إلى ربه، ثم قوله (سعديك) وهي كلمة تفيض بالمودة، والإعزاز، ومعناها إسعاداً لك بعد إسعاد، وقد ساق النبي ﷺ له البشارة بعد أن تيقن أنه في قمة اليقظة، والاستشراف، بتحريم النار على من نطق الشهادتين صدقاً، وعبَّر بالمصدر، ولم يقل صادقاً للمبالغة كأنه صيغ عند قولها من صدق، وقد جاءت البشارة في ثوب القصر الذي يؤكد المعنى، وقول معاذ (أفلاَ أخْبِرُ بِهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا) استفهام بغرض الاستئذان علله بجملة (فيستبشروا) وتقديم الجار والمجرور في جملة الاستفهام على المفعول للعناية، والاهتمام، وقول الرسول ﷺ (إذاً يتكلوا) جملة شرطية محذوفة فعل الشرط، وتقديره إذا أخبرتهم يتكلوا، وهو من حرص الرسول ﷺ على حمل الناس على الاجتهاد، وعدم الاتكال على فضل الله دون عمل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب.

ثانيًا: من آداب المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والتصديق بالقلب.

خامسًا: من واجبات الداعية: عدم كتمان العلم.

سادسًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب:

١- النداء: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "يا معاذ" وأسلوب النداء يؤدي إلى لفت انتباه المدعو، ليصغى إلى المنادي بالإضافة إلى أن النداء يشعر المُنادى باهتمام المُنادي، لأنه خصّه بالنداء من بين سائر المدعوين، قال الإمام الشاطبي: "وفي الاستعمال القرآني إذا كان النداء من الله للعباد أثبات حرف النداء "يا" للدلالة على معنيين، الأول: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد، والدلالة على ارتفاع شأن المنادي وأنه منزه عن مداناة العباد، إذ هو في دنوه عال، وفي علوه دان سبحانه[1].

٢- الترغيب: لقد جاء هذا الأسلوب في الحديث: "فيستبشروا" ومما هو معلوم أن أسلوب الترغيب مما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام عليهم السلام[2].

---

(١) الموافقات ٢/١٦٤.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

ثانيًا- من آداب المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية:

إن من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية، يتضح ذلك فيما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، مما يؤكد على أهمية تأدب وتلطف المدعو مع الداعية واحترامه له، قال الإمام الماوردي: "اعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه تملقًا وتذللاً، إن استعملهما غنم، وإن تركهما حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل" وقال بعض الحكماء: (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدًا)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم:

إن للصحابة فضلاً عظيمًا ومنزلة سامية، وفي الحديث ما يدلل على فضل ومنزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة ويظهر هذا من الحديث من قول النبي ﷺ ثلاث مرات: "يا معاذ" ولمعاذ بن جبل رضي الله عنه مناقب كثيرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، ... وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ))[2].

قال ابن حجر: (هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال أبو إدريس الخولاني: كان أبيض وضيء الوجه براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه، وكان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، وعدّه أنس بن مالك فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقال أبو نعيم في الحلية إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدرا والمشاهد وكان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء حتى أنه لم يزل يدان حتى أغرق ماله كله في الدين فذهب غرماؤه به

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨١).

رسول الله ﷺ، فأرسله إلى اليمن وقال له لعل الله أن يجبرك ويؤدي عنك دينك، فخرج إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي رسول الله ﷺ، وقال عمر عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، ولولا معاذ لهلك عمر، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر وعاش أربعا وثلاثين سنة)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والتصديق بالقلب:

إن لكلمة التوحيد فضلاً كبيرًا، ومما يؤكد ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار"، إن هذا الحديث تتجلى فيه عظمة كلمة التوحيد وثمرتها العظيمة في الآخرة، وبُشراها الكريمة في الجنة.

قال ابن حجر: (قوله: "صدقا" فيه احتراز عن شهادة المنافق. وقوله: "من قلبه" يمكن أن يتعلق بصدقًا أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بيشهد أي يشهد بقلبه والأول أولى).

وقال الطيبي: (قوله: "صدقا" أقيم هنا مقام الاستقامة؛ لأن الصدق يعبر به قولاً عن مطابقة القول المخبر عنه، ويعبر به فعلاً عن تحري الأخلاق المرضية كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[2]، أي حقق ما أورده قولا بما تحراه فعلا انتهى.

وأراد بهذا التقرير رفع الإشكال عن ظاهر الخبر؛ لأنه يقتضي عدم دخول جميع من شهد الشهادتين النار لما فيه من التعميم والتأكيد، لكن دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فعلم أن ظاهره غير مراد، فكأنه قال: أن ذلك مقيد بمن عمل الأعمال الصالحة قال

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٢٥٢، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢١/١٢٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١/١٠٢١، وتاريخ دمشق ٥٨/٤٣١.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٣.

ولأجل خفاء ذلك لم يؤذن لمعاذ في التبشير به.

وقد أجاب العلماء عن الإشكال أيضا بأجوبة أخرى منها أن مطلقه مقيد بمن قالها تائبًا ثم مات على ذلك.

ومنها أن ذلك كان قبل نزول الفرائض، وفيه نظر: لأن مثل هذا الحديث وقع لأبي هريرة كما رواه مسلم وصحبته متأخرة عن نزول أكثر الفرائض، وكذا ورد نحوه من حديث أبي موسى رواه أحمد بإسناد حسن، وكان قدومه في السنة التي قدم فيها أبو هريرة.

ومنها أنه خرج مخرج الغالب إذ الغالب أن الموحد يعمل الطاعة ويجتنب المعصية.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار تحريم خلوده فيها لا أصل دخولها.

ومنها أن المراد النار التي أعدت للكافرين لا الطبقة التي أفردت لعصاة الموحدين.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار حرمة جملته؛ لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم كما ثبت في حديث الشفاعة أن ذلك محرم عليها، وكذا لسانه الناطق بالتوحيد والعلم عند الله تعالى.

وروى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم إذن لمعاذ في التبشير فلقيه عمر فقال: لا تعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأيا، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها قال: فردَّه.

وهذا معدود من موافقات عمر.

قوله: (عند موته) أي موت معاذ وأغرب الكرماني فقال يحتمل أن يرجع الضمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ويردُّه ما رواه أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال أخبرني من شهد معاذًا حين حضرته الوفاة يقول: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا لم يمنعني أن أحدثكموه إلا مخافة أن تتكلوا سمعته يقول: ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه أو يقينًا من قلبه، لم يدخل النار أو دخل الجنة))[1].

قوله: "تأثما" هو بفتح الهمزة وتشديد المثلثة المضمومة أي خشية الوقوع في الإثم.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣٦ رقم ٢٢٠٦٠ وقال محققو المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ٣٦/٢٨١ - ٢٨٢.

ودلَّ صنيع معاذ على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم وإلا لما كان يخبر به أصلا أو عرف أن النهي مقيد بالاتكال، فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك وإذا زال القيد زال المقيد والأول أوجه لكونه أخَّر ذلك إلى وقت موته.

وقال القاضي عياض: لعل معاذًا لم يفهم النهي لكن كسر عزمه عما عرض له من تبشيرهم.

قلت والرواية الآتية صريحة في النهي فالأولى ما تقدم[1].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الإيمان والتوحيد يجب أن يتبعه تصديق بالقلب وعمل بالجوارح، "لقد بيّن الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي تقبل به الأعمال ويتحقق به ما وعد الله المؤمنين، ولذا فالإيمان الحق هو الذي يشتمل على العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك، العمل الذي صدق العقيدة وهو ثمرتها والعمل أنواع: عمل القلب مثل: الخوف من الله، وعمل اللسان مثل نطق الشهادتين، وعمل الجوارح مثل الصلاة والزكاة، فإذا أردنا الفوز بتحقيق الإيمان فعلينا أن نقيمه تصديقًا ثابتًا في القلوب، وعملاً في القلوب، وقولاً باللسان وعملاً بجوارحنا"[2]، وقال د. القرضاوي: (إن الإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل لساني ولا عمل بدني ولا عمل ذهني، إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان، ولا بد أن يتبع تلك المعرفة، وهذا الإذعان حرارة قلبية وجدانية تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس)[3].

خامسًا- من واجبات الداعية: عدم كتمان العلم:

إن من واجبات الداعية عدم كتمان العلم ونشره بين الناس، حيث جاء في الحديث: (فأخبر بها معاذ عند موته تأثما)، قال النووي: (تأثم الرجل إذا فعل فعلاً يخرج به من الإثم، وتحرج أزال عنه الحرج، وتحنث أزال عنه الحنث، ومعنى تأثم معاذ أنه كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢) الإيمان، عبدالمجيد الزنداني ص ١٥ - ١٦.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٥ - ١٦.

يحفظ علمًا يخاف فواته وذهابه بموته، فخشي أن يكون ممن كتم علمًا، وممن لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في تبليغ سنته فيكون آثمًا، فاحتاط وأخبر بهذه السنة مخافة من الإثم، وعلم أن النبيّ ﷺ لم ينهه عن الإخبار بها نهي تحريم)[١]، هذا وقد جاء توجيه الرسول ﷺ بتبليغ العلم فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[٢]، ومن هنا وجب على الدعاة عدم كتمان العلم وتبليغه للناس.

سادسًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل:

يتضح هذا من الحديث في قول معاذ رضي الله عنه: (أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا)، وما من شك أن المدعو يجب أن يسأل عندما يجهل أمرًا من الأمور وقد أمر الله بهذا في القرآن قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٤]، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((... قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٥]، قال شرف الحق العظيم آبادي: (وقوله في الحديث: "قتلوه" أسند القتل إليهم لأنهم تسببوا له بتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم، وقال: "قتلهم الله" زجرًا وتهديدًا. والعي هو التخيرُ في الكلام وعدم الضبط، وقيل: الجهل والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[٦]. ولقد كان هذا من عادة الصحابة الكرام رضي الله عنهم أن يسألوا رسول الله ﷺ عما وقع لهم من أحداث، وما جهلوا من أمور.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

الحديث رقم (٤١٦)

٤١٦- وعن أَبي هريرة -أَوْ أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- شكَّ الراويُّ[١] -(ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحَابيِّ؛ لأنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ) [٢]- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تَبُوك، أصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا فأكَلْنَا وادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**افعَلُوا**))، فَجاء عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، ولَكِن ادعُهُمْ بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بالبَرَكَةِ، لَعَلَّ الله أنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ (البَرَكَةَ) [٣]. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**نَعَمْ**)) فَدَعَا بِنِطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بفضلِ أزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بكَفّ ذُرَة وَيَجيءُ[٤] بكَفّ تمر وَيجيءُ الآخرُ بكِسرَة، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ [٥] بالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: ((**خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ**)) فَأَخَذُوا في أوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ[٦] فَضْلَةٌ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**)) رواه مسلم[٧].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) وهو الأعمش سليمان بن مهران.

(٢) هذا الكلام النووي.

(٣) (البركة) لا توجد عند مسلم.

(٤) عند مسلم زيادة: (الآخر).

(٥) عند مسلم زيادة: (عليه).

(٦) لفظ مسلم: (فضلت).

(٧) برقم ٢٧/٤٥.

غريب الألفاظ:

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كم، وقد توجه النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٩هـ إليها، وهي آخر غزواته[١].

نواضحنا: هي الإبل التي يستقى عليها، واحدها ناضح[٢].

وادَّهنَّا: أي اتخذنا دهنًا من شحومها[٣].

الظَّهرُ: هي الدواب لكونها يركب على ظهرها[٤].

الفضلة: البقيَّةُ[٥].

أزوادهم: الطعام المتخذ للسفر، مفردها: زَوْد، وزاد[٦].

بنطع: بساط من الجلد، والجمع: أنطاع ونطوع وأنطع[٧].

الشرح الأدبي

قول الراوي الأعلى (شك الراوي - ولا يَضُرُّ الشَّكُّ فِي عَينِ الصَّحَابيّ؛ لأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ) هذا من ناحية صحة الرواية، ومن الناحية البيانية نقول لا يضر الشك في عين الصحابي؛ لأنهم كلهم فصحاء، وسمت الكلام الأول يتفق في الفصاحة، ويتفاوت في درجتها بحسب طبيعة كلٍ، والحديث يتناول حدثاً نبوياً يبدو فيه الإعجاز النبوي، ويبدوا خلال قصة الحديث مدى لين النبي ﷺ لأصحابه، ومشاركتهم الرأي مع أنه يتحرك بوحي الله، وقول الصحابي رضي الله عنه (لَوْ أذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأكَلْنَا

---

(١) أطلس الحديث النبوي ٨٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨.

(٣) المرجع السابق ١٠٨.

(٤) المرجع السابق ١٠٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ح).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ف ض ل).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٦، واللسان والمعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية في (ز و د).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ط ع).

وَدَهَنَّا؟) أسلوب استفهام تلوح فيه أمنية الحصول على الموافقة التي تخرجهم مما هم فيه من الجوع، وقول الرسول ﷺ (افعلوا) أمر إباحة، وقد جاء حوار عمر بن الخطاب ﷺ في قمة الأدب دل على ذلك نداء الرسول ﷺ مع قربه ب(يا) دلالة على علو مكانته، ونداؤه بلقبه دون اسمه، وإضافته إلى ربه (يَا رَسُول اللّه)، ثم استخدام أسلوب الشرط الذي يعرض الأمر بعاقبته، ويترك للمخاطب حرية الاختيار بعد بيان العاقبة (إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ) ثم إنه استخدم المجاز المرسل تأدباً مع الرسول ﷺ لكي لا ينسب له فعل التقليل، ونسبه إلى الظهر الذي هو المفعول، ثم إنه استخدم (إن) كأداة شرط لإحساسه بعدم تحقق الوقوع؛ لأنه قد يضر بالمصلحة العامة في نظره، ثم أسلوب الأمر بغرض النصح، والإرشاد (ادعُهُمْ بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ اللّه لَهُمْ عَلَيْهَا بالبَرَكَةِ) ثم أسلوب الرجاء الذي تكمن فيه الغاية (لَعَلَّ اللّه أنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ) وقول الرسول ﷺ ((خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ)) أمر تكريم، وقول الراوي (فَأَخَذُوا في أوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ) يدل على عظمة البركة والذي عبر عنه باستخدام (حتى)مرتين بياناً للغاية التي انتهوا إليها في الكفاية ببركة دعاء رسول اللّه ﷺ، ولذلك جاء نطقه بالشهادتين تذكيراً بمرجع الفضل، وأثر التوحيد (أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وَأنـي رَسُولُ اللّه)، وإشارة إلى امتداد العطاء لكلمة التوحيد في الآخرة (لا يَلْقَى اللّه بهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجنَّةِ).

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة لينر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله.

٢- لا ينبغي لأهل العسكر من الغزاة أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة، أو خاف مفسدة ظاهرة.

٣- جواز الإشارة إلى الأئمة والرؤساء، وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه

إذا ظهرت مصلحته عنده، وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله[١].

٤- أشار هذا الحديث إلى حكم الذبح: وهو أنه لا يحل الأكل من الحيوان الجائز أكله إلا بالذبح والتذكية، وهي قطع الحلقوم والمريء "الودجين" غير أنه يجوز العقر في الحيوان البحري "السمك والجراد" لأنه غير مقدور عليه[٢].

٥- أشار هذا الحديث إلى حكم المجاعة: والمجاعة من ناحية الأحكام الفقهية تأخذ أحكام الضرورات لكن تقدر هذه الضرورة بقدرها وتنزل منزلة الحاجة[٣].

٦- أشار هذا الحديث إلى مفهوم البركة وقد ورد هذا المفهوم في باب الوليمة والزكاة وهو أنه يستحب إجابة الداعي والدعاء له بالبركة، كما أنه تستحب التسمية على الأكل لتحل البركة، كما أن في إخراج الزكاة سبب لحلول البركة[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك.

ثانيًا: من آداب المدعو: التلطف في الخطاب مع الداعية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكثير الطعام بين يديه ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الرجاء في رحمة الله تعالى.

سادسًا: من حقوق المدعو: إبداء الرأي والمشورة.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك:

لقد جاهد النبي ﷺ لتبليغ كلمة الإسلام، ولا أدل على ذلك من هذه الغزوات التي غزاها ﷺ. وقد جاء في هذا الحديث الإشارة إلى غزوة تبوك في قول الراوي: "لما كان غزوة تبوك" قال ابن عبدالبر: (وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع، وخرج

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٩٦/١ وما بعدها.

(٢) الفروع، ابن مفلح ٣١٣/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣١٧/٩.

(٣) المجموع شرح المهذب، النووي ٢١٠/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١١٩/٩.

(٤) حاشيتا قليوبي وعميرة ٢٩٩/٣، وتحفة المحتاج ٤٣٤/٧.

رسول ﷺ فيها إلى غزوة الروم وهي آخر غزوة غزاها ﷺ بنفسه وكان خروجه في تلك الغزوة في حر شديد، وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب وتخلف المنافقون عنها، ودعا رسول الله إلى الإنفاق، وأنفق فيها عثمان نفقة عظيمة جهّز بها جماعة من المعسرين في تلك الغزوة، واستعمل رسول الله على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتخلّف في هذه الغزوة من صالحي المؤمنين ثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية ونزل القرآن من سورة براءة والأحزاب بفضيحة المنافقين الذي كانوا يخذلون المسلمين)[١]، (ولما وصل جيش المسلمين تبوك لم يجد أحدًا هنالك لأن الروم لما بلغهم مسير هذا الجيش الذي يؤثر الموت على الحياة، فآثروا الإنسحاب إلى بلاد الشام ليتحصنوا بحصونها فلم ير النبي ﷺ داعيًا لتتبعهم داخل بلادهم وأقام عند الحدود يناجز من شاء أن يناجزه ويقاومه)[٢]. ولاشك أن غزوة تبوك من الأحداث التاريخية المؤثرة في مسيرة الدعوة الإسلامية في العهد المدني، حيث اشتملت الغزوة على كثير من الدروس الدعوية الهامة التي يمكن الإفادة منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من آداب المدعو: التلطف في الخطاب مع الداعية:

يظهر هذا من الحديث من قول الصحابة رضي الله عنهم: "لو أذنت لنا" قال الإمام النووي: (هذا من أحسن آداب خطاب الكبار والسؤال منهم فيقال: لو فعلت كذا أوأمرت بكذا ومعناه لو كان خيرًا أولو كان صوابًا ورأيًا متينًا، أو مصلحة ظاهرة وما أشبه هذا؛ لأنه أجمل من قولهم للكبير: افعل كذا بصيغة الأمر)[٣].

وبهذا يعلم أن من أدب المدعو أن يخاطب الداعية برفق ولين، ولطف جميل وقد أمر الله المسلمين بتوقير الداعي الأول ﷺ فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[٤] قال السعدي: (تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم)[٥].

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، أبو شهبة، ٥٠٢/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨.

(٤) سورة الفتح، آية: ٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين:

إن صاحب القلب الرحيم تجتمع عليه القلوب وتهوى إليه الأفئدة ولذا كان من أهم صفات الداعية الرحمة؛ حيث قال النبي ﷺ لما استأذنوه "افعلوا" وما من شك في أن من أهم صفات الداعية الرحمة والشفقة بالمدعوين قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1] ولقد تكاملت في خلق رسول الله الرحمة والرأفة قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ولاشك أن الرحمة عاطفة شريفة وخليقة محمودة (فالرحمة فضيلة والقسوة رذيلة والرحمة تكون بالأبناء وبالآباء والأمهات وبالأقرباء، وتكون بأهل الدين من خلال إرشادهم إلى الخير وتعليمهم ما لم يعلموا وتكون الرحمة بالناس جميعًا فيحب الداعية لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها ومن كان رحيمًا رحمه الله وأسبغ نعمه عليه ظاهرة وباطنة)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكثير الطعام بين يديه ﷺ:

لقد أيد الله نبيه ﷺ بالكثير من المعجزات التي تؤكد نبوته ومن ذلك تكثير الطعام بين يديه؛ حيث جاء في الحديث "فدعا رسول الله ﷺ عليها بالبركة" وما من شك في أن هذا من دلائل النبوة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ قال القرطبي: (وتكثير الطعام معجزة له ﷺ مما تضافرت به الروايات واشتهر عندأهل الديانات ونقله العدول الثقات ومن ذلك إطعامه يوم الخندق، وإطعامه في غزوة تبوك والأخبار في هذا الباب كثيرة[4] لا يجهل شيء منها وعند الوقوف عليها تعلم أن نبينا محمد ﷺ أعطاه الله عز وجل من المعجزات مثل ما كان أعطى الأنبياء قبله وزاده على ذلك)[5]. ومما هو

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٢٢.

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٨٤/٦ وما بعدها.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الحرمين، الرياض، بدون التاريخ والطبعة، ص ٣٥٦/٣.

جدير بالذكر: (أن النبي ﷺ بعث في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة التي يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيده الله به من المعجزات: تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى ثم بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية التي يحتاجون فيها للطعام والشراب إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نقلت إلينا بأصح طرق الرواية حيث كان الطعام الذي لا يكفي إلا القليل من الأفراد فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه ﷺ يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف. وقد وقع ذلك في مواقف متعددة)[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الرجاء في رحمة الله تعالى:

إن المسلم لا ملاذ له إلا الرجاء في رحمة الله والطمع في ثوابه وفضله ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة" وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاثة يقول: ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ))[٣] قال ابن القيم: (والرجاء الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى وقال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل فالرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير)[٤]. وقال الإمام أبو حامد الغزالي: اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين، وأحوال الطالبين فإن العبد المجتهد في

---

(١) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، عبدالمجيد الزنداني ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢١٦.

الطاعات، المجتنب للمعاصي، حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة، وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة. وأما قبول التوبة إذا كان كارهًا للمعصية تسوءه السيئة، وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق التوبة، لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز و جل مع الإفراط.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس)[1]

سادسًا- من حقوق المدعو: إبداء الرأي والمشورة:

يظهر هذا من قول عمر رضي الله عنه "يا رسول الله إن فعلت قل الظهر" قال النووي: (فيه جواز الإشارة على الأئمة والرؤساء وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه إذا ظهرت مصلحته عنده وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله)[2] إن من حقوق المدعو إبداء الرأي والمشورة وقد وصف الله الجماعة المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3] وأمر رسوله الكريم فقال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[4].

قال القرطبي: (قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعز له واجب هذا ما لا خلاف فيه. وقال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٣١٨/٤-٢٣١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٠٨.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكُتَّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها وكان يقال: ما ندم من استشار وكان يقال: من أعجب برأيه ضلّ ولقد أحسن القائل:

شاور صديقك في الخفي المُشْكِلِ واقبل نصيحة ناصح مُتَفضِّلِ

فالله قد أوصى بذاك نبيَّه في قوله: "شاورهم" و "توكلِ")[1].

---

١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٢٤٩-٢٥٠.

الحديث رقم (٤١٧)

٤١٧- وعن عِتْبَانَ بن مالك رضي الله عنه وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدرًا ، قَالَ: كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِم، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مسْجِدِهم، فَجِئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت لَهُ: إنّي أنْكَرْتُ بَصَرِي وَإِنَّ الوَادي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسيلُ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أنَّكَ تَأتِي فَتُصَلِّي في[1] بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصلّى، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ((سَأفْعَلُ)) فَغَدَا[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بكر رضي الله عنه بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهارُ، وَاسْتَأذَنَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَأذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: ((أيْنَ تُحِبُّ أنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟)) فَأشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذي أُحبُّ أنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَكَبَّرَ وَصَففْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ[3] تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أهلُ الدَّارِ أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ في البَيْتِ.

فَقَالَ رَجُلٌ[4]: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أرَاهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ[5]: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **((لا تَقُلْ ذلِكَ، ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغي بذلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى))** فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ، أمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إِلَى المُنافِقينَ! فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **((فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذلِكَ وَجْهَ الله))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[6].

---

(١) لفظ البخاري: (من) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٣٢/١، رقم ٦٩٩.

(٢) عند البخاري زيادة: (عليّ).

(٣) لفظ البخاري: (خزير).

(٤) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٥) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٦) أخرجه البخاري ١١٨٦ واللفظ له، ومسلم ٣٣/٢٦٣، كتاب المساجد، باب ٤٧. عقب الحديث رقم ٦٥٧/٢٦٢. وسيكرره برقم ١٥٣١.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

عِتبان بن مالك: هو عِتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد الأنصاري الخزرجي السالمي.

كان من أهل المدينة الذين وسعوا المهاجرين من مكة وقد تركوا أموالهم ودورهم وكل ما يملكون، ابتغاء وجه الله وفرارًا بدينهم -وسعوهم لما قدموا المدينة بأنفسهم وأموالهم ودورهم وطعامهم وآثروهم على أنفسهم، فآخى النبي ﷺ بينه وبين الفاروق عمر بن الخطاب.

وشارك في الدفاع عن دولة الإسلام ورَفْع رايتها عالية، فشهد غزوة بدر، يوم الفرقان يوم نصر الله جنده وأعزهم وهزم الأعداء وأذلهم. وكان يؤم قومه بني سالم لكنه تعذر عليه أن يصلي بهم في مسجدهم بسبب ذهاب بصره والمطر والظلام، فطلب من النبي ﷺ أن يأتيه في بيته يصلي في مكان يتخذه مصلىً له كما في الحديث المذكور رقم (٤٢٢) وظلّ بالمدينة، وقد روى عنه الصحابيان أنس بن مالك ومحمود بن الربيع وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان[1].

غريب الألفاظ:

بدر: هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[2].

اشتد النهار: أي علا وارتفعت شمسه[3].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣/٥٥٠ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٨٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣/٥٥١ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥/٩٣ تهذيب التهذيب، ابن حجر ٣/٥٠.

(٢) أطلس الحديث النبوي ٦٥.

(٣) غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش د د).

الخزيرةُ: دقيق يُطبخ بشحم[١].

فَثابَ رجالٌ: جاؤُوا واجتمعُوا[٢].

وُدَّهُ: حُبَّهُ[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبين جانباً من رفق الرسول بأمته، ودماثة خلقه، وحرصه على سلامة صدورهم، وفضل كلمة التوحيد، ومما يدل على رفقه بأمته سرعة إجابته للرجل الذي أراد أن يتخذ مسجداً في بيته بسبب ضعفه، وصعوبة طريقه، وقوله (أنكرت بصري) كناية عن ضعف بصره أو عماه، وقول الرسول ﷺ - (سأفعل) فالسين تدل على المستقبل القريب، والفعل المضارع يدل على الحضور، وقول الرجل (فغدا رسول الله ﷺ) يدل على سرعة إجابته كما يدل قوله (- فَأذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: ((أيْنَ تُحِبُّ أنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟) على كمال أدب النبي ﷺ قولاً، وفعلاً حيث إنه لم يجلس حتى أذن له، وأشار إلى المكان الذي يريده أن يجلس فيه، وكذلك تعبير الرجل بقوله (فحبسته) يدل على لينه مع أصحابه، وتواضعه الجم، ويؤكد ذلك قول الصحابي (على خزيرة تصنع له) وهو طعام بسيط، وشهوده الحوار الذي دار بين الرجال في الدار حيث قال أحدهم (: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أرَاهُ !) وهو استفهام تعجب تلوح منه سخرية، واستهزاء، وقول الآخر (: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ)خبر أريد به تقرير مضمونه، وهو لون من الرجم بالغيب، وغفلة عن أثر كلمة التوحيد، ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ (لا تَقُلْ ذلِكَ)، واستخدامه اسم الإشارة للبعيد مع قربه في الحديث تعظيماً للفعل، تلاه استفهام تنبيه، وتعليم، (ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله) وقوله: (يَبْتَغي بذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى) تكميل بلاغي أفاد نكتة زائدة عن مضمون الكلام السابق، تفيد كونه مخلصاً وقول الرجل (أمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَديثَهُ إلاَّ إلَى المُنَافِقينَ!) فيه دلالة على إصراره على ما

(١) رياض الصالحين ٢٠٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (و د د).

عتقده فيه فجاءت عبارة النبي ﷺ مبنية على التوكيد (فإنَّ اللّه قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللّه يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ اللّه) ليؤكد أثر كلمة التوحيد، وفضلها على العبد بتحريمه على النار، ومن ثم فليس له إلا الجنة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- إمامة الزائر للمزور: وفيه خلاف بين الفقهاء، فذهب أكثر أهل العلم إلى جواز إمامة الزائر للمزور إذا أذن له، بينما ذهب إسحاق إلى أن صاحب المنزل أحق بالإمامة من الزائر، فلا يصلي أحد بصاحب المنزل وإن أذن له، لكن هذا لا يجوز لأن الإمامة حق له فله نقلها إلى من شاء ولا بأس بنقلها قاله أحمد[١].

٢- إمامة الأعمى: وهي صحيحة بالإجماع إلا ماحكي عن أنس أنه قال: "ما حاجتهم إليه"[٢] وقول ابن عباس كيف أؤمهم وهم يعدلونني إلى القبلة؟[٣] والصحيح عنه أنه كان يؤم وهو أعمى[٤].

٣- التخلف عن الجماعة: اتفق الفقهاء على جواز التخلف عن الجماعة للعذر نحو المطر والظلمة أو الخوف على نفسه، أما من تخلف لغير عذر فقد بخس نفسه حظها[٥].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٦٨/٣، والاستذكار ٣٦٠/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٧٤/١، وحاشية الخرشي ٤٩٠/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٧٠/٢، ومغني المحتاج ٢٤٤/١، ودقائق أولي النهى ٢٧١/١.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢١٥/٢.

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢٩٦/٢ رقم ٣٨٣٣، وابن أبي شيبة ٢١٥/٢. كما روى ابن أبي شيبة الكراهة عن سعيد بن جبير.

(٤) الإجماع لابن المنذر ٩، والمبسوط ٤٠/١، وبداية المجتهد ٢٢١/١، الأم، الإمام الشافعي ٢٩٣/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٦٠/٢. وقد كره الحنفية والحنابلة إمامة الأعمى إلا أن يكون أعلم القوم فلا كراهة. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١١/٦-٢١٢، ٢٩٧/٣٠.

(٥) الاستذكار ٣٦١/٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٥/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٠/٣، وحاشية الخرشي ٣٢/٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي. تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٢٦/١، والشرح الكبير ٨٣/٢ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاستزادة من الخير والبركة بأفعال النبي ﷺ والاقتداء به.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الاستجابة للرغبة المشروعة للمدعوين.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع واحترام رغبة المدعو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن اتهام الناس بالنفاق.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل شهادة التوحيد.

سادسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاستزادة من الخير والبركة بأفعال النبي ﷺ والاقتداء به:

إن الرسول الكريم هو الأسوة الحسنة للأمة جميعًا ولقد كان الصحابة الكرام أشد الناس حرصًا على اتباع هدي النبي ﷺ والاقتداء به ويتضح هذا من طلب عتبان بن مالك ﷺ من النبي ﷺ "أن يصلي في بيته، ويتضح أيضًا من اجتماع الرجال في بيت عتبان للقاء رسول الله ﷺ" قال النووي: (وفي الحديث التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة في المواضع التي صلوا بها وطلب التبريك منهم وفيه: أنه يستحب لأهل المحلة وجيرانهم إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضروا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه)[1].

وقال ابن عثيمين: (ومن فوائد هذا الحديث محبة الصحابة ﷺ للرسول ﷺ والجلوس إليه لأنهم لما علموا أنه عند عتبان بن مالك ثابوا إليه، واجتمعوا عنده ليتعلموا منه، وينالهم من بركة علمه)[2]. ومما لاشك فيه أن الرسول الكريم هو القدوة لكل المسلمين قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٧٦٥.

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١] وحرص الصحابة رضي الله عنهم على اللقاء برسول الله والاستزادة منه لأن في اتباعه رضا الله ومحبته قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٢].

(وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله هو طاعته واتباعه والاقتداء به واستعمال سنته واتباعه أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح)[٣] ومن هنا وجب على الدعاة الهداة دعوة المسلمين إلى وجوب متابعة النبي ﷺ والاقتداء به لسعادة الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من واجبات الداعية: الاستجابة للرغبة المشروعة للمدعوين:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ "سأفعل" وفي تصرف النبي ﷺ استجابة لرغبة مشروعة من أحد المدعوين، ولاشك أن هذا يؤثر تأثيرًا بالغًا في نفس المدعو عندما يشعر بالاهتمام من الداعية والاستجابة لطلبه، ومن ثم يستجيب المدعو للنصيحة والإرشاد (إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويدفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه، وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية، وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه)[٤].

قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من كانت حاله مثل حال عتبان بن مالك، فإنه معذور بترك الجماعة وله أن يصلي في بيته، مثل أن يكون بينه وبين المسجد وادٍ لا يستطيع العبور معه، فإنه معذور.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ٦٦، ٦٧.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٤١٤.

ومنها: جواز قول الإنسان سأفعل في المستقبل، إذا قال ستأتينا غدًا، قال: سآتيك وإن لم يقل إن شاء الله. فإن قال قائل: ما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1]، لشيء: عام سواء من فعل الله أو من فعلك؟

قلنا: إن الذي يقول سآتيك غدًا له نيتان:

النية الأولى: أن يقول هذا جازمًا بالفعل، فهذا لا يقوله إلا أن يقول إن شاء الله؛ لأنه لا يدري أيأتي عليه الغد أو لا، ولا يدري هل إذا أتى عليه الغد يكون قادرًا على الإتيان إليه أو لا، ولا يدري إذا كان قادرًا، يحول بينه وبينه مانع أو لا.

النية الثانية: إذا قال: سأفعل، يريد أن يخبر عما في قلبه من الجزم دون أن يقصد الفعل؛ فهذا لا بأس به؛ لأنه يتكلم عن شيء حاضر، مثل: لو قيل لك: هل ستسافر مكة؟ قلت: نعم سأسافر، تريد أن تخبر عما في قلبك من الجزم، هذا شيء حاضر حاصل، أما إن أردت الفعل، أنك ستفعل يعني سيقع منك هذا، فهذا لا تقل فيه سأفعل إلا مقرونًا بمشيئة الله.

ومنها: أن الإنسان يعذر بترك الجماعة فيما إذا كان بينه وبين المسجد ما يشق عليه من وحل أو ماء أو غيره، وقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان ينادي مناديه في الليلة المطيرة؛ أن صلوا في رحالكم، يعني في أماكنكم، وذلك من أجل أن لا يشق على الناس، فأما إذا كان ماء بلا مشقة وبلا دحر ووحل؛ فإنه لا يعذر الإنسان بترك الجماعة.

ومن فوائد حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه: أن المصلي الذي يكون في البيت لا يكون له حكم المسجد، فلو أن الإنسان اتخذ مصلى في بيته لا يصلي إلا فيه، فليس بمسجد، سواء حجره أو لم يحجره.

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٣-٢٤.

وعلى هذا فلا تثبت له أحكام المسجد؛ فيجوز للإنسان أن يبقى فيه وهو جنب، وإذا جلس فيه لا يلزمه تحية المسجد، فكل أحكام المسجد لا تثبت له، وإذا أراد أن يعتكف فيه؛ لم يصح اعتكافه. حتى لو كانت امرأة ولها مسجد في بيتها، فإنها لا تعتكف فيه.

ومن فوائد حديثه رضي الله عنه: أنه يجوز أن تقام الجماعة في النوافل؛ لكن ليس دائماً بل أحيانًا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراه عتبان المكان الذي يصلي فيه، تقدم وصلى بهم ركعتين وصلوا خلفه، فإذا صلى الإنسان الراتبة مثلاً أو سنة الضحى، إذا صلاها جماعة؛ فلا بأس بذلك أحيانًا.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى معه ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الليل، وصلى معه ابن مسعود، وصلى معه حذيفة، لكن ليس دائمًا. فصلاة الجماعة نفلاً أحيانًا لا بأس بها.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا بأس أن يتخذ الإنسان مصلى يعتاد الصلاة فيه في بيته، ولا يقال إن هذا مثل اتخاذ مكان معين في المسجد لا يصلي إلا فيه، فإن هذا منهي عنه، يعني ينهى الإنسان أن يتخذ في المسجد مكانًا لا يصلي إلا فيه، مثل أنه لا يصلي النافلة، لا تحية المسجد ولا غيرها إلا فيه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن استيطان كاستيطان البعير، يعني عن اتخاذ موطنٍ كأعطان الإبل، تأوي إليه وتبيت فيه.

ومن فوائد هذا الحديث: محبة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجلوس إليه؛ لأنهم لما علموا أنه عند عتبان بن مالك ثابوا إليه، واجتمعوا عنده، ليتعلموا منه، وينالهم بركة علمه عليه الصلاة والسلام[1].

قال العلامة العيني: ذكر ما يستنبط منه من الأحكام والفوائد منها:

جواز إمامة الأعمى، ومنها جواز التخلف عن الجماعة للعذر نحو المطر والظلمة أو الخوف على نفسه، ومنها أن فيه إخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة وليس يكون من الشكوى، ومنها جواز اتخاذ موضع معين للصلاة.

وأما ما جاء من النهي عن إيطان موضع معين من المسجد.

قلت: هو محمول على ما إذا استلزم رياء ونحوه.

ومنها أن فيه تسوية الصفوف.

وفيه جواز الإمامة بصاحب البيت، قال بعض أهل العلم: إذا أذن له فلا بأس أن يصلي به. وقال اسحق: لا يصلي أحد بصاحب المنزل وإن أذن له صاحب المنزل وكذلك صاحب المنزل لا يصلي بهم في المسجد إذا زارهم يقول ليصلي بهم رجل منهم.

وقال مالك: يستحب لصاحب المنزل إذا حضر فيه من هو أفضل منه أن يقدمه للصلاة.

وقد روي عن أبي موسى أنه أمر ابن مسعود وجذبه في داره.

وقال أبو البركات ابن تيمية: أكثر أهل العلم على أنه لا بأس بإمامة الزائر بإذن ربِّ المنزل.

وفيه أن المسجد المتخذ في البيوت لا يخرج عن ملك صاحبه بخلاف المسجد المتخذ في المحلة.

وفيه الوفاء بالعهد وفيه صلاة النافلة في جماعة بالنهار، وفيه إكرام العلماء إذا دعوا إلى شيء بالطعام وشبهه، وفيه التنبيه على أهل الفسق والنفاق عند السلطان.

وفيه أن السلطان يجب عليه أن يستثبت في أمر من يذكر عنده بفسق ويوجه له أجمل الوجوه، وفيه أن الجماعة إذا اجتمعوا للصلاة وغاب أحد منهم أن يسألوا عنه، فإن كان له عذر وإلا ظن به الشر وهو مفسر في قوله: لقد هممتُ أن آمر بحطب.

وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة الفرض، وفيه إمامة الزائر المزور برضاه وفيه أن السنة في نوافل النهار ركعتان.

وفيه جواز استتباع الإمام والعالم أصحابه، وفيه الاستئذان على الرجل في منزله وإن كان قد تقدم منه استدعاء، وفيه أنه يستحب لأهل المحلة إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضروا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه، وفيه الذبُّ عمن ذُكر بسوء وهو بريء منه.

قال السيوطي: قوله: (أين تحب أن أصلي من بيتك) فيه أنه لا بأس بملازمة الصلاة في موضع معين من البيت وإنما نهي عن ذلك في المسجد خوفا من الرياء[1].

---

(١) الديباج على مسلم (٢/ ٣٠٠).

ثالثًا- من صفات الداعية: التواضع واحترام رغبة المدعو:

إن من أهم صفات الداعية التواضع للمدعوين ولين الجانب لهم وخفض الجناح معهم وعدم التكبر عليهم، لأن التكبر من شأنه أن ينفر المدعوين. ويتضح هذا مما ورد في الحديث: "فحبسته على خزيرة تصنع له" وأيضًا قوله: "أين تحب أن أصلي من بيتك" قال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث أن الرسول الكريم كان على جانب كبير من التواضع: لأن عتبان حبسه على خزيرة[1] وهي نوع من الطعام ليس بذلك الجيد، وهذا ولاشك أن فيه تواضعًا من رسول الله ﷺ)[2]. وقد قال الله لنبيه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وقال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[4] (إن الله تعالى علَّم نبيه كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه التواضع فالتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعمل فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، ولو لم يكن في التواضع سوى جعل صاحبه قادرًا على جذب من هم أكثر تفوقًا منه لكان مكسبًا كبيرًا)[5].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن اتهام الناس بالنفاق:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ لا تقل ذلك ألا تراه قال: "لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" والنهي عن اتهام الناس بالنفاق لأنه عمل بالظن وقد نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[6] وجاء في الحديث عن

---

(١) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا، ويُصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عَصيدة، هي حسًا من دقيق ودَسَم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حَرِيرَ، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٢٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٦٥/١.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار، ص ١٢٦.

(٦) سورة الحجرات، آية: ١٢.

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إيّاكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذَبُ الْحديث))[1] والأصل أنه علينا الظاهر والله يتولى السرائر، قال ابن مفلح: (وحسن الظن بأهل الدين حسن، وقد جعل النبي الظن أكذب الحديث والمراد استمراء ظن السوء وتحقيقه وهو لا يجوز، قال ابن عبدالبر: قال عمر بن الخطاب: لا يحل لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظن بها سوءًا وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا وقال أيضًا: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل شهادة التوحيد:

حيث جاء في الحديث: "إن الله قد حرم النار على من قال لا إله إلا الله" وما من شك في أن هذه الكلمة لها فضل عظيم وشرف كبير وقد أمر الله بالعلم بها فقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] ولذلك "فقد دلت الأحاديث الكثيرة، وأجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هما الركن الأول للإسلام، وعليهما تبنى الأعمال، ولا يقبل أي عمل بدونهما ولذلك قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقًا إلى الجنة وهربًا من النار فأصل الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان[4].

ومعنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا يلجأ العباد ويضرعون في كل ما ينوبهم إلا إلى الله.

(فالعلم بمعنى هذه الكلمة العظيمة شرط في نفع صاحبها في الآخرة ودخول الجنة، وإن كان العلم يتفاوت، ومراتبه تختلف فإن أصل العلم بمعنى كلمة التوحيد من إثبات للألوهية لله وحده ونفيها عمن دونه ركن من أركان الإيمان باطنًا لا يثبت

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٦٦، ومسلم ٢٥٦٣.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٧٤.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) معنى لا إله إلا الله، الزركشي، تحقيق علي محي الدين القره داغي، طبع اللجنة الوطنية بالعراق، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ص ٣٥، ٣٦.

بدونه، وأما ظاهرًا فيجب إثبات الإسلام بنطقها وحمل أمر من ينطقها على السلامة حتى يتبين ما يناقضها)[١].

سادسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

حيث جاء في الحديث "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" وما من شك في أن مهمة الدعاة الأولى هي بيان الحقائق ولقد أمر الله رسوله بذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] وأخبره أنه أنزل عليه الذكر لتبيين الحقائق للناس فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] وببيان الحقائق للمدعوين تقوم عليهم حجة البلاغ أمام الله يوم القيامة حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر أنه لم تبلغه الدعوة.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودًا من غير بخل، وأتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم إليه، ولانقرض عنهم بانقراضهم. ولصاروا على مرور الأيام جهالاً وبتقلب الأحوال وتناقضها أرذالاً)[٤].

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٨١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٨٧.

الحديث رقم (٤١٨)

٤١٨- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قدِم[1] رَسُول الله ﷺ بسَبْيٍ فَإذَا امْرأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى[2]، إذْ وَجَدَتْ صَبيًا في السَّبْيِ أخَذَتْهُ فَألْزَقَتهُ ببَطْنِهَا فَأرضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: **((أتَرَوْنَ هذهِ المَرْأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟))** قُلْنَا: لاَ وَاللهِ. فَقَالَ: **((للهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذهِ بِوَلَدِهَا))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

السبي: الأسرى[4].

الشرح الأدبي

كان النبي ﷺ يستثمر كل شيء حوله، وكل حدث يقع ليقرر خلاله معنى من المعاني كما ورد في هذا في هذا الحديث الذي اتخذ من حنان الأم مثالاً تقريبياً لرحمة الله في مشهد عملي يقرره عن طريق القصة التي تتبعت المشهد من بدايته، وقوله (فَإذَا امْرَأةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى) يدل على أنها في ذل، وقوله تسعى يدل على الحركة الدءوب، وقوله بعدها (إذْ وَجَدَتْ صَبياً في السَّبْيِ) استخدام (إذ) يوحي بالمفاجأة، والفعل (وجدت) يدل على البحث، والتنقيب، وأنها افتقدته، وقوله (أخَذَتْهُ فَألْزَقَتهُ ببَطْنِهَا فَأرضَعَتْهُ) التعبير بالأخذ فيه التناول بسرعة، وتتابع الفاءات يدل على تسارع الأحداث مما يشي بشدة لهفة الأم إلى الصبي وقوله (فَقَالَ رَسُول الله ﷺ) يدل على مسارعة الرسول ﷺ لاستثمار الحدث، وهكذا يجب على كل داعية ناجح أن يتفاعل مع ما

(١) عند البخاري ومسلم زيادة: (على).

(٢) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (تبتغي).

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٢/٢٧٥٤ واللفظ لمسلم.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب ي).

حوله من أحداث تقع في الأمة، وقد جاء استفهامه في غاية البراعة (أتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ ؟) استفهام بمعنى الأمر أي أخبروني وفيه تنبيه إلى ما يريد تقريره، ولا ننسى أنه اختار نموذجاً أعلى للرحمة مما حوله، فاختار الأم مثال الوفاء، وفي تلك الحال التي يبلغ فيها تعلقها بصغيرها مداه، واختار الطرف الثاني، ولدها، وليس أي ولد، بل رضيع، وليس أي رضيع، بل رضيع كان مفقوداً في الأسر على وشك الهلاك، ثم إنها وجدته، فالتزمته، وضمته إلى صدرها ترضعه هذا الموقف تؤثر المرأة أن تؤخذ روحها، ولا يؤخذ ابنها، فما بالك إذا كانت تعلم أنه سيلقى في النار ؟، فضلا عن كونها تلقيه بنفسها، ثم إنه عبَّر بالطرح، وهو إلقاء المهمل، وبعد أن رسَّخ هذا المعنى في أذهانهم فضل عليه رحمة الله (للهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا) فعبَّر بأفعل التفضيل، ولفظ العباد، وأضافهم لنفسه تشريفاً، واستخدم إشارة القريب لتمييز الأم أكمل تمييز، وذكر الولد، وأضافه إليها، والصورة تقرب للأذهان مدى عظمة رحمة الله تعالى - التي تملأ القلب طمأنينة، وإقبالاً عليه -والحمد لله على رحمته-.

فقه الحديث

١- جواز النظر إلى النساء المسبيات، لأن النبي ﷺ لم ينه عن النظر إلى المرأة المذكورة، بل في سياق الحديث ما يقتضي إذنه في النظر إليها.

٢- وفيه: ضرب المثل بما يدرك بالحواس، لما لا يدرك بها، لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقر بها النبي ﷺ للتابعين بحال المرأة المذكورة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل، والاستفهام.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والتوضيح بضرب المثل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣١.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل، الاستفهام:

١- التمثيل: حيث جاء في الحديث تمثيل رحمة الله برحمة الأم لولدها، ولله المثل الأعلى، ومما لا شك فيه أن أسلوب التمثيل يعمل على استحضار الصورة في الذهن كأنها ماثلة أمام العين، ويساعد على الإقناع بتقريب المعاني البعيدة، يقول الشيخ علي محفوظ: (وللتمثيل أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس فإن المقصود من ضرب الأمثال والتمثيل أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته ذلك بأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح)[١].

٢- الاستفهام: حيث جاء في الحديث "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار" وأسلوب الاستفهام من الأساليب التي تثير انتباه المدعو وتجذبه إلى متابعة الداعية وما أكثر الأساليب الحوارية الاستجوابية التي انتهجها نبي الرحمة محمد ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم، حيث كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى. وما هذا إلا ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى[٢].

وفي هذا الحديث منهج الحوار بالسؤال والجواب والتمهيد للقول الصواب، وفيه أيضًا الاستفادة من مشهد المرأة التي تبحث عن صبي لها وهم في السبي فلما رأته احتضنته فأرضعته، ولاشك أنه مشهد مليء بالحنان والرحمة، ومن خلال هذا المشهد طرح النبي ﷺ ذلك السؤال الحكيم للتعليم، وقد أجاب الصحابة رضي الله عنهم بثقة وتأكيد، ثم بين النبي ﷺ لهم ما يريد أن يبشرهم من هذه الرحمة العظمى.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده:

في هذا الحديث بيان لشدة رحمة الله تعالى بعباده أجمعين، لأن رحمة الأم برضيعها معروفة، وهي مع شدة رحمتها برضيعها فإن الله تعالى أرحم بعباده أكثر وأكثر: لأن

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ص٩٧

هذه الرحمة التي تتصف بها الأم هي منبثقة من رحمة الله عز وجل، وهي رحمة واحدة من مائة رحمة؛ لأنه سبحانه أنزل رحمة واحدة يتراحم فيها الخلائق والبهائم والهوام، وأخَّر تسعًا وتسعين رحمة للآخرة، ومن هنا يتبين الفرق الشاسع بين رحمته سبحانه وتعالى بعباده وبين رحمة الأم برضيعها. وفي ذلك أمل عظيم برجاء رحمته سبحانه، من أجل ذلك ساق المصنف هذا الحديث عند هذا الباب ألا وهو باب الرجاء.

إن رحمة الله تسع الخلق أجمعين فهو سبحانه رحيم بعباده وقد جاء في الحديث "لله أرحم بعباده من هذه بولدها، قال ابن حجر: قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لفظ العباد عام ومعناه خاص بالمؤمنين وهو كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1] فهي عامة من جهة الصلاحية وخاصة بمن كتبت له قال: ويحتمل أن يكون المراد أن رحمة الله لا يشبهها شيء لمن سبق له منها نصيب من أي العباد كان حتى الحيوانات وفيه: إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها فالله سبحانه وتعالى أرحم منه فليقصد العاقل لحاجته، من هو أشد له رحمة[2].

وقال ابن عثيمين: وهذا الحديث من تمام رحمة الله تعالى وآيات ذلك كثيرة منها: هذه النعم التي تترى علينا وأعظمها نعمة الإسلام، فإن الله تعالى أضل عن الإسلام أممًا، وهدى عباده المؤمنين لذلك وهى أكبر النعم، ومنها: أن الله أرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل[3]. قال ابن القيم: (الرحمة سبب واصل بين الله عز وجل وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة)[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٥/١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٦٨/١.

(٤) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع وتوثيق، يسري السيد محمد، ص ١٤١/١.

والمؤمنون دائمًا يطلبون الرحمة من الله تعالى قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٢) وبين سبحانه أن المؤمنين دائمًا يرجون رحمة الله فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) وذكر جل شأنه أن من دعاء الملائكة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾(٤) وأرشد سبحانه أن رحمته يختص بها من يشاء، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥) وقال جل شأنه: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٦)، وذكر أن المؤمنين في الجنة في رحمة الله قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٧).

ويستنبط من الحديث بأن الله تعالى أيضًا لا يريد أن يعذب عباده كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾(٨).

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) سورة البقرة، آية : ١٠٥.

(٦) سورة الإنسان، آية : ٣١.

(٧) سورة.آل عمران، آية : ١٠٧.

(٨) سورة الفرقان، آية: ٧٧.

قال العيني: (وقوله في الحديث: "إذا وجدت صبيًا إلى قوله فقال" لنا معناه إذا وجدت صبيًا أخذته فأرضعته، فوجدت صبيًا فأخذته فألزمته بطنها وعلم من هذا أنها كانت فقدت صبيًا وكانت إذا وجدت صبيا أرضعته ليخف عنها اللبن، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته وألصقته ببطنها من فرحها بوجدانه.

قوله: "لله" اللام فيه للتأكيد وهي مفتوحة، وصرح بالقسم في رواية الإسماعيلي فقال "والله أرحم" إلى آخره. قوله: "بعباده" قيل لفظ العباد عام ومعناه خاص بالمؤمنين والظاهر أنها على العموم لمن سبق له منها نصيب)[1].

ثالثًا- من مهام الداعية: البيان والتوضيح بضرب المثل:

إن مهمة البيان والإيضاح من أبرز المهام المنوطة بالداعية، وقد جاء في الحديث "لله أرحم بعباده من هذه بولدها": (فقد بين النبي ﷺ: رحمة الله بعباده ولطفه بهم من خلال التمثيل بالمرأة التي ألزقت الصبي ببطنها، وقال أترون هذه طارحة ولدها في النار) قال ابن حجر: (وفيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقربها النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكورة)[2].

ومن خلال هذا فعلى الداعية الحصيف أن يبين مادته العلمية، وموضوعاته الدعوية للمدعوين من خلال الطرق البيانية لتكون الصورة واضحة أمام المدعوين ويعرفوا المراد مما يقول: (ومن عناصر الجمال الأدبي الرفيع في الكلام ضرب الأمثال، بشرط أن تتوافر فيها الشروط الفنية للأمثال، وتستجمع الشروط الأساسية العامة للكلام البليغ، ويشترط في ضرب المثل أن يكون له غرض بياني، لا أن يكون مجرد عبث في القول. ومن أهداف الأمثال تقريب صورة الممثَّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، والإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على مجرد لفت

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢/١٠٢.

النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة)[1].

ومن ثم كان من أبرز مهام الداعية البيان والتوضيح للمدعوين حى تتضح لهم الأمور، وتكتمل لديهم الصورة.

(١) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١١٩.

الحديث رقم (٤١٩)

٤١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**لَمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي**))[(١)].

وفي رواية[(٢)]: ((**غَلَبَتْ غَضَبي**)) وفي رواية[(٣)]: ((**سَبَقَتْ غَضَبي**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث بيان لغلبة رحمة الرحمن على غضبه، هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى سَعَةِ الرَّحْمَةِ وَشُمُولِهَا الْخَلْقَ كَمَا يُقَالُ غَلَبَ عَلَى فُلَانٍ الْكَرَمُ أَيْ هُوَ أَكْثَرُ خِصَالِهِ، وهو من فضل الله على خلقه، وقوله (خَلَقَ الله الخَلْقَ) فيه جناس يؤكد نسبة الفعل لله، كما بين كتب، وكتاب، وقوله (في كتاب) تأكيد للكتابة، وذكر الضمير (هو) للاختصاص أي عنده لا عند الملائكة، أو غيرهم، وفيه تشريف، وتعظيم لأمر هذا الكتاب، زاده رفعة، وتأكيداً بالظرف (عند) وإضافته لله، وارتقى به ذروة الشرف التي ليس فوقها مطمح في الرفعة بالظرف (فوق)، وإضافته للعرش، ثم إنه أكد المكتوب، وأضاف الرحمة إلى ذاته تعالى والتعبير بالمضارع (تغلب) يشير إلى الاستمرار، وصياغة المعنى بهذه الطريقة تفيد التأكيد على هذه الحقيقة تأكيداً لا يتصور معه تخلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، التبشير.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: معاملة الله لعباده بما هو أهله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: من مهام الداعية: فتح أبواب الرجاء أمام المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤، ومسلم ٢٧٥١/١٤ واللفظ له.

(٢) للبخاري بالرقم الذي تقدم.

(٣) للبخاري ٧٤٢٢، و٧٤٥٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتبشير:

١- الإخبار: أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بان الله تعالى لما خلق الخلق، كتب في كتاب عنده فوق العرش أن رحمته سبحانه سبقت غضبه وهذا مما يشرح صدور المدعوين ويبث فيهم التفاؤل والأمل في رحمة الله تعالى.

٢- التبشير: حيث جاء في الحديث "إن رحمتي تغلب غضبي"وكان التبشير بأن رحمة الله سبحانه تغلب غضبه، وفي هذا دافع نفسي يحرك النفس البشرية نحو الطاعة. وأسلوب التبشير من أساليب الدعوة التي تحبب النفس إلى الخير وفعله، ويسوق إليها المسرات فيشجعها ذلك على الطاعة والعبادة، والتبشير من الداعية للمدعو يحقق (انشراح الصدر وسعادة القلب، وسبب الاستقرار النفسي وراحة البال، وحب المبشر لمن يبشره واستئناسه به، وتجلب البشارة، الطمأنينة وسكون النفس وترفع الروح المعنوية، وتدلل على حصول الفرج بعد الشدة، كما أنها دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام)[١].

ومن هذا يتضح أنه من واجب الداعية أن يستصحب في دعوته أسلوب التبشير والترغيب. " والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله رحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: معاملة الله لعباده بما هو أهله سبحانه وتعالى:

إن الله عز وجل يعامل عباده بالفضل لا بالعدل فهو أهل التقوى وأهل المغفرة ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث "إن رحمتي تغلب غضبي" قال النووي: "ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبًا والمراد بالسبق والغلبة هنا: كثرة الرحمة وشمولها[٣].

وقال الطيبي في بيان معاملة الله لعباده بالفضل لا بالعدل (وقضية هذا العالم، وهو

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٣/٨١١

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١١.

عالم العدل، إثابة المطيع وعقاب العاصي حسب ما يقتضيه العمل من خير أو شر، وذلك يستدعي غلبة الغضب على الرحمة، لكثرة موجبه ومقتضيه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[1] فيكون سعة الرحمة وشمولها على البرية وقبول إنابة التائب والعفو عن المشتغل بذنبه المنهمك فيه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[2] أمرًا خارجًا عنه، مترقيًا منه إلى عالم الفضل، وفي سبق الرحمة على الغضب إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب: إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك)[3].

وقال ابن حجر: (إن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث، وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا ولولا وجودها لخلدوا أبدًا)[4].

قال المناوي: (إن رحمتي تغلب غضبي أي غلبت عليه بكثرة آثارها، ألا ترى أن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب لنيلهم إياها بلا استحقاق، وأن قلم التكليف مرفوع عنهم إلى البلوغ ولا يعجل بالعقوبة عليهم إذا عصوه بل يرزقهم ويقبل توبتهم، وما تعلق بالرحمة والفضل أحب إليه من فعل ما يتعلق بالغضب)[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦١.

(٢) سورة الرعد، آية: ٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٢/٥

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٧/٦

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢٥٩/٢.

قال العيني: (قوله: "لما قضى الله الخلق" أي لما أتمه كتب عنده أي أثبت في اللوح المحفوظ قيل صفاته تعالى قديمة كيف يتصور السبق بين الرحمة والغضب، وأجيب بأنهما من صفات الفعل لا من صفات الذات فجاز سبق أحد الفعلين على الآخر: وذلك لأن إيصال الخير من مقتضيات صفته بخلاف غيره فإنه بسبب معصية العبد)[1].

قال سليم الهلالي في فقه الحديث:

- دليل على علو الله على خلقه، وأنه فوق عرشه بائن من خلقه.
- إثبات صفتي الرحمة والغضب لله، ولا يجوز تأويلهما بإرادة الثواب والعقاب؛ لأنه خلاف منهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة والحديث.
- سعة رحمة الله بعباده كافة، وأن رحمته سبقت غضبه[2].

ثالثًا- من مهام الداعية: فتح أبواب الرجاء أمام المدعوين:

إن النفس البشرية تميل إلى الرجاء والترغيب والرحمة، ولذا فمن مهام الداعية الضرورية أن يفتح باب التوبة والرجاء أمام المدعوين ولا يقنطهم من رحمة الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3]، وعن على بن أبي طالب، قال: "إنَّ الفقيهَ حقَّ الفقه مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ الناسَ من رحمةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ في معاصي اللَّهِ، ولم يُؤَمِّنْهُمْ من عذابِ اللَّهِ، ولم يَدَعِ القرآنَ رغبةً عنْهُ إلى غَيْرِهِ، إنَّهُ لاَ خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا علمَ لا فَهْمَ فيهِ، ولا قراءَةَ لا تدبُّرَ فيها[4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه مر على قاص يذكر النار فقال يا مذكر النار لا تقنط

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٣٩/٢٥.

(٢) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٤٩٢/١.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٤) أخرجه بن الضريس وابن بشران في أماليه كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٧٩/١٢.

الناس ثم قرأ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]»[2].

ولقد جاء في سياق الحديث بأن رحمة الله تغلب غضبه وهذا ما يجب أن يفطن له الدعاة البدء بالرجاء قبل الخوف، والرحمة قبل العذاب، والتبشير قبل التنفير والرغبة قبل الرهبة.

قال المباركفوري: (ووجه المناسبة بين قضاء الخلق، وسبق الرحمة أنهم مخلوقون للعبادة شكرًا للنعم الفائضة عليهم، ولا يقدر أحد على أداء حق الشكر وبعضهم يقصرون فيه، فسبقت رحمته في حق الشاكر بأن وفي جزاءه وزاد عليه ما لا يدخل تحت الحصر وفي حق المقصر إذا تاب ورجع بالمغفرة والتجاوز)[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ١٢/٦٧٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٩/٣٧٠.

الحديث رقم (٤٢٠)

٤٢٠- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللّه ﷺ، يقول: ((**جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأنْزَلَ فِي الأرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ**))[1].

وفي رواية[2]: ((**إنّ للهِ تَعَالَى مئَةَ رَحمَةٍ، أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجنِّ وَالإنس وَالبهائِمِ وَالهَوامّ، فبها يَتَعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأخَّرَ اللهُ تَعَالَى تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

ورواه مسلم[4] أيضًا مِنْ رواية سَلْمَانَ الفارِسيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: ((**إنَّ للهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسعُونَ لِيَومِ القِيَامَةِ**)).

وفي رواية[5]: ((**إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأرضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَهَا بِهذِهِ الرَّحمَةِ**)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

سلمان الفارسي: علم من أعلام الصحابة، فهو سلمان الخير، أبو عبدالله ابن الإسلام، وكان يسمي نفسه سلمان الإسلام، أصله من أصبهان، وقيل من رامَهُرْمُز، أخرج البخاري بسنده عن أبي عثمان قال سمعت سلمان يقول: (أنا من هرمز)[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٠٠، ومسلم ٢٦٥٢/١٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٢/١٩ من حديث عطاء بن أبي رباح.

(٣) انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي ١٧/٣، رقم ٢١٨٣.

(٤) برقم ٢٧٥٣/٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٣/٢١.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي، ص ٦٦٦، حديث رقم ٣٩٤٧.

سابق أهل أصبهان إلى الإسلام، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان قبل ذلك يقرأ الكتب، ويطلب الدين، فقرأ كتب الفرس والروم واليهود، فظل رضي الله عنه طيلة حياته باحثًا عن الدين الحق والملة السمحاء إلى أن هداه الله فهجر دين قومه وأبيه الذي كان دِهقانًا لقومه أي رجل الدين عندهم، وكانوا على المجوسية فرغب عنها، ثم لحق بالنصارى، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فتوجه إلى المدينة، وفي طريقه إليها استرقه البعض وباعوه في المدينة لرجل من اليهود من بني قريظة، فلما قدم النبي ﷺ مهاجرًا أتاه سلمان وأسلم، وكاتب مولاه اليهودي فأعانه النبي ﷺ حتى عتق وهو بهذا مولى المصطفى ﷺ، يحكى عما لاقاه من المشاق والتعرض للاسترقاق في رحلته للبحث عن الحق، كما جاء في البخاري بسنده عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من ربٍّ إلى ربٍّ[1].

صحب النبي ﷺ وخدمه، وروى عنه، له في كتب الحديث ٦٠ حديثًا، أخرج البخاري منها أربعة، ومسلم ثلاثة.

آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء[2].

لازم النبي ﷺ وجاهد معه وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، وكان هو صاحب المشورة في حفره، وشهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وشهد فتوح العراق وَوُلِّي المدينة فأقام بها إلى أن مات.

وكان رضي الله عنه نبيلاً حازمًا لبيبًا عابدًا عاقلاً عالمًا، وكما وصفه علي بن أبي طالب لما سُئل عنه بقوله ((من لكم بمثاله لقمان الحكيم، ذلك امرؤ منا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر بحرٌ لا ينزف))[3].

كما كان لبيبًا عاقلاً ذا مشورة، ومن بين ما سجل له في ذلك الجانب ما قاله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي، ص ٦٦٦، رقم ٣٩٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له، ص ٣١٦، رقم ١٩٦٨.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/٢١٣، ٢١٤ رقم ٦٠٤٢.

لأخيه أبي الدرداء مبينًا له أهمية الموازنة بين حقوق الله والنفس والأهل والناس روى البخاري بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فَصَلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: صدق سلمان))(١).

وكان رضي الله عنه ورعًا يتصدق بعطائه مهما بلغ، وينسج الخوص، ويأكل من كسب يده.

أما عن عمره فكان رضي الله عنه من المعمرين، وقال ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب (وتبين لي أنه ما جاوز الثمانين)(٢).

مات بالمدائن في خلافة عثمان سنة ٣٢، وقيل سنة ٣٦ وقيل في خلافة عليٍّ سنة ٣٧. وأقربها للصواب سنة ٣٢ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له ص ٣١٦ رقم ١٩٦٨، ص ١٠٦٩ رقم ٦١٣٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٩/٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٧٥/٤-٩٣، ١٦/٦، ٢١٨/٧، ٢١٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٩١-٢٩٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥١٠/٢-٥١٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٢١، ٥٢٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٠٥/١-٥٠٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٣٨/٣-٢٤١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٢، ٦٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ١١١/٣، ١١٢، وعظماء حول الرسول ٩٢٦/٢-٩٣٨.

غريب الألفاظ:

الحافر من الدابة: ما يقابل القدم من الإنسان[١].

الهوامّ: جمع هامَّة: وهي الحشرات[٢].

الوحشُ: حيوان البرِّ[٣].

وطباق ما بين السماء والأرض: تملأ ذلك من كبرها وعظمها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يدور معناه حول سعة رحمة الله تعالى ويقوم على أسلوب الإجمال بعد التفصيل، وهو نوع من الإطناب يؤكد المعنى، ويوضح أبعاده عن طريق ذكره مرتين إحداهما مجملة وهي قوله (جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ) ثم فصَّله بقوله (فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً) ومن في قوله: (فمن ذلك الجزء) للتبعيض، واسم الإشارة للتعظيم، ويؤكده قوله (يتراحم الخلق) والتعبير بصيغة التفاعل للدلالة على تبادل الرحمة بينهم مما يبين عظمة هذا الجزء، وقوله (حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ) كناية عن سعة الرحمة، وتمكنها، والتعبير بالدابة فيه مبالغة: لأنه إذا كان هذا حال غير العاقل فما الحال بالعاقل، والتعبير بالحافر يعني نوعية خاصة يضرب بها المثل في الغباء كالحمار وفصيله، والبقر، وفصيله من ذوات الحافر إشارة إلى أن هذا الجزء من الرحمة أثَّر حتى في أغبى الحيوانات، وفيه إشارة إلى أن مسألة الرحمة فطرة فطر الله الخلق عليها، وليس لها مرجع إلى العقل، وتعبيره بالخشية إشارة إلى لون مخصوص من الخوف ممزوج بالمحبة، والتعبير بالأفعال المضارعة

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ف ر).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥١.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (و ح ش).

(٤) انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ط ب ق)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٥٨٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٢.

(ترفع - تصيبه) يستحضر الصورة التي تجسِّد عظيم الأثر لهذا الجزء، وصورة حافر الدابة معلق في الهواء تحته صغيرها، يقول بلسان الحال - تبارك الله أرحم الراحمين -

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الطمع والرجاء في رحمة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التراحم بين الخلائق.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد:

١- الإخبار: حيث جاء في الحديث "جعل الله الرحمة مائة جزء" فبيّن النبي ﷺ بأن الله عز وجل رحمته واسعة ولذا كانت مائة جزء وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة، التي تعمل على بيان الحقائق للمدعوين، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بأن الله جعل الرحمة مائة جزء، وأن ما يتراحم به الخلائق ما هو إلا جزء من مائة جزء، حيث أمسك الله تعالى عنده تسعة وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة، ولاشك أن هذا الإخبار والبيان مما يشرح صدور المدعوين ويشعرهم بفضل الله تعالى على عباده المؤمنين، مما يؤدي إلى الإقبال على الله تعالى والعمل على مرضاته.

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة". وقد أكد النبي ﷺ كلامه بـ"إن" التي تفيد التوكيد للدلالة على صدق ما يقول من أن لله عز وجل مائة رحمة، والشاهد المحسوس من رحمة الخلائق بعضهم لبعض هي رحمة واحدة في الأرض. وأسلوب التوكيد يزيد من إقناع المدعو، ويدلل على مدى ثقة الداعية في نفسه، وفيما يطرح من موضوعات دعوية، وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[١] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[٣].

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) سورة المرسلات، آية: ٤١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الطمع والرجاء في رحمة الله تعالى:

إن المسلم مطلوب منه دائمًا أن يطمع في رحمة الله، ويرجو ثوابه سبحانه. وقد جاء في الحديث "وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم عباده يوم القيامة وفي رواية "فإذا كان يوم القيامة" أكملها بهذه الرحمة.

قال النووي: (هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة، للمسلمين قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، والإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه، وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار، ودار الجزاء، وقد وقع في الحديث جعل الله الرحمة مائة جزء)[1].

وقال ابن حجر: (المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك في المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو)[2]. وقد قال الله تعالى في القرآن: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾[4] وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد"[5]، هذا ومن فوائد الرجاء

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١١.

(٢) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣٠١/١١

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٥.

والطمع في رحمة الله "أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله، وأن في الرجاء الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته)[1].

إن هذا الحديث بشرى عظيمة للبشرية جميعًا تبشر بسعة رحمته سبحانه وتعالى، إنها فرصة للتائبين من الشرك والكبائر والذنوب، فأبواب رحمته في الدنيا مفتوحة على مصراعيها، ورحمته الكبرى في الآخرة قد أخرها للمؤمنين والتائبين.

وهذا الحديث يرسخ معالم الرجاء في الإنسان، لمعرفة سعة رحمة الله قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: خصَّ الفرس بالذكر لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها.

ووقع في حديث سلمان عند مسلم في آخره من الزيادة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة، وفيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضا، وصرح بذلك المهلب فقال: الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم، قال: ويجوز أن يستعمل الله تلك الرحمة فيهم فيرحمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء وهي التي من صفة ذاته ولم يزل موصوفًا بها فهي التي يرحمهم بها زائدًا على الرحمة التي خلقها لهم.

قال: ويجوز أن تكون الرحمة التي أمسكها عند نفسه هي التي عند ملائكته المستغفرين لمن في الأرض لأن استغفارهم لهم دال على أن في نفوسهم الرحمة لأهل الأرض.

---

(١) موسوعة نظرة النعيم ٥/٢٠٤٠

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

قلت: وحاصل كلامه أن الرحمة رحمتان رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل وهي المشار إليها هنا، ولكن ليس في شيء من طرق الحديث أن التي عند الله رحمة واحدة بل اتفقت جميع الطرق على أن عنده تسعة وتسعين رحمة وزاد في حديث سلمان أنه يكملها يوم القيامة مائة بالرحمة التي في الدنيا فتعدد الرحمة بالنسبة للخلق.

وقال القرطبي: مقتضى هذا الحديث أن الله علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة وكلها للمؤمنين واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] فإن رحيمًا من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين.

وقال ابن أبي جمرة: في الحديث إدخال السرور على المؤمنين لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوما مما يكون موعودًا.

وفيه الحث على الإيمان واتساع الرجاء في رحمات الله تعالى المدخرة)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التراحم بين الخلائق:

جاء في الحديث ما يؤكد على أهمية التراحم بين الخلائق؛ لأن ذلك من موجبات رحمة الله تعالى حيث يرحم الله تعالى الرحماء من عباده يستنبط ذلك مما ورد في قوله ﷺ: "فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق" والرحمة بين الخلائق واجب إنساني وبها كانت الوصاية قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٢-٤٣٣.

(٣) سورة البلد، آية: ١٧.

وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَٰنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُم مَنْ فِي السَّمَاءِ))[1] وقال وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يَرحمُ اللَّهُ مَن لا يَرحم الناسَ"[2].

وقال السعدي: (إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق فإن الله لم يكلف نفسًا إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران وسائر ما شرع الله، وجدت ذلك كله مبنيًا على الرحمة، فلقد وسعت الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق)[3].

ولا شك أن الشريعة داعية إلى الرحمة بين الخلائق بكل صورها وأنواعها (إن الرحمة بالناس بل بالحيوان عاطفة شريفة وخليقة محمودة فالرحمة فضيلة، والقسوة رذيلة والرحمة تكون بالأبناء وأثرها تقبيل ومعانقة وتأديب وتربية وإجابة رغائب -مادامت في سبيل المصلحة- وإبعاد من الشر. وتكون بالآباء والأمهات وأثرها قول كريم، وصنع جميل وطاعة في غير معصية وخدمة صادقة، وتكون بالأقرباء وأثرها بر وصلة وزيارة ومودة وسعي في مصلحة ودفع لمضرة، وتكون بين الزوج وزوجه وأثرها عشرة بالمعروف، وإخلاص متبادل، وألا ترهقه بالطلبات ولا يكلفها بالمرهقات، بل يعاونها على شؤون المنزل وتربية الأولاد بالخدم ما دام في المال سعة أو بنفسه إن كان في وقته فضل، وتكون بأهل دينك، ترشدهم إلى الخير، وتعلمهم ما علمت، وتأخذ بهم عن اللمم إلى السبيل الأهم وتعمل لعزهم، ودفع المذلة عنهم، وتكون بالناس جميعًا فتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها. وتكون بالحيوان فتقدم له أكله وشربه وتداوي جرحه، ولا تكلفه عسيرًا، ولا تحمله ثقيلاً. فإن كانت الرحمة خليقتك

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٧٦، ومسلم ٢٣١٩

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ٦١، ٦٢

رحمك الناس كما رحمتهم، وكانوا لك كما كنت لهم، ورحمك الرحمن الرحيم)[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية لا يكتم شيئًا من حقائق الإسلام؛ لأنه يقتدي بالأنبياء في تبليغهم للوحي، وقد بين النبي ﷺ في الحديث أن الرحمة مائة جزء، وهكذا يجب أن يكون دور الداعية بيان حقائق الدين للمدعوين ليلتزموا بها، ولا يكون لهم حجة في عدم تبليغهم، أو حجة في جهلهم وعدم معرفتهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٢].

وقد جعل الله من أهم صفات الأنبياء أن يبلغوا الوحي ولا يكتمونه تبيينًا للحقائق للمدعوين. وإذا تأكد هذا في حق الأنبياء فإنه ينسحب كذلك على الدعاة إلى الله تعالى باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء وقد أمر الله بالبيان والتبليغ والإيضاح لحقائق الإسلام فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

قال أبو بكر جابر الجزائري: (والمراد بالتبليغ أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئًا، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحي إليه، وأمر بإبلاغه إلى الناس، والكتمان للوحي الإلهي يتعذر على المرسلين، ويستحيل في حقهم، ولا يتأتى لهم، لأن الله تعالى أهّلهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهدى والخير فمتى وجد الكتمان بطلت النبوة وانتفت الرسالة)[٤].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٢٢-١٢٣.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) [illegible] ٢٦٢.

الحديث رقم (٤٢١)

٤٢١- وعنه[١]، عن النَّبيّ ﷺ فيما يحكِي عن ربهِ تبارك وتعالى، قَالَ: ((أذنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فقَالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أذنَبَ عبدي ذَنبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تبارك وتعالى: أذنَبَ عبدِي ذَنبا[٢]، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! اغْفِرْ لِيْ ذَنْبِيْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِيْ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ[٣]، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ[٤] مَا شَاءَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٥].

وقوله تَعَالَى: ((فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ)) أيْ: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكذا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أغفِرْ لَهُ، فَإنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث بالحوار المحكي فيه بين العبد، وربه يحكي ضعف النفس البشرية أمام دواعيها وترديها في المعاصي (أذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً) ولكن نفسه نفس لوامة لا يلبث صاحبها - بعد التلبث بالذنب - أن ينيب إلى الله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي) ويحكي عظمة

---

(١) أي عن أبي هريرة.

(٢) لفظ مسلم: (عبدي أذنب ذنبًا).

(٣) إلى هنا السياق لمسلم. قال الحميدي في جمعه ٣/١٠٧، رقم ٢٣٠٤ بعد أن ساق لفظ الحديث إلى هنا: في حديث عبد الأعلى، عن حمّاد بن سلمة، مسلم ٢٧٥٨/٢٩ عقب الحديث: (اعمل ما شئت فقد غفرت لك). وفي حديث عبد بن حميد، مسلم ٢٧٥٨/٣٠ بمعناه، وذكر ثلاث مرّات، وفي الثالثة: (فقد غفرت لعبدي، فليفعل ما شاء). المؤلف ساق لفظ مسلم برقم ٢٧٥٨/٢٩ إلى قوله: (ويأخذ بالذنب)، ثم جاء بالشطر الأخير من لفظ مسلم برقم ٢٧٥٨/٣٠.

(٤) لفظ البخاري ومسلم: (فليعمل) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥٠٧، ومسلم ٢٧٥٨/٢٩.

عفو الله، وكرمه فمهما كثرت ذنوب العبد فإن الله يتوب عليه - إن عاد إليه وأناب - وقوله ثانياً (أذنَبَ عبدي ذَنباً) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الترغيب في التوبة، وعدم اليأس من رحمة الله، ويدل على ذلك أمر الله (فليعمل ما شاء) الذي جاء امتناناً، ورضاً على عبد علم الله، أنه لن يقيم على معصية، قال الشيخ أبو موسى - في مثله - عن الأمر في قول الرسول ﷺ "لعل الله اطلع على أهل بدر" فقال: اعملوا ما شئتم" دلالة على نهاية الرضا والقبول وكأنه سبحانه لفرط حبه ورضاه عن هذه الكوكبة المباركة يقول: لهم افعلوا ما تشاءون إن خيراً وإن شراً - فالكل عندنا مقبول منكم ومرضي عنه، وليس معناه أن الله أباح لهم شيئاً مما حرمه[1] -... كذلك في قوله ﷺ عن رب العزة "فليفعل ما شاء" ليس إباحة لما حرم، ولكنه دليل على منتهى الرضا على عبده التواب المنيب.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تكرار الذنوب، والتوبة منها:

ذهب البعض إلى أنه يشترط في التوبة عدم معاودة الذنب وقالوا: أنه متى عاد إليه تبينا أن التوبة كانت باطلة غير صحيحة.

وذه أكثر الفقهاء إلى أنه لا يشترط في التوبة عدم العود إلى الذنب الذي تاب منه، وإنما تتوقف التوبة على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الجازم على ألا يعود، فإن عاوده مع عزمه حال التوبة على أن لا يعاوده، لم تبطل توبته المتقدمة، كما لا يعود إليه إثم الذنب الذي تاب منه، وصار كمن ابتدأ المعصية.

وقال بعضهم: يعود إليه إثم الذنب الأول؛ لفساد التوبة وبطلانها بالمعاودة.

قالوا: ولأن التوبة من الذنب بمنزلة الإسلام من الكفر، والكافر إذا أسلم هدم إسلامه ما قبله من إثم الكفر وتوابعه، فإذا ارتد عاد إليه الإثم الأول مع إثم الردة، لما

---

(١) انظر: دلالات التراكيب، د. أبو موسى، ص ٢٥٠.

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: ((من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلي ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))[1].

قالوا: فهذا حال من أسلم وأساء في إسلامه ومعلوم أن الردة من أعظم الإساءة في الإسلام فإذا أخذ بعدها بما كان منه في حال كفره ولم يسقطه الإسلام المتخلل بينهما فهكذا التوبة المتخللة بين الذنبين لا تسقط الإثم السابق كما لا تمنع الإثم اللاحق[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاستغفار والتوبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله.

رابعًا: من مهام الداعية: تبشير المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط الترغيب من عموم الحديث، حيث أفاد الترغيب في التوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة التي تجعل المدعوين يقبلون على الطاعة حيث إن الأجر والثواب محبب إلى النفس، والنفس دائمًا ترغب في المزيد من الفضل والرحمة، (والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه كما أن الترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهى، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم، والإنسان

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٩٢١، ومسلم ١٢٠.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٧٣/١ وما بعدها، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٨٩/١، والمهذب ٣٢٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٠٢/٩.

مفطور على الميل إلى كل ما يحقق له اللذة، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاستغفار والتوبة:

إن الإنسان بطبيعته خطاء وغير معصوم من اقتراف الذنوب، مما يستلزم التوبة والإنابة إلى الله تعالى ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث "اللهم اغفر لي ذنبي" ومما من شك في أن الاستغفار له فضل عظيم قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[٢] ومما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[٣] وجعل الله من صفات المتقين الاستغفار فقال جل شأنه: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤] وأمر الله بالإنابة والرجوع إليه فقال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[٥].

قال النووي: (وهذا الحديث ظاهر الدلالة أنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد واحدة جميعها صحت توبته، وقوله للذي تكرر ذنبه اعمل ما شئت فقد غفرت لك معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك)[٦].

وقال ابن حجر: (شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود، وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص ٣٩٢.

(٢) سورة نوح، آية: ١٠.

(٣) سورة هود، آية: ٥٢.

(٤) سورة الذاريات، آية: ١٧-١٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٤.

على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه)[١].

وقال أبو العباس القرطبي في المفهم: (يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنا للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال: استغفر الله بلسانه وقلبه مُصِر على تلك المعصية فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار)[٢].

قال ابن حجر: (ورأيت في الحلبيات للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول: فيه نفع لأنه خير من السكوت؛ ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني: نافع جدًا، والثالث: أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة فإن العاصي المُصِر يطلب المغفرة ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه إلى أن قال والذي ذكرته من أن معنى الاستغفار هو غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ لكنه غلب عند كثير من الناس أن لفظ استغفر الله معناه، التوبة فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة).

ثم قال: وذكر بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[٣] والمشهور أنه لا يشترط[٤].

قال القرطبي: (وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وان كان أقبح من ابتدائه لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها لأنه إن ضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٧٩، ٤٨٠

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٨٦.

(٤) سورة هود، آية: ٣.

(٥) المرجع السابق ٧/٨٦.

وفي هذا الحديث "بيان لفضل الله ورحمته على عباده ما داموا يعتقدون أن ربهم بيده مقاليدهم إن شاء غفر وإن شاء عاقب، وهذا يدل على فضل التوحيد، ولذلك أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من "صحيحه".

وأن التوبة الصحيحة تكفر الذنب.

والمؤمن بالله تعالى يصفو قلبه بالتوبة ويأمل بعفو ربه، فيبادر إلى الصلاح وعمل الخير، وإن وقع منه ذنب استدرك على نفسه بالتوبة ولم يصر على المعصية.

وهذا الحديث دليل على أنه لو تكرر الذنب مئة مرة أو أكثر وتاب في كل مرة؛ قبلت توبته، وسقطت ذنبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحّت توبته"[1].

قال السفاريني: (ولما كان من متعلقات الذنوب التوبة كانت واجبة على كل من تلبس بذنب وجوب لزوم لابد منه، فالتوبة أصل كل مقام، ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا حال. والتوبة هي الرجوع عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على أن لا يعود عليه ويرضي الآدمي عن ظلامته إن تعلقت به. وقال بعضهم: التوبة الواجبة الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع من ترك واجب أو فعل محرم إلى ما هو محمود في الشرع قال النووي: أركانها ثلاثة: الإقلاع والندم على فعل تلك المعصية، والعزم على أن لا يعود إليها أبدًا وأن لا يغرغر. انتهى. فإن كانت المعصية لآدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق.

وقد نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي في ثلاثة أبيات سمّاها شروطًا وهي:

شروط توبتهم إن شئت عدتها	ثلاثة عرفت فاحفظ على مهل
إقلاعه ندم وعزمه أبدًا	أن لا يعود لما منه جرى وقل
إن كان توبته من ظلم صاحبه	لابد من رده الحق على عجل

هذا وأصل التوبة الندم وهو ركنها الأعظم، فمن تاب توبة نصوحًا واجتمعت

---

[1] بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/ ٤٩٤.

شروط التوبة في حقه أن يقطع بقبول توبته كرمًا منه وفضلاً)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله:

حيث جاء في الحديث" قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء" وما من شك في أن هذا يدل على عظيم فضل الله وسعة رحمته بعباده قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٢].

قال ابن الجوزي: (والمراد أي ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وقيل: إن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا البر والفاجر وفي الآخرة للمتقين خاصة قاله الحسن وقتادة فعلى هذا معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يرزق ويدفع عنه. وقيل: إن الرحمة التوبة فهي على العموم وقيل: إن الرحمة تسع الخلائق كلهم إلا أن أهل الكفر خارجون منها فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم. قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا والمراد بقوله: "فسأكتبها للذين يتقون" أي فسأوجبها للذين يتقون الشرك وقيل يتقون المعاصي)[٣].

قال ابن كثير: هذه آية عظيمة الشمول والعموم كقوله: إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٤] وقوله فسأكتبها للذين يتقون: يعني فسأوجب حصول رحمتي مِنَّةً مني وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٥] وقوله للذين يتقون أي سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ الذين يتقون أي: الشرك والعظائم من الذنوب[٦].

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ٣٧١/١-٣٧٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٢٧١/٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٨١/٣، ٤٨٢.

ومن سعة رحمة الله وفضله أنه جعل الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] قال السعدي: (وكون الحسنة بعشر أمثالها هذا أقل ما يكون من التضعيف، وكون من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها فهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه وإنه لا يظلم مثقال ذرة)[2].

ومما لا شك فيه أن رحمة الله واسعة، وتعم جميع الخلائق (إن الرحمة خزائنها بيده سبحانه، والفضل مفاتحه لديه، والخير منه وإليه لو كانت الرحمة بيد الناس لمنعوها عن عباده، وقطعوها عن خلقه، أو اختصوا بها فئامًا معينة، ونفوسًا محددة، وأمسكوا خشية الإنفاق، يمسكون بث عبق الرحمة كما يمسكون الأموال ضنًّا بها وبخلاً وخوفًا على نفادها، أما الواحد الأحد فقد بث رحمته للناس عمومًا، بل للمخلوقات عمومًا، ولو تأملت هذا الكون بما فيه لرأيته يفيض بالرحمة، وينبع باللطف، إلا أن هناك رحمة خاصة لأناس مخصوصين يجدون روحها، ويستنشقون عبيرها، ويرشفون مذابها، ويتذوقون رضابها وتلك هي الرحمة التي يظفر بها المؤمنون، وينالها المحسنون فتكون لهم في الدنيا والآخرة والمؤمن يجد رحمة الله تحف به وتمشي في ركابه في حال يسره وعسره ومنشطه ومكرهه، ومرضه وصحته، وغناه وفقره، وقد يفقد كل شيء يرى الناس أن فقده حرمان، وغيابه خسران، ولكنه سعيد برحمة الله فهي أنيس وحدته، ورفيق غربته)[3].

رابعًا- من مهام الداعية: تبشير المدعوين:

يظهر هذا من سياق الحديث حيث إن التبشير يجعل المدعوين يقبلون على ما يقوله الداعي. وقد أمر الله نبيه بالتبشير، فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٤٥

(٣) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣٢٥.

فَضْلًا كَبِيرًا ﴾[1] وأخبر عن أوليائه بقوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾[2] وحث رسول الله ﷺ على التبشير في الدعوة فقال لأبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما "يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا"[3].

قال ابن حجر: (والنكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل وبلفظ التنفير وهو اللازم، وأتى بالذي بعده على العكس للإشارة إلى أن الإنذار لا يُنفى مطلقًا بخلاف التنفير، فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير، فكأنه قيل: إن أنذرتم فليكن بغير تنفير)[4] ولقد كان من هدي النبي ﷺ وهو إمام الدعاة وقدوتهم تبشير أصحابه ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة))[5].

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ))[6]. وفي الحديث أيضًا عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَشِّرْ هَذِهِ الأمَّةَ بالسَّنَاءِ والرِّفْعَةِ والنَّصْرِ والتَّمْكِينِ فِي الأرض فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ))[7]. وهذا يدل على أن من أولى مهام الداعية التبشير.

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٤٧.

(٢) سورة يونس، آية : ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣٤١

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩.

(٦) أخرجه أبو داود ٥٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٢٥).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٤/٥ رقم ٢١٢٢٠، وقال محققو المسند: إسناده قوي ١٣٥/٣٥.

الحديث رقم (٤٢٢)

٤٢٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

القسم من أساليب التشويق؛ لأنه يشير إلى مهم يتلوه، فيترقب ما يسفر عنه، وقسم الرسول ﷺ عامةً له وقع خاص؛ لأنه قسم صادق لا يكذب، وقسم نبي لا ينطق عن الهوى، فهو يفوق غيره تشويقاً وتنبيهاً، زد على ذلك القسم في بداية الكلام، دون مواجهة بشك، أو إنكار، زد على ذلك القسم بهذه الصيغة(والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) والتي تصور روحاً هي روح المُقْسِم في قبضة هي قبضة المقسَم به فكأن التركيب يقول لنا كيف يكذب من كانت هذه حاله ؟ وهذا الحشد يشير إلى عظمة ما يخبر به، وأنه بلغ مداه في الخير، أو في الشر، وقوله (لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ) خبر بلغ مداه في الخير للمذنبين، وهو أسلوب شرط يربط عدم الذنب بالذهاب بهم، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى خلق خلقه على هذه الصفة من الضعف وفتح لهم باب المغفرة، ورضي لهم التوبة بعد الذنب، ومن أسمائه الغفار، وموجب هذا الاسم أن يغفر، ولكي يغفر لابد أن يكون هناك من يذنب، ولذلك قال بعده (وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) ومن الملاحظ أن أكثر أفعال الحديث جاء في صورة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار (تُذْنِبُوا، يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ) تجدد التوبة، والاستغفار من العبد، واستمرار المغفرة من الرب، ونلاحظ الربط بالفاء بين الذنب، والاستغفار، مما يقتضي المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى - دون مهلة قد يدركه فيها الموت، أو تتراكم الذنوب فتحجب قلبه.

---

(١) برقم ٢٧٤٩/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٩.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على عباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستغفار والتوبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث" والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم من أساليب الدعوة "حيث إن أسلوب القسم يبصر بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية بشكل مفصل ثابت أمام المدعوين والدعاة. لكي تكون حركة الجميع على بيان ووضوح، كما أن هذا الأسلوب يناسب طبيعة البشر، وينطلق من بين فكرهم فهو أسلوب يثير الانتباه ويؤدي دوره كأسلوب من أساليب الدعوة صانعًا التأثير النفسي، والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبهما معًا، الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على عباده:

إن الله عز و جل خلق الإنسان ويعلم ضعفه أمام الشهوات، ووهن عزيمته أما المغريات فكان من فضله سبحانه أنه يقبل إنابة التائبين وإخبات المنيبين إليه ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون" وهذا يدل على عظيم فضل الله وأنه سبحانه يعلم طبيعة الإنسان وضعفه أمام الشهوات والمعاصي، ولذا كان من فضل الله أن فتح للإنسان باب التوبة وقبوله قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال ابن قدامة: "والتوبة واجبة على الدوام فإن الإنسان لا يخلو عن معصية، ولو خلا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٢٣).

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٣، ١٦٤

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، ولو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وما أصل ذلك، فلابد منه[1].

وما من شك في أن فضل الله ورحمته على عباده كثيرة فمن ذلك قبول توبة التائب قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[2] ومن ذلك مضاعفة الحسنات وتكثيرها قال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[3] ومن ذلك إخباره بمغفرة جميع الذنوب قال جل شأنه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[4] وأمر بالفرح بفضله ورحمته فقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[5].

قال الطيبي: ليس في الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله تعالى، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بُعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب بل بيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة، والمعنى المراد من الحديث هو أن الله كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين، وقد دلَّ على ذلك غير واحد من أسمائه الغفار الحليم التواب العفو، أو لم يكن ليجعل العباد شأنا واحدا كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب بل يخلق

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش ص٢٧٥ ، ٢٧٦.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٥٨.

فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى متلبسا بما يقتضيه ثم يكلفه التوقي عنه ويحذره عن مداناته ويعرفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفى فأجره على الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه[١].

قال المناوي: ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم فيتوب عليهم وينيلهم جنته وإنما يخلي الله بين المؤمن والذنب ليبلغه هذه الدرجة ولو لم يخل بينه وبينه وسعى العبد في محاب الله كلها وتجنب مساخطه كلها ربما وجد نفسه قائمة بوظائف الله وساعية في طاعته ويرى لسانه ذاكرا فأعجبته نفسه واستكثر فعله واستحسن عمله، فيكون قد انصرف عن الله إلى نفسه العاجزة الحقيرة الضعيفة القوة الدنية الصفة الأمارة بالسوء اللوامة التي هي معدن الآفات ومحل الهلكات[٢].

إن في هذا الحديث "بيان فضل الله تعالى على عباده بالعفو والمغفرة.

وأن كل ابن آدم خطاء، فعلى العبد أن يسارع في الاستغفار والتوبة.

كما أن من حكمة التكليف ظهور أسماء الله المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن خلقه وعتقه لمن شاء من عبيده.

كما أنه ليس في الحديث تحريض على فعل المعصية، ولكن فيه تبشير بالمغفرة وإزالة لشدة الخوف واليأس من نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يفرون إلى الجبال ويعتزلون الحياة ونعيمها من شدة خوفهم، فكان في ذلك طمأنينة ورجاء لعفو الله ومغفرته[٣].

ثالثًا- من مهام الداعية: التبشير:

لقد جاء سياق الحديث في التبشير بمغفرة الله للذنوب والتجاوز عنها، ولذا فإن من المهام الأساسية التي ينبغي للداعية القيام بها بشارة الناس بالخير دائمًا وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤] ومن ثم "فإن الداعي إلى

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩٨/٥.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٣١٠/٥.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٤٩٥/١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

الخير لا تتم له الدعوة ولا تحصل ثمراتها المطلوبة منها إلا بترغيب المدعوين وتذكيرهم بالأسباب المرغبة، الداخلية والخارجية، وإبعاد الأسباب المثبطة حسب الإمكان فسلوك طرق تبشير العاملين وترغيبهم لاريب في نفعه"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستغفار والتوبة:

حيث جاء في الحديث "فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" وإذا كان الأمر كذلك فعلى المسلم الإكثار من الاستغفار قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] وقال على لسان شعيب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٣] وقال على لسان هود عليه السلام لقومه ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٤].

وقد جاء في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...))[٥]، قال ابن القيم: (والتوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى "التوبة" وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وحقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره فهي رجوع من مكروه إلى محبوب)[٦].

---

(١) الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ١٩١

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) سورة هود، آية: ٩٠.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٤١/١.

وإذا ثبت أن الله يتجاوز عن السيئات ويغفر الزلات فواجب الإنسان الإنابة إلى الله والتوبة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾[1] وقال جل شأنه عن إبراهيم عليه السلام ما جاء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[2]، وأمر الله المؤمنين بالتوبة النصوح، فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[3]، وعلى الداعية أن يحث المدعوين على هذه المعاني ويرشدهم إليها.

(١) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٢) سورة هود، آية: ٧٥.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

الحديث رقم (٤٢٣)

٤٢٣- وعن أبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((لولا أنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرون، فيَغْفِرُ لَهُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يشير إلى أن حكمة الله اقتضت أن يخلق من يذنب فيتوب، ويستغفر فيغفر له، وبداية هذا الحديث بـ(لولا)، وهي حرف امتناع لوجود أي امتناع استبدالهم بغيرهم لوجود الذنب، ولكن الذنب المقترن بتوبة، واستغفار؛ ولذلك جاء في نهاية الحديث بقوله: (يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) ومن الملاحظ الربط بالفاء التي تقتضي السرعة، وعدم التسويف في التوبة؛ لأنها العبادة المقصود من استبدالهم بغيره، وليس المقصود -والله أعلم- الذنب؛ لأن الذنوب هي سبب كل البلاء (﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى٣٠]، والاستغفار هو سبب الرحمة، وسعة الرزق، والمدد من الله (﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾[نوح١٠-١٢].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٧٤٨/٩، إلا قوله: (فيستغفرون) فهو عنده برقم ٢٧٤٩/١١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٢٤)

٤٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ[١] رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، مَعَنَا أبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنَا ، فَأبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أنْ يُقتطَعَ دُونَنَا ، فَفَزِعْنَا فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أبْتَغِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . حَتَّى أتَيْتُ حَائِطًا للأنْصَارِ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إلَى قوله: فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : ((**اذهَبْ[٢] فَمَن لَقِيتَ[٣] وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أظهُرنا : من بيننا[٥].

يقتطع دوننا : يُصاب بمكروه من عدو[٦].

حائطًا : بستانًا[٧].

مستيقنًا : معتقدًا اعتقادًا جازمًا[٨].

---

(١) لفظ مسلم: (حول).

(٢) عند مسلم زيادة: (بنعليَّ هاتين).

(٣) عند مسلم زيادة: (من).

(٤) برقم ٣١/٥٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٦) المرجع السابق ١١٢.

(٧) المرجع السابق ١١٢.

(٨) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٨٤.

الشرح الأدبي

الحديث يصوِّر عملياً شدة حرص الصحابة على الرسول ﷺ وسلامته يدلك على ذلك عدة أمور في بناء الصحابي لعبارته منها كثرة الألفاظ التي تدل على الفزع (خشينا فزعنا - فزع) ومنها العبارت التي تدل على القلق (أبطأ علينا - أن يقتطع دوننا) ومنها كثرة استخدام الفاء في الربط بين الأحداث، والتي تدل على سرعة الاستجابة (فقام - فأبطأ - فقمنا- فكنت - فخرجت - فدرت - فدخلت) ومنها عموم الأثر والذي يدل عليه استخدام الصحابي (نا) الفاعلين بكثرة، لذلك جاءت بشارة الرسول ﷺ لهم بالجنة جزاءً من جنس العمل، فتأمل كيف تحولت نصرتهم للرسول ﷺ نصرة لأنفسهم، وكذلك كل من ينصر رسول الله، وسنته، فإنه في الحقيقة يحي قلبه، وينصر نفس، وذلك في كل زمان، ومكان، وفي الحديث بيان لفضل كلمة التوحيد، وعظمة فضل الله بإدخال المستيقن بها الجنة، و(مستيقناً) قيد يفيد نفي النفاق لتحقق الأثر المترتب على الشهادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ وخوفهم عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان واليقين بالله.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ "اذهب" ومما هو معلوم أن أسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تحمل المدعو على الاستجابة، وفي أسلوب بيان لأهمية المأمور به، حيث جاء في صورة الأمر، ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذۡ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[٢].

٢- الترغيب: حيث جاء في الحديث "فبشره بالجنة" وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الموعظة، وتحببهم في الاستجابة لما يقول الداعية "وما على المربي إلا أن يكون واسع الأفق، ثرى التفكير، منتبهًا للغرض والمواقف والمناسبات فينبه من يعلمهم إلى ما يقربهم من الجنة ويبعدهم من النار، ويقيس السلوك نوعًا وكما ويقرنه بجزائه، ويفتح آفاق المتعلمين على نعيم الآخرة الواسع الكبير المتعدد المتدرج المتنوع، ويشعرهم أن لكل عمل إغراء، ولكل بلاء جزاء، ويربط ربطًا وثيقًا ما بين جزئيات السلوك وبين العائد منه سلبًا أو إيجابًا[٣]، ومن أمثلة استخدام القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم وخوفهم عليه:

لقد ضرب الصحابة الكرام النموذج الصالح في الحرص على ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم وفدائه بنفوسهم وأموالهم. يستنبط ذلك من عموم الحديث ويدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم يعلمون أنه القدوة لهم جميعًا قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني لأذكرك فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج فأذكر أني إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة فيشق ذلك على، وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، ص ١٧٠.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

عليه رسول الله ﷺ، شيئًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[(١)] فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه[(٢)]، ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه من أكثر الصحابة ملازمة للنبي ﷺ وله شرف الصحبة قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(٣)] وأبو هريرة رضي الله عنه كان من الملازمين للنبي ﷺ، فقد أخرج البغوي بسند جيد عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ، وأعلمنا بحديثه[(٤)].

ثالثًا- من مهام الداعية: التبشير:

التبشير من مهام الداعية الرئيسة وقد قال الله عز وجل عن وظيفة الرسل عليهم السلام: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[(٥)]، وأمر الله تعالى الرسولَ ﷺ أن يبشر المؤمنين فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[(٦)]، وأمر الرسول ﷺ بالتبشير، في الحديث في قوله: "فبشره بالجنة" وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[(٧)] وجعل الله من ثواب المؤمنين بشارة ربهم لهم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[(٨)] وإذا كان الأمر كذلك فجدير بالداعية أن يستصحب التبشير في دعوته.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط كما في حياة الصحابة للكاندهلوي ٤٥٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٧٥

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٦) سورة يونس، آية: ٢.

(٧) أخرجه مسلم ١٧٣٢

(٨) سورة التوبة، آية: ٢١.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان واليقين بالله:

إن الإيمان واليقين في الله من أعلى درجات الإيمان، ويصل بالمؤمن إلى أشرف منازل الجنة، وقد جاء في الحديث "فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة" وهذا يدل على فضل كلمة التوحيد والإيمان بالله، ويدل أيضًا على فضل الإيمان واليقين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ بِلاَلٌ يُنَادِي، فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ مِثْلَ هذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1].

قال ابن القيم: (واليقين مما خص به أهل الفلاح والهدى، وهو روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلأ محبة لله وخوفًا منه ورضى به وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[2].

جاء في الدر المنثور: (عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[3] قال: إن الله عز وجل ليس تاركًا أحدًا من خلقه حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين)[4].

قال سفيان الثوري عن ثمرة الإيمان واليقين: (لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وشوقًا إلى الجنة وخوفًا من النار. وقال ذو النون: اليقين يدعو إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، وهي تورث النظر في العواقب.

وفي فوائد اليقين قال أبوبكر الوراق: اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله وبالعقل عُقل عن الله. وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا يحول ولا ينقلب ولا يتغير في القلب، وقال أبوبكر بن طاهر: العلم يعارضه الشكوك،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٥٢/٢ رقم ٨٦٢٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٧٢/١٤.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٢٢٠/٣/ ٢٢١

(٣) سورة الواقعة، آية: ٩٥.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٦/١٤.

واليقين لا شك فيه، وعند القوم: اليقين لا يساكن قلبًا فيه سكون إلى غير الله)[١].

والحديث الذي نحن بصدده يقيد الإطلاق في الأحاديث السابقة التي في الباب في هذه الأحاديث، إذ وردت كلمة التوحيد مطلقة وهنا جاءت مقيدة بأن يكون قائلها مستيقنًا قلبه لا يعتريه أدنى شك، فيفهم من هذا الحديث أن الذي يشوبه شك في ذلك، لا يفرح بتلك البشرى بل لابد أن يكون قلبه مستيقنًا، وفيه مراجعة هذه القلوب وتعهدها للحفاظ عليها من الأمراض القلبية، ومن علامات اليقين أن يكون مستجيبًا مطيعًا لله وللرسول في الأوامر والنواهي، لا يتردد في الاستجابة.

قال ابن علان: ("مستيقنًا بها قلبه" أي موقنًا بها قلبه والسين فيها للمبالغة لأن كثرة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا، وخرج بها المنافق "فبشره بالجنة" إما ابتداء إن مات عقب الإسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الإسلام بمدة ولم يفعل معصية أو فعلها وكانت صغائر وله حسنات لم تغلب عليها المعاصي أو كانت كبائر فتاب منها، أو بعد إدخال النار مدة إن مات على صغائر زائدة على حسناته أو على كبيرة ولم يتب منها، ويجوز أن يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء، قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٢] وحذف المصنف ما أشار به عمر من ترك هذا التبشير مخافة مما يترتب عليه من ترك صالح العمل المقتضي لفوات المراتب العلية في الجنة فوافقه ﷺ على ذلك)[٣].

قال النووي: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم، وفى هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ولا النطق دون الاعتقاد، بل لا بد من الجمع بينهما، وقد تقدم إيضاحه في أول الباب وذكر القلب هنا للتأكيد ونفى توهم المجاز، وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب[٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٢٧٢٩/٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٣٢/٢-٣٣٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٧/١.

الحديث رقم (٤٢٥)

٤٢٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ تَلاَ قَولَ الله ﷻ في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾[إبراهيم: ٣٦] الآية، وقَولَ[1] عِيسَى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيهِ وَقالَ: ((**اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي**)) وبَكَى، فَقَالَ الله ﷻ: ((**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟**)) فَأتَاهُ جبريلُ، فَأخْبَرَهُ رسولُ الله ﷺ، بِمَا قَالَ -وَهُوَ أعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((**يَا جِبريلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمّتِكَ وَلاَ نَسُوءكَ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

لا نسُوءُك: لا نحزنك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل معنى جليلاً يقوم على الحوار بين أشرف أطراف بين الله عزوجل، ورسول من السماء للأرض جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسوله من الأرض للأرض محمد ﷺ، والذي يكشف عن مدى محبته ﷺ لأمته، وخوفه عليها يدل على ذلك قوله (اللَّهُمَّ أُمّتي أُمّتي) حيث صدر النداء بهذه الصيغة التي توحي بمزيد التذلل، والخشوع، وتكرار لفظ الأمة، وإضافتها له ﷺ تشريفاً ثم بكائه، وقد صدر البكاء من الرسول ﷺ كغيره من البشر، بكى خوفا، ولكن على أمته، بكى شوقا، ولكن

---

(١) لفظ مسلم: (وقال).

(٢) برقم ٢٠٢/٣٤٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤١.

إلى خالقه، بكى شفقة - دون اعتراض - عند موت ابنه، وكل بكائه ﷺ كان في إطار ما يرضي الله عز وجل وقد كان بكاؤه - في أثناء حديثه - شديد التأثير على من حوله لشدة محبتهم له، ولعلمهم أنه إذا بكى ﷺ فإن وراءه أمراً عظيماً؛ لأنه بسبيل الوحي، وقد حوت أحاديثه كثيراً من المواقف شديدة التأثير التي بكى فيها، ونقلها الرواة نصاً إلينا ليخالجنا نفس الشعور الذي خالجهم عند صدورها أول مرة[١] -كما حكى الراوي في هذا الحديث- وقد جاء الرد الإلهي تكريماً للرسول ﷺ وبشارة لأمته في صورة استفهام إيناس، وتلطف أرسل به جبريل، وأمره أن يسأله (مَا يُبْكِيهِ ؟) فأخبره جبريل فرد عليه بما كان من دعائه فجاءته بشارة ربه (إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءكَ) وقد أكدت الجملة بعدة مؤكدات، منها حرف التوكيد، ونسبة الفعل لله يؤكد التحقق، وجملة النفي للإساءة، والتي تؤكد معنى الترضية.

فقه الحديث

قوله: "فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي" فيه مسألتان:

١- رفع اليدين في الدعاء: قال القرطبي[٢]: (واختلف الفقهاء في رفع اليدين في الدعاء. فكرهه طائفة منهم جبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم، واختاروا إذا دعا الله في حاجة أن يشير بأصبعه السبابة، ويقولون: ذلك الإخلاص، واحتجوا بما رواه مسلم عن عمارة بن رويبة ورأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال: قبّح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبِّحة[٣] وبما روى أنس بن مالك أن النبي كان لا يرفع يديه في الدعاء إلا عند الاستسقاء فإنه كان يرفعها حتى يرى بياض إبطيه[٤].

---

(١) انظر: الحال الدالة في الحديث النبوي، بحث منشور في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط، د. ناصر راضي الزهري، العدد، ٢٦، جـ١، ص ٦٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/٢٤٥-٢٤٧ بتصرف كبير.

(٣) أخرجه مسلم ٨٧٤.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري ١٠٣١، ومسلم ٨٩٥.

أما جواز رفع اليدين في الدعاء فقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين، وقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: رفع النبي ﷺ يده وقال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))[١].

أما أصحاب المذاهب الفقهية المعتبرة فقد ذهب الحنيفة والمالكية في قول والشافعية والحنابلة أن من آداب الدعاء خارج الصلاة رفع اليدين بحذاء صدره، ويرى المالكية في قول أن الداعي لا يرفع يديه عند الدعاء خارج الصلاة[٢].

وقال القرطبي: (والدعاء حسن كيفما تيسير وهو المطلوب من الإنسان، لإظهار موضع الفقر والحاجة إلى الله عز وجل والتذلل له والخضوع، فإن شاء استقبل القبلة ورفع يديه فحسن، وإن شاء فلا، فقد فعل ذلك النبي ﷺ حسبما ورد في الأحاديث)[٣].

٢- صفة رفع اليدين: اختلف من أجاز من الفقهاء رفع اليدين في هيئة الدين عند الدعاء:

فذهب الحنفية إلى أنه من الأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة، وقالوا: لا يضع إحدى يديه على الأخرى، فإنه كان في وقت عذر أو برد شديد، فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه.

ونص الشافعية على أنه يسن رفع يديه في الدعاء للاتباع، وهو أن يجعل ظهر كفيه إلى السماء إن دعا لرفع بلاء، وعكسه إن دعا لتحصيل شيء.

ونص المالكية على أن من آداب الدعاء: بسط يديه ورفعهما إلى صدره لحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٣٩.

(٢) انظر: الفتاوى الهندية ٣١٨/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٦/٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٧/٩.

((إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها))[1] وتكون يداه مضموتين[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شفقة ورحمة النبي ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنداء.

خامساً: من موضوعات الدعوة: شفاعة النبي ﷺ لأمته.

أولاً - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

(إن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا عن النبي ﷺ نقلاً متواترًا بلا شبهة ولا خلاف بين المسلمين في أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع وأنه حجة على الناس أجمعين، والدليل على حجيته أنه من عند الله، والدليل على أنه من عند الله إعجازه، وإذا ثبت كونه من عندالله بدليل إعجازه وجب اتباعه من قبل الجميع واستفادة الأحكام من نصوصه، وعلى هذا فالقرآن حجة على الجميع والمصدر الأول للتشريع بالدليل القاطع والبرهان الساطع. وأنواع الأحكام التي جاء بها القرآن ثلاثة:

أولاً: أحكام اعتقادية تتعلق بالعقيدة كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٨٥ من طريق محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أبو داود: روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية، وهذا الطريق أوثلها وهو ضعيف أيضًا.

(٢) انظر: الفتاوى الهندية ٣١٨/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٠/١٤، ٢٨١، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وتحفة المحتاج ٤٨٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٦/٤٥، ٢٦٧.

ثانيًا: أحكام أخلاقية تتعلق بتزكية النفوس وتهذيبها وبيان الأخلاق القويمة التي يجب التحلي بها، والأخلاق الرديئة الواجب التخلي عنها.

ثالثًا: أحكام عملية وهي تشمل عبادات ومعاملات)[١].

والقرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية، والمصدر الأول للتشريع وللدعوة إلى الله تعالى، والداعية لا يستغني عن القرآن الكريم أو السنة النبوية في دعوته لأنهما المصدران الأساسيان للدعوة، فالداعية عند تناوله لأية قضية لابد وأن يلتمس من القرآن الكريم الشواهد على كلامه وتوجيهه للمدعوين وفي هذا الحديث تلا النبي ﷺ آيتين من كتاب الله تعالى، (فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، وهو كذلك كتاب عملي يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل عليهم السلام، ودستور خاتم الأديان، ولو لم يكن عمليًا لأنزل الله بعده كتبًا أخرى كما أنزل الإنجيل بعد التوراة، وأنزل القرآن بعدهما فسبحان من لا تنفد كلماته، ومن مظاهر عمليته جمعه بين التطور والثبات في أحكامه واشتماله على مزايا الواقعية والمثالية في تشريعاته)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته:

لقد وصف الله نبيه في القرآن بأنه رؤوف رحيم بأمته ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث "اللهم أمتي وبكى" وهذا يدل على عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

قال الطاهر بن عاشور: (تأتي خاتمة هذه السورة -سورة التوبة- بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ١٥٥-١٥٦.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ١٢٨، ١٢٩

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفًا رحيمًا بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله ﷺ. وهذه الآية من شأنها أن تزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيبًا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة وكذلك عادة القرآن فقد انفتح بهذه الآية باب التوبة من وفقه الله إليها، والخطاب في الآية موجه إلى جميع الأمة المدعوة للإسلام)[1].

قال النووي: (وهذا الحديث يدل على بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، وفيه البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا بما وعدها الله تعالى، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، والحديث يدل على بيان عظم منزلة النبي عند الله وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شفقة ورحمة النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث "فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى" وهذا يدل على شفقته ورحمته ﷺ فلم يكن فظًا ولا غليظًا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3] ولما بلغ النهاية في الشفقة والرحمة قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] ووصفه الله مع الجماعة المؤمنة من الصحابة بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[5]. وقد جعل الله عز وجل بعثته وإرساله رحمة لكل الخلق قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥/١١/٧٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) سورة القلم، آية: ٤.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

قال القاسمي: (أي: وما أرسلناك بهذه الحنيفية والدين الفطري إلا حال كونك رحمة للخلق، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين وفي جعله نفس الرحمة مبالغة جلية فهو نبي الرحمة قال الرازي: إنه عليه السلام كان رحمة في الدين وفي الدنيا أما في الدين فلأنه بعث والناس في جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم، ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمدًا ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق، فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار وكان التوفيق قرينًا له. وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه)[1].

ولقد كان من خصال رسول الله ﷺ تواضعه للناس وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب، ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم: إلا بإطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزًا وبالتذلل متعززًا[2]، ومما يدل على شفقته ورحمته ما جاء عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: ((إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَاوَزُ فِي صَلاَتِي، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ))[3].

وهذا يدل على أن النبي ﷺ كانت عنده شفقة ورحمة بأمته حتى في أمور العبادة (ما كان رسول الله ﷺ يُرى متأثرًا وغاضبًا إلا عندما يرى أحدًا من أمته اعتدى على محارم الله أو قسى أو افترض على نفسه عبادة لا يطيقها إن عاجلاً وإن آجلاً حتى إنه صلوات الله وسلامه عليه من شدة رحمته وخشيته المشقة على أمته كان يترك كثيرًا من أعمال البر خشية أن يتابعه أصحابه فتفرض عليهم فتشق عليهم كما حدث عند

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٧/١١/٢٩٧-٢٩٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٤٤١

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٩. ومسلم ٤٧

صلاته القيام في مسجده بالمدينة لليلتين على التوالي إحدى عشرة ركعة فانقطع عنهم الليلة الثالثة لما رأى المسجد ضاق بهم فسألوه حينما خرج عليهم لصلاة الفجر: خشيت أن تفرض عليكم)[(١)].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر، والنداء:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث: "يا جبريل اذهب إلى محمد وما من شك في أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة، وهو يبين للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة الالتزام به، ومن نماذج استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[(٢)]، وقوله جل شأنه: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[(٣)].

٢- النداء: حيث جاء في الحديث "يا جبريل" وأسلوب النداء من أساليب الدعوة، التي تفيد التنبيه للمدعو وتعمل على لفت انتباهه لما يقوله الداعية، ويدل من وجه آخر على مدى اهتمام الداعية بالمنادى عليه، ولذا خصه بالنداء؛ ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النداء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[(٥)].

خامساً- من موضوعات الدعوة: شفاعة النبي ﷺ لأمته:

حيث جاء في الحديث: "اللهم أمتي أمتي" وقوله "إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك" والشفاعة العظمى من خصائص الرسول ﷺ، قال ابن الملقن: (ومن خصائصه ﷺ أن له شفاعات منها الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد

---

(١) مواقف من السيرة النبوية، مصطفى حسين العطار ص ١١٢.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الأنبياء والشفاعة في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، والشفاعة في ناس استحقوا دخول النار والشفاعة في ناس دخلوا النار فيخرجون والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة)[١] "ولا شك أن الشفاعة من أعظم ما يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٢].

قال ابن هبيرة: (وفي الشفاعة العظمى يقول النبي ﷺ: أمتي أمتي. والمراد إنك وعدتني أن أمتي يكونون أول الناس حسابًا، وأنهم المقضي لهم قبل الخلائق فأراد عليه السلام أن يعلم ربه أنه غير مرتاب بوعد وعده إياه، وأنه واثق بما وعده من ذلك فأراد: يا رب اقض الحساب على الحال التي وعدتني من أنك تقضي بين أمتي أول الخلائق ثم يتبعهم الناس، فيكون كأنه سأل في الخلق كلهم)[٣].

ولقد (أجمع أهل السنة والجماعة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجوب الإيمان بها لصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[٤] وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٥] وقد جاءت الأحاديث التي بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المسلمين فيشفع له من يأذن له الرحمن من الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين.

قال العلماء: (الشفاعة في الآخرة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهي: الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب، وهي الشفاعة العظمى.

ثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضًا خاصة بنبينا ﷺ.

---

(١) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، ابن الملقن ٢٦٣، ٢٦٤

(٢) سورة الضحى، آية: ٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٤٤٠.

(٤) سورة طه، آية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

ثالثها: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله تعالى.

رابعها: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ، والملائكة وإخوانهم من المؤمنين.

خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. حري بالإنسان أن يسأل الله أن يرزقه شفاعة الحبيب محمد ﷺ)[1].

ومن أفضل مظاهر حب النبي ﷺ لأمته ﷺ على نيل الشفاعة لأمته فقد ادَّخر دعوته لهم يوم القيامة بالشفاعة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأمَّتِهِ. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/١٣٢-١٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٠.

الحديث رقم (٤٢٦)

٤٢٦- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: ((**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله؟**)) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: ((**فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا**)) فقلتُ: يَا رَسُول الله، أفَلا أُبَشِّرُ[1] النَّاسَ؟ قَالَ: ((**لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ردفَ النبي ﷺ: راكبًا خلفه[3].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ لمعاذ (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ ؟) استفهام قصد به التنبيه، والتعليم مع ما فيه من التسويق، وقوله (اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ) تفويض علم الإجابة لمن عنده علمها، وقوله (فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) أكد الجملة بعدة مؤكدات لتعظيم الخبر، وتربية المهابة، ونسبة الحق لله تخصيص ينادي بضرورة الوفاء به، وبين قوله العباد، ويعبدوه جناس يؤكد المعنى الذي خلق له العباد، وقوله (ولا يشركوا) مؤكد للجملة السابقة، وتنكير (شيئاً) يفيد التعميم فيشمل قليل الشرك، وكثيره، وتقديم الجار، والمجرور عليها يفيد التخصيص، وقول معاذ رضي الله عنه (أفلا أبشر الناس) الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على كلام محذوف تقديره إذا كان

---

(١) عند البخاري زيادة: (به).

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠/٤٩ من حديث عمرو بن ميمون، عن معاذ، ولفظهما سواء.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٣/١.

الأمر كذلك، وقصد بهذا الاستفهام الاستئذان في سوق البشارة للناس، وقوله (لا تبشرهم)نهي للتحذير علله بقوله (فيتكلوا) لأنه يريدهم بين الخوف، والرجاء حتى يلقوا ربهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والسؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ورسوله.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تعبيد العباد لله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العمل الصالح مع رجاء رحمة الله وعدم الاتكال.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب:

١- النداء: ورد النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا معاذ" ومما لاشك فيه أن أسلوب النداء يشعر المدعو بالاهتمام من قِبل المنادي كما أن النداء يفيد التنبيه والحث على أمر معين إذا كان الإنسان في غفلة عنه، ولذا قال عبدالله بن مسعود لرجل قال له: اعهد إلي يا عبدالله فقال له (إذا سمعت الله يقول: "يا أيها الذين آمنوا" فأعرها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه)[1] ومن صور استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[3].

٢- السؤال والجواب: جاء في الحديث في قوله ﷺ: "هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم" ومما هو معلوم أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة، وهو يعين المدعو على فهم أحكام الإسلام، ويقوم

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر جابر الجزائري، ص ٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ١.

الداعية بالإجابة على السؤال مباشرة، وهو يفتح من وجه آخر قناة حوار بين الداعية والمدعو مما يؤصل العلاقة بينهما، وقد جاء في القرآن الكريم استخدام هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[3].

ويستفاد من هذا الحديث الشريف أدب من آداب طالب العلم أنه إذا سئل عن مسألة ولا يعلم جوابها أن يقول: الله أعلم، وأن لا يتكلم فيما لا يعلم. وفيه التخوف من الاتكال على تلك البشرى لأن الإنسان يجب أن يعلم أنه لابد من عبادة الله تعالى والأخذ بالأسباب لدخول الجنة.

قال ابن علان: رجح ﷺ مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحث على الإكثار من صالح العمل على التبليغ لما قد يؤدي إليه من التعطيل[4].

ثانيًا- من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ورسوله:

إن الإنسان لا يحيط بعلم كل شيء، ولذا فما يجهله يجب أن يرد علمه إلى الله تعالى وقد جاء في الحديث "قلت: الله ورسوله أعلم" وهذا من أهم واجبات المدعو وقد علم الله نبيه أن يرد العلم إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾[5] وعلم المؤمنين أن يفوضوا ما لا يعلمون إلى الله تعالى والرسول ﷺ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٢/٣٣٥).

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

قال ابن القيم: (وقوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء: نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيًا لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر الله تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع)[١].

وقال الخطيب البغدادي: (وإذا سئل المفتي عن حكم نازلة فأشكل عليه وهناك من هو عارف به لزمه أن يرشد السائل إليه ويدل عليه، فإن لم يكن هناك من يستفتى غيره لزمه الإمساك عنه وترك الجواب فيه ما لم يتضح له فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٢] وعن عبدالله بن بشر أن عليَّ بن طالب رضي الله عنه سئل عن مسألة فقال: لا علم لي ثم قال: وَابَرْدهَا على الكَبِدِ سئلت عما لا أعلم، فقلت: لا أعلم. وعن عقبة بن مسلم أن ابن عمر رضي الله عنهما سئل عن شيء فقال: لا أدري، ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورًا في جهنم أن تقولوا لو أفتانا ابن عمر بهذا. وعن نافع عن ابن عمر: أنه سئل عن أمر فقال: لا أعلمه ثم قال: نعم ما قال ابن عمر سئل عن أمر لا يعلمه فقال: لا أعلم)[٣].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: تعبيد العباد لله تعالى:

حيث جاء في الحديث "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه" وما من شك أن من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله تعالى أن يستقيم الناس على عبادة الله سبحانه (إن هذا الدين العظيم "الإسلام" قائم على أركان خمسة ومبني على قواعد راسخة ثابتة بينها الصادق الأمين ﷺ عندما سئل عن الإسلام وهذه الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام ما هي إلا دعائم يرتكز عليها الدين يحقق بها العبد عبوديته لله سبحانه وتعالى إذ لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى متفرد في ألوهيته وربوبيته وأسمائه

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤٩/١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٣) الفقيه والمتفقه ٣٦٠/٢، ٣٦٤، ٣٦٥.

وصفاته بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله)[١]. إن الهدف الكبير للدعوة الإسلامية هو الإجابة على سؤال الناس "لماذا جئنا؟" والجواب في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢] (إن أهم أهداف الدعوة الإسلامية الدعوة إلى العقيدة الإسلامية التي يعبدون الله على أساسها والشريعة التي يتعاملون بها والسلوك الذي ينظم حياتهم)[٣].

قال ابن حجر: (قال ابن التين: يريد بقوله "حق العباد على الله" حقا علم من جهة الشرع لا بإيجاب العقل، فهو كالواجب في تحقق وقوعه أو هو على جهة المقابلة والمشاكلة كقوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[٤])[٥].

قال القرطبي: ("حق الله على العباد" هو ما أوجبه عليهم بحكمه وألزمهم إياه بخطابه)[٦] قال المباركفوري: (وفي قوله ﷺ: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشترط نفي ذلك، والجملة حالية والتقدير يعبدونه في حال عدم الإشراك به.

قال ابن حبان: عبادة الله إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، ولهذا قال في الجواب فما حق العباد إذا فعلوا ذلك؟ فعبر بالفعل ولم يعبر بالقول أن لا يعذبهم، وفي رواية للبخاري: حق العباد على الله أن لا يعذبهم)[٧].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٣٦.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ٢٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٨/١٣.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٠٣/١.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٠١٩/٢.

قال القرطبي: ("حق العباد على الله" ما وعدهم به من الثواب، والجزاء فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله: "الحق" الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل)[١].

قال الماوردي: (اعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق متعبداته، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا ضرورة قادته إلى تعبدهم، وإنما قصد نفعهم، تفضلاً منه عليهم، كما تفضل بما لا يحصى عَدًّا من نعمه، بل النعمة فيما تعبدّهم به أعظم، لأن نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدنيا العاجلة ونفع المتعبّدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة، وما جمع نفعي الدنيا والآخرة، كان أعظم نعمة وأكثر تفضلاً، وجعل الله ما تعبدهم به مأخوذًا من عقل متبوع، وشرع مسموع فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع، والشرع مسموع فيما لا يمنع منه العقل لأن الشرع لا يَرِدُ بما يمنع منه العقل، والعقل لا يُتَّبَع فيما يمنع منه الشرع؛ فلذلك توجه التكليف إلى من كَمُل عقله)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان وشناعة الشرك:

حيث جاء في الحديث "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" هذا وقد دلت النصوص على فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك فالإيمان بالله سبب للأمن والهدى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[٣] والإيمان بالله سبب دخول الجنة قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[٤] والشرك بالله مانع من مغفرة الذنوب، قال

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١/٢٠٣.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٩٤.

(٣) سورة الانعام، آية: ٨٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] والشرك بالله سبب لإحباط العمل قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢] ولا ينال الإنسان ثواب الله إلا إذا تخلص من الشرك قال جل شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣] والمؤمنون في ولاية الله قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٤].

وكل هذه النصوص الشرعية تبين بجلاء فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك وخطورته (إن الشرك بالله تنكّرٌ لجلاله، وكفران بحقه، و استهانة بعظمته، وتعد على سلطانه، ولقد أرسل الله رسله، وأنزل كتبه للدعوة إلى توحيده قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٥] ومن هنا كان عنوان العقيدة الإسلامية يتمثل في هذه الكلمة العظيمة التي عرفت لدى المسلمين بكلمة "التوحيد" وكلمة "الإخلاص" وكلمة "التقوى" وهي: لا إله إلا الله وهي الكلمة التي تعني منهج الله الذي لا تعنو الوجوه إلا له، ولا تنقاد القلوب إلا لحكمه ولا تخضع إلا لسلطانه، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد)[٦].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) سورة محمد، آية: ١١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٦) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ٩٠.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية العمل الصالح مع رجاء رحمة الله وعدم الاتكال:

يظهر هذا من الحديث "يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا" ذلك لأن الإنسان لكي ينال جنةالله يجب أن يقدم العمل الصالح ويرجو رحمة ربه قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾(١) وربط الله بين التوبة والعمل الصالح فقال جلّ شأنه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢) وقال سبحانه في فضل رجاء رحمة الله مع العمل الصالح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾(٣) قال الإمام ابن القيم: (والرجاء حاد يحدو الإنسان في سيره إلى الله ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، ومما يعين على الرجاء الخوف فكلاهما مستلزم للآخر فكل راج خائف وكل خائف راج وفي الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظته وعبادته)(٤).

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢١٦-٢١٧.

الحديث رقم (٤٢٧)

٤٢٧- وعن البراءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله، وَأنّ مُحَمّدًا رَسُول الله، فذلك قوله تَعَالَى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧])) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول أثر الشهادتين في أحد المواقف التي يمر بها الإنسان بين الحياة، والممات، والقبر، والحشر، والحساب، وغيرها من المواقف التي لا ينفع فيها إلا الإخلاص الذي هي روحه، والحديث عما في القبر نوع من الغيب، ولفظ القبر من الألفاظ التي توحي بالخوف، والانزعاج، والحديث يبدأ بداية خبرية خالية من المؤكدات؛ لأنه يقابل بها عاري الذهن عن الخبر، واللام في المسلم للجنس فتشمل جميع المسلمين، وقد أخبر عنه بجملة الشرط التي تربط السؤال بالشهادتين، في إشارة إلى أنهما سبيل النجاة من هول هذا الموقف، ثم إن بناء فعل السؤال لما لم يسم فاعله لون من الترهيب بحسب ما يستطيع كل عقل أن يتصور ثم إن تصور حجم الرهبة مرتبط بطاعة الإنسان، ومعصيته، كلما زادت الطاعة قلت الرهبة، والعكس.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٩٩، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه ٥٢٩/١، رقم ٨٦٦ في المتفق عليه بهذا اللفظ، ثمَّ قال: وفي حديث غندر عن شعبة، ثمَّ ذكر لفظه، وهذا اللفظ الثاني مما اتفقا على تخريجه، ثمَّ قال: وأخرجه مسلم أيضًا من حديث خيثمة بن عبد الرحمن، عن البراء، وذكره، ففهم المؤلف من إيراده اللفظ بهذه الصورة أنه من المتفق عليه، وليس كذلك، بل أخرجه البخاري فقط بهذا اللفظ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إثبات سؤال القبر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تثبيت الله للمؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التبشير:

ورد التبشير في الحديث في قوله ﷺ: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" والأمر الذي لاشك فيه أن أسلوب التبشير من أساليب الدعوة التي تشجع المدعوين على الطاعة، وقد خاطب الله نبيه فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

ولقد كان من وصية النبي ﷺ إلى مبعوثيه أن يبشروا وييسروا، فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن قال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[2].

(إن الحث على فعل الطاعات وأداء الخير والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة)[3] ومن صور استخدام القرآن لأسلوب التبشير والأمر به قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[4] وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥، ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٣) انظر: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ٣١٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٥) سورة يونس، آية: ٢.

إن هذا الحديث الشريف تضمن تفسيرًا نبويًا مبينًا الإجمال في معنى يثبت الله، ومعنى القول الثابت، وهذا البيان هو وجه من وجوه التفسير لهذه الآية.

وفي هذا الحديث بيان فضل الإيمان بالله تعالى، لأن الإيمان هو سبب هذا التثبيت من عند الله تعالى، وفي ذلك عناية الله تعالى بالمؤمنين، وبشرى عظيمة للمؤمنين بأنهم سيُجيبون الملك الذي سيسألهم من ربك؟ من نبيك؟ وهذا الجواب علامة على النجاح في هذا الامتحان العصيب الذي لا يفلت منه أحد.

ويستنبط منه أن غير المؤمنين لن يحظوا بهذه العناية، لأنهم فرَّطوا بتوحيد العبودية، من أجل ذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يجيبوا الملك السائل بذلك الجواب العظيم وبتلك الكلمة العظيمة الثقيلة الميزان.

قال ابن علان: (إذا سئل في القبر) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به، وهما الملكان الموكلان بذلك[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إثبات سؤال القبر:

إن من قضايا العقيدة التي يجب الإيمان بها والتسليم بوقوعها إثبات سؤال القبر. حيث جاء في الحديث "إن المسلم إذا سئل في القبر" وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العبد يسأل في قبره وقد دلت النصوص الشرعية على إثبات سؤال القبر، قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[2].

وجاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولّى عنه أصحابُه . وإنّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالِهم . أَتاهُ مَلَكانِ فيُقعدانِه فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم. فأمّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولهُ. فيقال له: انظُرْ إلى مَقْعَدِك مِنَ النّارِ، قد

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٢/٣٣٦).

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

أبدلَك اللَّهُ بهِ مَقعدًا منَ الجنةِ، فيراهُما جميعًا» قال قَتادةُ: وذُكِرَ لنا أنَّهُ يُفسَحُ لهُ في قبرِهِ. ثم رَجَعَ إلى حديثِ أنس قال وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لاأدري، كنتُ أقولُ مايقولُ الناسُ. فيقال: لادَرَيتَ ولاتَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطارِقَ من حديدٍ...))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث إثبات عذاب القبر، وأنه واقع على الكفار وعلى من شاء الله من الموحدين، قال الحكيم الترمذي: لما أرسل الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين أمسك العذاب عن الناس، وقبل الإسلام ممن أظهره منهم سواء أسر الكفر أو لا، فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا ويضل الله الظالمين)[2].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: (لقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. وليس السؤال في القبر للروح وحدها ولكنه للروح والجسم وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة تَنْعم النفس، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به. وعذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه قُبر أم لم يُقْبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور)[3].

وقال عبدالرحمن حبنكة الميداني: (لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٤ واللفظ له، ومسلم ٢٨٧٠ مختصرًا.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٣/٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٥٧٨/٢-٥٨٠.

المكلف إذا مات جاءه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، ويقال للآخر النكير فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أي محمد ﷺ، والمراد من سؤال القبر السؤال في البرزخ بين الموت والبعث، سواء كان ذلك في القبر أم لا، وقد أضيف السؤال إلى القبر بالنظر إلى أن أكثر الموتى يقبرون)[1].

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تثبيت الله للمؤمنين

إن من فضل الله على المؤمنين أنه يثبتهم في الدنيا والآخرة وبذلك نطقت الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[2] قال السعدي: (يثبت الله عباده المؤمنين في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الإسلام والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: "الله ربي،والإسلام ديني، ومحمد نبيي")[3] وقدأمر النبي ﷺ بالدعاء بالتثبيت للميت فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ))[4].

قال القرطبي: (ينبغي أن يرشد الميت في قبره حين يوضع فيه إلى جواب السؤال ويذكر بذلك فيقال له: قل الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسولي فإنه عن ذلك يسأل كما جاءت به الأخبار)[5] ومما لا شك فيه أن التثبيت إنما يكون لأهل الإيمان

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٦٤٥، ٦٤٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠ .

(٤) أخرجه أبو داود ٣٢٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٥٨).

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ١١٠.

الصحيح، والتوحيدالخالص (ومن الآثار الطيبة لصاحب التوحيد في قبره أنه ينجو من الخوف والرعب عند السؤال، ويجيب على الأسئلة بكل ثبات ويقين وصدق ثم يأتيه التصديق من ربه جلا وعلا ويفرش له من الجنة ويلبس منها وفتح له وهو في قبره باب إلى الجنة)[١].

رابعًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الحديث وإخبار النبي ﷺ عما ينال المؤمن من التثبيت عند سؤال القبر وتلك مهمة الداعية الأولى بيان حقائق الإسلام للمدعوين قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] وهذا البيان فيه البشارة للمؤمن والإنذار للعاصي. وواجب الداعية أن يبلغ للمدعوين الحقائق ويعرفهم بها فإن مهمته تقوم على البيان والتبيين قال الإمام ابن القيم: (ومراتب العلم أربعة: أولها وثانيها: سماعه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه؛ أي: عقله واستقر في قلبه. المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع ودخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فإنه ينال النضرة وهي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان)[٣].

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ١٧٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، ص ١٠٢-١٠٣.

الحديث رقم (٤٢٨)

٤٢٨- وعن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: ((إنّ الكافِرَ إذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأمَّا المُؤْمِنُ فَإنَّ الله تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ في الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا في الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ)) [١].

وفي رواية: ((إنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسنَةً يُعْطَى بِهَا في الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ. وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ [٢] للهِ تَعَالَى في الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا أفْضَى إلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)) رواه مسلم [٣].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

طُعمةً: رزقًا [٤].

يُعقبُهُ: يُجازيه ويُعْطِيه [٥].

أفضى إلى الآخرة: انتهى وصار [٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٠٨/٥٧.

(٢) برقم ٢٨٠٨/٥٦. هذه الرواية قبل الرواية الأولى عند مسلم، المؤلف تبع الحميدي في جمعه ٦٠٩/٢، رقم ٢١٠٥ حيث أوردها هكذا.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٠٨/٥٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ع م).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (ع ق ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٨.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ض ى)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٨.

الشرح الأدبي

بداية الحديث خبرية مؤكدة بـ(إن) مع تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى، مع تعريفه ب(ال) الجنسية الذي يدخل كل كافر في الحكم، وجملة (إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ) شرطية تفيد استهلاكه لحسناته في الدنيا، كلما عمل حسنة نال ثوابها متاعاً دنيوياً، وقوله (أطعم - طعمة) جناس يؤكد المعنى، ويؤكد استهلاكه لما يفعل من الحسنات، وقوله (وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ) أما تفصيلية و(ال) في المؤمن للجنس فتشمل كل مؤمن بالحكم، والتعبير بالادخار يفيد البقاء، والحفظ، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد الاختصاص، وذكر الله وسط الجملة يبعث الطمأنينة، ويؤكد التحقق، ويبعث الرجاء في مضاعفة المدخر ، قوله (وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا) يشير إلى تبعية الخير العاجل للحسنة، وقوله (على طاعته) التعبير بعلى يفيد علو الرزق على الطاعة، وفي الحديث مقابلة بين الكافر، والمؤمن تشير إلى الفارق بين الوصفين اللذين كانا عليهما في الدنيا، كما قابل بين يدخر، ويطعم؛ لأن الطعمة لون من الإنفاق المقابل للادخار، وكذلك قابل بين الآخرة، والدنيا ليشير إلى استيفاء الجزاء في دار البقاء، أو الجزاء في دار الفناء.

فقه الحديث

هذ الحديث يشير إلى حكم فقهي يتعلق بباب القربات والطاعات، أجمع الفقهاء على أن المسلم إذا قصد القربة والطاعة وجه الله عز وجل فإنه يأخذ الثواب عليها: ويصدق تلك القاعدة الفقيهة الكلية "لا ثواب إلا بالنية" أما الكافر لا ثواب له في الآخرة بنيته لأنه ليس أهل للنية ومن شروط النية "القصد" الإسلام[1].

وصرح في هذا الحديث أنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق

---

(١) [illegible] البصائر في شرح الأشباه والنظائر، الحموي، ٧٦/١.

والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضًا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله بين عباده.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده المؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الله لا يظلم" وأسلوب التوكيد يساعد على إقناع المدعو، ويدل على مدى صدق الداعية فيما يقول، ولذا أكد النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة..." ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] وقوله جل شأنه ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[3] وقوله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله بين عباده:

إن الله عز وجل حكم عدل يقضي بين عباده بالحق، ولذا جاء في الحديث "إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، قال النووي: (معناه لا يترك مجازاته بشي من حسناته، وحقيقة الظلم مستحيلة من الله تعالى، وأما إذا فعل الكافر هذه الحسنات ثم أسلم فإنه يثاب عليها في الآخرة، وأجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا به إلى الله تعالى، وأما

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢/١٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٠.

(٣) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

التصريح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات أي بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها. وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزي بها مع ذلك في الدنيا ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة)[١].

وقال المناوي: (وقوله في الحديث "إن الله لا يظلم" أي لا ينقص المؤمن فهو لا يضيع أجر حسنة المؤمن فيعطي بتلك الحسنة أجرًا في الدنيا وهو دفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك ويثاب عليها في الآخرة أي يثيبه الله أي يجازيه عليها برفع درجاته في الجنة فهو يجازى على حسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا كأن فك أسيرًا وأنقذ غريقًا فيطعم بحسناته في الدنيا أي يجازى فيها على ما فعله من القرب التي لا تحتاج لنية بنحو توسعة لرزقه، ودفع مصيبة ونصر على عدو وغير ذلك، وقال في المؤمن يعطى، وفي الكافر يطعم لأن العطاء أكثر استعماله فيما تحمد عاقبته حتى إذا أفضى إلى الآخرة أي صار إليها لم تكن له حسنة يعطى بها خيرًا)[٢].

وفي توفية كل إنسان على حسناته ما يدل على عدل الله سبحانه بين عباده فإذا كان الأصل أن الكافر لا يجازى في الآخرة على خير عمله في الدنيا ولا يكتب له حسنة لأن شرط الثواب والجزاء عُدم وهو الإيمان، لكن أخبر في هذا الحديث أنه من عدل الله أنه قد جازاه بها في الدنيا بما أعطاه ورزقه وأطعمه بخلاف المؤمن الذي يدخر له حسناته في الآخرة[٣].

إن العدل من أسماء الله الحسنى، وهو مما أمر الله تعالى به قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٤]. وبين أنه يأمر به فقال جلّ شأنه: ﴿قُلۡ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٤٥.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢/٢٧٢.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٨/٣٤١، ٣٤٢.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾[(١)] وإذا كان ضد العدل الظلم فلقد أخبر سبحانه عن نفسه فقال جل شأنه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)] وجاء في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا))[(٣)].

(إن العدل وضع الشيء موضعه وأداء الحقوق كاملة، والشريعة المحمدية كلهاعدل وقسط ورحمة لا جور فيها بوجه من الوجوه، لا في أصولها ولا في فروعها فالتوحيد أصل العدل، والشرك ضده أصل الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)] فالعدل تصلح به الدنيا، وتستقيم الأمور على السداد)[(٥)].

وعدل الله بين عباده يتضح من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٦)] وقوله جل شأنه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[(٧)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده المؤمنين:

إن فضل الله عظيم ورحمته واسعة ويظهر هذا مما جاء في الحديث من المجازاة على الحسنات للمؤمن في الدنيا والآخرة. قال الطيبي: (والكافر إذا صدرت منه حسنة

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي، ٢٩، ٣٠.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

يستوفي أجرها بكمالها في الدنيا حتى لا يكون له نصيب في الآخرة قط. والمؤمن بخلافه إنما يجزى الجزاء الأوفى في الآخرة وما يناله من رغد العيش المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾[1] فهو فضل وإحسان من الله تعالى وتحرير المعنى: أن الله تعالى لا يظلم أحدًا عمل حسنة فأما المؤمن فيجزيه في الآخرة الجزاء الأوفى ويفضل عليه في الدنيا. وأما الكافر فيجزيه في الدنيا الجزاء الأوفى وماله في الآخرة من نصيب)[2].

وقال سليم الهلالي: (وفي هذا الحديث بيان لعدل الله مع عباده بأن يوفيهم أجورهم حتى الكفرة الفجرة، وأن الكافر يجزى على عمله الحسن في الدنيا، إما بزيادة ماله أو دفع مكروه عنه، وليس له في الآخرة من نصيب، لأن الكفر يحبط الأجر في الآخرة، وأما المؤمن فإنه يجزى عليه في الدنيا والآخرة)[3]. ولاشك أن هذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[4].

قال الشوكاني: (بين سبحانه مقدار جزاء العاملين بما أمرهم به الممتثلين لما شرعه لهم. بأن من جاء بحسنة واحدة من الحسنات فله من الجزاء عشر حسنات، وقد ثبت هذا التضعيف في أحاديث كثيرة، وهذا التضعيف هو أقل ما يستحقه عامل الحسنة، وقد وردت الزيادة على هذا عمومًا وخصوصًا، ومن جاء بالسيئة أي: من الأعمال السيئة أي فلا يجزى إلا مثلها من دون زيادة عليها على قدرها في الخفة والعظم فالمشرك يُجَازى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات)[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٨٦-٢٨٧.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٤٩٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٥) فتح القدير ٢/١٨٣.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[١] قال: (يجد الطائع الثواب، ويجد الفاسق العذاب، يجد المؤمن لذة الوصال ويجد الكافر العذاب والنكال يجد المؤمن النعيم والكرامة ويجدالكافر الخزي والندامة، يجد المؤمن الدرجات ويجد الكافر العقوبات، يجد المؤمن السرور ويجد الفاجر الثبور فيوم تجد كل نفس ماعملت يندم الظالم ويخسر الآثم ويفرح المؤمن بنعيم الله)[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إنه من خلال بيان الحقائق تقوم الحجة على الناس، ولبيان الحقائق كان إرسال الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣] ومن ثم كان من أولى مهام الداعية بيان الحقائق لأنه مبلغ للشريعة والوحي، ومعرف للناس بربهم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤].

وفي هذا الحديث بين النبي ﷺ جزاء المؤمن وجزاء الكافر على العمل، وأنه لا ثواب في الآخرة إلا بإيمان صحيح مقبول عند الله تعالى، وذلك ليكون المدعو على بينة من أمره، وتقوم الحجة عليه، قال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (الأعمال الدينية المقربة إلى الله تعالى لا تصلح بدون الإيمان الصحيح أما الأعمال الدنيوية كالبر وحسن الخلق والأمانة والصدق وغيرها فإن كل الناس مجزى عليها، الكافر يعطي جزاؤه في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب، والمؤمن يدخر له جزاؤه، وقد يزيد الله تعالى له على طاعته ولا مانع من جزائه بها فيهما)[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٠.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢٩١.

الحديث رقم (٤٢٩)

٤٢٩- وعن جابر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الغَمْرُ: الكثيرُ[٢].

الشرح الأدبي

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرر في الأذهان كيف يمحو الله الخطايا بالصلوات الخمس بقياس صورة معنوية هي صورة تطهير الصلوات الخمس لما يقع بينهن من الخطايا على صورة معهودة حسية، وهي صورة إنسان يغتسل في نهر خمس مرات، ثم يلحق نتيجة الصلوات الخمس، وهي مغفرة الذنوب بنتيجة المغتسل خمس مرات إشارة إلى نقاء هذا المصلى من الخطايا كنقاء المغتسل. هذا ما يفيده التمثيل بقياس صورة على صورة؛ لتوضيحها في الأذهان، ووقفة مع الأسلوب العالي للنبي صلى الله عليه وسلم لنري بعض أسراره، فقد بدأ بلفظ (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل:هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه قال العيني: "أن المثل له مفهوم لغوي، وهو النظير ومفهوم عرفي، وهو القول السائر، ومعنى مجازي، وهو الحال الغريبة[٣]. وهو بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معاني

---

(١) برقم ٦٦٨/٢٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٧. وسيكرره المؤلف برقم ١٠٤٤.

(٢) رياض الصالحين ٢١١ ، ٣٩٩.

(٣) عمدة القارى شرح صحيح البخارى، لبدر الدين العيني، مراجعة: صدقى جميل العطار، ٢٠/٢.

متعددة كالعذوبة، والصفاء، والرقة، وكلمة (غمر) التي تشير إلى الكثرة التي تغمر المغتسل فتطهر كل أجزاء جسده، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ - بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، ويظل الأسلوب يرعى حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم) أي واحد منكم، ثم يصور هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم؛ مع اطراد مع الزمان أفاده لفظ الشمول (كل) المضاف ليوم، وبذلك تبدو صورة ذلك المصلى من خلال صورة المغتسل وتبدو الصلوات وهي الطهارة البدنية قالباً، وهي الطهارة المعنوية قلباً خلال صورة نهر صاف عذب قريب، وينتج من بين الصورتين صورة مؤمن نقي طاهر القلب، والقالب كنهره الذي اغتسل فيه صافياً نقياً.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-أن الصلوات الخمس ترفع بها الدرجات وتمحى بها السيئات[١].

٢-فضل الصلاة لأول وقتها لأن الاغتسال في أول اليوم أبلغ في النظافة[٢].

وأداء الصلاة في أول أوقاتها مستحب عند الفقهاء، لتحصيل الفضل والثواب، لأن النبي ﷺ لما سئل أي العمل أحب إلى الله قال: ((الصلاة على وقتها))[٣].

ويستثنى من هذا الحكم ما نص على تأخيره لسبب، كالإبراد بصلاة الظهر في وقت الحر، لقول رسول الله ﷺ: ((إذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم))[٤].

---

(١) الاستذكار ٣٦٦/٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٧٠٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٦، ومسلم ٦١٥.

كذلك يستثنى صلاة العشاء، عند الحنفية والحنابلة، وقول عند المالكية، والشافعية[١]، لما روى أبي هريرة يرفعه قال: ((لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة))[٢].

٣-أن العذب من الماء أشد إنقاء للدرن كما أن الكثير أشد إنقاء من اليسير.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة وأهميتها في تكفير الذنوب.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة وإقامتها في أوقاتها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

يتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "مثل الصلوات الخمس"، حيث ضرب لنا النبي ﷺ مثل تطهير الصلوات لسيئات الإنسان بمن يغتسل في نهر جار خمس مرات كل يوم. وأسلوب التمثيل من أساليب الدعوة التي تعين على توضيح المراد للمدعو، قال ابن حجر: (وفائدة التمثيل التأكيد جعل المعقول كالمحسوس، قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبًا إلا أسقطته"[٣]، ولا شك أن ضرب المثل يقرب المعاني البعيدة عن الأفهام، فليس المدعوون كلهم على درجة واحدة من الفهم، "لقد كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٥٦/١ وما بعدها، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٧٩/١ وما بعدها، ومغني المحتاج ١٢٥/١ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٨٨/١.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤٥/٢ رقم ٧٣٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩٣/١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥/٢ - ١٦.

بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ[(١)]، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب التمثيل قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٢)]، وقوله جلّ شأنه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾[(٣)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة وأهميتها في تكفير الذنوب:

إن الصلاة لها أهمية كبيرة في حياة المسلم فهي مكفرة للذنوب ماحية للسيئات، رافعة للدرجات، وقد جاء في الحديث ما يدل على فضلها في قوله ﷺ: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم)، ومما لا شك فيه أن الصلاة لها فضل كبير وثواب عظيم وقد دلت النصوص الشرعية على فضل الصلاة، والصلاة من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[(٤)]، ووعد الله عليها بالأجر الكبير، قال تعالى: ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[(٥)]، وهي مما أوحى الله بها إلى الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[(٦)].

وأخبر النبي ﷺ أن الصلاة نور، ففي الحديث عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ))[(٧)]، وأقرب ما

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٣٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٣.

يكون العبد من ربه وهو ساجد في صلاته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))[1]، والصلاة تكفر الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))[2]، وبالصلاة يغفر الله للمذنبين فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لاَ يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ . ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلاَةَ. إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ الَّتِي تَلِيهَا))[3].

وبالصلاة يكون الإنسان في ذمة الله فعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللّه. فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللّه مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ))[4].

قال عفيف طبارة: (إن الصلاة في الإسلام بما تحتويه من مراقبة لله وقيام وسجود له، وما تشتمل عليه من معاني القربى له تربط المصلي بخالقه وتشعره بعلو مكانته في نظر نفسه حتى يرى من آثار الكرامة ما يستقذر معه الإتيان بالقبائح فكلما حدثته نفسه بإتيان منكر أو عمل قبيح هتف به نداء من أعماق النفس: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5]، (فالله هو الذي أحسن إلى الإنسان بنعمة الوجود، ثم منّ عليه بالنعم الوافرة، والهداية المثمرة، وشرّفه بالتقرب منه بالصلوات، فكيف تطاوعه نفسه بعد ذلك على معصية خالقه؟ وبإقامة الصلاة يتحقق المقصود وهو التوجه الكلي إلى الله، والخشوع الحقيقي، وتمثل رحمته وعظمته مما ينقل النفس من أرجاس الدنيا إلى عالم الطهر)[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٠، ومسلم ٢٢٧.

(٤) أخرجه مسلم ٦٥٧.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢٣.

(٦) روح الصلاة في الإسلام ٣٢ - ٣٣.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة:

حيث جاء في الحديث إرشاد النبي ﷺ لأمته لفضل الصلاة والمحافظة عليها ولذا كان من مهام الداعية تحبيب المدعوين في الصلاة وبيان أثرها على المؤمن، هذا وقد أمر الله بالمحافظة عليها، فقال سبحانه: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[1]، ومن صفات المؤمنين أنهم يحافظون على الصلاة قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[2]، وهي تغير حال الإنسان وتصرفه عن الآثام والمنكرات قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[3].

وبالصلاة يستعين الإنسان على مصائب الحياة قال جلّ شأنه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[4]، وما من شك في "أن العبد إذا اعتاد الوقوف بين يدي مولاه في اليوم والليلة خمس مرات خاشعًا متواضعًا فارغ القلب من الشواغل، متدبرًا ما يتلوه من آيات انغرست في نفسه خشية مولاه في جميع أعماله، وحضرته هيبة خالقه في عموم أحواله"[5].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: "الصلوات الخمس تطهر النفوس، وتنقي القلوب وتذهب أدران المعاصي، وتسوق إلى الصلاح وتنظف صاحبها من الداخل كما ينظف النهر العذب الكثير الماء من يغتسل فيه خمس مرات يوميًا. وقد أشار بقوله في الحديث: "على باب أحدكم" إلى قرب تناولها ويسر الاستفادة منها ولكن بعض الناس يأنفون النظافة ويؤثرون القذارة وعدم النجاة"[6].

وعلى ضوء هذا كان من أبرز مهام الداعية إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٥) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ٤٢٤.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢٩١ - ٢٩٢.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة وإقامتها في أوقاتها:

يظهر هذا من سياق الحديث، وتعتبر الدعوة إلى المحافظة على الصلاة من أهم أهداف الدعوة حيث جاء الأمر بذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[2]، وتوعد الله من يضيعها فقال جل شأنه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3]، وتركها من أسباب دخول النار قال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[4]، ومن يسهو عنها ويهملها فله الويل قال جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[5]، والصلاة تمد المسلم بطاقة روحية دافعة تعينه على متاعب الحياة؛ إذ إن المجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفسية الأفراد على وجه الاستمرار إلى مثل عليا، وذلك خشية أن تنحصر روابط الأفراد في الحاجات المادية والمصالح الشخصية مما يؤدي إلى الفساد في الأرض. والصلاة هي التي تمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لا بد منها لصلاح المجتمع[6].

وقال أبو الحسن الندوي: (ولمكانة الصلاة في الإسلام كان لا بد من الخضوع لحكمة التشريع والإيمان بأن الصلاة فريضة الله على عباده، وأنها عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين وشرط النجاة وحارسة الإيمان، وهي من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى. وهي فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحر، غني وفقير،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٥) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

(٦) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ص ٢٤٢.

وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، ولا تسقط هذه الفريضة عن نبي مرسل فضلاً عن صالح أو عارف أو مجاهد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[1]، ومن رأى أنها تسقط عنه لفضل معرفته ووصوله إلى درجة اليقين والمشاهدة، أو لحسن بلائه في الإسلام، أو لسوابقه ومآثره الكثيرة، فقد أتلف نفسه وعرَّضها للخطر الأكبر)[2].

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٢) الأركان الأربعة ص ٢٥ - ٢٧ بتصرف.

الحديث رقم (٤٣٠)

٤٣٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أرْبَعونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شفعهم الله فيه: قَبل سؤالهم ودعاءهم في التجاوز عن ذنوبهم وآثامهم[2].

الشرح الأدبي

أسلوب التعميم للكلام يعطي الحكم صلاحية عبر الزمان، والمكان، وله طرق متعددة منها وقوع النكرة في سياق النفي كما ورد في هذا الحديث، فالحكم يشمل كل ميت من المسلمين يصلي عليه أربعون موحداً، وتخصيص المسلم لنفي الحكم عن غيره والتعبير بالقيام يفيد العناية، والاهتمام بأمر الصلاة عليه، والدعاء له، وقوله (رَجُلاً) لن النساء لا يحضرون الجنائز، وقوله: (لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيَئاً) تكميل بلاغي أفاد الإشارة إلى تمام الإخلاص، وأكدته النكرة التي أفادت التعميم فنفت قليل الشرك، وكثيره، وقوله: (إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ) بقية جملة القصر التي شملت الحديث كله، وقد قصرت صفة قيام الأربعين مسلماً على ما وصفوا على الشفاعة لا يتعدونها إلى الحرمان، وفي الحديث استحباب تكثير المصلين على الجنازة، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيد ذلك بأمرين الأول أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة الثاني أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئا.

---

(١) برقم ٩٤٨/٥٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤٩. وسيكرره المؤلف برقم ٩٣٤.

(٢) انظر: النهاية في (ش ف ع)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم صلاة الجنازة: ذهب الجمهور إلى أنها فرض كفاية، وذهب المالكية في قول إلى أنها سنة، وهو الراجح عندهم[١].

٢-اشتراط الجماعة في صلاة الجنازة: لا يشترط ذلك عند الجمهور، بل يسقط فرضها بواحد، وإن كان يستحب تكثير جماعة الجنازة؛ لأنه أفضل للميت وأنفع له، كما يستحب ألا يقلّوا عن ثلاثة صفوف للحديث ((ما من مؤمن يموت فيصلي عليه أُمّة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا ثلاث صفوف إلا غُفِر له))[٢] وأقل ما يسمى صفًا رجلان، ولا حد لأكثره[٣]. أما عند المالكية: فإن الجماعة شرط لصحة صلاة الجنازة كصلاة الجمعة، فإن صلّى عليها بغير إمام أعيدت الصلاة ما لم يفت ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثبوت شفاعة المؤمنين للميت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الصلاة على الجنازة وكثرة المصلين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده المؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على فعل ما ينفعهم.

---

(١) الاختيار ١٢٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢/٣، والمهذب ١٨١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٧٩/٤ رقم ١٦٧٢٤، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٨١/٢٧.

(٣) المبسوط ١١٤/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٣٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل. أبو عبدالله محمد المغربي ٢/٣، والفوكه الدواني ٣٤٢/١، ومغني المحتاج ٣٤٤/١ وما بعدها و٣٦١/١، والمهذب ٨١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٢ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤١٠/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٧١٣ ط بيت الأفكار الدولية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثبوت شفاعة المؤمنين للميت:

إن من رحمة الله بعباده وفضله عليهم أنه يشفع بعضهم في بعض حيث جاء في الحديث "إلا شفعهم الله فيه" قال الإمام النووي: (وهذا الحديث يثبت الشفاعة للأربعين، وفي حديث آخر: "ثلاثة صفوف"، وفي حديث ثالث "أمة من المسلمين يبلغون مائة". وهذه الأحاديث خرجت أجوبة لسائلين سألوا عن ذلك، فأجاب كل واحد منهم عن سؤاله، هذا كلام القاضي عياض، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أُخبر بقبول شفاعة مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين ثم ثلاث صفوف وإن قل عددهم فأخبر به. ويحتمل أيضًا أن يقال هذا مفهوم عدد فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف وحينئذٍ كل الأحاديث معمول بها وتحصل الشفاعة بأقل الأمرين من ثلاثة صفوف وأربعين)[1].

وقال الطيبي: (إذا كان قد جاء في هذا الحديث أربعين وفي حديث آخر مائة فلا تضاد: لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن يكون الأقل من العددين متأخرًا لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة في المعنى الواحد مرتين وإحداهما أيسر من الأخرى، لم يكن من سنته أن ينقص من الفضل الموعود بعد ذلك، بل يزيد عليه فضلاً منه وتكرمًا على عباده)[2].

وقال المباركفوري: (وفي الحديث استحباب تكثير جماعة الجنازة ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز وقد قيد ذلك بأمرين:

الأول: أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة.

الثاني: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئًا)[3].

وقال سليم الهلالي: (ومن فقه الحديث ثبوت الشفاعة للمؤمنين إذا كان الميت من أهل الشفاعة، وشفاعتهم له أن يغفر الله له وفيه بيان لفضل التوحيد والبراء من الشرك: ففي من قام على الجنازة شرط وهو أن لا يشرك بالله شيئًا، وفيه الترغيب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦١٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦٨/٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٠٩٢/١.

بتكثير المصلين على الجنازة رجاء حصول المغفرة للميت بفضل الله تعالى)[١].

ومن خلال ما سبق يتضح ثبوت شفاعة المؤمنين لأخيهم الميت.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الصلاة على الجنازة وكثرة المصلين:

إن اجتماع المصلين على صلاة الجنازة له فضل عظيم، وهو سبب في رحمة الله للميت، ويتضح هذا من الحديث "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً" وإذا ثبتت الشفاعة من المؤمنين للميت فهذا يدل على فضل حضور الصلاة على الجنازة واتباعها وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فشمته. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))[٢] وبين رسول الله ﷺ فضل شهود الجنائز فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شهِدَ الجنازةَ حتَّى يُصلِّيَ فله قيراطٌ، ومن شَهِدَها حتَّى تُدفَنَ كان له قيراطانِ. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثلُ الجبَلينِ العظيمينِ)) وفي رواية: ((وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبي هريرة قال لقد ضيعنا قراريط كثيرة))[٣]. وفي ذلك ما كان عليه الصحابة ﷺ من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم التأسف على ما يفوتهم منها وإن كنوا يعلمون عظيم موقعة، وقوله ﷺ عن القيراطين بأنهما "مثل الجبلين العظيمين" والقيراط مقدار من الثواب معلوم عند الله تعالى)[٤].

وأرشد النبي ﷺ إلى فضيلة تكثير العدد في صلاة الجنازة فعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ الا شُفِّعُوا فِيهِ))[٥].

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/ ٥٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧، ومسلم ٩٤٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٩٤٧.

قال ابن القيم: (كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي مخالفًا لهدي سائر الأمم مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يُعامل به الميت، وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه ثم المشي بين يديه إلى أن يُودِعُوهُ حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره، والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا)(١).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده المؤمنين:

يظهر ذلك من سياق الحديث في قبول شفاعة المسلمين لأخيهم الميت قال ابن علان: (ولتأكيد العموم في الحديث جاء "من" لتشمل كل رجل مسلم يموت والمرأة كذلك، ومعنى شفعهم الله فيه معناه: أن يغفر له ولا ينافيه ماجاء في حديث آخر من ذكر "مائة رجل" إما لأن العدد لا مفهوم له وعلى الاعتداد بالعدد فحديث "أربعين رجلاً" أصح وهو مقدم على غيره وعلى الجمع بينهما يحمل أنه ﷺ أخبر بما فيه فأخبر به وهو المائة ثم تفضل الله على عباده بحصول ذلك العدد المذكور وهو الأربعين فأخبر به ﷺ ثانيًا)(٢).

وما من شك في أن قبول شفاعة المسلمين في أخيهم الميت دليل على سعة فضل الله ورحمته بعباده، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٣) وقال جل شأنه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٤) وقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٩.

(٥) سورة يوسف، آية: ٨٧.

عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١] ولواسع فضله وكرمه قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على فعل ما ينفعهم:

يظهر هذا من توجيه النبي ﷺ إلى تكثير عدد المصلين على الميت ليشفعوا فيه، وما من شك أن الداعية رائد في قيادة المدعوين إلى الخير، وفي إرشادهم إلى الصواب لما له من مكانة في نفوسهم، وثقة في قلوبهم، وما يفعله الداعية هو من قبيل التعاون على الخير قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[٣] وبين الرسول الكريم ثواب من يدل على الخير فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٤].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد: بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٥]. والداعية له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الحرص على هداية المدعوين وإرشادهم وتوجيههم إلى ما فيه الخير والفلاح، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٦].

(١) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

(٦) أخرجه مسلم ٥٥.

الحديث رقم (٤٣١)

٤٣١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ في قُبَّة نَحْوًا مِنْ أربَعِينَ[1]، فقَالَ: ((أتَرْضَونَ أنْ تَكُونُوا رُبعَ أهْلِ الجَنَّةِ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: ((أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أنَّ الجنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ومَا أنْتُم في أهْلِ الشِّرْكِ إلاَّ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأحْمَرِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

قُبَّة: بيت صغير مستدير من الخيام، وهو من بيوت العرب[3].

نحوًا من أربعين: قُرابة أربعين رجلاً[4].

الشرح الأدبي

صدر الحديث في أسلوب حوار من طبقة البيان العالي الذي تميَّز به الرسول ﷺ في عرض المعنى، وإعداد المخاطب لتلقيه بيقظة، وانتباه، وترقب يضمن للمعنى الثبات، والرسوخ في ذهن المخاطبين؛ لأنه يريد من صحابته أكثر من فهم المعنى يريد منهم أن يكونوا حملته لمن بعدهم من الأجيال، والحديث يبدأ باستفهام التشويق الذي يزفُّ البشارة إلى المؤمنين متدرجاً بهم في البشارة من الأصغر إلى الأكبر، فقد بدأ بالربع، ثم

(١) عند مسلم زيادة: (رجلا).

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٢٨، ومسلم ٢٢١/٣٧٧ واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ح و).

الثلث، ثم ارتقى بهم صعوداً في العدد إلى النصف بعد أن أكده بقسم ذي طبيعة خاصة، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) يؤكد البشارة مع الرجاء المؤكد بحرف التوكيد (إني لأرجو) ثم جاء أسلوب القصر ليقصر دخول الجنة على النفوس المسلمة دون غيرها، ثم جاء أسلوب القصر لحصر صفة مقدارهم في الناس على المثل المذكور، وهو كونهم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر، وهذا التشبيه يدل على قلة عدد المسلمين في الناس يوم القيامة، وهذا يدل على كثرة من يدخلون الجنة من المسلمين، وهي بشارة يرسلها الرسول ﷺ للمسلمين في كل مكان، وزمان بميراث نصف الجنة لأمته، فلا عذر لمن تخلَّف منهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: تبشير المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجنة لا يدخلها إلا مؤمن.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: كثرة أهل الشرك وقلة أهل الإيمان.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والقسم والتوكيد والتعليل والقصر والتشبيه.

أولاً- من صفات الداعية: تبشير المدعوين:

إن البشارة لها الأثر المحمود في نفوس المدعوين فهي من ناحية تجعلهم يلتزمون ما هم عليه من عمل صالح، ومن ناحية أخرى الزيادة فيه والمسارعة إليه، ولهذا كان من صفات الداعية تبشير المدعوين، فقد بشّر النبي ﷺ أصحابه بأنهم من أهل الجنة ثم قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))، وفي رواية لمسلم: ((فكبرنا))[1].

قال ابن علان: (قال العلماء: كل رجاء جاء عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ فهو كائن البتة. وإنما أتى فيه بصيغة الرجاء دن صيغة الجزم على عادة الملوك في وعد ما

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢١.

يقطعون بفعله، يقولون: عسى تعطي ذلك وهم جازمون)[١].

وقال النووي: (أما تكبيرهم فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة)[٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[٣].

ومن أمثلة التبشير كذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٤].

قال العز بن عبدالسلام: (بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة، فإنهم يعملون ليصلوا إلى ما بشروا به من الأجر العظيم والنعيم المقيم)[٥]، ولذا جاء في الموسوعة الفقهية: (إخبار الناس بما يسرهم أمر مستحب... والبشارة مستحبة كالهبة إذا قصد بها وجه الله تعالى)[٦].

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدًا من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره، قال: ((بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))[٧]، قال النووي: (في هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ ومن تاب من

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٣، ومسلم ٢٢٢.

(٤) أخرجه مسلم ٣٠.

(٥) شجرة المعارف والأحوال ص ٢٣٣.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٤/٨ - ٩٥.

(٧) أخرجه مسلم ١٧٣٢.

المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم:

إن أمة محمد ﷺ هي أمة أفضل رسول ﷺ، لذلك كانت مفضلة على غيرها من الأمم، ذلك واضح في قول النبي ﷺ: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)، قال ابن هبيرة: (في الحديث أن أمة محمد ﷺ يكونون نصف أهل الجنة، وذلك لأن أمة محمد ﷺ عقبت الأمم فورثت ما كانت عليه الأمم بأسرها ثم لا يعقبهم غيرهم، وإذا نزل المسيح بن مريم كان على ملتهم)[٢].

وقد جاءت أحاديث تؤكد هذا المعنى منها: قال ﷺ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍ: ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ))[٣]، قال النووي: (هذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة)[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[٥]، شق ذلك على المسلمين فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[٦]، فقال ﷺ: ((أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُقَاسِمُونَهُمُ النِّصْفَ الْبَاقِي))[٧].

وقد قال الله تعالى عن أمة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٨]، قال السعدي: (أي: عدلاً لا خيارًا، وما عدا الوسط فالأطراف داخلة تحت الخطر. فجعل الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١١٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٤٦، وابن ماجه ٤٢٨٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٦٢).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٧) أخرجه أحمد ٣٩١/٢ رقم ٩٠٨٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره، ٣٨/١٥.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنَّصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى. وأباح الله تعالى لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا "أمة وسطًا"، كاملين معتدلين، ليكونوا "شهداء على الناس"، بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم)[١].

وقد ساق ابن كثير هذه الأحاديث ونحوها في تفسيره تحت عنوان: "نوع آخر من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة"[٢].

قال ابن الملقن: (إن أمته ﷺ خير الأمم لا تجتمع على ضلالة)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الجنة لا يدخلها إلا مؤمن:

جعل الله تعالى الجنة دار كرامته، فلا يدخلها إلا من هو كريم عليه سبحانه، لذلك لا يدخلها إلا مؤمن. فقد قال النبي ﷺ: (وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)، قال النووي: (هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً، وهذا النص على عمومه بإجماع المسلمين)[٤]، وقد أكّد النبي ﷺ هذا المعنى في أحاديث أخرى منها:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٠١، عند تفسير آية: ١١٠ من سورة آل عمران.

(٣) غاية السول في خصائص الرسول ص ٢٧٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٣١.

فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ. حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((كَلاَّ. إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ. فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ)) قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ[١].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدَثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ. فَنَادَى ((أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ. وَأَيَّامُ مِنىً أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ))[٢].

وقال قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، قال الطاهر بن عاشور: (الإيمان هو أس هيكل النجاة. ولذلك كان الكفر أُسّ الشقاء الأبدي فإن كل عمل سيئ فإن سوءه وفساده جزئي منقضٍ فكان العقاب عليه غير أبدي، وأما الكفر فهو سيئة دائمة مع صاحبها لأن مقرّها قلبه واعتقاده، وهو ملازم له فلذلك كان عقابه أبديًا، إن الحكمة تقتضي المناسبة بين الأسباب وآثارها فدلّ قوله: "فلا يجزى إلا مثلها"، أن جزاء الكفر شقاء أبدي لأنه مثل الكفر في كونه ملازمًا للكافر إن مات كافرًا)[٤].

وقال ابن القيم: (وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[٥][٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٤.

(٢) أخرجه مسلم ١١٤٢.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٠.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٥٠/٢٤/٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٦٦.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: كثرة أهل الشرك وقلة أهل الإيمان:

إن الحق أتباعه قليل، بخلاف الباطل فإن أتباعه كثير، وكذلك الأمر في شأن الإيمان والكفر، وهذا ما يوضحه النبي ﷺ بقوله: (ما أنتم في أهل الشرك إلا الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ))[1].

وفي حديث أبي سعيد نفسه: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ[2]. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ)).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ))[3].

ونقل ابن حجر عن الكرماني أن مفهوم العدد لا اعتبار له، فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد، والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ثم قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرًا، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيًا والعلم عند الله تعالى)[4].

قال ابن رجب: (أهل النار الذي هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلّدون فيها ولهم أعدت كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[5]، وهؤلاء أهلها الخالدون فيها هم أكثر ممن يدخلها من عصاة الموحدين الذين يخرجون منها بعد أن يهذبوا وينقوا.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٠، ومسلم ٢٢٢، والرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن عضد الحمار والفرس وتكون في قوائم الشاة، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٦/١١.

(٢) أي ميّز أهل النار من غيرهم، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٧/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٢٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٧/١١ - ٣٩٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٤.

فهذه الأحاديث وما في معناها تدلّ على أن أكثر بني آدم من أهل النار وتدلّ أيضًا على أن أتباع الرسل عليهم السلام قليلون بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل عليهم السلام كلّهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيهم من الاختلاف، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ وكتاب مبدّل، وهم أيضًا من أهل النار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[1]، وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضًا وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهرًا وباطنًا فكثير منهم فتن بالشبهات وهم أهل البدع والضلال... وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها فلم ينج من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة،وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ظاهرًا وباطنًا وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جدًا لا سيما في الأزمان المتأخرة والقرآن يدلّ على أن أكثر الناس هم أهل النار وهم الذين اتبعوا الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3])[4].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والقسم والتوكيد والتعليل والقصر والتشبيه:

أما الاستفهام فقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟"، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ ثم قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"، قال ابن حجر: (قال ابن التين: ذكره بلفظ

---

(١) سورة هود، آية: ١٧.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٠

(٣) سورة ص، آية: ٨٥.

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال البوار ٢٥١ - ٢٥٢.

الاستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذكره بالتدريج ليكون أعظم لسرورهم)[١].

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر -النصف-"، ولم يقل أولاً شطر أهل الجنة، فلفائدة حسنة، وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد مرة، وفيه أيضًا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه)[٢].

وقد أكد النبي ﷺ هذه البشارة بالقسم والتوكيد، فقال: "والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" قال ابن علان: (أتى بالقسم وباسمه ﷺ مظهرًا تأكيدًا للأمر وتفخيمًا له)[٣]، كما علل هذه البشارة، وفي هذا كله بشارة بعد البشارة، كما زاد ذلك توكيدًا باستخدام أسلوب القصر، وقد استخدم فيه التشبيه، ليثبت تلك البشارة في نفوسهم ويوضحها لأفهامهم ويجعلها كأنها واضحة ماثلة أمام أعينهم.



---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٩٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩ - ٦٦٠.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة